المفهوم السياسى والاجتماعى لليهود عبر التاريخ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية

(١٩٠٠ ق.م / ١٩٩٥م)

الجزء الثالث

الحرب والسلام

(١٩٧٠ - ١٩٨١)

تأليف

سفير / د. حسين شريف

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٦

الإخراج الفنى

صبرى عبد الواحد

محتويات الكتاب

كلمة المؤلف

شهد عقد السبعينات والثمانينات ظروفا ومبادئ جديدة فى إطار دولى جديد تشكل على أنقاض النظام الدولى السابق الذى بدأ بعد الحرب العالمية الثانية وعرف بنظام القطبية الثنائية الذى كانت من أبرز ملامحه، الحرب الباردة والمواجهات الخطيرة بين القطبين الدوليين، كما شهد بشكل خاص الأولوية التى أعطتها الولايات المتحدة لتعقب النفوذ السوفييتى واحتوائه.

وقد أثر النظام الدولى القديم - القطبين الثنائيين - على أوضاع منطقة الشرق الأوسط، وعلى مصالح الدول العربية بشكل خاص، إذ اضطرت عدد من الدول العربية نتيجة التعنت الإسرائيلى والانحياز الأمريكى لإسرائيل إلى البحث عن مصادر أخرى للدعم والسلاح ووجدت ضالتها فى الاتحاد السوفييتى، وبذلك حدث فرز على صعيد الشرق الأوسط بين الاتحاد السوفييتى وأصدقائه، وبين الولايات المتحدة وأصدقائها، وقد أدى هذا الفرز إلى تعثر حل مشكلة الشرق الأوسط، بل انتهى إلى هزيمة النظم العربية المعادية لأمريكا من خلال حرب عام ١٩٦٧ .

ويموت الرئيس جمال عبد الناصر وتولى الرئيس أنور السادات، شهدت المنطقة فى عهده استراتيجية جديدة بعد حرب عام ١٩٧٣ أقامها على أساس التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية التى تحوز ٩٩٪ من أوراق اللعب ـ حسب تعبيره ـ طلبا للمعونات الاقتصادية والعسكرية، ورغبة فى حل قضية الشرق الأوسط وخاصة مشكلة الأراضى المحتلة المصرية، حلا عادلا ودائما، كما تضمنت هذه الاستراتيجية الصلح مع إسرائيل لأنه لن يستطيع التعامل مع الولايات المتحدة إلا من خلال هذه النافذة، فكان عليه أن يعنى بشرط آخر من أجل تحقيق التحالف والتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية بتغيير النظام ليقوم على التعددية الحزبية والاقتصاد الحر القائم على احترام آليات السوق ودور القطاع الخاص.

وكانت دواعى التغيير فى المرحلة الساداتية واضحة تتركز فى تخوفه من تحالفات مصر فى الرحلة الناصرية داخلياً وخارجياً بما لا يتفق مع تصورات الرئيس فى إدارة المجتمع وفى حل المشكلات مع القوى الخارجية.

وبعد معاناة طويلة، وبعد أن تأكدت الولايات المتحدة من جدية الرئيس السادات، نجح الرئيس الأمريكى كارتر عام ١٩٧٨ فى عقد اتفاقيتى «كامب ديفيد» وبتوقيع الرؤساء، الأمريكى والمصرى والإسرائيلى، وأعقب ذلك توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية عام ١٩٧٩ .

والرؤية العامة للنظام الذى أراده السادات بتحالفاته الداخلية والخارجية تبين مدى الضغوط التى تعرضت لها مصر اقتصاديا

وسياسياً واجتماعياً نتيجة عدم تحقيق رؤية الرئيس من وراء تعاونه مع الولايات المتحدة التى استمرت على تمسكها بالانحياز بل والتواطؤ مع إسرائيل وهو أمر أدى إلى عزلة مصر عن العالم العربى وعن قطاع كبير من المثقفين المصريين وانتهى الأمر بحادث المنصة.

وكانت نتيجة مقاومة الدول العربية الاتفاق طويلا أن وجدت الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل الطريق أمام اتمام عملية التسوية مسدوداً إلى أن حدثت التغيرات الدولية.

والله ولى التوفيق

سفيرد. حسين شريف.

القسم الأول

الأوضاع السياسية فى منطقة الشرق الأوسط قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣

الفصل الأول

بداية عهد السادات

الفصل الثانى

الأوضاع السياسية فى إسرائيل قبل حرب ١٩٧٣

الفصل الثالث

تطور العلاقات المصرية الأمريكية

فى الفترة ما بين حرب يونية ١٩٦٧ وقبل حرب أكتوبر ١٩٧٣

عهد السادات

أولا: الأوضاع الداخلية:

١ ـ بدايات عهد السادات داخليا:

(أ) أدى الصراع الذى نشب بعد هزيمة ١٩٦٧ والمحاسبات التى جرت لتلافى أخطاء الماضى، أدت إلى ازاحة عدد كبير من رموز يوليو من السلطة وأبرزهم المشير عامر، وأصبح أنور السادات نائبا (ترتيبه الأول) لرئيس الجمهورية.

(ب) وجاءت وفاة عبد الناصر المفاجأة لتضع الجميع محل اختبار، فقد كان الاتجاه بعد موت عبد الناصر أن يبقى أنور السادات نائبا للرئيس حتى إزالة آثار العدوان ثم تجرى انتخابات حرة للرئاسة وفقا لتصور عبد الناصر.

وقد نصح عدد من القادة العرب السادات أن يسرع بملئ الفراغ حتى لاتترك الأمور سائلة فى مصر فى أحلك أوقاتها، وفعلا أصر على التقدم للترشيح (وفق أسلوب الاستفتاء) وكان عليه أن يحصل على موافقة أجهزة الاتحاد الاشتراكى العليا، وعلى موافقة مجلس الشعب، وبعد مناورات وضغوط تمت الموافقة على اسم السادات.

(جـ) وبمجرد انتخابه قام الرئيس السادات بتعيين الدكتور محمد فوزى رئيسا للوزراء، وعبد المحسن أبو النور أميناً للاتحاد الاشتراكى، وكانت أنظاره مسلطة بالرقابة على كبار الشخصيات التى تركها عبد الناصر على قمة السلطة الشعبية والوزارية.

(د) وأول مواجهة بين السادات ومراكز القوى كانت حول خط عبد الناصر، ورد السادات بأنه لايستطيع تصريف الأمور كما كان يفعل عبد الناصر لأن الأختلاف فقط حول الوسائل وليست المبادئ.

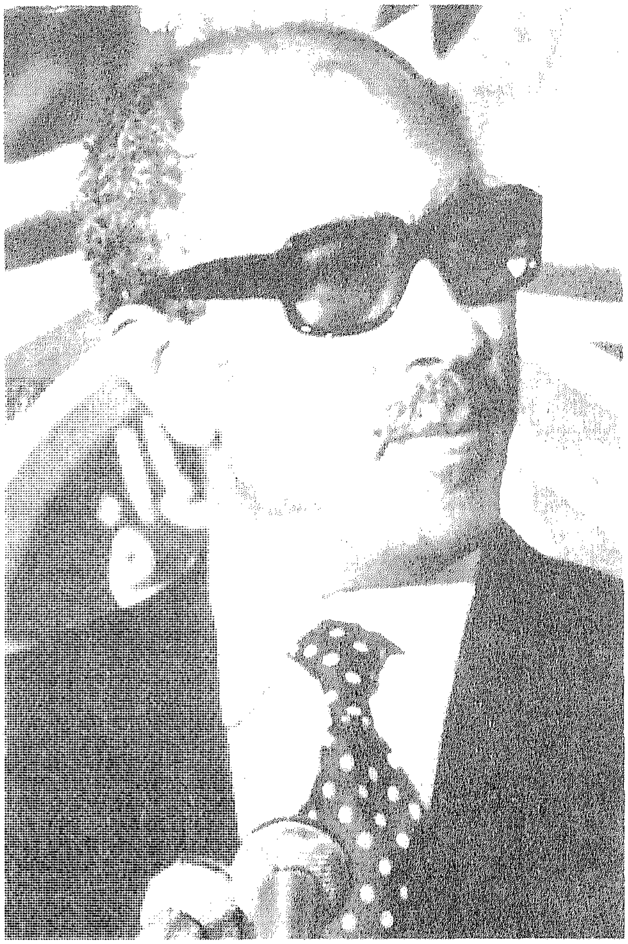
● والواقع أن السادات كان يخفى اختلافا حول المبادئ أيضا.

(هـ) ومنذ البداية قام السادات بمناوراته التى يتقنها، فرفض فى ١٧/١٠/١٩٧٠ أسلوب سامى شرف وزير شئون رئاسة الجمهورية فى كشوف المراقبة التى قدمها له والتى تتصل برقابة التليفونات، وقد استغل هذا الأمر بعد ذلك ليوجه ضربة لرجال عبد الناصر عندما أعلن عن تدمير أشرطة التصنت.

(و) ووجه السادات ضربة أخرى كان يقصد من ورائها كسب أنصار المضرورين من الثورة، فأصدر فى ديسمبر ١٩٧٠ قرار بتصفية الحراسات.

(ز) وأعقب ذلك تبنى سياسة الانفتاح الاقتصادى مستقطباً الرأسمالية الوطنية.

(حـ) وأيضاً أعطى حرية كبيرة للإخوان المسلمين وأخرجهم من



الرئيس أنور السادات ١٩٧٠ ـ ١٩٨١ .

السجون ليضمن جبهة إلى جانبه فى صراع التصفية ضد الناصريين واليساريين وأصدقاء الاتحاد السوفيتيى.

٢- محاور الصراع:

(أ) أول محك للصراع بين السادات وبين مراكز القوى كان موضوع اتحاد الدول العربية بين مصر، وسوريا وليبيا الذى وقعته الدول الثلاثة فى بنغازى.

- وقد عرض السادات الأمر على اللجنة التنفيذية العليا وتكتل ضده من أسماهم بعملاء الأتحاد السوفييتى وعددهم خمسة من ثمانية، ولم يصوت مع رأى الرئيس إلا السادات والشافعى وفوزى.

- وقام السادات بنقل المعركة إلى اللجنة المركزية وحاول المعارضون إفشال هذا العمل، إلا أن الأمر عرض عليها ووافقت بالإجماع على الاتفاق، كان هذا أول إختبار للقوة انتصر فيه السادات.

(ب) وكان المحك الثانى الرئيسى فى عيد العمال يوم ١٩٧١/٥/١ الذى كان مساحة لمعارك خفية بين الرئيس ومعارضيه.

- وفى ١٩٧١/٥/٢ قام السادات بإقالة نائبه على صبرى من جميع مناصبه، وعقد إجتماعات فى القوات المسلحة، وقال السادات أنه لن يسمح بإدخال مصر فى دوامة الفوضى وأى أنسان يتحرك ضد مصر «سيفرمه».

● وأدعى الرئيس السادات أن مراكز القوى أعدت له كميناً عندما قرر زيارة مديرية التحرير فى ١٩٧١/٥/١٣ لاغتياله، فأجل الرحلة وقرر التخلص منهم، وقد ورد هذا الإدعاء تفصيلا فى كتاب «البحث عن الذات».

● بالاضافة إلى أن مراكز القوى كانت تحاصر الإذاعة فى أوقات معينه وكانت تراقب تصرفات السادات.

● وفى ١٩٧١/٥/١٣ حمل أشرف مروان إلى السادات إستقالات رئيس مجلس الأمة، ووزير الحربية، ووزير الإعلام، ووزير شئون رئاسة الجمهورية، وأعضاء من اللجنة المركزية وأعضاء من اللجنة التنفيذية العليا، وكان القصد كما وصف السادات هو إحداث إنهيار دستورى فى مصر.

● وقد قام السادات بقبول الاستقالات جميعاً وحدد إقامة المستقيلين وأجرى فى نفس اليوم تعديلا وزاريا أنهى به قصة مراكز القوى وإنفرد بالحكم فى مصر بدون منازع.

٣ ـ تطور الأوضاع الداخلية وأزمة سبتمبر:

كان أبرز تطور للأوضاع الداخلية فى إتجاه الأزمة هو ما ترتب على إطلاق الحريات، وإضافة الديمقراطية، والتعددية الحزبية، وفتح الأبواب على مصراعيها أمام الانفتاح الاقتصادى غير المحسوب، وكان هذا الأمر وخاصة الديمقراطية المفاجئة بمثابة اطلاق السادات للمارد من «القمقم»حيث فشل السادات فى التعامل مع المعارضة بكل فصائلها وانتهى الأمر عام ١٩٨١ بأن أوقف صدور عدد من

الصحف والمطبوعات، واعتقل أكثر من ١٥٠٠ من أبرز الشخصيات المعارضة لا يجمعها رابط إلا معارضة السادات أو شعوره بالخطر من معارضتها، كما قام بخطوة غير مسبوقة فى التاريخ الحديث بعزل البابا شنودة، بابا الكنيسة القبطية، من منصبه وحدد إقامته.

واعتقل قيادات الإخوان المسلمين فى اطار ما أسماه بالفتنة الطائفية، وبعض هذه الفتنة، كان بسبب سياسة السادات فى إستخدام القوى الدينية فى عملية التوازن الداخلية، وهوأمر أدى الى زيادة فعالية القوى الدينية فى الشارع المصرى وأحكام سيطرتها على مؤسسات إقتصادية جديدة، وأنتهى الأمر باقدام متطرفين متدثرين بالدين باغتيال الرئيس السادات فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ .

ثانيا: العلاقات الخارجية فى عهد السادات:

١- البدايات:

(أ) بعد وفاة الرئيس عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٧٠ بادر الاتحاد السوفييتى بارسال وفد على مستوى عال فى سبتمبر من نفس العام (٩/٣٠) وأجرى مباحثات مع الرئيس المؤقت أنور السادات ومع كبار معاونيه حول مستقبل العلاقات الثنائية والموقف العسكرى.

(ب) وفى يناير ١٩٧١ دارت جولة جديدة من الاتصالات المصرية الأمريكية لتنفيذ شق مبادرة روجرز الخاص بتحقيق انسحاب إسرائيلى على طول الضفة الشرقية للقناة.

- وأعلن الرئيس السادات فى ١٩٧١/٢/٤ عن عناصر مبادرته السياسية الجديدة وهى:

- انسحاب إسرائيل من سيناء وحتى حدود مصر الدولية.
- يتم تطهير قناة السويس لفتحها أمام الملاحة البحرية.
- يعقب ذلك تعهد إسرائيل بالإنسحاب من كافة الأراضى العربية المحتلة طبقا لجدول زمنى محدد.

ولكن إسرائيل راوغت وصممت على الفصل بين مبدأ التسوية الجزئية وقضية التسوية الشاملة.

(جـ) وأعقب ذلك تحرك السفير «يارنج» فى فبراير ١٩٧١ ولاقى تحركه نفس الفشل لأن الحكومة الإسرائيلية أعلنت عن عدم استعدادها للإنسحاب إلى حدود ماقبل ١٩٦٧/٦/٥ .

(د) وقام الرئيس السادات بزيارة موسكو فى مارس ١٩٧١ وتقدم بطلبات جديدة للإمداد العسكرى، ولم تنجح هذه الزيارة فى حصول مصر على صواريخ تكون تحت تصرفها فقط دون رقابة سوفيتية.

(هـ) وقد ألح السادات على الاتصال بأمريكا، وأعلن فى أول مايو ١٩٧١ ترحيبه بالزيارة التى كان وزير الخارجية «روجرز» ينوى القيام بها.

- ثم تلى ذلك صدام السادات مع مركز القوى والذى أنتهى بتحديد إقامتهم.
- وتحرك السوفييت بسرعة ناحية السادات وطمأنوه على طلبات الامدادات العسكرية وعرضوا عليه مشروع معاهدة الصداقة التى وقعها معهم فى ١٩٧١/٥/٢٧ من قبيل المناورة.

(و) ودخلت علاقة السادات بالسوفييت إلى منطقة حرجة لأنه تبين عدم استعدادهم لتزويده بما يريد لأنهم يخشون الأضرار بعلاقاتهم الانفراجية الجديدة مع أمريكا.

- هنا فى يوليو ١٩٧٢ طلب السادات من السفير السوفييتى فى القاهرة إبلاغ حكومته على وجه السرعة مايلى:

- سحب الخبراء والمستشارين العسكريين من مصر خلال عشرة أيام.

- سوف توضع كل المنشآت العسكرية السوفيتية فى مصر تحت الرقابة المصرية.

- جميع الأسلحة التى تخضع للرقابة السوفيتية فى مصر إما أن تباع لها أو تزال فوراً من أراضيها.

- سوف تجرى جميع المفاوضات المصرية/ السوفيتية من الآن فصاعدا فى مصر وليس فى موسكو.

(ز) وفى أعقاب طرد الخبراء السوفييت ودخول العلاقات المصرية/ السوفييتية إلى منطقة الأزمة تصور الرئيس السادات أن الحل وشيك، إلا أن إسرائيل استمرت فى مراوغتها، وأمريكا استمرت فى دور ساعى البريد، الأمر الذى أدى بالرئيس السادات إلى التصريح فى ١٩٧٣/٥/٢٧ بقوله: «لقد قدمنا من جانبنا كل مايمكن تقديمه ... وذهبنا إلى أقصى مايمكن أن نذهب إليه لإثبات أننا نريد السلام فعلا، ولكن الجانب الآخر لايريد السلام، من أجل ذلك ليس لدينا مبادرات جديدة اطلاقا».

● وقد جاء هذا التصريح من السادات فى أعقاب فشل زيارتين قام بهما مستشاره للأمن القومى «حافظ اسماعيل» إلى واشنطن فى فبراير وإبريل ١٩٧٣ واجتمع خلالهما بوزير الخارجية الأمريكى «كيسنجر» الذى علق بقوله: «لاتطلبوا المستحيل، نحن نتعامل مع الواقع أنتم مهزومون وإسرائيل متفوقة وليس فى استطاعتكم أن تطلبوا الكثير من قبل أن تستطيعوا تغيير الواقع». وعند ذلك انقطع الحوار بين الطرفين.

(حـ) وزاد الطين بلة قرار الحكومة الأمريكية فى مارس ١٩٧٣ بيع ٢٤ طائرة فانتوم، ٢٤ سكاى هوك إلى إسرائيل رغم محاولة حافظ إسماعيل اثناء الولايات المتحدة عن اتمامها.

(ط) هنا اتخذ السادات قراره باقالة حكومة الدكتور عزيز صدقى وتولى رئاسة الحكومة بنفسه فى ابريل ١٩٧٣، وكان هذا مؤشرا على التصميم لدخول الحرب ضد إسرائيل لتحريك الموقف.

الوضع الداخلى فى إسرائيل

١٩٦٧ـ١٩٧٣

١ ـ استقالة بن جوريون وتولى ليفى أشكول:

ـ فى ١٦ يونيو ١٩٦٣ كان الضغط الشعبى شديداً ضد «بن جوريون» واضطر إلى الاستقالة متعللاً بأسباب شخصية. والحقيقة أن السبب كان معارضة السياسة العسكرية والاقتصادية والخارجية لـ «بن جوريون» وكبار معاونيه، وقد أشارت بعض صحف إسرائيل إلى الضغوط الأمريكية بسبب العلاقات الوثيقة بين إسرائيل وبين كل من بون وباريس.

ـ وقد خلف الرئيس الإسرائيلى «زالمان شازار» الذى أختير فى مايو ١٩٦٣ بعد وفاة الرئيس السابق «بن زفى»، كلف زعيماً أخر من زعماء الماباى «ليفى أشكول» بتشكيل الحكومة التى جاءت إئتلافية من أحزاب: الماباى، وأشدوت هافودا، والوطن الدينى ومؤيدين برجال الدين من بولى أجودات إسرائيل والأحزاب العربية المؤيدة للماباى. وقد صوت الحزب الشيوعى ضد حكومة أشكول التى لم تأت بجديد.

ـ وحدث نزاع خطير داخل الكنيست الإسرائيلى، بين أشكول المعتدل الذى يفضل الممارسة الديمقراطية وأنصار «بن جوريون» الذين يدعمون الاتجاه العسكرى فى الحكم والارتباط بأهداف الاستعمار الغربى.

ـ وزاد من حدة الصراع تردى الأوضاع الأقتصادية فى إسرائيل فى الفترة بين ١٩٦٤ ـ ١٩٦٦، وزيادة عدد وإتساع وإضطرابات العمال احتجاجاً على سوء الأحوال المعيشية. وقد استقال «بن جوريون» إبان هذا الصراع من حزب الماباى فى أغسطس ١٩٦٥ وكان الشعار الذى رفعته القوى المؤيدة للعمل الديمقراطى أن «بن جوريون» ذهب ويجب أن تذهب معه «البنجوريونية».

٢ ـ حرب ١٩٦٧ :

جاءت حرب ١٩٦٧ نتيجة الاتجاهات التوسعية للحكومة الإسرائيلية وارتباطاتها بالقوى الاستعمارية المعادية لحركات التحرر فى العالم، والمتخوفة من النفوذ السوفييتى فى الشرق الأوسط بالاضافة إلى المصاعب الاقتصادية الإسرائيلية فى الداخل.

وقد أدت هذه العوامل متجمعة مضافاً إليها إستغلال عامل التوتر فى الشرق الأوسط نتيجة بقاء المشكلات دون حل ونتيجة التصعيد الإسرائيلى المستمر إعتماداً على التأييد الأمريكى والغربى.

وكانت حكومة إسرائيل قد اتخذت بالفعل قرارها بالمواجهة وكانت تنتظر فقط الظرف الملائم.

وبعد صدمة الهزيمة فى يونيو (٥/٦/٦٧) نجحت الدول العربية فى لم نفسها فى مؤتمر الخرطوم فى أغسطس ١٩٦٧ لتدعيم صمود الدول العربية المضارة من العدوان الإسرائيلى ودعمها مادياً وسياسياً.

٣ ـ دعم الإستيطان بعد عام ١٩٦٧ .

* وضع اتجاهات فى السياسة الاستيطانية الإسرائيلية فى ظل حكومات العمال بعد عام ١٩٦٧ .

(أ) الاستيطان الزراعى المكثف فى «الأحزمة الاستراتيجية» غير المأهوله أو قليلة الكثافة فى مجرى نهر الأردن ومرتفعات الجولان وسيناء المؤدية إلى قطاع غزة.

(ب) وسياسة الاستيطان الحضرى فى القدس والخليل.

* وكان خروج اللاجئين عام ١٩٦٧ مناسباً لأطماع إسرائيل مثل حروبهم عام ١٩٤٨، ١٩٤٩ .

* وتزعم حزب العمل ضم القدس الشرقية، فأصدرت الحكومة فى يونيو ١٩٦٧ أمراً بمقتضى القانون الأساسى للدولة يقضى بتطبيق القانون الإسرائيلى على المدينة القديمة والمناطق الحضرية العربية المستجدة، وجزء كبير من الأراضى المحيطة بها، وأصبح متاحا مصادرة الأراضى المحتلة للمنفعة الإسرائيلية العامة.

* وأصبح شعار الحكومة فى إسرائيل أن استيطان الضفة الغربية يمثل واجبا مقدساً، وأن الدولة الإسرائيلية وجدت لتحقيق الاستيطان اليهودى فى «يهودا والسامرة» إستعدادا لإستعادة الأرض وليس لتحقيق السلام مع العرب أو الإندماج فى الشعوب بالنسبة لليهود.

* وقد حفز ذلك غلاة الاستيطان بوضع اليد على أراضى الخليل فى أبريل ١٩٦٨، وكان هذا الاتجاه يتعارض مع رؤية حزب العمل التى تدعوا تجنب المناطق العربية المأهولة إلا أن واضعى اليد المتدينين (المتطرفين) قد دفعوا دفعاً إلى سياسة متطرفة.

* وفى السنوات الأخيرة من حكم حزب العمل أثر حرب أكتوبر ١٩٧٣ أصبح اتجاه التوسع الدينى للقوميين متزايداً.

* وقد وصل معظم المعلقين السياسيين والدارسين إلى رأى حول المستوطنات الإسرائيلية بأنها:-

(أ) تشكل خرقاً صريحاً للقانون الدولى.

(ب) وهى بحكم الواقع تمثل ضما لأراضى تخضع لإحتلال عسكرى.

(جـ) وهى من إفرازات الحرب وتقف عقبة أمام جهود السلام والوفاق فى المنطقة.

٤ - النفوذ الدينى المتطرف:-

* خلال الفترة من حرب ١٩٦٧ وحتى السبعينات حدثت نقلة فى السلوك الإسرائيلى، فقد أعطت حرب الأيام الستة دفعه قوية للعناصر الدينية للزحف نحو الأرض المحتلة لتحقيق حلم إسرائيل، ولم يكن هذا التوجه الدينى المتطرف بهذا التأثير والقوة من قبل فى حكومات العمال والاصلاحيين والتيارات الدينية فى الصهيونية.

* وبدأ هذا العامل فى الظهور والتبلور، ومؤداه أن الإسراع فى إحتلال «يهودا والسامرة» يتضمن بعداً سماويا. وقد نفذت هذه الدعوة إلى صفوف أحزاب الماباى ورافى وايهود هاكيفوتسوت، ووجدت الكثير من المتعاطفين معها.

* وفى أواسط السبعينات أصبح مطلب «أرض إسرائيل الكاملة» يتطور إلى تعصب دينى بين قطاعات متباينة من السكان تتمتع بعطف شعبى داخل مؤسسة العمال الصهيونية، وقد غذى هذا التيار عاملان:

الأول : فى إسرائيل حيث دعمت الغزوات الإسرائيلية من روح الجماعة للأخذ بالاتجاه التوسعى.

والثانى: أن العالم العربى فشل فى مواجهة التوسعية الإسرائيلية نظرا لانقسامه.

* ثم تحول الاستيطان وما صاحبه من استيلاء على الأرض إلى سلاح فى يد الليكود مكنه بعد ذلك من تنحية حزب العمل عن الحكم فى عام ١٩٧٧ .

٥ ـ الحدود الآمنة:

عندما بدأت إسرائيل ماسمته بالضربة الوقائية ضد مصر أعلن «ليفى أشكول» رئيس الوزراء أن بلاده لاتسعى إلى توسع اقليمى، إلا أنه بعد الانهيار العسكرى للدول العربية، غير أشكول من لهجته وقال باستكبار مشيراً إلى اكتساب إسرائيل للأرض «إن إسرائيل سعيدة بالمهر لا بالعروسة» وهى نظرة استعمارية عنصرية.

ومع ذلك وبغرض الدعاية للخارج استمرت الحكومة الإسرائيلية تطالب «بحدود آمنة متفق عليها»، مع جيرانها العرب، ففى ١٩٧١/٣/١٣ أعلنت «جولدا مائير» رئيس وزراء إسرائيل أن بلادها تعنى بكلمة «آمنة» مايلى: «الاحتفاظ بوادى الأردن وشرم الشيخ وأن تظل القدس العربية جزءا من إسرائيل وألا تتخلى إسرائيل عن مرتفعات الجولان». وقالت: إن عبارة «متفق عليها»، تعنى مايتبقى بعد عمليات الضم السابق الإشارة إليها. يكون موضوعا للمفاوضات مع الجيران العرب.

وقد أعلن «موشى ديان» فى أبريل ١٩٧٣ أن «على أولئك الذين يؤمنون بأن إسرائيل تسيطر على «يهودا والسامرة» مؤقتا أن يتوقفوا عن تعلم التوراة».

٦ ـ تدنيس الأماكن المقدسة:

منذ عام ١٩٦٧ والمقدسات الإسلامية والمسيحية فى القدس تتعرض لتدنيس من قبل المتطرفين فى المجتمع الإسرائيلى والموظفين المدنيين والجماعات الدينية والعسكرية.

وقد وقع أحد أبشع هذه الأحداث عام ١٩٦٩ باشعال النيران فى قبة الصخرة، ثم اطلاق الرصاص بعد ذلك على بعض الشباب الفلسطينى أثناء تأديتهم الصلاة هناك، كما يمضى المتطرفون الدينيون اليهود فى تنظيم المظاهرات فى منطقة الحرم الشريف مهددين بتدمير المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة حتى يمكن بناء هيكل سليمان مكانهما.

كذلك تعرضت كنيسة القيامة للنهب وتحطيم شمعدانات ومصابيح الزيت فى القبو المقدس، وانتهكت الكنائس والأديرة القبطية أيضا، وصادرت إسرائيل المدافن التاريخية القديمة فوق جبل صهيون، كما تدخلت فى الشئون الدينية الإسلامية مباشرة مثل قرابين صلوات الجمعة وخطب الوعاظ فى المسجد الأقصى، مطالبة بحذف سور معينة من القرآن، كما سمح للسياح بدخول الأماكن الإسلامية المقدسة بملابس غير لائقة، ووقوف إسرائيل ضد تنفيذ أحكام وقرارات المحاكم الدينية الإسلامية.

٧ ـ انتهاك حقوق الإنسان:

اقرار على عدم الاعتراف باليهودية الفلسطينية وبحقوق الفلسطينيين فى وطنهم، أعلن «موشى ديان» أن إسرائيل لن تسمح بعودة مئات الآلاف من سكان الضفة الغربية من الذين غادروا البلاد قبل حرب الأيام الستة وأثناءها.

وتقدر وكالة الأمم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين أن حوالى نصف مليون فلسطينى تم ترحيلهم من الأراضى المحتلة منذ عام ١٩٦٧، وقد أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة الحق فى العودة وحق تقرير المصير للفلسطينيين فى القرار (٥٣٥)الصادر فى ١٩٦٩/١٢/١٠، بالاضافة إلى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الذى يمثل أساساً شرعياً جديداً للفلسطينيين فى العودة إلى وطنهم (ديسمبر ١٩٤٨).

هذا مع العلم بأن إسرائيل كانت من الدول التى وقعت اتفاقية جنيف عام ١٩٥١، إلا أن ممارساتها فى الأراضى المحتلة تنتهك العديد من مواد هذه الاتفاقية.

وقد واجهت إسرائيل بمعارضات خارجية وداخلية ضد انتهاكات حقوق الإنسان، كما واجهتها مشكلة كبرى بتحول الأعداد الكبيرة من السكان العرب فى داخلها بعد حرب ١٩٦٧ إلى قنبلة موقوتة تهدد الهوية الإسرائيلية مستقبلا نظرا لزيادة عدد السكان العرب بنسبة كبيرة.

٨ - المقاومة الفلسطينية:

كانت المقاومة الفلسطينية تعمل من الخارج أكثر منها من الداخل قبل عام ١٩٦٧، ومع اتساع المستوطنات، وزيادة تحرش المجتمع الإسرائيلى بالفلسطينيين ونمو الأعداد المهمشة من الفلسطينيين وتغلغل التنظيمات الإسلامية التى تنادى بالجهاد فى أوساط الفلسطينيين.

كل ذلك أدى إلى تبلور خط جديد من المقاومة الفلسطينية يعتمد على الثورة من الداخل فى مواجهة قوات الاحتلال الإسرائيلى، وهو أمر أدى إلى تعرية المجتمع الإسرائيلى الذى كان يرفع الشعارات الديمقراطية، ويعيد إلى الأذهان سنوات القهر والظلم فى أوربا، وآخرها مذابح النازية ضد اليهود، هذا المجتمع تحول إلى مجتمع قهرى يمارس نفس الأساليب ضد الفلسطينيين.

وأخيرا أفرزت أوضاع الاحتلال مقاومة من نوع جديد ظهرت وترسخت فيما بعد وعرفت باسم ثورة أطفال الحجارة فى السبعينات، وهنا أصبحت القنبلة البشرية الفلسطينية الموقوتة عرضة للانفجار فى أى وقت.

تطور العلاقات المصرية الأمريكية من مايو ١٩٦٧ إلى أكتوبر ١٩٧٣

١ ـ ماقبل يونيو ١٩٦٧ : ـ

شهدت العلاقات المصرية الأمريكية تدهوراً ملحوظاً عام ١٩٦٤ وازداد الأمر سوءا حتى قطعت العلاقات الدبلوماسية فى ٦ يونيو ١٩٦٧ أثر عدوان إسرائيل على مصر وسوريا والأردن.

وقد بدأت أزمة يونيو عام ١٩٦٧ منذ أوائل مايو من نفس العام، وتكيّفت العلاقات بين الدولتين وفق هذه الأزمة حتى أكتوبر ١٩٧٣ .

وقد أعلنت القاهرة فى ١٢ مايو ١٩٦٧ أن الولايات المتحدة قد طلبت زيارة بعض قطع الأسطول السادس للموانى المصرية إلا أن مصر رفضت هذا الطلب متخوفة مما جاء على لسان رئيس الوزراء الإسرائيلى من «أن أمن إسرائيل يعتمد فى حمايته على وجود الأسطول الأمريكى السادس فى البحر المتوسط».

ثم توالت الأحداث التى انتهت إلى حرب ١٩٦٧ ، فقد طلبت مصر فى ١٧ مايو ١٩٦٧ من سكرتير عام الأمم المتحدة سحب قوات الطوارئ الدولية من سيناء. وفى ٢٢ مايو ١٩٦٧ أعلنت مصر إغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الإسرائيلية.

وفى ٢٣ مايو ٦٧ أصدر الرئيس چونسون بياناً يحدد فيه الموقف الأمريكى وجاء فيه أن حكومة الولايات المتحدة تشعر بقلق عميق بصفة خاصة من جراء ثلاث نواحى للمجابهة الحالية من الممكن أن تحدث إنفجارا وهى:-

أولا : - إن اتفاقات الهدنة العامة فشلت فى منع الأعمال شبه الحربية التى تجرى من أراضى حكومة ماضد حكومة أخرى.

ثانيا : - إن الإنسحاب العاجل لقوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة بدون أى إجراء سواء من الجمعية العامة أو من مجلس الأمن هو أمر مفزع.

ثالثا : - إننا نأسف لما حدث أخيراً من حشد للقوات العسكرية ونعتقد أن خفض هذه الحشود مسألة لها أهميتها العاجلة.

«..... وإن ماقيل من إغلاق خليج العقبة فى وجه السفن الإسرائيلية يضيف بعداً جديداً وخطيراً للأزمة، لأن الولايات المتحدة تعد هذا الخليج ممراً مائياً دوليا وتشعر أن فرض حصار على سفن إسرائيل أمراً غير مشروع ويكمن فيه إحتمال لكارثة تحل بقضية السلام».

وقد أوضح الرئيس عبد الناصر فى ٢٨ مايو ٦٧ فى لقاء مع الصحفيين الأجانب وضع العلاقات مع الولايات المتحدة إذ قال: «إن العلاقات بيننا وبين أمريكا علاقات سيئة جداً لأنها متحيزة لجانب إسرائيل ١٠٠ ٪ ومتجاهلة حقوق العرب المشروعة بالكامل، ويجب - كأكبر وأقوى وأغنى دولة - أن تكون عادلة فى معاملتها للعالم حتى ينظر إليها العالم بثقة واحترام».

وفى ٦٧/٦/١ أعلنت الخارجية الأمريكية أن الولايات المتحدة - بالتعاون مع بريطانيا - تبحث موافقة الدول البحرية على بيان صاغتاه يقرر حق المرور الحر لسفن كل الدول فى خليج العقبة.

وفى ٦٧/٦/٢ أعلنت مصر أنها سوف تعتبر أى بلد يحاول كسر الحصار المفروض على خليج العقبة دولة معتدية وسوف ترفض دخول سفنها إلى قناة السويس.

وأعلنت القاهرة فى ٦٧/٦/٤ أنه من المقرر أن يقوم زكريا محى الدين نائب رئيس ج.ع.م. بزيارة لواشنطن يوم ٦٧/٦/٧ للإجتماع بالرئيس چونسون ويشرح وجهة النظر العربية له. لكن إندلاع الحرب يوم ٥ يونيو، وقطع العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين فى ٦ يونيو ألغى الزيارة.

وكانت القاهرة ترى أن الحكومة الأمريكية قد نقضت موقفها المعلن فى مايو ٦٧، إذ بعث الرئيس چونسون برسالة إلى الرئيس عبد الناصر فى ٢٣ مايو تقول: «إن حكومة ج.ع.م. وكذلك الحكومات العربية الأخرى يجب أن تعتمد على تأكيد موقف حكومة الولايات المتحدة التى تعارض بكل حزم أى عدوان يقع فى المنطقة بأى صورة من الصور، سواء أكان هذا العدوان واضحا أو مستترا، تقوم به قوات نظامية أو جماعات غير نظامية».

وكان تعصب إدارة چونسون الصريح لإسرائيل قد أضعفت الروابط الأمريكية مع العالم العربى من جهة، وقوى الإرتباط العربى مع الشرق من جهة أخرى، وكان الخط المباشر هو إمداد الولايات المتحدة لإسرائيل بالسلاح، وإمداد العرب بالسلاح السوفييتى.

ومع إمكانية حدوث حرب مفتوحة ومكشوفة يمكن أن تحول القوتين النوويتين العظميين من موقف خارج الحلبة إلى متحاربين، وإمكانية إسرائيل التكنولوجية ستساعدها على تطوير سلاحها إلى مستوى القنبلة الذرية، ومع روسيا التى تمد العرب بالأسلحة سيزداد الخطر، وقد أصمت إسرائيل آذانها عن كل الدعوات للإنضمام إلى إتفاقية حظر الأسلحة النووية، وإذا كانت إسرائيل تملك قنبلتها النووية الذاتية، فإن ذلك سيدفع روسيا إلى إعطاء الدول العربية قنابل ذرية بشكل سافر أو فى قواعد تحت إدارة السوفييت، وبذلك يصبح النضال من أجل فلسطين أكثر خطورة على البشرية، ويكون الشرق الأوسط مهد الحضارة، المكان الأكثر إحتمالا للدمار والفناء، وهناك إمكانية أن يبتعد العرب عن الغرب ويمنعوا عنهم بترولهم، فالشرق الأوسط لديه ثلاثة أرباع إحتياطى العالم غير الشيوعى، وينتج تسعة ملايين برميل يومياً، ويشكل ثلثى واردات غرب أوربا واليابان.

وأن أى جهود لتحقيق السلام بين العرب وإسرائيل سواء بفرضه أو إقناع دولة عربية أو أخرى لعمل تسوية وسط مع الفلسطينيين يبدو صعبا إن لم يكن مستحيلا.

٢ ـ أزمة يونيو ١٩٦٧ وتحركات الأمم المتحدة:

قامت إسرائيل بشن حرب عدوانية ضد كل من مصر وسوريا والأردن فى ٥ يونيو ١٩٦٧ رغم أن الدول العربية الثلاث إلتزمت بعدم بدء الضربة الأولى، تجاوبا مع نداءات الدول الكبرى والدول المعنية بشئون المنطقة.

وكنتيجة لحرب ١٩٦٧ تشرد مليون ونصف مليون لاجئ، بالاضافة إلى مائة ألف لاجئ سورى، وتسعة وثلاثين ألف لاجئ مصرى، ويجب على إسرائيل أن تقيم السلام مع هؤلاء فى المنفى قبل الآخرين، إذا كانت تريد أن تعيش فى هدوء وإستقرار، فإذا كانت الحركة الصهيونية ودولة إسرائيل تمنح لأى يهودى فى العالم الحق فى العودة إلى صهيون - أرض إسرائيل - فإن حق الفلسطينيين فى العودة إلى وطنهم، قد كررت الأمم المتحدة تأكيده كل عام، وقد عبر عنه «أبا إيبان» فى ملاحظاته فى كتابه عن تاريخ اليهود بعنوان «شعبى» والذى جاء فيه «أنه مهما كان حجم إسرائيل فيجب أن تكون الأغلبية من اليهود»، وهذه مطالب عنصرية لايمكن إنكارها، وبكلمات «وايزمان» «يجب أن تكون إسرائيل لليهود مثل إنجلترا للإنجليز»، ويتفاخر إيبان بأن إسرائيل واضحة وبإستمرار فى أنها ليست عربية سواء فى لغتها أو أفكارها، وأن صلاتها اليهودية، ستكون أقوى دائما من صلاتها بالمحيط العربى، والسؤال ليس هو، هل، ستغير إسرائيل من طبيعتها الخاصة؟ بل هو هل سيقبل العرب علاقات مع إسرائيل كما هى؟

وعقب العدوان بدأت الجهود الدولية لحل المشكلة الناجمة عنه. وقد بدأت الجهود الدبلوماسية لإتخاذ قرار من مجلس الأمن لتسوية الأزمة، وأخفق المجلس فى التوصل إلى قرار خلال جلساته التى عقدها فى يونيو ١٩٦٧، وإزاء هذا الإخفاق طلب الاتحاد السوفييتى عقد دورة غير عادية للجمعية العامة للأمم المتحدة، ورغم إعتراض الولايات المتحدة فقد تقرر دعوة الجمعية العامة إلى الإنعقاد فى ١٧ يونيو ١٩٦٧.

وقدم كوسيجين رئيس وزراء الأتحاد السوفييتى، والذى افتتح مناقشة الجمعية العامة للموضوع ، مشروع قرار يتضمن:

١ - إدانة إسرائيل.

٢ - مطالبتها بالإنسحاب.

٣ - مطالبتها بدفع تعويضات.

٤ - مناشدة الأمم المتحدة أن تتخذ إجراءات فعالة لإزالة آثار العدوان.

وكان الرئيس جونسون قد أوضح - فى خطاب ألقاه على محطات التليفزيون قبيل إلقاء الرئيس السوفييتى لخطابه فى الأمم المتحدة مباشرة - موقف الولايات المتحدة فى خمس نقاط يجب أن يتم على أساسها تسوية الأزمة وهى:-

١ - اعتراف الدول العربية بإسرائيل.

٢ - حل مشكلة اللاجئين حلا عادلا.

٣ - حرية المرور فى الممرات الدولية «قناة السويس وخليج العقبة»

٤ - وقف التسابق على التسلح بين دول المنطقة.

٥ - احترام الإستقلال السياسى والسلام الإقليميين لجميع دول المنطقة.

وكان هناك خمسة مشروعات قرارات أخرى أمام الجمعية العامة بخلاف المشروعين السوفييتى والأمريكى، وقد أخفقت فى إصدار أى منها لعدم حصول أيا منها على أغلبية الثلثين المطلوبة.

وقد حاولت الدبلوماسية العربية نقل القضية من الجمعية العامة إلى مجلس الأمن، فطلبت مصر فى ٧ نوفمبر ٦٧ عقد جلسة عاجلة لمجلس الأمن لبحث الموقف الخطير الناشئ عن رفض إسرائيل الإنسحاب من الأراضى العربية التى احتلتها نتيجة للعدوان.

وعقد مجلس الأمن أولى جلساته فى يوم ٩ نوفمبر وطرح عليه أربع مشروعات بقرارات، مشروع ثلاثى تقدمت به الهند ونيجريا ومالى، ومشروع أمريكى، ومشروع سوفييتى، ومشروع بريطانى، وبعد مناقشات حادة وطويلة نال المشروع البريطانى الموافقة الإجماعية لأعضاء المجلس فى ٦٧/١١/٢٢، وهذا القرار يعتبر محور التحرك الدبلوماسى منذ صدوره، (القرار ٢٤٢)، ولأهميته نورد أهم ماجاء فيه بعد الديباجة: «يؤكد أن تنفيذ مبادئ الميثاق تتطلب إقامة سلام دائم وعادل فى الشرق الأوسط على أساس المبدأين التاليين:-

(أ) «إنسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى التى جرى إحتلالها» (وهذا فى النص الفرنسى)، لكن النص الإنجليزى يقول: «من أراضى جرى إحتلالها» نتيجة للنزاع الأخير».

(ب) إنهاء حالة الحرب وإحترام السيادة والحدود الإقليمية والإستقلال السياسى لكل دول المنطقة، وحقها فى أن تعيش بسلام فى نطاق حدود آمنة ومعترف بها، محمية من التهديد بإستعمال القوة أو إستعمالها.

يؤكد مجلس الأمن أيضا ضرورة:-

(أ) ضمان حرية الملاحة فى الممرات الدولية فى المنطقة.

(ب) تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

(جـ) ضمان الحرمة الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة عن طريق تدابير منها إنشاء مناطق منزوعة السلاح.

وقد اختلف طرفى الصراع على تفسير مدلول هذا القرار، فكان التفسير الإسرائيلى إنه لايتم الإنسحاب الإسرائيلى من الأراضى التى احتلتها فى حرب يونيو ١٩٦٧ إلا بعد توقيع معاهدة صلح تعقد بين إسرائيل والدولة العربية، أى يكون الإنسحاب لاحقا لعقد معاهدات الصلح ونتيجة لإبرامها ومسجلا فى أحكامها، كما يجب أن تكون المفاوضات مباشرة بين الأطراف المعنية لتسفر عن إتفاق تعاقدى يتضمن رسما للحدود الآمنة الدائمة التى تنسحب إلى ما وراءها القوات الإسرائيلية من بعض الأراضى العربية، وليس كلها، حسب النص الإنجليزى، وهو النص الوحيد الذى تعترف به إسرائيل.

أما التفسير العربى للقرار ٢٤٢ فكان إنسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضى التى تم إحتلالها بعد ٥ يونيو ويجب أن يسبق الإتصالات أو المفاوضات التى يمكن أن تجرى بين الأطراف المعنية إذا أريد تحقيق حل سلمى للقضية وليس هناك أساس فى القرار ٢٤٢ يمكن الإستناد إليه فى القول الإسرائيلى بأن المفاوضات يجب أن تكون مباشرة، بل أن تعيين مبعوث خاص للأمين العام للأمم المتحدة فى المنطقة يعنى أن الإتصال بين الطرفين يكون بطريق غير مباشر من خلال الأمم المتحدة.

ولعل فى التعرف على طبيعة العلاقات العربية الأمريكية إبان حكم الرئيس چونسون ما يلقى الضوء على الدور الأمريكى والتصورات الأمريكية فى هذه الفترة الزمنية الحرجة، فقد أدى وجود مصر فى اليمن لمساعدة ثورتها، ووجود دلائل على الأعداد لحلف إسلامى بمبادرة من السعودية بضم كل من إيران والأردن، بدعم من الولايات المتحدة ومعارضة مصر له، إلى تصور الإدارة الأمريكية أن عبد الناصر يتحدى النفوذ الأمريكى فى الشرق الأوسط ويرفض كل المبادرات الأمريكية.

وكان تورط أمريكا فى مستنقع فيتنام قد أدى إلى وضوح الإنتصار السوفييتى هناك وإلى مزيد من الضغوط على الإدارة الأمريكية التى أصبحت لا تتحمل هزيمة أخرى فى الشرق الأوسط، تضاف إلى هزيمتها فى فيتنام، فأطلقت يد إسرائيل للتخفيف عنها وجذب الرأى العام الأمريكى والعالمى بعيدا عن فيتنام، وتحقيق نصر سريع وغير باهظ التكاليف فى الشرق الأوسط، وهو أمر أدى إلى هزيمة العرب فى يونيو ١٩٦٧ ، وتكييفها فى الواقع مؤامرة لتحجيم مصر والقضاء على هيبة عبد الناصر، وتوجيه ضربة مباشرة إلى النفوذ السوفييتى فى الشرق الأوسط، وإرساء قواعد السلام ـ الأمريكى ـ والذى يعنى:

- إرباك السوفييت فى الشرق الأوسط وتدمير الجيوش التى تستخدم السلاح السوفييتى.
- تجربة أداء السلاح الأمريكى فى مواجهة السلاح السوفييتى.
- ضرب هيبة جمال عبد الناصر والعمل على إسقاطه.

- تمكين إسرائيل من الإستيلاء على أراضى عربية جديدة، تكون رهينة فى يدها لجر العرب إلى مائدة المفاوضات فى موقف الضعيف.

وقد وقفت الولايات المتحدة بصلابة لمساندة إسرائيل فى الأمم المتحدة - مجلس الأمن - وعرقلت صدور قرار الإنسحاب الفورى على غرار ماحدث عام ١٩٥٦ .

٣ - مشكلة الشرق الأوسط فى بداية عهد الرئيس نيكسون

التصور الأمريكى للمشكلة والحلول

(أ) فى أوائل السبعينات كانت الإدارة الأمريكية تتصور أن مشكلة الشرق الأوسط لها ثلاثة أوجه مختلفة وخطيرة، ويتعذر وجود حل لكل منها فى حد ذاتها، غير أنه لا يمكن معالجة أية منها على حدة. فقد أشتبك بعضها ببعض، كل منها يؤدى إلى الزيادة من خطورة الآخر وتعقيده. فإن نزاع الشرق الأوسط له ثلاثة أبعاد هى:-

- النزاع العربى الإسرائيلى الذى ظل أكثر من عشرين عاماً يتأزم فى الأوقات التى لم يكن يشتعل فيها، وهو يمثل المشكلة الجوهرية فى نزاع الشرق الأوسط ولم تخف حدته حتى اليوم.

- الخلافات القائمة بين العرب والتى ترتكز أساساً على ما إذا كان من الممكن قبول تسوية النزاع الإسرائيلى عن طريق المفاوضات، أم إذا كان استعمال القوة هو الحل الوحيد، وهناك خلافات أخرى حول أسلوب الحكم فى البلاد العربية، وقد أدت تلك الخلافات أكثر من

مرة إلى الحرب الأهلية، كما أن هناك خصومات مصدرها الخلافات القائمة بشأن علاقات الدول العربية فيما بينها فى سعيها إلى تحقيق وحدة العالم العربى.

- التناقض بين مصالح الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة، وكل من الدولتين أكثر إشتباكا فى النزاع العربى الإسرائيلى اليوم عما كانت فى أى وقت من الأوقات. وقد أشارت الأحداث التى أحاطت بالاشتباكات التى دارت فى الأردن فى شهر سبتمبر إلى ضعف الحواجز التى تمنع المواجهة المباشرة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة فى الشرق الأوسط.

وأن مصلحة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط - ومصلحة العالم أجمع تتركز فى منع تحطم الهيكل العالمى للسلام فى تلك المنطقة، غير أنه يجب السعى نحو تحقيق هذه الغاية فى موقف يتطور تطوراً سريعاً.

وقد تطورت العلاقات بين بلاد الشرق الأوسط والدول الكبرى، فإن أسلوب السيطرة الخارجية الذى ساد فى القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين قد انقض عهده. وقد حققت شعوب الشرق الأوسط استقلالها القومى، وهناك سعى مستمر نحو تحقيق توازن جديد بين الشعور المرهف بالقومية الذى يجتاح مختلف دول المنطقة وبين القوى الخارجية.

كما تطورت طبيعة النفوذ الخارجى، ويجب على بلاد الشرق الأوسط وفق التصور الأمريكى أن تتكيف على مختلف المستويات

مع الوجود الأمريكى من الناحية التكنولوجية والسياسية والعسكرية على السواء، وكذلك مع التسلط السوفييتى الجديد، وأخيرا مع أوربا الجديدة التى تقيم علاقات اقتصادية مع بعض دول المنطقة بواسطة السوق الأوروبية المشتركة.

(ب) وتقع هذه المعركة المريرة طويلة الأمد فى قلب أزمة الشرق الأوسط. وقد زادت احتمالاتها الضارة بتورط القوى الكبرى. ولكن تبقى حقيقة أن استمرار هذا الصراع يخرب بشكل جسيم مصالح كل الأطراف المعنية.

فقد جرت الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة إلى مواجهة أشد قربا بالنسبة للمتحاربين بكل الخطر الذى يسببه ذلك للسلام العالمى، وقد سببت قطع العلاقات الطبيعية للولايات المتحدة مع عدد من الدول العربية. وهذا بدوره زاد من الاعتماد الحالى للعرب والزائد عن الحد على العون السوفييتى وبالتالى قابليتهم للنفوذ السوفييتى الفائق.

كما أدى الوضع العام إلى مناخ أستغلته واحتكرته العناصر الراديكالية لتمزيق الاستقرار الداخلى للدول العربية.

وقد أبقت على مدى عصرين على شعب فلسطين، الذى يبلغ ٥ مليون والدول العربية المجاورة فى حالة عداء دائم وفى خوف مستمر من الهجوم. وأدت بكل من الدول العربية وإسرائيل إلى تحويل نسبة كبيرة من مصادرها إلى أدوات وأنشطة تكرس للحرب.

وقضى على اللاجئين الفلسطينيين أن يقضوا حياتهم فى البؤس والحقد الذى يجفف القلوب، وتشمل صفوف اللاجئين بالاضافة إلى

أولئك، الذين فروا من ديارهم أصلا عند إنشاء دولة إسرائيل، جيل كامل ولد ونشأ فى البأس فى معسكرات اللاجئين. ويمثل هؤلاء اللاجئين المادة التى يخلق منها التاريخ مآسى المستقبل.

إن جميع الأطراف المعنية لها مصلحة فى تسوية المشكلة، وأن هدف الولايات المتحدة هو مساعدة الأطراف على أن تعد فيما بينها اتفاقية سلام يكون لكل منها مصلحة فى المحافظة عليها وتقوم سياستنا بهذا الشأن على شعور بالرأفة نحو مصالح الأطراف.

وتريد إسرائيل أن تحمل الدول المجاورة على الاعتراف بوجودها القومى فى ظروف آمنة، ولذا كان أسلوب التسوية لن يكتفى الإسرائيليون بمجرد تصريحات بالسلام وشرعية وجود إسرائيل ـ أنهم يسعون إلى الحصول على الأمن المادى أيضا. فإن السلام فى نظر إسرائيل يجب أن يكون أكثر من مجرد حبر على ورق.

وتسعى الحكومات العربية إلى استعادة الأراضى التى فقدتها أثناء حرب يونية، وتحقيق العدل إزاء من فقدوا أراضيهم وديارهم خلال أكثر من عشرين عاما من النزاع، واكتساب احساس بالكرامة والأمن يمكنها من التغلب على شعورها بالتعرض للهجوم. ويجب أن يكون السلام حقيقياً بالنسبة لها أيضاً. ويجب أن تتحقق ثلاثة شروط من أجل التوفيق بين تلك المصالح:

- اقتناع كل من الطرفين بأن الطرف الآخر على استعداد لاتخاذ التزامات من شأنها أن تؤدى إلى سلام دائم قائم على العدل، والعمل بتلك الالتزامات.

ـ اقتناع كل من الطرفين بأن المجتمع الدولى يستطيع أن يقدم ضمانات إضافية واقعية بالنسبة لآية اتفاقيات يتم عقدها فى المستقبل.

(جـ) وخلال عام ١٩٦٩ سعت الولايات المتحدة لوضع إطار للعمل من أجل تسوية مقبولة من خلال المباحثات الثنائية مع الاتحاد السوفييتى والمباحثات المتعددة الأطراف للقوى الأربع الكبرى، وكذلك من خلال التشاور المستمر مع إسرائيل والأردن والجمهورية العربية المتحدة، فى إطار خطوط توجيه يمكن للسفير يارنج، الممثل الخاص للسكرتير العام للأمم المتحدة، أن يستخدمها لبدء المباحثات بين الأطراف.

وبحلول مايو ١٩٧٠ تعطلت هذه الجهود، وعند تقدمها بلغت حدة النزاع مرة ثانية مستوى حرجا، فلقد كان هناك قتال يومى على طول قناة السويس. وانتقاما لذلك وصلت القوة الجوية الإسرائيلية إلى الأعماق فى مصر. وشكلت هجمات الفدائيين حوادث خطيرة على خطوط وقف إطلاق النار بين إسرائيل وكل من الأردن ولبنان وسوريا. وقام الاتحاد السوفييتى بخطوات لتحويل الميزان العسكرى إلى صالح مصر. وظهرت فى عديد من الدول قوى معارضة لأى نوع من التسويات.

وفى ١٩ يونيو، بناء على ذلك، أعلنت الولايات المتحدة مبادرة من أجل الوصول بالأطراف إلى:

*إعادة إحلال وقف إطلاق النار.

*مراعاة التسكين العسكرى فى منطقة متفق عليها على جانبى خط وقف إطلاق النار الإسرائيلى المصرى.

* الموافقة على مجموعة من المبادئ تكون بمثابة نقط بداية أساسية لمحادثات عربية إسرائيلية تحت إشراف السفير يارنج.

ولقد وصف روجرز هذا الاقتراح فى ٢٥ يونيو، بأنه مبادرة سياسية من أجل تشجيع الأطراف على وقف القتال وبدء المحادثات، ولقد قبلت كل من الـ ج. ع. م والأردن وإسرائيل الاقتراح، وكذلك فعل الاتحاد السوفييتى. ولقد نتج عن المبادرة نتائج هامة:

* أوقفت سفك الدماء على طول خط وقف إطلاق النار، ومن ثم ساعدت على تخفيض حدة المشاعر القومية إلى حد يسمح بجعل التسوية أكثر تقبلا.

* مكنت من الحصول - لأول مرة - على موافقة كل من إسرائيل والأردن والـ ج. ع. م على البحث عن سلام عادل ودائم بينهم قائم على:

١ - الاعتراف المتبادل بين كل من الـ ج. م. ع والأردن وإسرائيل بسيادة كل منهم وسلامة أراضيه واستقلاله السياسى.

٢ - الانسحاب الإسرائيلى من الأراضى المحتلة فى صراع ١٩٦٧، وكلاهما تبعا لقرار مجلس الأمن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ .

ومع ذلك فإن الهدف الأكبر للمبادرة هى مباحثات سلام جادة، ولم يتحقق ذلك لأن إنشاء القوات العسكرية استمر على طول قناة

السويس بواسطة المصريين والسوفييت إلى ما بعد بدء وقف إطلاق النار فى ٧ أغسطس. ولقد زاد تعرض البداية الهشة نحو السلام للخطر فى أوائل سبتمبر بأعمال الجماعات الفلسطينية التى حاولت إجبار حكومة الأردن على الانسحاب من الجهود الرامية للوصول إلى تسوية.

(د) شكل السلام فى الشرق الأوسط:

ترى الولايات المتحدة الأمريكية أن السلام يمكن الوصول إليه بواسطة الأطراف الداخلة فى النزاع فقط وعن طريق المفاوضات مع بعضهم البعض.

وبالاضافة إلى ذلك فإن بعض المبادئ والعناصر يجب أن تؤخذ فى الاعتبار مثل أن:

* الحكومات العربية لن تقبل تسوية لاتشمل استعادة الأراضى التى فقدت فى حرب ١٩٦٧ ، وبدون قبول هذه الحكومات فلن يكون لأية تسوية صفة الدوام التى تعتبر أساسية.

* إسرائيل لن تقبل الانسحاب من الأراضى العربية المحتلة ـ التى ترى أنها تزيد من ضمان أمنها ـ إلا إذا توافرت لديها الثقة فى دوام تسوية السلام. وتعتقد إسرائيل كذلك أن الحدود النهائية التى ستنسحب إليها يجب أن تتم بشأنها مفاوضات ويتفق عليها فى تسوية سلام ملزمة. ويجب ـ بناء على ذلك ـ أن تتوافر لإسرائيل الثقة من أنه لن يقع عليها أى هجوم والثقة فى تقبل جيرانها لها وضمانات أخرى.

* عدم توافر الثقة المتبادلة بين إسرائيل والدول العربية من العمق، بحيث أن ضمانات الدول العظمى يمكن أن تضيف عنصراً تأمينياً. وهذه الضمانات يمكن أن تضفى الدوام على الأتفاق بتخفيض القوات المسلحة للطرفين مع مرور الزمن.

* لايمكن تحقيق تسوية دائمة فى الشرق الأوسط دون مواجهة الآمال الشرعية للشعب الفلسطينى. وقد كانوا لأكثر من عشرين عاماً ضحايا ظروف تستحق الشفقة ولسلام يستلزم حياة مثمرة لهم ولأطفالهم وتسوية عادلة لمطالبهم.

* والمهمة العاجلة هى مساعدة المتحاربين لإقامة اتفاق يحقق توازن عملى بين الأمن والأعتراف اللذان تسعى لهما إسرائيل والحل العادل للأراضى الفلسطينية الذى تسعى إليه الدول العربية. ولا يمكن تشييد السلام إلا عن طريق هذا التوازن.

(هـ) صراع الدول العظمى:

فى هذا الصدد تتصور الولايات المتحدة مايلى:-

. أن منطقة الشرق الأوسط تثير الاهتمام البالغ للقوى الكبرى. وبالنسبة لحلف شمال الأطلنطى وأوروبا يعتبر استقلالها أمرا حيويا من الناحية الاقتصادية والعسكرية. ونفس الشئ فللأتحاد السوفييتى مصالح هامة نعترف بها، ورغم عمق هذه المصالح وربما بسبب هذه المصالح إلى حد كبير لم تقيم الدول الأربع الكبرى نظام من العلاقات مع الشرق الأوسط يتفق مع مصالح الجميع. والقلق الذى نشأ من هذه الحقيقة عميق بسبب تقلب وعدم استقرار المنطقة.

- وكان أي جهد من جانب القوى الأربع الكبرى لضمان موقف دائم يمكن أن يزيد النزاعات المحلية ويؤثر فى أمن أوروبا وبشكل متزايد الخطر تجاه السلام العالمى - ونحن لانسعى لمثل هذا الوضع ولانسمح للآخرين أن ينشئوا وضعا مماثلا.

- إن استقرار الشرق الأوسط يتطلب اقامة توازن بين أنشطة القوى الخارجية المختلفة المعنية فى المنطقة. وكل منها يجب أن يكون له الحق فى أن يتابع مصالحه الشرعية ولكن ضمن الحدود التى يفرضها احترام مصالح الآخرين الشرعية وسيادة دول المنطقة.

- وعلى هذا الأساس سعت الولايات المتحدة فى عامى ١٩٦٩، ١٩٧٠ إلى الدخول فى مفاوضات مع الاتحاد السوفييتى حول مشكلة الشرق الأوسط التى تحظى بأهمية فائقة بالنسبة لنا، ويمكنها أيضا أن تتفهم فى إقامة مفاوضات سلام بناءة بين العرب والإسرائيليين.

- وأوضحت الولايات المتحدة لقادة الأتحاد السوفييتى الرغبة فى الحد من سباق التسلح فى الشرق الأوسط على أسس متبادلة. وأقترحت فى ٤ فبراير ١٩٧٠ لكوسيجين أن تتناول المناقشات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى مسألة الحد من الأسلحة التى تزود بها كل من دولتى الشرق الأوسط. وعارض السوفييت هذا القرار كما رفضوا اقتراحات مماثلة فى الماضى.

- وأعلن روجرز فى ٢٣ مارس أن الولايات المتحدة قد ترجئ البت فى القرار الخاص بطلب إسرائيل طائرات أكثر موضحا أن التوقف

مطلوب من جانب المصادر الأخرى الرئيسية التى تزود الشرق الأوسط، ولن يكون ممكنا أن تسعى أى دولة من أجل الحصول على فائدة فردية فى المنطقة إذا تحقق السلام. وكان رد فعل السوفييت إرسال شحنات من الصواريخ المضادة للطائرات، والطائرات التى يقودها طيارين حربيين سوفييت إلى مصر، وهذه أول مرة يرسل طيارين عسكريين روس إلى دولة خارج الدائرة الشيوعية.

وخلال معظم عام ١٩٦٩ حاولت الولايات المتحدة إشراك الاتحاد السوفييتى فى تطوير أساس المفاوضات بين العرب وإسرائيل. وتركزت مباحثاتنا مع السوفييت بوجه خاص على ثلاث نقاط:-

* الحاجة إلى التزام إسرائيل بالأنسحاب من الأراضى المحتلة كجزء من السلام الملزم الذى ينشأ عنه حدود آمنة معترف بها.

* حاجة كلا الطرفين إلى الدخول فى مفاوضات حقيقية لاعداد الأساليب المنفصلة لتسوية سلمية بينهما.

وقد دعا السوفييت باصرار إلى التزام إسرائيل بالانسحاب الكلى من الأراضى المحتلة - ودعوا أيضا إلى تسوية لمشكلة اللاجئين تعكس المشاكل الإنسانية العملية ومايتعلق بالأمن على كلا الجانبين. وأعترفت الولايات المتحدة أن أى تغييرات فى حدود ما قبل الحرب قد تكون طفيفة ولكننا نصر أن أى اتفاق لتحديد الحدود النهائية يجب أن يرتبط مباشرة باتفاقية سلام تقضى بتدابير عملية متفق عليها فيما بينهما تؤمن هذه الحدود. وهذه هى نقاط المفاوضات التى تقوم بين الطرفين. وقد أصر السوفييت على أن تقوم القوى الأربع الكبرى بعمل هذه التعديلات وبعد ذلك نفرضها على الجانبين.

- وفى يونيو ١٩٧٠ قدم الأتحاد السوفييتى صيغا أخرى عن بعض الالتزامات التى تقضى بأن كل الأطراف تتعهد بعدم القيام بأعمال عدائية تنشأ من أرضه فى الوقت المحدد الذى يسود فيه السلام فيما يتعلق بانسحاب القوات إلى الحدود النهائية. ولكن هذه الصيغ التى تعتبر تعديلات لأقتراحات سوفيتية سابقة كانت قاصرة ولم تنجح فى الأخذ فى اعتبارها الحاجة إلى المفاوضات التى يشترك فيها الطرفين بأنفسهم.

- ولا تزال الولايات المتحدة ترحب بالأقتراحات السوفيتية من أجل الوصول إلى تسوية. ولكن لكى تكون هذه الأقتراحات جادة يجب أن تتوافق مع الاهتمامات الشرعية ليس لطرف واحد فقط ولكن لكلا الطرفين.

- وبعيدا عن الصراع العربى الإسرائيلى ظهرت قومية عربية قوية كرد فعل لحقبة من التحكم السياسى الخارجى الذى وصل نهايته الآن، وقد غذاه شوق شديد إلى الاتحاد فيما بين الدول العربية. ولكن التنافس التقليدى والايديولوجى جعل من الصعب بالنسبة للعرب أن يوافقوا على الشكل الذى تتخذه الوحدة بينهم. وعلى ذلك فإن محاولات وضع شكل للاتحاد تشكل توترا.

- وفى قلب هذه الصراعات هناك اختلاف ايديولوجى أساسى عن الكيفية التى يتجاوب بها المجتمع العربى للضغوط التى تهدف إلى العصرية الحديثة. ونتيجة لذلك استغلت بعض القوى المناضلة موضوعات مناهضة الاستعمار والقومية العربية حتى لاتشكل هذه الموضوعات مسائل حقيقية، وسعوا لأسباب تخص قوميتهم أو

أسبابا أيديولوجية إلى الاقلال من مركز الولايات المتحدة وكانت نتيجة عملهم هذا - إذا قدر لهم النجاح - أن يجعلوا المنطقة أكثر تعرضا للتحكم الخارجى.

(و) وبالنسبة للرؤية المستقبلية ترى الولايات المتحدة مايلى:

- البحث عن السلام - على الأخص تسوية النزاع العربى الإسرائيلى - والسعى لعلاقات أمريكية سوفيتية مستقرة تساعد على المحافظة على استقلال وسلامة كل دولة فى هذه المنطقة ستبقى لها أعلى أولوية. وهدفنا هو رؤية بداية فترة تكون فيها الدول القوية المستقلة فى المنطقة - بالاشتراك مع بعضهم كما يشاءون - تتعاون مع العالم الخارجى بطريقة مباشرة وفى حرية. والولايات المتحدة على استعداد للبحث فى وسائل جديدة للمساعدة فى تنمية المنطقة بما فيه فائدة العرب والإسرائيليين من تحقيق سلام حقيقى.

- وعند تعقب هذه الأهداف فإن الولايات المتحدة ستواجه هذه الموضوعات الرئيسية فى الشهور القادمة:

أولا: إذا كان للولايات المتحدة أن تلعب دوراً رئيسياً كما وعدت فى المعاونة فى عمل تسوية عربية إسرائيلية وتقديم الضمانات المطلوبة - فماذا ستكون طبيعة وهوى تورط الولايات المتحدة الدبلوماسى؟

وهنا تقع المسئولية الأولية لتحقيق السلام على دول الشرق الأوسط مع ضرورة توازن العلاقة بين جهود المنظمة الدولية لتشجيع تسوية وبين مسئولية الأطراف المتفاوضين أنفسهم؟

ثانيـــاً: أن العلاقات الثنائية مع الدول العربية فى تغير، إذ قطع البعض العلاقات الدبلوماسية الرسمية - ودول أخرى لم تقطعها -. فأن الاتجاهات تجاه الولايات المتحدة والغرب تخضع لإعادة النظر.

وقد أثارت العلاقات المتغيرة فى الخليج الفارسى بالضرورة إلى موضوعات جديدة بالنسبة للسياسة الأمريكية، فكيف يمكننا تشجيع والمعاونة على أكمل وجه القوى البناءة فى المنطقة لاقامة نظام إقليمى لعلاقات مستقرة؟

- وأخيرا هناك نطاق لموضوعات عالمية أوسع تشكل خلفية لسياسة الشرق الأوسط، فإن الحد من التزويد الخارجى بالأسلحة للمنطقة من بين هذه الموضوعات والعلاقات الأمريكية السوفيتية العسكرية فى منطقة البحر الأبيض المتوسط موضوعا آخر. وفيما عدا ذلك - ماهى سياسة الولايات المتحدة تجاه الاتحاد التجارى الموسع الذى تنشأه السوق الأوروبية مع دول المنطقة؟

وكيف يمكننا أن نساعد فى تأكيد دخول امدادات البترول إلى غرب أوروبا واليابان، وكيف يمكننا المعاونة فى تأكيد حصول الدول المنتجة على عائد عادل من بترولها؟

- وأخيراً الأسهام فى الوصول إلى علاقات سلمية بين دول المنطقة وبين الدول الكبرى.

القسم الثانى

حرب أكتوبر ١٩٧٣

الفصل الأول

مقدمات حرب أكتوبر ١٩٧٣

الفصل الثانى

الاستعداد واندلاع الحرب.

الفصل الثالث

آثار حرب أكتوبر ١٩٧٣

الفصل الرابع

دور الإعلام المصرى فى حرب ١٩٧٣

المرحلة الساداتية

حرب أكتوبر ١٩٧٣

(قد يحسن قبل شرح أبعاد المرحلة الساداتية ودوافعها ونتائجها العامة أن نعرض لأبرز احداث هذه المرحلة وهى حرب أكتوبر بحيث تجئ عملية التأصيل المتعلقة بالمظاهر والنتائج بشكل متكامل يلم تماماً بأبعاد المرحلة الساداتية. وسوف نتعرض لمعالجة هذه المرحلة فى فصلين متتابعين).

مقدمات حرب أكتوبر ١٩٧٣

١ - تعديل الاستراتيجية:

(أ) قبل حرب يونيو ١٩٦٧ كان العالم العربى يتبنى خط تحرير فلسطين التى أغتصبتها العصابات الصهيونية بمساعدة دولة الانتداب وغيرها من الدول الغربية والأمريكية.

وقد جاءت هزيمة ١٩٦٧ بعدة نتائج تتفق مع طبيعة الحدث وعمق التآمر الخارجى واتساع نطاق التسيب والأهمال والتفكك السارى فى العالم العربى فى مواجهة لهذه المخططات. فمن ناحية ترسخت عدة تصورات داخل العالم العربى عن:

- عدوانية وتوسعية إسرائيل واستخدامها للقوة لفرض إرادتها فى المنطقة.

- وقوة ومدى التأييد السياسى والاقتصادى والعسكرى الأمريكى للدولة الصهيونية.

- واهتزاز ثقة الرأى العام العربى فى قوة العرب وقدرتهم على هزيمة إسرائيل واستعادة كل فلسطين العربية، وكيفية مواجهة المخطط الإسرائيلى - الأمريكى بالمنطقة.

ومن ناحية أخرى ظهر توجه جديد فى مصر - الناصرية بعد عام ١٩٦٧ لاقى موافقة من القادة العرب ومؤداه:

«رفع شعار إزالة آثار العدوان» بمعنى إستعادة المناطق التى احتلتها إسرائيل فى حرب عام ١٩٦٧، وقد انبثق هذا التوجه عن مؤتمر القمة العربية الرابع بالخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) (١) رغم أن القادة المشاركين قد اختلفوا حول أسلوب الصراع: سياسى أم عسكرى، وانتصر الرأى القائل بالأسلوب السياسى ،ومع ذلك رفض المجتمعون اقتراح جمال عبد الناصر بدعوة الدول العربية لقبول اتفاق تحت رعاية الأمم المتحدة بضمان حدود الدول فى الشرق الأوسط مقابل الأنسحاب الإسرائيلى ،مع السماح بحرية مرور السفن الإسرائيلية فى خليج العقبة. ومع ذلك توصل المؤتمر إلى قرارات هامة مثل: تحقيق وحدة الصف العربى، ووحدة العمل الجماعى. ودعا المؤتمر إلى سرعة تصفية القواعد العسكرية الأجنبية من

(١) د. اسماعيل صبرى مقلد «الصراع الأمريكى السوفييتى حول الشرق الأوسط» ذات السلاسل للطبع، الكويت، ١٩٨٦ ص ٢٩٩ - ٣٠٢.

الأراضى العربية. كما نوقشت فكرة استخدام سلاح البترول ضد الدول التى أيدت إسرائيل وهى: أمريكا وبريطانيا وألمانيا، إلا أن الرأى الذى انتصر استخدام ضخ البترول لتحقيق عائد يسهم فى دعم دول المواجهة العربية، كما تم التأكيد على المبادئ الأساسية فى العمل وهى: لاصلح ولا تفاوض ولا اعتراف مع إسرائيل، والتمسك بحق الشعب الفلسطينى فى وطنه وأرضه.

(ب) مأزق القرار ٢٤٢:

انتهت مداولات الدول الكبرى إلى صيغة عرفت باسم القرار ٢٤٢ فى ١٩٦٧/١١/٢٢، ويلاحظ طول الفترة التى استغرقتها للوصول إلى تفاهم حول القرار (من يونيو حتى نوفمبر). ورغم احتواء القرار على بعض الألفاظ الغامضة وأبرزها الخلاف حول كلمة «من أراضى» بدلا «من الأراضى» فإن ديباحة القرار لم تترك مجالا للشك فى أن قصد القرار هو الانسحاب من كل الأراضى المحتلة. وقد عمدت إسرائيل ومن خلفها الولايات المتحدة لأسباب تتصل أيضا بالمصالح الأمريكية إلى عرقلة تنفيذ هذا القرار لمدة طويلة متذرعة بالاختلاف حول التفسير وبذلك مكنت الولايات المتحدة إسرائيل من الابقاء على الأراضى المحتلة رهينة هذا الالتواء المستمر فى تفسير القرار حتى قيام حرب أكتوبر ١٩٧٣ . وكانت الولايات المتحددة تتخوف من مصر لأنها وفق التصور الأمريكى قد سهلت التواجد السوفييتى فى الشرق الأوسط ودعمت من قدراته (١).

(١) انظر د. أحمد عبد الرحيم مصطفى «الولايات المتحدة والمشرق العربى» عالم المعرفة، الكويت ابريل ١٩٨٧ - ص ٢١٧ - ٢٢٠.

وينبع التأييد الأمريكى الضخم لإسرائيل من التصور الأمريكى بأن إسرائيل هى الامتداد الأمريكى حضاريا وسياسياً وعسكريا فى الشرق الأوسط، وقد رسخ هذا التصور بتأثير اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة الذى ربط بين هذا التصور وبين المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط وهى مصالح اقتصادية وأخرى تتصل بالسياسة الكونية الأمريكية التى تهتم بتعقب وتحجيم النفوذ السوفييتى. والغرض من وراء التأييد الأمريكى اللامحدود لإسرائيل هو إرهاق وإستنزاف الدول العربية الثورية ومن ثم التأثير سلبا على النفوذ والتواجد السوفييتى فى المنطقة (٢).

(جـ) وقد عانت الأمة العربية من عوامل ضعف واضحة بعد هزيمة عام ١٩٦٧ وكان المنطقى أن تتجاوز أزمتها لمواجهة آثار العدوان وإزالته.

وأولى عوامل الضعف كانت الخلافات الجانبية والانتقادات المتبادلة بين الدول العربية. يضاف إلى ذلك أن الدول العربية بدلا من الالتزام بقرارات مؤتمر الخرطوم عمدت إلى معارضة كل مبادرة لحل الأزمة فى إطار القرار ٢٤٢، وبذلك أعطت مسوغا لاستمرار الاحتلال وتجميد الموقف.

كذلك د. اسماعيل صبرى مقلد، المرجع السابق ص ٣٠٤ ـ ٣٠٧ .
كذلك جون بادو «الموقف الأمريكى تجاه العالم العربى «الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة كتب مترجمة عدد ٦٩٢ ص ٨٠ ـ ٨٥ .
كذلك انظر صلاح منتصر «الطريق إلى السلام ـ مدريد ١٩٩١ دار المعارف، القاهرة ١٩٩١ ص٥ ـ ٧ .
(٢) فهمى هويدى: «الدعم الاقتصادى للمعركة، السياسة الدولية، القاهرة، يناير ١٩٧٤ ص ٥٩ ـ ٦٢ .

وأخيرا نجد الدول العربية البترولية قد اقتصرت مساندتها على حد المبالغ الرمزية المحدودة التى أقرها مؤتمر الخرطوم وكان كل مايعنيها هو تقديم هذا الدعم المادى دون تفهم لب الاستراتيجية وهى قومية المعركة بكل ماتحمله الكلمة من آفاق (١).

(د) عوامل القوة:

كانت رؤية الخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) من أبرز عوامل القوة التى مهدت لحرب أكتوبر ١٩٧٣ لأن أحداث التاريخ لا تنشأ من فراغ بل وفق مقدمات تؤدى إلى مسار محدد ثم إلى نتائج تتفق مع هذه المقدمات. وقد عدل مؤتمر الخرطوم كما سبق أن ذكرنا من جوهر الاستراتيجية العربية من وحدة الهدف إلى وحدة الصف، ومن التحرير الكامل لأرض فلسطين إلى إزالة آثار العدوان، ومن التنافر الشديد إلى قدر مطلوب من التنسيق رغم بقاء عوامل الخلاف حول أسلوب معالجة آثار العدوان.

وثانى عوامل القوة هو الدعم الذى قدمته الدول العربية القادرة إلى دول المواجهة مصر وسوريا والأردن. ورغم أن هذا الدعم للمواجهة لم يكن كافيا إلا لتعويض خسائر دول المواجهة عن الموارد المتوقفة والعجز المتراكم نتيجة الحروب إلا أنه كان دعما لازما لاستمرار استعداد دول المواجهة لإزالة آثار العدوان والصمود أمام الضغوط الخارجية (٢)، والجدير بالذكر أن الدول العربية لم تستخدم

(١) نفس المرجع السابق ص ٦٢ ـ ٦٥ .

(١) فهمى هويدى : «الدعم الاقتصادى للمعركة، السياسة الدولية، القاهرة، يناير / ١٩٧٤ ص ٥٩ ـ ٦٢ .

كافة أسلحتها الاقتصادية لدعم دول المواجهة ومن ذلك سلاح البترول وسلاح الأرصدة العربية وسلاح التجارة الدولية (١).

وثالث عوامل القوة هو نمو المقاومة الفلسطينية منذ منتصف الستينات والتى أخذت شكل «منظمة التحرير الفلسطينية» والتى أصبح لها جيش خاص بها وأجهزتها التنفيذية المستقلة وانضواء كافة الاتجاهات تحت مظلة المنظمة مع بقاء هامش معقول للرأى المستقل للمنظمات الحركية المنظمة (٢).

ورابع عوامل القوة نجده فى حرب الاستنزاف فى الفترة من ١٩٦٩ - ١٩٧٠ والتى مكنت من رفع الروح المعنوية واكتساب المهارات القتالية واستطلاع مراكز وتحصينات العدو استعدادا للمعركة القادمة (٣).

وخامس عوامل القوة كان إلحاح الجماهير العربية على الحل العسكرى طريقاً للتحرير واستعادة الأرض المحتلة ولم يكن فى مخيلة الجماهير العربية أى تصور للحل السياسى للقضية (٤).

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٦٢ - ٦٥ .

(٢) نبيه الاصفهانى: «تحرك المنظمة الفلسطينية فى أزمة الشرق الأوسط»، السياسة الدولية، القاهرة يناير ٧٤ ص ٣٩ - ٤٠ .

(٣) صلاح زكى أحمد، «قاموس الناصرية»، دار المستقبل العربى، القاهرة ١٩٨٥، ص ١١٨ - ١٣١ .

(٤) صلاح زكى أحمد، «قاموس الناصرية»، دار المستقبل العربى، القاهرة ١٩٨٥، ص ١١٨ - ١٣١ .

٢ ـ التصور الأمريكى عام ١٩٧١ :

قد تصلح فترة الرئيس الأمريكى نيكسون فى أوائل السبعينات مؤشرا لإيضاح الموقف الأمريكى من النزاع العربى الإسرائيلى قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ (١) .

أولا : ترى الإدارة الأمريكية أن تسوية النزاع لا تزال بعيدة بسبب قوة المشاعر المترسبة على الجانبين عبر التاريخ بسبب النزاع ولن يكون هناك حل مرض مالم تدرك أطراف النزاع ضرورة التوصل لحل وسط قائم على تنازلات متبادلة، وإلى حين تحقق هذا الشرط يوقف إطلاق النار كحد أدنى يجب الحفاظ عليه.

وثانيا : لاتتوقع إدارة نيكسون انفرادها بصياغة السلام لوجود قوى أخرى لايجب اهمالها مثل الاتحاد السوفييتى، وإذا تعذر التوصل إلى تسوية نهائية للصراع فيجب أن يتم تضييق نطاق النزاع ومنع الاشتباك المباشر بين القوى الكبرى، وهو بعُد هام وضح ابان أزمة الشرق الأوسط.

وتعبر الولايات المتحدة عن استعدادها للتفاوض مع الأتحاد السوفييى من أجل تحقيق السلام ولكنها ستقاوم محاولة السيطرة السوفيتية على المنطقة. ودعا نيكسون إلى التعاون الدولى للحد من شحنات الأسلحة إلى المنطقة بوصفها خطوة نحو الاستقرار مؤكدا فيه دور أمريكا لمراقبة الحفاظ على التوازن الدقيق للقوى العسكرية.

(١) رسالة الرئيس نيكسون إلى الكونجرس الأمريكى فى ١٩٧١/٢/١٨ .

ثالثــا : أوضحت الولايات المتحدة مدى علاقاتها بدول المنطقة وأهمية قبول أطراف النزاع ـ اقتناعا أو تسليما ـ بأهمية صيانة مصالحهم الأساسية المتبادلة وسيكون تعاون الولايات المتحدة مع كل دول المنطقة على أساس المشاركة الفعالة فى دعم العلاقات.

رابعــاً : ترى الولايات المتحدة أن النزاع العربى الإسرائيلى ليس التحدى الوحيد الذى تواجهه المنطقة فهناك أيضا المنافسات المحلية وعوامل عدم الاستقرار الناشئة عن المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية، وأكدت الولايات المتحدة على أهمية تشجيع دول المنطقة على التحول إلى اقتصاد عصرى بإعادة الهيكلة وتعديل القوانين والاعتماد على الجهود الذاتية وأن ينبثق التحويل من دول المنطقة نفسها (١).

٣ ـ قرار الحرب والمواجهة السياسية:

قرار الحرب:

على عكس ماروج عدد من المحللين بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ لم يعتمد قرار الحرب على لحظة آتية أو على رغبة قيادة أو زعامة عربية، ولكن قرار الحرب كان محصلة تراكمات متعددة بدأت بحدث الهزيمة، ومرت خلال مؤتمر الخرطوم فى أغسطس سنة ١٩٦٧، ثم تشابكت مع الضغوط الدبلوماسية الدولية وضغط المقاومة الفلسطينية وحرب الاستنزاف مابين ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠، وانتهت فى

(١) يلاحظ أن مجمل هذه التطورات هى التى يتم تنفيذها منذ اتفاقيات كامب ديفيد وحتى الآن.

مرحلة منها بوفاة جمال عبد الناصر ويوم وداعه الملئ بالجماهير والتى تذكرت أن عبد الناصر كان يعد بإلحاح لمعركة إزالة آثار العدوان، ومع ذلك يمكن بلورة الضغوط التى أدت بالسادات إلى إتخاذ قرار الحرب بالإضافة إلى العوامل التى أشرنا إليها توا:

(أ) ضغط الجماهير العربية نحو التحرير.

(ب) ضغوط القوات المسلحة العربية.

(جـ) ثقل حالة اللاسلم واللاحرب وتأثيرها النفسى الضار على جماهير الأمة العربية.

(د) كما فهمت مصر من اتصالها مع الولايات المتحدة (كيسنجر) أن الاسترخاء العسكرى لا يساعد على التحرك أو ربما جاء الفهم ضمنا. أو القول مستترا أو عفو الخاطر وأعطى هذا الحوار قوة لفكرة التحريك وليس التحرير.

ثانيا: اندلاع الحرب ومشكلاتها

١ ـ الاستعداد للحرب:

كما سبق أن أوضحنا فإن الفترة التى أعقبت هزيمة عام ١٩٦٧ وحتى أكتوبر ١٩٧٣ كانت كلها استعدادا للحرب لإزالة آثار العدوان على النحو الذى ذكرناه من قبل، ولعل أبرز العوامل التى أدت بالأمة العربية إلى تبنى طريق الحرب كان عاملا ذو شقين: الأول الشعور العربى بما يتحملونه من مهانة طوال فترة الاحتلال، والشق الثانى: ماوقر فى ذهنهم من أن الولايات المتحدة الأمريكية والتى بيدها إمكانات كبيرة للإسهام فى تحقيق السلام قد عمدت إلى المناورة والتباطؤ والتعلل بأسباب إجرائية وبعدم استعداد أطراف النزاع لإقامة سلام دائم (١).

وقد تأكدت مخاوف الرئيس السادات تجاه أمريكا عندما أوفد السيد/ حافظ إسماعيل مستشاره للأمن القومى فى فبراير ٧٣ لمقابلة الرئيس نيكسون، وذكر له الأخير إمكانية صياغة اتفاق يحافظ على

(١) انظر المرجع السابق، رسالة نيكسون إلى الكونجرس الأمريكى فى ١٩٧١/٢/١٨ .

أمن إسرائيل وعلى سيادة مصر على أرض سيناء (١) . وقد غادر حافظ إسماعيل واشنطن وهو يشعر بالارتياح والتفاؤل الذى سرعان ما انتهى عندما وصل إلى باريس، واطلع على خبر مؤداه أن الرئيس نيكسون قد قرر إمداد إسرائيل بمزيد من الطائرات سكاى هوك والفانتوم (٨٤ طائرة) .

وقد أدى هذا الحدث إلى تأكيد الشكوك وبدأت القيادة المصرية تتحرك بجدية لدى الدوائر العربية والأفريقية للاعداد للحرب، وقد وقر فى ذهن العرب أن غيرهم لن تكون بيده مفاتيح الحل وتحريك القضية وأن الأمر يتطلب الاعتماد على جهد العرب أولا (٢) .

وفى شهر سبتمبر كانت مصر قد اقنعت الملك فيصل (السعودية) وبقية دول الخليج بالتلويح بسلاح البترول وممارسة مزيد من الضغوط على أمريكا، واقنعتها بزيادة اسهاماتها للاستعداد للمعركة، وعلى سبيل المثال وافقت السعودية على دفع مبلغ ٦٠٠ مليون دولار (٣) .

وعندما دعم الرئيس السادات جبهته الخارجية اتجه لمزيد من الدعم للجبهة الداخلية، فأطلق سراح كثير من المعتقلين وأعاد عدداً كبيرا من المثقفين إلى أعمالهم، وزاد من مساحة الحرية والتعبير وعمد إلى تمويه سياسى ـ عسكرى فأعلن تخفيض الاعتمادات العسكرية . وبسبب المعركة الجوية التى دارت فى سبتمبر ١٩٧٣ بين

---

(١) يلاحظ أن الحديث هنا دار حول سيناء فقط وليس بقية الأراضى المحتلة . محادثات حافظ اسماعيل وكانت مع كيسنجر .

(٢) ادوارد شيهان «الحرب التى شنها السادات»، السياسة الدولية، القاهرة، يناير ١٩٧٤ ص ٢٢٣ ـ ٢٣٤ .

(٣) نفس المرجع، ص ٢٢٥ .

الطائرات السورية والطائرات الإسرائيلية والتى ترتب عليها سقوط ١٣ طائرة سورية فى البحر طلب الرئيس حافظ الأسد من الرئيس السادات تقديم موعد الحرب ليصبح أوائل رمضان بدلا من نهايته(١).

والجدير بالذكر أن إسرائيل نظراً لحساسيتها المفرطة تجاه أمنها كانت تعمد إلى استنفار قواتها - الطوارئ - فى مواجهة أية حشود أو تحركات عربية قرب حدودها، وهو ماحدث مثلا ابان أزمة سبتمبر بين الأردن والمنظمة عام ١٩٧٠، وعندما دخلت القوات السورية إلى لبنان فى مايو عام ١٩٧٣، ومع ذلك لم تتخذ إسرائيل نفس الاجراء الوقائى عندما تحركت قوات مصر وسوريا تحت ستار القيام بمناورات تقليدية خلال سبتمبر وأوائل أكتوبر ١٩٧٣ وذلك لأن إسرائيل كانت:

(أ) مشغولة بحملتها الانتخابية.

(ب) وفى مواجهة عمليات الهجوم الفدائى ضد مصالحها فى الداخل والخارج.

(جـ) ولاهتمامها بتنمية مناخ السياحة فى الداخل للحصول على مزيد من العملات الصعبة.

(د) بالاضافة إلى أن الأزمة الاقتصادية فى إسرائيل كانت شديدة الوطأة ويؤدى استنفار القوات إلى إهدار ملايين الدولارات يمكن توجيهها إلى أنشطة منتجة أخرى.

(١) نفس المرجع السابق، ص ٢٢٥.

(هـ) هذا بالاضافة إلى أن إسرائيل لم تكن تعتقد بقدرة مصر وسوريا على القيام بعمل عسكرى وهو أمر تعتبره بمثابة مغامرة معروفة النتائج.

وكل ما أقدمت عليه إسرائيل هو رفع درجة بسيطة من الاستعداد وإبلاغ الولايات المتحدة الأمريكية باحتمالات الخطر حيث قام هنرى كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة بتوجيه نداء إلى الحكومات العربية لضبط النفس وهو أمر يعد كشفا للمخطط العربى يؤدى إلى إجهاضه وفق التصور الإسرائيلى الأمريكى ، ومع ذلك كانت إسرائيل واثقة تماما من قدرتها على مواجهة الموقف بسبب قوتها واستحكاماتها القوية.

٢ ـ القتال على الجبهتين:

(أ) بدأت الحرب بعد ظهر ٦ أكتوبر تطويرا للمناورات المصرية السورية، على الجبهة السورية، تقدمت القوات على ثلاث محاور الأمر الذى أربك القوات الإسرائيلية واضطرها إلى إخلاء المستعمرات من الأطفال والنساء وتشديد المقاومة انتظارا للدعم العسكرى من العمق الإسرائيلى.

وعلى الجبهة المصرية كانت إسرائيل قد أقامت أقوى خط دفاعى عرفه التاريخ العسكرى فى العالم وهو خط بارليف الذى تكون من سلسلة من الدشم المسلحة المترابطة وبذلك تخلت إسرائيل من خلال هذا الخط عن عقيدتها العسكرية التى ترتكز على الدفاع النشط وأخذ زمام المبادرة ونقل المعركة سريعا إلى أرض معركة



العبور أكتوبر ١٩٧٣ .

الخصم، وقد دعمت إسرائيل الخط بشبكة من أنابيب النابالم تمر تحت مياه قناة السويس تحيل مياهها إلى جحيم ملتهب عند العبور القتالى. هذا بالإضافة إلى إقامة ساتر ترابى عالى يصعب على المدرعات اختراقه، وخط مساعد مزود ببطاريات مدفعية من جميع الأعيرة وبعض الدبابات المساندة، وكذلك خط اضافى من حوالى ١٧٠ دبابة على بعد خمس كيلو مترات من خط بارليف، وفرقة مدرعة كاملة على بعد ٢٠ ميلا بالقرب من ممرى متلا والجدى لغلق الممرات ومنع تدفق القوات المهاجمة إلى عمق سيناء. ومجمل هذه الخطوط فى التصور الإسرائيلى تكبد المصريين خسائر فادحة فى الأرواح والمعدات وخاصة إن ابتعدت القوات المصرية عن مجال شبكة الصواريخ التى تشكل مظلة حماية للقوات المصرية.

(ب) وقد أدارت القيادة المصرية الحرب مستعينة بعدة عوامل أدت إلى نجاح العبور وتقليل الخسائر ومن هذه العوامل:

- دقة التمويه الذى أشرنا إليه من قبل.
- رفع الروح المعنوية للجنود بالعبور أثناء صوم شهر رمضان وبصيحة «الله أكبر».
- نجاح تدمير شبكة النابالم فى مياه القناة قبل العبور.
- سرعة انتشار قوات الصاعقة (الكوماندوز) شرق القناة لارباك القوات المدافعة وإنزال الخسائر بها ونصب الكمائن للدبابات المهاجمة.
- فتح ثغرات فى السد الترابى العالى باستخدام مضخات مياه هائلة بالاستعانة بالخبرة الهندسية المستقاة من بناء السد العالى.

- تحييد الطيران الإسرائيلى، أى تحييد التفوق الإسرائيلى، بالتحرك داخل مظلة حائط الصواريخ المصرية الذى كبد الطيران الإسرائيلى خسائر فادحة وهو الحائط الذى أقيم ابان حرب الاستنزاف ١٩٦٩ - ١٩٧٠ كما أدت عمليات الصاعقة - الكوماندوز ابان حرب الاستنزاف إلى رصد المواقع الإسرائيلية الحساسة.

- دقة خطة الطيران المصرى وخاصة بحصوله على أنواع جديدة من الطائرات مثل الميراج، وميج ٢٣ وتطوير مالدى مصر من الطُرز الأخرى من الطائرات السوفيتية.

(جـ) وكان الأداء العسكرى المتناسق رائعا بالمشاة والمدرعات والطيران والمهندسين وهو أمر أدى إلى إرباك العدو، وخاصة بسبب نجاح جندى المشاة المصرى والسورى فى نشر الكمائن والتصدى للمدرعات المهاجمة من الخط الثانى مستخدما قاذفات مضادة للمدرعات، الأمر الذى غير من التصور العسكرى لأهمية استخدام المدرعات، فى إرباك المشاة، وقد تحول جندى المشاه بقاذفاته إلى ند كامل أمام المدرعات الإسرائيلية وهو أمر يعد من قبيل عنصر المفاجأة فى حرب أكتوبر أدى إلى تكبيد إسرائيل خسائر فادحة فى الأرواح والمعدات والأسرى لأول مرة فى تاريخ الحروب العربية الإسرائيلية.

(د) وهناك عامل مكن القوات المصرية من سرعة تطهير دفاعات خط بارليف، وهو أن إسرائيل كانت تخشى الجبهة السورية لأن الهزيمة فى هذه الجبهة يهدد الكثير من المستوطنات ويهدد

العمق الإسرائيلى، أما الجبهة المصرية فيمكن تأخير التعامل معها إلى حين تلافى الخطر الأكبر على العمق الإسرائيلى القريب من الجبهة السورية.

(هـ) وهناك بعد نضالى هام فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ يتعلق بدور نشط لمنظمة التحرير الفلسطينية التى تم اخطارها للاستعداد للقتال فاندمجت بسرعة وبحماس فى قتال يتصل اتصالا وثيقاً بقضيتها الوطنية، فضاعفت من عملياتها العسكرية النشطة على مختلف الجبهات المصرية والسورية واللبنانية، وبلغت عملياتها داخل الأرض المحتلة الفلسطينية أكثر من ١٠٠ عملية خلال مدة وجيزة تقدر بعشرة أيام فقط، وعلى الجبهتين المصرية والسورية اشترك جيش التحرير الفلسطينى فى المعارك (١).

بل أن أول نبأ لاختراق القوات الإسرائيلية للجبهة المصرية لمحاولة بناء ثغرة بالضفة الغربية، جاء ذلك بتحذير من القوة الفلسطينية المشتركة فى القتال على الجانب المصرى.

(و) وأخيراً بعد نجاح العبور اشار القادة بضرورة تطوير القتال للوصول إلى الممرات محددين يوم ١٠/٩ لتطوير القتال، إلا أن المشير أحمد اسماعيل. نظرا لشخصيته الحريصة، فضل وجود وقفة تعبوية للاستعداد والتقييم حتى يوم ١٠/١٣، وهى فترة أربعة أيام أعطت إسرائيل فترة لإعادة تنظيم فلولها والحصول على مساعدات ضخمة وصلتها من الولايات المتحدة

(١) نبيه الاصفهانى: «تحرك المقاومة الفلسطينية فى أزمة الشرق الأوسط»، السياسة الدولية القاهرة، يناير ١٩٧٤، ص ٤٠ .



أكبر معركة دبابات عرفها التاريخ.

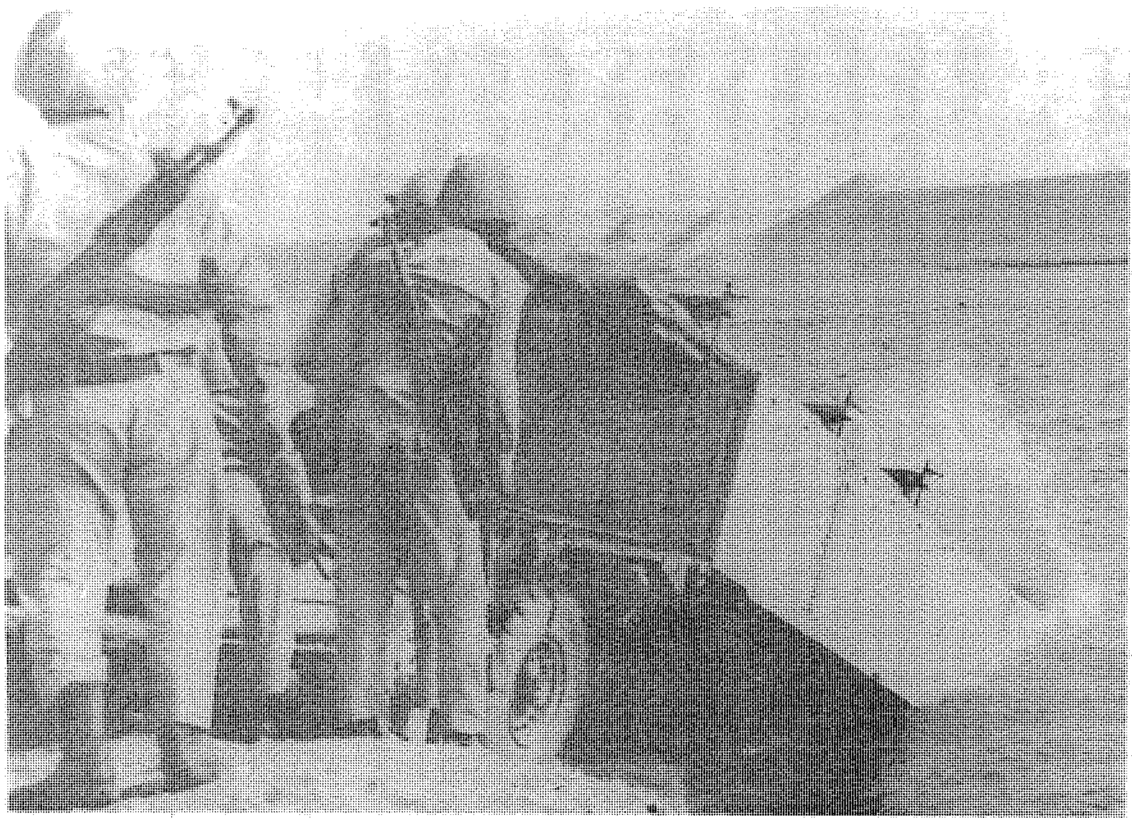
يوم ١٢/ ١٠، كما أدت هذه الفترة (٤ أيام) إلى الضغط المتزايد على الجبهة السورية (١).

(ز) وبعد هذا الانتصار العربى على إسرائيل تحركت أمريكا بعصبية ودعت إلى وقف إطلاق النار والعودة إلى خطوط ماقبل الحرب، وهو أمر غريب إذ أن العرب يقاتلون على أرضهم والحرب تمثل حرب تحرير مشروعة طبقا لميثاق الأمم المتحدة، وفى المقابل قام الاتحاد السوفييتى بتعطيل المطالبة الأمريكية وطرح ضرورة إنسحاب إسرائيل إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ . ثم عادت الولايات المتحدة تطالب فى ١٠/ ١٠/ ١٩٧٣ بإيقاف اطلاق النار عن الخطوط الحالية.

ووافق الإسرائيليون بعد أن وعدتهم أمريكا للحصول على مزيد من الأسلحة، وصدر قرار من مجلس الأمن، بذلك، وبدأت الأسلحة تتدفق على إسرائيل بل تم نقلها إلى أرض المعركة فى سيناء. وفى مقابل الجسر الجوى الأمريكى قام السوفييت باقامة جسر جوى إلى مصر وإلى سوريا وبلغت الرحلات الجوية السوفيتية ٣٠ رحلة فى الفترة من ٩ ـ ٢٢ أكتوبر، وهنا وجدت الولايات المتحدة أنها لا تسمح بهزيمة إسرائيل كما أنها لاتسمح بتسلل شيوعى إلى الشرق الذى يحتوى على البترول والثروات المعدنية، فقامت بشحن أسلحة عالية التقنية إلى إسرائيل جوا تمكنها من التفوق والوقوف أمام مصر وسوريا والمد الشيوعى فى المنطقة (٢).

(١) حديث المشير عبد الغنى الجمسى عن حرب أكتوبر. مجلة الوسط فى ١٩٩٢/٩/٢٨ ص ٣٤/ ٣٥ .

(٢) بشأن العون الأمريكى اللامحدود لإسرائيل انظر: ريتشارد نيكسون، ١٩٩٩ نصر بلا حرب، اعداد وتقديم المشير أبو غزالة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٢٩٠ ـ ٢٩٣ .



بسالة الجندى المصرى واستيعابه للتكنولوجيا الحديثة.

٣ ـ الهجوم الإسرائيلى ـ الأمريكى المضاد «الثغرة» :

رؤية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ مباشرة.

الهجوم الإسرائيلى المضاد:

فضلت إسرائيل عدم مواجهة الاداء الناجح المصرى السورى معا حتى لاتصاب بخسائر فادحة فى الأرواح وفضلت مواجهة الجبهة السورية وحدها.

الجبهة السورية:

كثف الطيران الإسرائيلى ضرباته على المستودعات ومحطات القوى السورية، ثم نقل غاراته إلى العمق السورى، الأمر الذى أدى بسوريا إلى تحريك شبكة الصواريخ لحماية العمق وهو ما أعاد السيطرة للطيران الإسرائيلى وتمكنت إسرائيل من التركيز على جبهة واحدة وبالاستعانة بالأسلحة والمعدات الجديدة التى وصلتها من الولايات المتحدة من الضغط على القوات السورية وإجبارها على التراجع، وهددت الطريق الموصل إلى دمشق لولا وصول النجدة من القوات الأردنية والعراقية واستماتة الدفاعات السورية الأمر الذى أوقف الزحف الإسرائيلى بسبب تزايد الخسائر فى المعدات والأرواح، ولكن بعد أن كانت إسرائيل قد أعادت سوريا إلى مابعد الخط السابق على القتال.

الجبهة المصرية:

وعلى الجبهة المصرية كان أمام إسرائيل خطتين، الأولى: استدراج القوات المصرية بعيداً عن حائط الصواريخ إلى عمق

الصحراء والقضاء عليها، والثانية: نقل المعركة إلى غرب القناة ومحاصرة القوات المصرية، وفى هذا الصدد رويت عدة روايات:

الأولى، الرواية الإسرائيلية:

استفادت القيادة الإسرائيلية من المعلومات التى كان ينقلها القمر الأمريكى إلى إسرائيل أول بأول، لأن أمريكا كانت فى حالة حرب فعلية ضد مصر، وانتهزوا فرصة نقل الفرقة المصرية المدرعة ٢١ إلى الضفة الشرقية للقناة لمحاولة تخفيف الضغط على سوريا بعد النداء الذى وجهه الرئيس حافظ الأسد، واستمعوا إلى نصيحة البنتاجون الذى كان يراقب من خلال قمره الصناعى ساعة بساعة، وهى نصيحة فتح ثغرة نحو الضفة الغربية مستفيدين من حركة نقل الفرقة المدرعة المصرية ٢١ لانقاذ الموقف الإسرائيلى المتدهور فى سيناء (١).

وبسبب هذه الثغرة والعون الأمريكى عالى التقنية الذى كان يصل إسرائيل إلى مطار العريش، ولأن السادات تبين أنه لايحارب إسرائيل وحدها بل يحارب أمريكا معها، قرر قبول إيقاف إطلاق النار حتى لايتكرر سيناريو هزيمة ١٩٦٧ وتدمير القوات المسلحة المصرية (٢). وقد أدى هذا التسلل الإسرائيلى إلى الثغرة أن تمكنت إسرائيل من تدمير بعض من بطاريات الصواريخ المصرية.

الثانية، رواية المشير الجمسى:

وهناك رواية أخرى لمعركة الدفرسوار التى عرفت باسم «الثغرة» يرويها المشير الحمسى بالقول: بأن المبادأة انتقلت إلى

---

(١) أنور السادات «البحث عن الذات» المكتب المصرى الحديث، القاهرة ١٩٧٨ ص ٢٧١ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

الجانب الإسرائيلى يوم ١٥/ ١٠ بسبب الامدادات الأمريكية المشار إليها من قبل والتى لم يتوقف إرسالها مباشرة إلى ميدان القتال. إذ فى ليلة ١٥ ـ ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ تجمعت فرقتان إسرائيليتان مدرعتان كل منهما تضم ٣٥٠ دبابة أحدهما بقيادة الجنرال شارون، والأخرى بقيادة الجنرال آدن على الطريق الأوسط فى مواجهة الفرقة ١٦ مشاة ميكانيكى المصرية، وضغط الإسرائيليون.. وفشلوا ثم حاولوا ليلة ١٦ ـ ١٧ ونجحوا فى أن يصلوا إلى الضفة الشرقية للقناة بقوة كتيبة مظلات وكتيبة دبابات، ثم عبرت وحدة المظلات القناة مع جزء من الدبابات يتراوح عدده بين سبع وعشر دبابات واختفوا بين الأشجار الموجودة فى الضفة الغربية، ثم بدأت معركة الدفرسوار، التى يطلق عليها الثغرة، والتى شهدت تقييماً إعلامياً من الجانب المصرى وتضخيماً إعلامياً من جانب العدو.. وقد ترتب على هذه المعركة توسيع الثغرة إلى أن تدخل كيسنجر وأوقف القتال يوم ٢٢/ ١٠ .. وكان الجانب الإسرائيلى يعارض وقف إطلاق النار يوم ٢٢/ ١٠ لأن قواتهم كانت قابعة فى شريحة صغيرة من الأرض يعتبرونه غير مؤمن .. وبالتالى .. خرقوا وقف إطلاق النار حتى يوم ٢٥/ ١٠ وحاولوا الإتجاه عبر منطقة الثغرة إلى مدينة الإسماعيلية فى الشمال على أمل دخول مدينة مصرية كبيرة تصبح ورقة فى يدهم ولكنهم فشلوا فاتجهوا جنوبا إلى السويس وفشلوا أيضاً.

الرواية الثالثة، رواية السفير (اللواء) طه المجدوب:

(أ) ليس ثمة شك أن إسرائيل قد منيت أثناء هذه الحرب ـ أكتوبر ـ بخسائر فادحة لم تتصورها أدت إلى فقدان اتزان قواتها المسلحة

ولقدر كبير من فاعليتها، الأمر الذى دفعها إلى الاستنجاد بالولايات المتحدة لإنقاذها من الانهيار، فكان التدخل الأمريكى السريع بالمساعدات العسكرية الضخمة أثره المباشر فى استرداد قوات إسرائيل جزء كبير من قدرتها شجعها على القيام بمغامرتها غرب القناة فى اليوم الذى كان مقدرا فيه أن يحدث الانهيار فى القوات الإسرائيلية وهو اليوم العاشر للقتال.

(ب) ولقد دارت معركة شرسة عرفت باسم ثغرة الدفرسوار فى محاولة لقلب موازين الموقف الاستراتيجى والحصول على بعض المكاسب السياسية والاستراتيجية يمكن أن تعدل بها إسرائيل هزيمتها القاسية شرق القناة.

(جـ) ومع تطور المغامرة الإسرائيلة ازداد الموقف الاستراتيجى للقوات الإسرائيلية سوءاً إذ أصبحت القوات التى عبرت إلى الغرب معرضة للمخاطر والانشطار والعزل والحصار، خاصة مع امتداد خطوط امدادها لمسافة تزيد على ٢٠٠ كيلو متر الأمر الذى أحدث خللا جسيما فى الوضع الاستراتيجى للقوات الإسرائيلية المعرضة للانقسام، هذا بالاضافة إلى الخسائر الفادحة التى أصابت القوات الإسرائيلية فبينما نجحت القوات المصرية غرب القناة فى إعادة تنظيم صفوفها وحشد تشكيلاتها لاحتواء وحصار الجيب الإسرائيلى بشكل سريع ومكثف فيما عدا عنق الزجاجة الذى حدث فى الدفرسوار وأصبح يمثل الشريان البرى الوحيد الذى كان يمد قوات إسرائيل بالحياة وبالتالى فإن قطع هذا الشريان كان سيحرم هذه القوات من أسباب الحياة.

(د) وفى نفس الوقت وقفت القوات المصرية شرق القناة صامدة.

ـ و لتفهم موضوع الثغرة يحسن إيراد الوقائع التالية:

١ ـ البيانات العسكرية المصرية: (من الوثائق العسكرية):

(أ) يوم ١٦ أكتوبر:

بيان رقم ٤٣:

«حاول العدو ظهر اليوم تجميع حشد كبير من المدرعات على المحور الأوسط وقام بهجمات قوية مضادة محاولا التقدم من خلال رأس جسر أحد تشكيلاته وتجرى حالياً معركة ضارية .. لصد اختراق العدو وتدميره ..»

بيان رقم ٤٤:

«... وأثناء القتال قام العدو .. بعد ظهر اليوم باغارة يائسة متسللا بسبع دبابات عبر البحيرات المرة فى محاولة للاغارة على المواقع غرب القناة.. وتم تدمير ثلاث دبابات منها وتشتيت الباقى وتقوم قواتنا بمطاردتها للقضاء عليها نهائياً..».

(ب) يوم ١٨/ ١٠:

بيان رقم ٤٦:

«وكان هدف العدو طوال ليلة أمس ومنذ صباح اليوم التسلل عبر البحيرات المرة فى منطقة محدودة محاولا القيام بعمليات ازعاج للقوات، وتقوم قواتنا حالياً بمحاصرته وأنذرته اما بالتسليم أو بالقضاء عليه..».

(جـ) يوم ١٩/ ١٠ :

البيان رقم ٤٩ :

«.. كما أن قواتنا مازالت مشتبكة بعنف مع عناصر العدو التى تسللت إلى الضفة الغربية للقناة عبر البحيرات المرة..».

(د) يوم ٢٠/ ١٠ :

البيان رقم ٥٠ :

«تمكنت تشكيلاتنا البرية ووحداتنا الخاصة بالتعاون مع القوات الجوية ونيران المدفعية خلال المعارك التى دارت طوال اليومين الماضيين فى منطقة المحور الأوسط والدفرسوار من تكبيد العدو خسائر فادحة فى المعدات والأفراد وما أمكن حصره منها حتى الآن تدمير ٨٥ دبابة ـ ٥٦ عربة نصف جنزير وأسر أطقم كاملة من أفراد بعض دباباته..».

(هـ) يوم ٢١/ ١٠ :

البيان رقم ٥١ :

«استمرت معارك الدبابات دائرة بعنف فى منطقة المحور الأوسط والدفرسوار وقامت تشكيلاتنا البرية بهجمات مضادة ناجحة ضد قوات العدو المبعثرة..».

البيان رقم ٥٢ :

«... هذا ومازالت الاشتباكات قائمة شرق وغرب القناة بين قواتنا وقوات العدو وقد تمكنت قواتنا من تكبيد العدو مزيدا من الخسائر الفادحة فى المعدات والأفراد خلال معارك اليوم».

البيان رقم ٥٣:

«دارت طوال اليوم أضخم وأعنف المعارك بين تشكيلاتنا البرية وقوات العدو شرق القناة وفى منطقة الدفرسوار وقد سيطرت قواتنا على هذه المعارك فى ثبات وثقة وكبدت العدو خسائر كبيرة فى معداته وأفراده..»

(و) يوم ٢٢/ ١٠:

فى الساعة ٤٥ر٦ مساء أصدر الفريق أول أحمد إسماعيل وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة بياناً جاء به:

«صدر أمر القائد الأعلى للقوات المسلحة بايقاف إطلاق النار اعتبارا من الساعة ٥٢ر١٨ اليوم ٢٢/ ١٠/١٩٧٣ بتوقيت القاهرة إذا التزم العدو بايقاف إطلاق النار فى هذا الموعد»

(ز) يوم ٢٣/ ١٠:

«استغل العدو قرار وقف إطلاق النار وقام بدفع عدد من دباباته ليلة أمس إلى منطقة الدفرسوار محاولا التسلل لاكتساب بعض المواقع الجديدة قبل قرار وقف إطلاق النار.. وتعلن القيادة العامة أن هذه الأعمال تعد خرقا لقرار وقف إطلاق النار واستفزازا للقوات المصرية بما سيضطرها إلى ردع هذه الاستفزازات».

البيان رقم ٥٦:

«انتهز العدو فرصة وقف إطلاق النار وقام خلال الليل بتدعيم قواته فى منطقة الدفرسوار ثم مهاجمة مواقع قواتنا وإطلاق النار عليها..»

(ح) يوم ٢٤/١٠ :

البيان رقم ٥٨ :

« ... ولقد أعلنت إسرائيل فى بيانها الصادر فى الساعة٢٠ يوم ١٩٧٣/١٠/٢٢ أن قواتها انتشرت فى مساحة ٤٧٥ ميلا مربعا غربى القناة أى حوالى ٢٤ ميلا فى ٢٠ ميل عرض، وعلى الرغم من أن هذه المساحة مبالغ فيها ولاتتفق مع الواقع ... بأن هذا الاعلان من جانب إسرائيل جاء لاحقا لبدء سريان وقف إطلاق النار ... وبدأت فى الانتشار مرة أخرى فى اتجاه الجنوب متداخلة مع قواتنا بغرض اظهار اتساع رقعة الأرض المتواجدة فيها ولكنها اصطدمت بقواتنا واشتبكت معها بالنيران..»

(ط) يوم ٢٥/١٠ :

البيان رقم ٦١ :

«لثالث يوم على التوالى يواصل العدو انتهاكه لقرار مجلس الأمن بشأن ايقاف إطلاق النار وقد عاود العدو محاولاته ظهر اليوم لاقتحام مدينة السويس بالدبابات والمدفعية فتصدت له قواتنا المسلحة...».

البيان رقم ٦٢ :

« ... حاول العدو للمرة الثانية بعد ظهر اليوم اقتحام مدينة السويس مستخدما أعدادا كبيرة من الدبابات تعاونه طائراته ومدفعياته بعيدة المدى..».

٢ - رواية الرئيس السادات (من كتاب البحث عن الذات ص ٢٧١) :

(أ) .. اتضح لي أن القمر الصناعي الأمريكي الذى كان يوصل المعلومات لإسرائيل ساعة بعد ساعة، تم اخطارهم بنقل الفرقة ٢١ المدرعة المصرية من الضفة الغربية للقناة إلى الضفة الشرقية لمحاولة التخفيف للضغط على سوريا كما طلب وألح الرئيس الأسد، أن البنتاجون قد نصح الإسرائيليين بمحاولة عمل الثغرة لانقاذ الموقف الإسرائيلى المنهار على جبهة سيناء.

(ب) ولقد استخدم الكوبرى الجوى الأمريكى لنجدة إسرائيل مطار العريش لنزول القوات الأمريكية الجبارة التى تحمل الدبابات وكل الأسلحة الحديثة.

(جـ) لقد دخلت أمريكا الحرب لانقاذ إسرائيل.

(د) وأعود إلى يوم ١٠/١٦ أرسلت رئيس الأركان الجنرال سعد الشاذلى للتعامل مع الثغرة وكان من السهل جداً التعامل معها ... ولكنه أضاع الليلة بأكملها فى جمع المعلومات وإنشاء قيادة له ينافس بها قيادة غريمه الجنرال أحمد اسماعيل، وكانت قوات الصاعقة قد تقدمت إلى الدفرسوار ووصلت فعلا إلى نقطة النزول واعترف الإسرائيليون بشراسة قتال قوات الصاعقة والقوات الخاصة ولكن الشاذلى أعطاهم الأمر بالانسحاب إلى أن يجمع المعلومات وكانت النتيجة أن توسع اليهود فى الثغرة.

(هـ) وقال السادات إنه أرسل للرئيس حافظ الأسد بأنه مضطر لقبول وقف إطلاق النار لأن أمريكا دخلت الحرب بمعلوماتها وأقمارها وأسلحتها المتطورة.

٣ - المواجهة الأمريكية - السوفييتية:

مع تدهور الموقف على الجبهتين السورية والمصرية تحرك الأتحاد السوفييتى وأقام جسرا جويا لامداد مصر وسوريا بالأسلحة، واستمرت الولايات المتحدة فى نقل المعدات عالية التقنية إلى إسرائيل، ونشطت الدبلوماسية داخل مجلس الأمن فصدر القرار ٣٣٨ فى ٢١ - ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ دعا فيه جميع الأطراف إلى وقف إطلاق النار وإنهاء كل نشاط عسكرى فى فترة ١٢ ساعة وذلك فى المواقع التى يحتلونها «الآن» ويدعو المجلس كل الأطراف المعنية إلى تنفيذ قرار مجلس الأمن ١٩٦٧/٢٤٢ بجميع أجزائه ويقرر مجلس الأمن أن تبدأ المفاوضات فوراً تحت الاشراف الملائم بهدف إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط (١).

وقد اكتنف صدور هذا القرا والقرارات اللاحقة مناورات وضغوط وتهديدات علنية وضمنية من كل الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية، وقد دعا الاتحاد السوفييتى إلى تنفيذ القرار ٣٣٨ بالقوة لاعادة القوات الإسرائيلية إلى خط ٢٢ أكتوبر، وهددت الولايات المتحدة بأن أعلنت حالة الاستعداد بين قواتها فى مختلف أنحاء العالم، ثم صدر القرار ٣٣٩ عن مجلس الأمن فى ٧٣/١٠/٢٣ يدعو فيه إلى إعادة القوات إلى المواقع التى كانت

---

(١) انظر فحوى القرار فى مجلة السياسة الدولية العدد ١٩٧٤/١ ص ٢٠١ .

تحتلها وقت سريان ايقاف إطلاق النار ويطلب إلى السكرتير العام اتخاذ تدابير لايفاد مراقبين من الأمم المتحدة فوراً للإشراف على هذه المهمة (١).

والذى أدى إلى هذه المواجهة والجلبة التى شهدها مجلس الأمن بصدور القرارات الأربعة المتالية فى نفس الشهر ٣٣٨،٣٣٩،٣٤٠،٣٤١ هو أن مصر بعد أن قبلت ايقاف إطلاق النار فى ٢٢/١٠/٧٣ قامت إسرائيل باغتنام الفرصة لتطويق الجيش المصرى الثالث فى شرق القناة مما أدى بالسادات إلى دعوة القوتين العظمتين بارسال قواتهما لتنفيذ وقف إطلاق النار عند مواقع ٢٢/١٠ (٢).

ونظرا لاصرار الأتحاد السوفييتى على تصحيح الوضع وانقاذ الجيش الثالث فقد ضغطت الولايات المتحدة على إسرائيل فى إطار موقف «حافة الحرب» أى احتمالات المواجهة بين العملاقين ضغطت لقبول إسرائيل السماح لقوات الطوارئ الدولية بنقل المؤن غير العسكرية إلى الجيش المصرى الثالث (٣).

والجدير بالذكر أن استخدام الدول العربية لسلاح النفط فى ١٨/١٠/١٩٧٣ وخفض تصديره إلى الولايات المتحدة كان له أكبر الأثر فى استجابة الولايات المتحدة وممارستها لضغوط محسوبة على إسرائيل (٤).

---

(١) فحوى القرار ٣٣٩ انطر السياسة الدولية، القاهرة، ١/١٩٧٤ ص ٢٠١، وكذلك د. أحمد عبد الرحيم مصطفى «الولايات المتحدة والمشرق العربى» المرجع السابق ص ٢٤٣ ـ ٢٤٦ .
(٢) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى «الولايات المتحدة والمشرق العربى» ص ٢٤٥ .
(٣) نفس المرجع ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .
(٤) نفس المرجع السابق ص ٢٥٠، وكذلك أنور السادات «البحث عن الذات» المرجع السابق الاشارة إليه ص ٢٧٨ ـ ٢٨٠ .

رؤية لحكاية الثغرة بعد ٢٢ سنة من حرب أكتوبر ١٩٧٣

وبعد استعراضنا للروايات المتعددة التى رويت فى موضوع الثغرة. فإنه من الجدير بالذكر أن نشير إلى أن جريدة العربى - وبعد اثنين وعشرين عاما - نشرت تحقيقا صحفيا بعددها رقم (١١٩) بتاريخ ٩/١٠/١٩٩٥ شرحت فيه قصة الثغرة الكاملة وما ترتب عليها من آثار سياسية وعسكرية.

وقد رأينا أن نسردها كما وردت بالتحقيق الذى نشرته الجريدة، حرصا منا على إطلاع القارئ على كل ما نشر دون تدخل منا.

وهذه هى قصة الثغرة كما روتها الجريدة:.

الورقة الأولى

البدايات

كان الجيش المصرى قد أنهى المرحلة الأولى من حرب أكتوبر بنجاح مذهل وذلك بإتمام عبور كامل الوحدات المقاتلة للفرق الخمس مع مدرعاتها، وبعد أن تم توحيد رؤوس الجسور فى ثلاثة لتشكل كل فرقتين رأس جسر واحد، على مستوى الجيش وبعمق ١٠ - ١٢ كيلو مترا:

- فى الجنوب: فرقتا مشاه.
- مقابل الإسماعيلية: فرقتا مشاه.
- مقابل مدينة القنطرة. فرقة مشاه واحد.

ونجحت قيادة الجيش الثانى (مقابل الإسماعيلية) فى الاستيلاء على بعض المواقع الإسرائيلية الحصينة ومنها مقر قيادة شارون غرب «الطاسة»، وذلك بعد أن حاول شارون القيام بهجوم مضاد دون أمر القيادة ففشل فى هجومه وانسحب. وتابعت القيادة المصرية تقوية الخط الدفاعى الذى أنشئ، وعمقت رؤوس الجسور حتى ١٥ كم فى بعض المناطق.

ولكن بعض الوحدات الإسرائيلية كانت قد اكتشفت الفجوة بين الجيشين الثانى والثالث شمال البحيرة المرة الكبرى المقابلة للدفرسوار.

وفى الوقت الذى صدر القرار المصرى بالوقفة التعبوية بعد النجاح المذهل للعبور، كان الإسرائيليون يفكرون فى طريقة للالتفاف حول هذا النجاح.

- كيف؟ كان هذا هو السؤال الذى بدأ يلح على الإسرائيليين؟

وفى كثير من الكتابات حول حرب أكتوبر من المتخصصين أو أولئك الذين شاركوا فى قيادة عمليات الحرب، فإن خط بارليف كان قد سقط فى الثلاثة أيام الأولى للحرب والسادات نفسه يعترف بذلك فى «البحث عن الذات».

وكانت الفرصة - متاحة - ولا نقول ضخمة، لاستغلال هذا النجاح الباهر، ثم الفشل الكبير للهجوم المضاد الإسرائيلى، نقول كانت الفرصة متاحة لكى تندفع القوات نحو منطقة الممرات مستغلة اختلال توزان العدو وضعف قواته نسبياً.

ولكن هذا لم يحدث.

الأسباب كثيرة .. والآراء متعارضة.

ولكن الجميع يوافق على أن الفرصة كانت قائمة.. وضاعت.

- يقول الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل «اعتقادى الشخصى أنه لو كان التقدم نحو الممرات قد استمر والاستيلاء عليها قد تم لأمكن تحرير سيناء كلها مع ما يترتب على تحريرها بنصر كهذا من نتائج سياسية لا يمكن تقديرها».

ومع بداية الوقفة التعبوية - فى رابع يوم قتال - اكتشف العدو عدم وجود نية مصرية بالتحرك السريع نحو الممرات، فقرر متابعة القتال على الجبهة الشمالية (سوريا) بقوة، ودفع معظم احتياطاته الإستراتيجية.

وبدأ يحقق على هذا الصعيد بعض النتائج، ووجدت القوات السورية نفسها فى وضع صعب.

وأخذت العلاقات بين القيادات فى مصر... وفى سوريا التى بدأت بالتحالف والتنسيق.. طريقها نحو الأفتراق منذ تلك اللحظة.

كانت تلك هى أولى الاختراقات فى العلاقة بين مصر وسوريا وكانت تلك هى أولى نقاط التدهور فى الموقف العربى بعد عبور ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

والشاهد أن المشير أحمد اسماعيل أخبر هيكل - كما روى بنفسه فى «الطريق إلى رمضان» - أنه كان ينوى الاندفاع نحو الممرات

ولكن بسبب تركيز الهجوم على الجبهة السورية فأنه «لابد لنا إذا ما تحول العدو وركز كل هجماته علينا من أن نتجنب بأى ثمن أن تكون قواتنا منتشرة بطريقة خطيرة».

وأصبحت كل جبهة تقاتل منفردة.

وأنتقلت المبادرة من يد العرب (مصر وسوريا) إلى أيدى إسرائيل مرة أخرى.

وكانت هذه أولى بوادر التحسن فى الموقف الإسرائيلى بعد زلزال ٦ أكتوبر.

وخلال الأيام من ٦ حتى ١٠ أكتوبر كانت القوات المسلحة المصرية قد استطاعت أن تمحو إلى الأبد عار ما حدث فى يونيو ١٩٦٧، وأن تسقط نظرية الأمن الإسرائيلية وتحقق مفاجأة استراتيجية بكل المقاييس، فى نفس الوقت الذى عبرت فيه إلى الضفة الشرقية من القناة لكى يسقط بين أيدى رجالها خط بارليف الذى طالما تغنى العدو بقدرة وقوة تحصيناته الجبارة.

لكن الأيام التالية كانت تحمل فى طياتها - كما يقول هيكل - قصة مختلفة.

- وقفة تعبوية.

- وتركيز للهجوم الإسرائيلى ضد الجبهة الشمالية.

- وحالة انتظار فرضت على القوات المصرية.

وبعدها ـ بعد طول انتظار والزمن فى أوقات الحرب أكثر منه فى الأوقات الأخرى دائما يقاس بالدقائق والثوانى ـ قامت القوات المصرية يوم ١٤ أكتوبر بالتقدم شرقاً باتجاه الممرات بعد أن كانت الفرصة المتاحة قد ضاعت.

وفشل ما سمى فيما بعد بـ «تطوير الهجوم» وانتهت المعركة بخسائر كبيرة فى المدرعات المصرية.

وكما ذكر الأستاذ هيكل فى «الطريق إلى رمضان» ، فقد حدث بعد فشل الهجوم المصرى الذى بدأ يوم ١٤ أكتوبر أن صدرت الأوامر للجيش فى شرق القناة أن يتخذوا مراكز دفاعية ويتشبثوا بالأرض التى احتلوها ويقاوموا هجمات العدو. وكانت وجهة نظر الرتب العليا من ضباط القيادة المصرية أنه من الأفضل العودة إلى الخطة البديلة التى تقوم على أساس جعل الإسرائيليين يضربون رؤوسهم ويحطمونها فى جدار النيران المنصبة عليهم من نقط إرتكاز بدلا من المجازفة بالاشتباك معهم فى معركة فى عمق سيناء أغلب احتمالاتها أن تكون لهم اليد الطولى فيها».

وبدا أن زمام المبادرة قد انتقل إلى أيدى الإسرائيليين.

وبدأت فكرة القيام بعمليات التفاف وتطويق تناقش منذ١٠ أكتوبر.

الفكرة ليست بغريبة عن العقيدة العسكرية الإسرائيلية التى تعتمد مبدأ الحرب الخاطفة أو الصاعقة وتطبيقها باتباع استراتيجية «التقرب غير المباشر» وذلك بالقيام بتطويق مؤخرة جيش الخصم

لأحداث انهيار فى القيادة تحت وطأة الصدمة النفسية التى يحدثها مثل هذا التطويق.

المصادر الإسرائيلية تؤكد أنه بعد احتلال سيناء عام ١٩٦٧ وخلال قيادة شارون للمنطقة الجنوبية منذ العام ١٩٦٩، وحتى قبل حرب أكتوبر بشهور، وضعت خطة عبور درست احتمالاتها، كما عينت ثلاث مناطق للعبور :- فى القنطرة - ومقابل الدفرسوار - وشمال مدينة السويس وجهزت الأماكن لتجميع الآليات ومعدات العبور فى هذه المناطق.

وسواء كان ذلك صحيحا أم غير صحيح فهو ليس مستغربا عن العقيدة العسكرية الإسرائيلية.

وهكذا تقرر القيام بعملية عبور مضاد.

فى القيادة الإسرائيلية كان هناك خلاف فيما إذا كان يمكن لشارون أن يقوم بعملية العبور المضاد منذ ١١ أكتوبر أو تأجيلها لتجميع عدد أكبر من الوحدات الاحتياطية طالما أن القوات المصرية اتخذت وضعا دفاعيا ولا تشكل خطرا متفاقما وفوريا على القوات الإسرائيلية، وخاصة أن عمق سيناء يسمح بمبادلة الوقت بالأرض وإذا قامت القوات المصرية بهجوم فى عمق سيناء فسيكون ذلك أفضل لأن القوات الإسرائيلية تمركزت دفاعيا استعدادا لمثل هذه العملية بعد أن أعطيت الوقت الكافى بسبب الوقفة التعبوية المصرية وبذلك تضمن إسرائيل تدمير أكبر عدد من المدرعات المصرية التى كانت ستسحب من غرب القناة مما يسهل عملية العبور ويقلل الخسائر.

إلا أن عملية انتظار الهجوم المصرى لم تكن هى العنصر الأساسى فى الاعتبار الإسرائيلى لاتخاذ مثل هذا القرار، فرئيس أركان العدو أصدر أمره فى ١٣ أكتوبر بأن تتم عملية العبور مساء ١٤ أكتوبر سواء تم الهجوم المصرى صباح ذلك اليوم أم لم يتم.

وحين قام الهجوم المصرى صباح ذلك اليوم وجدت القوات الإسرائيلية أن الفرصة التى كانت تنتظرها لإيقاع أكبر خسائر بالمدرعات المصرية فى حرب الحركة قد جاءت وهذا ما تم لها خلال ساعتين وأجل العبور لمساء يوم ١٥ أكتوبر.

الورقة الثانية

الخطة

وكان العد التنازلى للقيام بعملية الثغرة قد بدأ.

تلخصت خطة العبور الإسرائيلية فى أن يقوم شارون بقيادة هذه العملية، فقسم ألويته الأربعة إلى لواء يشاغل الجناح الأيمن للجيش الثانى المصرى بهجوم يهدف إلى تثبيته باتجاه محور الطاسة - الإسماعيلية، بينما يقوم لواء ثانى بالإلتفاف جنوباً ثم شمالا، مستغلا عدم وجود قوات مصرية على الشاطئ الشرقى للبحيرة، للقيام بتوسيع مدخل الثغرة وذلك بالضغط على الجناح الأيمن للجيش الثانى باتجاه جنوبى - شمالى كما يؤمن الطريق بين الطاسة وضفة القناة (المزرعة الصينية) والذى كان مهدداً بمدفعية وصواريخ مشاه القوات المصرية، كما يقوم هذا اللواء بحماية مدخل الثغرة بعد

التطهير، ويتبع هذا اللواء لواء مظلى يقوم بالعبور وتأسيس رأس جسر على الضفة الغربية، ومن ثم يتبعه لواء مدرع آخر يقوم بتركيب جسرين للعبور، وبعد ذلك تعبر «فرقة ابراهام آدان» وتتجه جنوباً لحصار الجيش الثالث، بينما يتابع قسم من « فرقة شارون» تقدمه جنوبا وقسم يحمى مدخل رأس الجسر، ولم يكن التقدم بإتجاه الإسماعيلية واردا فى ذلك الوقت لأن القيادة العسكرية الإسرائيلية قررت أن تنهى العملية بسرعة قبل وقف إطلاق النار.

وفى «الطريق إلى رمضان» يقول محمد حسنين هيكل:

تصرف الجنرال شارون والجنرال «تال» على هدى القول المأثور لنابليون ـ كما فعل سلفاهما ديان ويادين فى العام ١٩٤٨ ـ وهو أن من يسيطر على تقاطع الطريق فى المعركة يصبح سيد الأرض وكان أهم تقاطعات الطرق غربى القناة التقاطع الواقع إلى الشرق من الإسماعيلية، والتقاطع المشهور عند الكيلو (١٠١) إلى الغرب من مدينة السويس، والتقاطع المعروف باسم تقاطع عثمان أحمد عثمان، وقد احتلت قوات شارون هذه التقاطعات عندما تأكد الإسرائيليون من أن احتياطى مصر الاستراتيجى قد دخل المعركة.

صدر لشارون فى النهاية الأذن الذى ظل يطلبه لبدء هجومه عبر القناة يوم ١٥ أكتوبر، وكانت هناك فى منطقة الدفرسوار ـ أبو سلطان فجوة بلا حراسة بالفعل، مسافتها نحو ٤٠ كيلو مترا تفصل بين الجيشين واستطاعت القوات البرمائية الإسرائيلية التى عبرت البحيرات المرة أن تنشئ لنفسها نقطة ارتكاز سريعة فيها.

ثم يقول هيكل:

«مما يثير الدهشة أنه كانت فى خط بارليف نقطتان حصينتان لم تتم تصفيتهما أو إنسحاب الجنود الإسرائيليين منهما، وكانتا أداة عون كبير للقوات الإسرائيلية التى عبرت القناة» (!).

ويستطرد:

«واستطاعت هذه القوات التى كانت تتقدم شمالا فى صباح يوم ١٦ أكتوبر أن توسع الممر الذى عبرت منه، ولم يأت بعد ظهر ذلك اليوم إلا وكانت وحدات عدة كاملة تقف عبر القناة، وقد أبلغت بعض الوحدات المرابطة فى المنطقة بما يحدث فيها، لكن الاتصالات بين الجبهة ومقر القيادة العامة كانت سيئة جداً».

وكانت تلك هى الثغرة الحقيقية!

كانت العملية قد بدأت فى الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم ١٥ أكتوبر إلا أن الدفاع المصرى، المشاة والمدفعية، كان عنيفا جدا على طريق الطاسة - المزرعة الصينية بحيث استطاع تأخير تقدم اللواءين المكلفين بالعبور، ولكن بعض القوات المظلية الإسرائيلية استطاعت التسلل خلال المعارك ووصلت إلى ضفة القناة ولكن دون أن يستطيع العدو إقامة الجسر بسبب القصف المدفعى، وعندما رأى شارون هذا التأخير أمر وحدة مكونة من مائتى مظلى بالعبور بقوارب مطاطية مع سبع دبابات برمائية وعشر ناقلات جنود برمائية بعد الساعة الواحدة من صباح ١٦ أكتوبر، وشددت القوات المصرية تهديدها للطريق بين الطاسة ومنطقة العبور وجرت معارك ضارية ألحقت

بالإسرائيليين خسائر كبيرة بالأرواح والمعدات.

كانت المعارك على محورى الطاسة - الإسماعيلية من ناحية والطاسة - المزرعة الصينية، تشى بالأهداف الحقيقية وراء الهجوم الإسرائيلى، ولكن ضعف الاتصالات من جهة، وعدم تقدير حقيقة الأهداف الإسرائيلية من ناحية أخرى كان وراء اتساع الثغرة دون أى رد فعل ذى أثر فعال على أرض المعركة.

رواية الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية فى حرب أكتوبر تقول: «إن الفرصة كانت قائمة فى منع القيادة الإسرائيلية من المجازفة بالعبور المضاد إذا ما جرى الموافقة على اقتراحاته الخاصة بإعادة الاتزان إلى الأوضاع الدفاعية التى اتخذها انتشار الجيشين الثانى والثالث فى شرق القناة».

يقول فى كتابه «حرب أكتوبر» «فى صباح يوم ١٥ أكتوبر اقترحت إعادة تجميع الفرقة ٢١ مدرعة والفرقة الرابعة المدرعة فى غرب القناة حتى يمكننا أن نعيد الإتزان إلى موقفنا الدفاعى، ولكن الوزير (أحمد إسماعيل) عارض الإقتراح على أساس أن سحب هذه القوات قد يؤثر على الروح المعنوية للجنود وقد يفسره العدو على أنه علامة ضعف فيزيد من ضغطه على قدراتنا ويتحول الإنسحاب إلى ذعر».

لم أكن لأوافق على هذا الرأى.

كنا نتكلم بلغتين مختلفتين ولا يستطيع أى منا أن يقتنع برأى الآخر.

هناك سبب آخر لعدم سحب القوات ـ يقول الشاذلى ـ ولكنه كان سببا سياسيا، فقد كان مقررا أن يلقى السادات خطابا سياسيا مهما أمام مجلس الشعب المصرى، وكان السادات يريد أن يسمع صوته لأمريكا وإسرائيل من موقع قوة.

إلى الآن لم يقل لنا أحد هل كان فى مخطط القيادة احتمال قيام إسرائيل بمثل هذا الاختراق؟

هيكل يقدم إجابة على هذا التساؤل فية رل فى «الطريق إلى رمضان» كان المخططون المصريون يضعون هذا فى اعتبارهم وأعدوا بالفعل خطة لمواجهة هجوم تقوم به القوات الإسرائيلية على الضفة الغربية للقناة أطلق عليها اسم «الخطة ٢٠٠» وخصصوا لها القوات التى ستقوم بتنفيذها وكان الدفرسوار أحد ثلاثة أماكن محتملة لاستخدامها فى العبور إلى الضفة الغربية.

وكانت الخطة تقوم على تصور اختراق الدفاعات المصرية عند نقطة الالتقاء بين الجيشين، وعبور القناة بقوات ومعدات كافية لقطع المواصلات المصرية، وتدمير عدد كاف من مراكز الصواريخ لفتح فجوة فى غطاء الدفاع الجوى المصرى تمكن الطائرات الإسرائيلية من الاشتراك فى المعركة، ولمجرد أن تؤمن القوات الإسرائيلية ركيزة لنفسها فى الضفة الغربية فأنها عندئذ تتفرق فى وحدات صغيرة وتنتشر بسرعة فى منطقة واسعة، ويعود بذلك إلى الجيش الإسرائيلى دوره التقليدى بأنه «فى كل مكان لكنه ليس فى أى مكان».

الورقة الثالثة

المواجهة

وهكذا ومع التباشير الأولى ليوم ١٦ أكتوبر بدأ المظليون الذين عبروا إلى الغرب بالانتشار فى جماعات لتدمير قواعد صواريخ سام وفتح ثغرة فى شبكة الدفاع الجوى المصرى وتسهيل عمل الطيران الإسرائيلى، وتم لهم تأسيس رأس جسر بعرض ٥ كيلو مترات فى غرب القناة حول مطار الدفرسوار غير المستعمل منذ العام ١٩٦٧ وفى ذلك الوقت تمكنت بعض قوات المشاه الإسرائيلية، والدبابات من الوصول إلى منطقة العبور. إذ عبر حوالى ٢٠٠٠ جندى مع ٣٠ دبابة على عبارات متحركة لعدم تمكن العدو من تثبيت الجسر، ومنذ الساعة ٣٠ر١١ صباح ١٦ أكتوبر توقف العبور الإسرائيلى لعدم وصول قوات جديدة وبسبب شدة القصف المدفعى المصرى ولم تعبر أية وحدة معادية طوال ٣٧ ساعة.

كانت الفرصة ـ ربما الأخيرة ـ متاحة لسحق العملية عند نقطة بدايتها، وكانت العملية إلى هذه اللحظة فاشلة عسكريا ويسهل سحقها.

ولكن ..

كيف علمت القيادة العامة للقوات المسلحة بالمعلومات الأولى عن اختراق العدو .. ومتى؟

يجيب الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس الأركان فيقول:

على مستوى القيادة العامة للقوات المسلحة وصلتنا المعلومات الأولى عن اختراق العدو صباح يوم ١٦ أكتوبر، كانت المعلومات مقتضبة ولا تثير أى انزعاج وكان البلاغ الأول يقول:

«نجحت جماعات صغيرة من العدو فى العبور إلى الضفة الغربية ويقوم الجيش باتخاذ الإجراءات اللازمة للقضاء عليها».

كانت المعلومات الأولية مطمئنة إذن ورغم ذلك ـ يقول الشاذلى ـ فقد رفعت درجة استعداد اللواء المدرع ٢٣ الموجود فى القاهرة وأصدرت إلية أمراً انذاريا بأن يستعد للتحرك إلى الجبهة فى قطاع الجيش الثانى.

ولكن الأمر تغير فجأة وبدأت بوادر الانزعاج تحل محل الشعور بالطمأنينة.

يقول الشاذلى: فى خلال نهار يوم ١٦ أكتوبر بدأت المعلومات تصل إلينا بأن عددا من كتائب الصواريخ سام قد هوجمت بواسطة دبابات العدو، وكانت بعض هذه الكتائب تقع على عمق حوالى ١٥ كيلو مترا غرب القناة، كان الموقف مائعا وعجزت قيادة الجيش عن تحديد حجم ومكان القوة المعادية، كانت دبابات العدو تظهر فجأة بقوة ٧ إلى ١٠ دبابات بالقرب من أحد مواقع سام ثم تشتبك مع الموقع من مسافة ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ متر فتقوم بتدميره أو إسكاته ثم تنسحب فجأة لتظهر فى مكان آخر وهكذا.

ولم تكن كتائب الصواريخ سام لديها الأسلحة التى تستطيع أن ترد بها على مثل هذا الهجوم وبالتالى فإن دبابات العدو كانت

تنسحب بعد تنفيذ المهمة بها دون أن تتلقى عقابا، هكذا يقول رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية الأسبق.

وقبل أن نعرف كيف تصرفت القيادة العسكرية مع موضوع الثغرة بعدما تبينت بعض ملامحها، نعود لكى نلقى الضوء على ما حدث فى صباح اليوم نفسه، حيث كانت القيادة السياسية ممثلة فى أنور السادات ترى أن «الوقت يدنو من بدء المرحلة السياسية من الحرب» لذا فقد قرر أن يتحدث إلى مجلس الشعب وأن ينتهز فرصة هذا الحديث ليعرض مشروع سلام.

قال السادات أمام عدسات التليفزيون وميكروفونات الإذاعة:

١ - أن مصر مستعدة لوقف القتال بشرط إنسحاب إسرائيل إلى خطوط يونيو ١٩٦٧ .

٢ - بمجرد حدوث الإنسحاب فإن مصر مستعدة لحضور مؤتمر سلام تعقده الأمم المتحدة.

٣ - أن مصر مستعدة لأن تبدأ العمل فورا فى تطهير قناة السويس بحيث تفتح للملاحة الدولية.

نسنطيع أن نقول - اليوم - أن الوقت كان مبكراً لمثل هذه المقترحات ولكن هذا ما حدث.

وكانت جولدا مائير رئيسة وزراء العدو على موعد للحديث فى الكنيست الإسرائيلى يقارب موعد إلقاء السادات لخطابه أمام مجلس الشعب، وعندما علمت أن الرئيس المصرى سوف يتحدث فى الموعد

نفسه قررت أن تعطى نفسها فرصة للرد على ما سوف يتضمنه خطاب السادات.

يقول محمد حسنين هيكل:

وعاد الرئيس السادات من مجلس الشعب إلى قصر الطاهرة فى موكب أكثر حماسة وعاطفية من ذلك الذى لقيه ذاهبا إليه، واتصل تليفونيا بـ «محمد حسنين هيكل».

وكان خطاب جولدا مائير يلح على الاهتمام أكثر من أى شاغل أخر، وقام هيكل بإبلاغ الرئيس السادات بما قالته جولدا مائير فى خطابها وقرأ عليه برقية من وكالة «الأسوشتيدبرس» نصها:

«أعلنت جولدا مائير أمام الكنيست الآن أن القوات الإسرائيلية تحارب شرق وغرب قناة السويس».

وبدا أن الرئيس السادات مستنكر لما يسمع، وكان رد فعله الفورى هو أن ما قالته جولدا مائير هو مجرد محاولة لاضعاف تأثير خطابه على العالم، وكان رأى هيكل «أن الموضوع لابد أن يكون له أساسا بشكل ما لأنه لا يتصور أن تقف رئيسة وزراء إسرائيل أمام الكنيست وتقول كلاما مختلقاً بالكامل».

ورد الرئيس السادات بأنه سوف يسأل الفريق أحمد إسماعيل ويعود للاتصال بـ هيكل مرة ثانية.

وبعد عشر دقائق عاد الرئيس السادات يتصل بـ هيكل، ورأيه أنه يظهر أن «الأمور مفكوكة فى إسرائيل وقد عملوا اليوم مسرحية

فبعثوا بشوية دبابات تبرجس».

ولما أبدى هيكل عدم فهم لكلمة «تبرجس» ترجمها الرئيس السادات بقوله:- يعنى فوتوا شوية دبابات يتسللوا للغرب ويستخبوا فى وسط الشجر علشان تقدر تقول أن عندها قوات فى الغرب.

ثم أبدى الرئيس السادات اقتناعه بـ «أنها مسرحية قصد بها اعطاء جولدا مائير شيئا تتكلم عنه فى خطابها لكى تغطى خطابه هو وتشوش عليه».

ثم عبر عن يقينه بأن هذه الدبابات دخلت مصيدة لن تخرج منها.

كان هذا هو تصور القيادة المصرية لأهداف عملية الثغرة عند بدايتها!

يتابع هيكل فيقول:

ولم تكد المكالمة مع الرئيس السادات تنتهى، حتى دق التليفون وكان المتحدث هو الفريق أحمد اسماعيل الذى بدأ على الفور بكلمات عتاب أبدى فيها أنه «ليس من الضرورى إزعاج الرئيس بأى خبر تنقله وكالات الأنباء ثم أضاف أن:

«كل ما هنالك هو ٧ أو ٨ دبابات تبرجس»

وسأله هيكل:

- إذن فلابد أن تكون أنت صاحب تعبير «البرجسة» الذى سمعته

الآن من الرئيس السادات؟

ورد الفريق أحمد إسماعيل قائلا:

هل تريد أن تقول إنك لا تعرف شيئا عن برجسة الخيل؟ الخيل عندما ترقص؟

وكان تقدير القائد العام بعد ذلك «أن ما قامت به إسرائيل هو محاولة من محاولات الحرب النفسية أكثر منها عملا عسكريا، فهى تريد استغلال مقولة أنهم يقاتلون فى الغرب بقصد إعطاء قوة لخطاب جولدا مائير، وأيضا للتأثير على الرأى العام الإسرائيلى الذى أصبح على علم كامل بحجم الخسائر الإسرائيلية فى الحرب».

وحوالى الساعة الرابعة بعد الظهر وكانت وكالات الأنباء ملأى بأخبار عن العمليات العسكرية الإسرائيلية غرب القناة، عاد هيكل فاتصل بالفريق أحمد اسماعيل قائلا له أنه يشعر بالقلق لسببين:

١ ـ أن برقيات معظم وكالات الأنباء القادمة من منطقة القتال (datliive) من غرب القناة، وهذا معناه أن هناك مراسلين لوكالات الأنباء العالمية موجودون فعلا فى المنطقة.

٢ ـ أن برقيات وكالات الأنباء تتحدث عن وجود جنرال إسرائيلى مع القوات فى الغرب، وإذا كان هناك جنرال إسرائيلى فى مواقع بهذه الخطورة فمعنى ذلك أن هناك قوات إسرائيلية لا يمكن أن يقل حجمها عن مجموعة لواء.

وكان الفريق أحمد اسماعيل على استعداد لأن يقبل أن حجم

المدرعات الإسرائيلية التى تسللت إلى الغرب أكبر ما جرى تقديره سابقا، ثم كان قوله بعد ذلك أنه سوف يتم القضاء هذه الليلة على كل الدبابات الإسرائيلية التى عبرت إلى الغرب.

ثم عاد الفريق أحمد إسماعيل بعد ساعة واتصل قائلا:

- إن تقديرنا هو أن هذا نوع من حرب العصابات بالدبابات وسوف يتم القضاء على هذه القوة الليلة حتى ولو اضطررنا إلى حرق كل مزارع الفاكهة التى تختبئ فيها هذه الدبابات.

يبدو أن هذا كان كلاما للجرائد ليس أكثر. فالذى حدث فى المركز رقم ١٠، مقر قيادة الحرب كان شيئا آخر.

الورقة الرابعة

الخلافات

رواية سعد الدين الشاذلى تحكى التفاصيل فيقول:

عقد مؤتمر بالقيادة بعد ظهر يوم ١٦ لبحث الموقف واتفقت مع الوزير على أن نقوم بتوجيه ضربة قوية ضد العدو فى منطقة الاختراق صباح يوم ١٧ ولكننا اختلفنا مرة أخرى على طريقة توجيه هذه الضربة.

كانت نظريتى فى ضرورة إعادة الاتزان إلى مواقفنا الدفاعية بسحب جزء من قواتنا فى الشرق إلى غرب القناة مازالت قائمة.

كان الوزير مازال ضد أية فكرة لسحب القوات من الشرق إلى

الغرب، وبالتالى رفض سحب الفرقة الرابعة مدرعة وقرر أن يقوم اللواء المدرع ٢٥ بتوجيه ضربة من شرق القناة فى اتجاه من الجنوب إلى الشمال لكى يلتقى مع هجوم الفرقة ٢١ مدرعة، وأن يقوم اللواء ١١٦ مشاه بتوجيه ضربة ثانوية من الغرب إلى الشرق.

كان هناك إذن خلاف بينى وبين الوزير، فبينما كنت أريد أن تكون ضربتنا الرئيسية موجهة إلى الثغرة من غرب القناة مع توجيه ضربة ثانوية ضد فتحه الثغرة شرق القناة، كان الوزير يرى العكس تماما، فقد كان يرى أن تكون الضربة الرئيسية من شرق القناة وأن تكون الضربة الثانوية من غرب القناة.

ماهى مزايا وعيوب وجهتى نظر الوزير ورئيس الأركان؟

هيكل يتولى الرد فيقول:

كان رأى الفريق أحمد إسماعيل هو الأكثر رجاحة فى هذه اللحظة لأى مراقب ينظر إلى الموقف نظرة شاملة، فالقائد العام لم يكن ينظر إلى الموضوع من وجهة نظر العمليات فقط، وإنما كانت نظرته أشمل، وقد قال بوضوح أنه إذ بدأ سحب قوات الفرقة المدرعة إلى غرب القناة فى هذه الساعات فإن القوات كلها فى الشرق سوف تشعر بحركتها وقد تتصور خصوصا مع إنتشار أخبار الثغرة ـ أن تلك مقدمة لإنسحاب عام يقوم به الجيش المصرى من الشرق وبالتالى فإن هذه القوات سوف تبدأ ـ راضية أو كارهة ـ فى التأثر بعملية الإنسحاب وهذا قد يعيد إليها أجواء سنة ١٩٦٧ .

يستطرد هيكل:

كان الفريق أحمد إسماعيل على حق، ففى تلك اللحظات وبصرف النظر عن آية آراء سابقة فإن الإعتبارات النفسية كان لابد أن يكون لها الغلبة فى أى حساب تخطيط لطريقة مواجهة الثغرة.

لكن المشكلة الكامنة أن الاختلاف الذى احتدم بين الرجلين وتفجر أخرج ما كان مكتوما فيصدر كل منهما تجاه الآخر من تأثيرات علاقاتهما السابقة.

وكان منطقيا أن ينحاز الرئيس السادات إلى صف الفريق أحمد إسماعيل، لكنه من تأثير الضغوط الواقعة عليه ترك انحيازه يتحول إلى إهانة لرئيس الأركان.

هذه شهادة هيكل ورأيه.

ولكن ماذا يقول الفريق الشاذلى؟

فى رأى الشاذلى أن المزايا التى كان يمكن تحقيقها من خلال خطته عديدة تتمثل فى الآتى:

اللواء المدرع ٢٥ كان ضمن الواجبات التى تدرب عليها قبل بدء القتال تدمير العدو إذا نجح فى الاختراق فى منطقة الدفرسوار.

وبالتالى فإن ضباط وجنود اللواء كانوا على إلمام تام بطبيعة الأرض التى تقع غرب القناة ويعرفون كل ثنية أرضية فى الأرض التى سوف يقاتلون عليها وتلك ميزة عظيمة يجب ألا نضحى بها.

إن سحب الفرقة المدرعة الرابعة واللواء المدرع من شرق القناة إلى غربها سوف يعيد الاتزان إلى مواقفنا الدفاعية ويجعلنا أكثر قدرة

على مقابلة أى تهديد يقوم به العدو للوصول إلى مؤخرة قواتنا.

- إن قيامنا بتوجيه الضربة الرئيسية غرب القناة يضمن لنا اتمامها تحت مظلة الدفاع الجوى سام، أما إذا قمنا بها من الشرق فسوف تتم خارج هذه المظلة ويمكن أن تقع قواتنا فريسة للهجوم الجوى المعادى وأن حادث تدمير اللواء الأول مشاه بواسطة طيران العدو لم يكن قد مضى عليه سوى خمسة أيام فقط.

إن توجيه الضربة الرئيسية بقوة لواءين مدرعين من غرب القناة تحقق لنا قوة الصدمة التى يمكن أن نوجهها للعدو بالإضافة إلى توفير القوات اللازمة لتأمين قاعدة الهجوم وأجنابه، أما إذا قام بها اللواء المدرع ٢٥ من الشرق فإن الضربة ستكون ضعيفة وسوف تكون قاعدة هجومه وجانبه الأيمن معرضين للخطر.

رفض الفريق أحمد إسماعيل الاقتراح وكان هناك أمل إذا ماعرض الأمر برمته على القائد الأعلى أن يستجيب لاقتراح الشاذلى.

كان السادات على موعد مع رئيس الوزراء السوفييتى «اليكس كوسيجين مساء اليوم نفسه «١٦ أكتوبر»، وخلال اجتماعه الأول معه رفض السادات مشروعا بقرار يصدر من مجلس الأمن بوقف إطلاق النار، لأن ذلك كان يعنى قبول وقف إطلاق النار فى المواقع الحالية، ولما كان الإسرائيليون الآن يتواجدون فى مواقع على الضفة الغربية للقناة فقد كان معنى القبول بوقف اطلاق النار أن تبقى القوات الإسرائيلية فى الغرب وهو الذى كان يتوقع - طبقا للتقارير العسكرية

ـ أنه سوف تتم تصفية الثغرة وتدميرها ولو بالحريق هذه الليلة والكلام هنا منقول عن هيكل.

أبلغ الرئيس السادات بعد انتهاء مقابلته مع كوسيجين فى الساعة الحادية عشر والثلث مساء ـ أن الفريق أحمد إسماعيل اتصل به تليفونيا ووجده مشغولا مع رئيس الوزراء السوفييتى فقرر أن يتوجه إلى المركز رقم «١٠» وطلب من مدير مكتبه للشئون العسكرية إبلاغ القائد العام بأنه فى الطريق إليه.

وكان وصول الرئيس السادات إلى مركز القيادة فى وقته تماما.

ويكمل الشاذلى قصة ماحدث بعد ذلك فى حضور السادات فيقول:

بعد ساعات قليلة وصل الرئيس إلى المركز «١٠»، كان لا يزال هناك متسع من الوقت، وفكرت أن استعين برئيس الجمهورية لكى ينقض قرار الوزير وأن يوافق على وجهة نظرى فيما يتعلق بسحب بعض القوات من الشرق وأن نقوم بتوجيه ضربتنا الرئيسية ضد الثغرة من الغرب، شرحت الاقتراحات السابق ذكرها، ولكن الرئيس لم يمهلنى لكى أتم اقتراحاتى وثار ثورة عارمة فى وجهى بعصبية:

ـ أنا لا أريد أن أسمع منك مرة ثانية هذه الاقتراحات الخاصة بسحب القوات من الشرق، إذا أثرت هذا الموضوع مرة أخرى فأنى سوف أحاكمك.

حاولت أن أشرح له ـ يقول الشاذلى ـ بأن المناورة بالقوات شئ والأنسحاب شئ آخر، ولكنه كان فى ثورة عارمة لايريد أن يسمع

ولا يريدنى أن استرسل فى الكلام. لقد أصابنى كلام السادات بجرح عميق، جال بخاطرى أن أستقيل ولكن سرعان ما استبعدت هذا الخاطر. كيف أترك القوات المسلحة فى أوقات الشدة؟ ماذا سيقول عنى الخصوم؟ هرب عند وقوع أول أزمة؟ لا لن أقبل ذلك على نفسى.

..... ابتلعت كبريائى والتمست العذر للسادات وقلت لنفسى: لابد أن السادات أعصابه متوترة حتى أنه لم يستطع أن يواجه الموقف. يجب أن أتحمله ولو مؤقتا من أجل مصر، وهكذا قمنا باصدار التعليمات الخاصةبعمليات يوم ١٧ طبقا للقرار الذى اتخذه الوزير والرئيس.

الورقة الخامسة

التوغل

وفى الوقت الذى كان يبتلع فيه رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية كبرياءه أمام الثورة العارمة، وفقدان الأعصاب لقائده الأعلى، كانت قوات قائد القطاع الشمالى الإسرائيلى ابراهام آدان قد بدأت بالتقدم لتطهير الطريق الذى تهدده القوات المصرية إلى أن تمكنت من فتح إحدى الطرقات الفرعية وأوصلت جسر العبور فى الليل إلى نقطة تركيبه.

وعند ذلك تنبهت القيادة إلى أن هناك عملية عبور كبيرة تجرى وليس بضع دبابات برمائية متسللة كما أبلغ المشير إسماعيل بعد ظهر ذلك اليوم، فقررت شن هجوم بقوات من الجيش الثانى باتجاه

الجنوب، وبقوات من الجيش الثالث باتجاه الشمال لاغلاق مدخل الثغرة فى شرق القناة وذلك ليل ١٦ ـ ١٧ أكتوبر. ولكن قوات شارون وأدان كانت قد تمكنت فى المنطقة انذاك، وفشل الهجوم المصرى وحاولت قوات الجيش الثالث إغلاق المدخل ثانية ففشلت العملية أيضا!

ونامت الجبهة على هذه الأوضاع.

ولكن الرجال لم يكونوا بقادرين على النوم فى ظل هذه الأوضاع.

صباح يوم ١٧ أكتوبر كان جسر العبور الإسرائيلى قد أصبح جاهزا لتدفق القوات إلى غرب القناة، والطيران الإسرائيلى يسيطر على سماء المعركة بسبب تدمير قواعد الصواريخ من قبل القوات المظلية الإسرائيلية وبدأت قوات ادان بالعبور بعد ظهر ذلك اليوم.

أما القيادة المصرية فأوقفت المقاومة إلا بوحدات صغيرة من القوات الخاصة فى غرب القناة التى ابدعت فى الاستبسال. والبطولة ويذكر هيكل أنها نجحت فى الوصول إلى نقطة العبور ولكن أمرت بالتراجع من قبل القيادة.

يقول هيكل بالنص: إلى أن كان يوم ١٧ أكتوبر حيث صدر الأمر إلى تشكيل مشهود له بالكفاءة هو اللواء المظلات المصرى ٢٢ بالتحرك للسيطرة على الموقف، وكانت عناصر من هذا اللواء وصلت تقريبا إلى تقاطع الطرق الإسرائيلية، كما كان رجال الضفادع البشرية بالتنسيق مع قيادة اللواء قد استعدوا لنسف الجسر عندما تلقوا

الأمر بالتراجع وإقامة جبهة على خط الفرقة نفسه الواقفة بجانبهم لتجنب وجود نتوء، وكان من العسير على العقيد قائد اللواء أن يصدق أن هذا الأمر صادر من مقر القيادة المصرية، وطلب تعزيزا له، فجاءه التعزيز من ضابط يعرف صوته ولكنه فى محاولة منه لكسب الوقت، وإتاحة الفرصة لنجاح مهمته فإنه طلب تعزيزا للأمر من مقر القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية فى القاهرة، وجاءه التعزيز أيضا فأضطر رغم أنفه إلى رفع قبضته عن «زمارة» الرقبة الإسرائيلية وكان قاب قوسين أو أدنى منها.

علامة استفهام كبيرة يطرحها هيكل ضمن العديد من علامات الاستفهام التى تطرحها الثغرة ومازال فى حاجة إلى إجابة.

من ناحيته يتهم السادات الفريق الشاذلى بأنه هو الذى أصدر هذا الأمر فيقول فى كتابه «البحث عن الذات»:

كانت قوات الصاعقة قد تقدمت إلى الدفرسوار ووصلت فعلا إلى نقطة النزول، واعترف الإسرائيليون بشراسة قتال قوات الصاعقة والقوات الخاصة، ولكن الشاذلى أعطاهم الأمر بالأنسحاب إلى أن يجمع المعلومات وكانت النتيجة أن توسع اليهود فى الثغرة.

ومن جبهة القتال، إلى الجبه السياسية - :

تلقى الرئيس السادات من مكتبه للشئون العسكرية تقارير أولية عما يجرى فى ميدان القتال، كان أثرها المبدئى عليه هو أن طلب إخطار كوسيجين برجائه فى تأجيل الاجتماع الذى كان مقررا له صباح اليوم إلى بعد الظهر فلم يكن فى مقدوره - ومن وجهة نظره -

أن يجلس مع كوسيجين ويتفاوض بأعصاب هادئة.

وقبل كوسيجين بتأجيل الموعد ولعله رحب به، فقد أحس أنه هو الآخر في حاجة إلى معلومات إضافية تكمل له صورة الموقف على الجبهة قبل أن يقابل الرئيس السادات.

وتضيف رواية هيكل للأحداث فتقول:

دخل السادات إلى إجتماعه مع رئيس الوزراء السوفييتي وقد تشبث في تفكيره بنقطتين، كان الألحاح عليهما في تلك الظروف غير مبرر في الواقع الموضوعي.

في النقطة الأولى راح الرئيس السادات يلوم الاتحاد السوفييتي على تقصيره في إمداد مصر بالسلاح، وقد استشهد مرات بالفارق الكمي والنوعي بين جسر الأمداد الأمريكي لإسرائيل وجسر الأمداد السوفييتي لمصر.

وكانت النقطة الثانية أن الرئيس السادات حاول التهوين من شأن الثغرة الإسرائيلية، مظهرا مقدرة القوات المصرية على التعامل معها وضربها مع تسلميه بأن الأمر قد يحتاج إلى وقت أطول عما كان مقررا.

يقول هيكل الذي ينقل عن محضر للجلسة كتبه المهندس عبد الفتاح عبد الله وزير شئون رئاسة الجمهورية:

وبدا نفاد الصبر على لهجة كوسيجين وهو يتحدث فقد ضايقه ما بدا له أنها محاولة لالقاء اللوم على الأتحاد السوفييتي وبدأ كلامه قائلا:

- إنه يريد أن يتحدث مع الرئيس بصراحة. ثم قال كوسيجين:

- «إننا قبل هذه الأزمة كنا أصدقاء وبهذه الأزمة ونحن فيها معا، فقد أصبحنا حلفاء ولقد قدمنا إليكم ماطلبتموه منا. وحتى هذه اللحظة فإن الجسر الجوى السوفييتى نقل إلى مصر أكثر من ستة آلاف طن من المعدات وقد حاربتم بالمعدات السوفييتية فى الأيام الأولى من القتال بطريقة اثبتت كفايتها وكفاءتها. وبعد ذلك فإن إدارة المعركة كانت فى أيديكم ونحن لم نقترب منها، مع أنه كانت لنا ملاحظات على الطريقة التى دخلتم بها المعركة، وحققتم انتصارا مبدئيا شهد به العالم لكم، ثم توقفتم بعد ذلك دون سبب مفهوم وقد تركتم حلفاءكم على الجبهة الشمالية حتى يضربهم العدو ثم يتحول إليكم، ومع ذلك فأنا لا أريد أن أدخل فى تفاصيل إدارة مجهودكم الحربى لأن ذلك شئ يخصكم. لكنى اضطررت إلى ابداء ما ابديت من الملاحظات ازاء ماقلتموه، والأتحاد السوفييتى ليس على استعداد لقبول ماقلتموه. حين يتحقق انتصار - فهذا الانتصار لكم وحدكم ولا شأن لنا به، وحين تقع مشكلة فنحن سبب المشكلة بتقصيرنا فى إمداد السلاح اللازم وأنتم لادخل لكم بالموضوع».

وفيما يتعلق بالنقطة الثانية عن حجم القوات الإسرائيلية التى تمكنت من دخول الثغرة فقد قال كوسيجين:

- «صديقنا الرئيس السادات يقلل من الخطر الذى تواجهه القوات المصرية وأنا مضطر أن أضع أمامه الحقيقة حتى يستطيع أن يقيم حساباته على أساس سليم».

والتفت كوسيجين إلى أحد العسكريين من أعضاء وفده، الذى رفع حقيبة كان يضعها تحت مائدة الاجتماع ثم فتحها وأخرج منها مظروفا كبيرا سلمه لـ «كوسيجين» الذى أخرج منه مجموعة من الصور الفوتوغرافية الملتقطة بالأقمار الصناعية «وكان عددها ١٨ صورة»، وقام كوسيجين من مقعده متجها إلى الناحية التى يجلس عليها الرئيس السادات من مائدة المفاوضات، ثم وضع أمامه الصور راجيا منه أن يدقق النظر فيها.

كانت الصور واضحة بطريقة مذهلة فقد بدت منطقة الثغرة الإسرائيلية وما حولها، وكانت هناك علامات ودوائر مرسومة عليها تحدد مواقع القوات الإسرائيلية وطوابيرها.

وراح كوسيجين يشرح قائلا:

ـ هذه الصور لا تشير إلى قوات صغيرة تمكنت من عبور الثغرة إلى الضفة الغربية من القناة، ثم استطرد كوسيجين يقول:

هذه الصور تظهر أنه حتى ساعة التقاطها ظهر اليوم «١٧ أكتوبر» كان لإسرائيل فى الغرب ٧٦٠ قطعة مدرعة مابين دبابات وعربات مصفحة، وهذه قوة كبيرة وتعزيزها لازال مستمرا، وأنتم أمام موقف خطير تفرض عليكم الظروف مواجهته ووقفه عند حده حتى تستطيعوا المحافظة على حجم انتصاراتكم المبدئية.

كان الرئيس السادات يستمع إلى كوسيجين وإحساسه ـ كما قال بنفسه فيما بعد ـ إنه لم يشعر بكراهية الروس قط مثلما شعر بها فى هذه اللحظة، وقد استمع بدون حماس إلى ما عرضه كوسيجين عليه

بعد ذلك من أنهم فى موسكو يجرون اتصالات مع واشنطن على أعلى مستوى ويحاولون التوصل إلى مشروع قرار يقدم إلى مجلس الأمن على أن ينص فيه صراحة على ضرورة الإنسحاب الكامل.

وعقب السادات بأنه على استعداد لقبول قرار من هذا النوع إذا نص فيه فعلا على الإنسحاب الكامل.

هذه هى رواية هيكل بالوثائق، ولكن السادات كان قد اعتاد على خلط التواريخ وعلى أن يحكى القصة الواحدة بأكثر من رواية وبتضارب فى التفاصيل حسبما يتراءى له وقت رواية القصة، ونفس قصة لقاءاته مع كوسيجين التى رواها هيكل بالتفصيل وبالتاريخ وبالساعة وبوثيقة من داخل دولاب العمل فى رئاسة الجمهورية نفسها، نفس هذه القصة يرويها لنا أنور السادات بطريقة أخرى مغايرة تماما فى البحث عن الذات.

الورقة السادسة

المسئولية

وما أن جاء صباح ١٨ أكتوبر حتى تمكن الإسرائيليون من احتلال منطقة المزرعة الصينية، ودفع جناح الجيش الثانى الأيمن حوالى ٥ كيلو مترات إلى الوراء باتجاه الشمال مما أمن طرق الأمدادات ووسع مدخل الثغرة الشرقى، وعند ذلك اقترح شارون ادخال تغيير على الخطة الأصلية وطلب الاندفاع شمالا باتجاه الإسماعيلية بعد أن وجد أن هناك متسعا من الوقت بسبب بطء رد

فعل القيادة المصرية وكان له ما أراد.

فى اتجاه الجنوب بدأت قوات آدان بالتقدم، وحين تيقنت القيادة الإسرائيلية أن رأس جسرها قد تم توطيده غرب القناة وأن خطتها قد نجحت بتثبيت القوات المصرية شرق القناة بدون قتال يذكر - فيما عدا لواء من فرقة شارون بقى يشاغل القوات المصرية من الجيش الثانى مقابل الإسماعيلية - أمرت لواءين من فرقة ماجن المتمركزة فى مواجهة رأس جسر الجيش الثالث بالعبور إلى غرب القناة والابقاء على لواء فى الشرق فقط ومن ثم التقدم جنوبا إلى اليمين من أماكن تقدم قوات أدان لتغطى مواقع قوات شارون التى ستتقدم شمالا.

وفى ليل ١٨ أكتوبر تم إنشاء جسر متحرك آخر للعبور بعد أن تعرض الجسر الأول لقصف مدفعى مصرى شديد أعطبه، وتبعه جسر ثالث.

وفشلت أول محاولة لشارون بالتقدم شمالا لقطع طريق الإسماعيلية - القاهرة بسبب عنف المقاومة المصرية، فقام بمحاولة ثانية يوم ١٩ أكتوبر كان نصيبها الفشل كذلك، أما قوات آدان فكان تقدمها يواجه بمقاومة أيضا ولكن أخف من المقاومة فى الشمال.

وعلى ذلك حين عبرت قوات ماجن وتقدمت إلى يمينها يوم ١٩ أكتوبر لمحاولة قطع طريق السويس - القاهرة عملت على إضعاف المقاومة المصرية أمام قوات آدان، ولكن مع ذلك اضطر ماجن لمقاتلة الفرقة المدرعة المصرية الرابعة لمدة ثلاث أيام فى مواقعها الدفاعية.

وشرق القناة تمكن العدو من دفع قوات الجيش الثانى شمالا عند مدخل الثغرة حوالى ٨ ـ ١٠ كيلو مترات، كما استولى غرب القناة على عدة مطارات استعملها للإمداد.

....

وكانت الأوضاع على الجبهة قد بدأت تتفاقم ساعة بعد ساعة ... وراح السادات يفكر فى تحميل مسئولية ما حدث للآخرين وكان الشاذلى هو المرشح الأول لدى السادات لكى يرمى عليه بكل ثقل المسئولية عن الثغرة.

يقول فى مذكراته:

فى يوم ١٩ أكتوبر عاد الشاذلى منهارا وقال لابد أن نسحب قواتنا من شرق القناة لأن الغرب مهدد، وكان هذا ـ لو تم ـ هو م يريده الإسرائيليون؟

هل هذا الاتهام صحيح، قبل أن نستمع إلى دفاع الشاذلى، هنا شهادة للتاريخ كتبها «الجمسى» فى كتابه عن «أكتوبر ٧٣» يق بالحرف:

فى مثل هذا الموقف المعقد الذى كانت تواجهه قواتنا، تتعد الآراء وتتباين وجهات النظر، وعندما يتخذ القائد العام ـ أو أى قا فى مستوى أقل ـ قراره فلابد أن تلتزم قيادته وقواته بالتنفيذ لقدعاصرت الفريق الشاذلى خلال الحرب وقام بزيارة الجبهة أكث من مرة، وكان بين القوات فى سيناء فى بعض هذه الزيارات، وأ أنه عندما عاد من الجبهة يوم ٢٠ أكتوبر لم يكن منهارا كما وص

الرئيس السادات في مذكراته، بعد الحرب، لا أقول ذلك دفاعا عن الفريق الشاذلي لهدف أو مصلحة ولكنها الحقيقة أقولها للتاريخ.

موسى صبرى فى وثائق حرب أكتوبر يحاول أن يقدم تفسيرا لما قاله السادات عن الشاذلى فيقول:

«الواضح أن المشير أحمد إسماعيل أوغر صدر السادات بسبب كراهيته للشاذلى، وكان السادات قد تطور إلى وضع نفسى سئ.. لأنه كان فى الصباح يعلن للعالم كله أمام مجلس الشعب انتصار قوات جيش مصر.. ويقول العبارة المشهورة «أصبح للأمة درع و سيف» بينما كانت الثغرة قد بدأت وهو على منصة مجلس الشعب، ومن هنا صور أحمد إسماعيل لأنور السادات أن الشاذلى منهار- وأنه فشل .. وأنه السبب فى عدم القضاء على الثغرة.

والآن جاء دور الشاذلى لكى يرد عن نفسه اتهام السادات، فيقول:

«يدعى السادات بأننى عدت من الجبهة منهارا يوم ١٩ أكتوبر وأننى طالبت «بسحب قواتنا من شرق القناة لأن الغرب مهدد» ويؤسفنى أن أقول إن هذا كذب رخيص. لقد كنا تسعة أشخاص، وأنا أتحدى إذا كان أحد من الأحياء يستطيع أن يشهد بصدق ما يدعيه السادات. لقد طالبت حقا بسحب جزء من قواتنا من الشرق إلى الغرب وكانت مطالبتى بهذه العملية يوم ١٩ أكتوبر هى خامس محاولة جادة لإنقاذ الموقف.

....

مرة أخرى، كانت الأوضاع قد تفاقمت على جبهة القتال الدائر فى غرب القناة، وأصبحت خطة العدو واضحة وضوح الشمس كما يقول الفريق الشاذلى: «إنه يهدف إلى تطويق الجيش الثانى والجيش الثالث ويقوم بتوسيع الثغرة كل يوم».

ولهذا اقترح الشاذلى على الوزير أحمد اسماعيل سحب ألوتينا المدرعة من الشرق لمقابلة التهديد فى الغرب ويقول:

«كان فى رأيى أن سحب هذه الألوية الأربعة من الشرق خلال الأربع والعشرين ساعة التالية لن يؤثر على سلامة خطوطنا ومواقعنا فى الشرق وسوف يزيد من قدرتنا على مقابلة تهديد العدو لنا فى الغرب».

وفشل الشاذلى من جديد فى إقناع أحمد إسماعيل.

وبرزت مرة أخرى الحاجة إلى قرار من القائد الأعلى من أنور السادات.

ووجد السادات نفسه مرة أخرى مطلوبا للذهاب إلى مركز القيادة عبرمكالمة تليفونية كان على طرفها الآخر أحمد إسماعيل نفسه، ومن الساعة العاشرة مساء «وقت المكالمة» حتى الثانية صباحا مكث السادات فى المركز رقم «١٠».

الورقة الأخيرة

التراجع

قصة هذه الساعات الأربع لها أكثر من رواية تتناقض فيما

بينها وتختلف وتتفق ولكنها جميعا تشى بالحالة التى كانت عليها القيادة العسكرية والسياسية المصرية فى أقسى اللحظات منذ بداية حرب أكتوبر.

هناك - أولا - رواية السادات

هناك - ثانيا - رواية محمد عبد الغنى الجمسى

وهناك - أخيرا - رواية سعد الدين الشاذلى

تقول الرواية الأولى:

طلب منى أحمد إسماعيل فى منتصف ليلة ١٩/ ٢٠ أكتوبر أن أذهب إلى القيادة حتى اتخذ قرارا مهما بوصفى القائد الأعلى للقوات المسلحة .. ذهبت إلى القيادة واستعرضت الموقف فوجدت أن لنا خمس فرق كاملة فى شرق القناة، وعندنا ١٢٠٠ دبابة فى الشرق أيضا. أما فى الغرب فعندنا فرقة مدرعة تواجه قوات إسرائيل، وفى القاهرة فرقة يمكن سحبها - هذا غير الحرس الجمهورى الخاص بى «كذا» والذى أدخلته الحرب وقاتل قتالا مجيدا وعاد كاملا بكل دباباته.

بعدما اتضح الموقف لى جمعت القادة كلهم وكان معى الفريق أحمد إسماعيل القائد العام للقوات المسلحة والفريق الجمسى مدير العمليات والفريق حسنى مبارك والفريق محمد على فهمى قائد سلاح الصواريخ وكانوا جميعا من رأيى وهو أنه لم يحدث شئ يستدعى القلق .. فأعطيت الأمر الذى أعتبره أهم من قرار ٦ أكتوبر بألا ينسحب جندى واحد ولا بندقية واحدة ولا أى شئ على الاطلاق

من شرق القناة وأنه علينا أن نتعامل مع الغرب حسب الأوضاع الموجودة. ثم بدأت اتصل بنفسى مع الفرقة المدرعة فى الغرب وكان يقودها ضابط اسمه قابيل وهو بطل من أبطال حرب أكتوبر وقلت له:

ثبت الإسرائيليين ولا تجعلهم يتمكنون من التوسع وإياك أن تشتبك معهم إلى أن تصل الأمدادات.

....

فى هذه الليلة أعطيت تعليماتى لأحمد إسماعيل بعزل الشاذلى من رئاسة الأركان على ألا يعلن هذا القرار على القوات حتى لا يحدث رد فعل عندنا أو عند الإسرائيليين ... وفى نفس الليلة استدعيت الجمسى وعينته رئيسا للأركان.

وفى هذه الليلة اتخذت القرار بوقف إطلاق النار فقد كان لى عشرة أيام أحارب فيها أمريكا وحدى بأسلحتها الحديثة التى لم يستخدم أغلبها من قبل.

وفى مذكرات المشير محمد عبد الغنى الجمسى بعنوان «أكتوبر ١٩٧٣» جاءت رواية ما حدث بطريقة أخرى تقول:

حضر الرئيس السادات إلى مركز العمليات، وبعد أن استمع إلى تقرير عن الموقف من الفريق أحمد إسماعيل تقرر ايفاد الفريق الشاذلى إلى قيادة الجيش الثانى بعد ظهر يوم ١٨ أكتوبر، وكنت على اتصال مستمر معه لتبادل المعلومات والآراء، وبعد أن ألم بالموقف تماما، عاد مساء يوم ١٩ أكتوبر بالرأى الذى يراه لمواجهة

تهديد العدو الموجود فى غرب القناة، هو ضرورة سحب أربعة ألوية مدرعة من الشرق إلى الغرب خلال ٢٤ ساعة التالية للدخول فى معركة ضد قوات العدو، وأن ذلك من وجهة نظره لا يؤثر على كفاءة دفاعاتنا فى الشرق، كما كان يرى أن الموقف خطير ويجب طلب حضور رئيس الجمهورية لشرح الموقف أمامه.

ويواصل الجمسى سرد تفاصيل أحداث المركز (١٠) يوم ٢٠ أكتوبر فيقول:

عندما حضر الرئيس السادات إلى مركز العمليات حوالى الساعة العاشرة والنصف مساء يوم ٢٠ أكتوبر كان الفريق الشاذلى واللواء محمد حسنى مبارك واللواء محمد على فهمى وأنا واللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية واللواء سعيد الماحى مدير المدفعية مجتمعين فى غرفة المؤتمرات داخل مركز المعلومات.

واجتمع الرئيس مع الفريق أول أحمد إسماعيل على انفراد لمدة حوالى ساعة قبل بدء المؤتمر، ومن الطبيعى أن يكون الوزير أحمد إسماعيل قد قدم للرئيس تقريرا عن الموقف ووجهة نظره ورأى الفريق الشاذلى، وهما رأيان متعارضان، لمواجهة هذا الموقف وكانت نقطة الخلاف الرئيسية هى أن الشاذلى كان يرى سحب أربعة ألوية مدرعة من الشرق إلى الغرب أما أحمد إسماعيل فكان يرفض ذلك.

دخل الرئيس ومعه الوزير أحمد اسماعيل والمهندس عبد الفتاح عبد الله وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية غرفة المؤتمرات، طلب الرئيس رأى المجتمعين واحدا بعد الآخر.

بدأ مدير المخابرات الحربية بشرح موقف العدو ونواياه التى أبرز فيها أن العدو يهدف من معركة غرب القناة إلى احتلال مدينة الاسماعيلية أو السويس وهو ما يحقق له هدفا سياسيا بالاضافة إلى تأثير ذلك على الموقف العسكرى لقواتنا.

وكنت أنا المتحدث الثانى حيث شرحت فى حديثى موقف قواتنا، أبرزت فيه أن قواتنا فى شرق القناة قوية بالقدر الكافى الذى يجعل منها صخرة تتحطم عليها أى محاولات للعدو ضدها. ونظرا لأن الانجاز العسكرى الكبير الذى تحقق بوجود قواتنا فى سيناء لا يجب التنازل عنه أو تعريضه للخطر، لذلك فإن المحافظة على قواتنا شرق القناة كما هو دون سحب أى قوات رئيسية منها أمر واجب، وكان رأيى أن سحب اللواءات المدرعة المصرية من الشرق إلى الغرب يترتب عليه اهتزاز دفاعات قواتنا فى الشرق الأمر الذى لا يمكن قبوله.

فضلا عن ذلك فإن التأثير المعنوى على القوات بعد سحب اللواءات المدرعة من الشرق يصبح شديدا بطريقة سلبية، وأتذكر أننى قدمت أعداد الأسلحة الرئيسية من الدبابات والمدفعية وأسلحة المشاه وبصفة خاصة كميات الذخيرة الموجودة بالشرق، موضحا أنها تكفى لتحقيق مهمة الاحتفاظ بمواقع قواتنا فى سيناء بكفاءة.

وبعد أن استمع الرئيس لرأى القادة لاحظت أن الفريق الشاذلى لم يتكلم، وقرر الرئيس «عدم سحب أى قوات من الشرق مع احتواء قوات العدو فى الغرب»..

وفى نهاية روايته لأحداث مركز العمليات يوم ٢٠ أكتوبر يقول الجمسى:

وعندما انتهى الاجتماع غادر الرئيس مركز العمليات دون أن يبين لنا أنه يفكر فى الموافقة على وقف إطلاق النار بعد أن تكرر رفضه له أكثر من مرة خلال الحرب.

أما الشاذلى فيصف لنا وقائع ما حدث فى مركز القيادة فيقول:

وصل رئيس الجمهورية ومعه المهندس عبد الفتاح عبد الله إلى المركز (١٠) حوالى الساعة ٢٢٣٠ يوم ١٩ أكتوبر، وتوجه فورا إلى غرفة أحمد إسماعيل حيث بقى معه ما يقرب من ساعة، بينما كنت أنا مجتمعا مع باقى الأعضاء فى غرفة المؤتمرات الملاصقة لغرفة العمليات نتبادل وجهات النظر حول الموقف.

وفى النهاية دخل علينا الرئيس ومعه أحمد إسماعيل والمهندس عبد الفتاح عبد الله. طلب الرئيس الكلمة من المجتمعين واحدا بعد الآخر، وقد قام كل منهم بشرح موقف القوات بأمانة تامة وبعد أن استمع اليهم جميعا، لم يطلب منى الكلمة وعلق قائلا:

- لن نقوم بسحب أى جندى من الشرق.

لم أتكلم ولم أعلق، غمزنى المهندس عبد الفتاح عبد الله وهمس فى أذنى.

- قل شيئا.

ولكنى تجاهلت نصيحته. ماذا أتكلم وقد أتخذ الرئيس القرار ولا

يريد أن يسمعني، أنني أريد أن اسحب ٤ ألوية مدرعة من الشرق وهو يعارض سحب جندي واحد، إنه لم يتخذ هذا القرار عن جهل بل عن معرفة تامة بالموقف، أنه لا يستطيع أن يدعى بعد ذلك بأنه كان يعتقد أن العدو لديه ٧ دبابات فى الغرب، وأنه يعرف كل الحقائق عن الموقف وهذا هو قراره.

.... أما بعد

هل تنبئ هذه الروايات عن شئ أكثر من حجم الكارثة التى كانت موجودة فى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة فى وقت تخوض فيه هذه القوات أنبل وأشرف معاركها فى تاريخها الحديث؟

ألا تطرح هذه التوترات، وألا يؤكد هذا الانقسام بين القائد العام ورئيس الأركان خطأ تعيين أحمد إسماعيل وزيرا للدفاع وسعد الشاذلى رئيسا للأركان فى وقت كانت العدواة فيما بينهما قديمة وشرسة وكان التعاون بينهما صعبا، وقد حذر منه الشاذلى نفسه عندما أبلغه السادات بنيته على تعيين أحمد إسماعيل وزيرا للحربية.

هل كان انحياز السادات إلى آراء أحمد إسماعيل نتيجة لضعف إدراكه العسكرى أم نتيجة لخطة سياسية ضغط بها على وزير الحربية؟

وهل لو استمر تطوير الهجوم بقوة الاندفاع بعد المشهد الافتتاحى الكبير، وبعد النصر المذهل الذى حققته القوات المسلحة المصرية فى الأيام الأربعة الأولى للقتال وما كان يمكن أن يحدث نتيجة لذلك من آثار، كنا قد وصلنا إلى هذه النقطة؟

انتهى الاجتماع الخطير قبيل فجر يوم ٢٠ أكتوبر، ويروى السادات أحداث ما جرى فيما بعد فيقول:

«فى يوم ١٩ أكتوبر بعد اجتماعى بالقواد عدت إلى قصر الطاهرة، وبدأت فى الحال تنفيذ قرارى ـ طلبت منهم أن يستدعوا لى السفير السوفييتى.

وجاء السفير السوفييتى فقلت له:

ـ «لقد قبلت وقف اطلاق النار على الخطوط الحالية».

فى هذا الوقت كان كيسنجر فى طريقة إلى موسكو بشأن عملية وقف اطلاق النار فاستأنفت حديثى مع السفير وقلت له:

ـ «الدولتان العظميان يجب أن تضمنا وقف اطلاق النار والتنفيذ الفورى لقرار ٢٤٢».

وصدر قرار مجلس الأمن.

وتلقى حافظ إسماعيل رسالة كيسنجر يبلغه فيها موافقة إسرائيل على وقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة ٦ر٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر بتوقيت القاهرة، وفى الساعة الخامسة والثلث كانت قد صدرت توجيهات القيادة العامة إلى جميع تشكيلات ووحدات القوات المسلحة المصرية تنص على وقف اطلاق النار إذا التزم العدو بالقرار على أن تبقى القوات المسلحة فى حالة تأهب كاملة لحين صدور تعليمات أخرى..

ولم تلتزم إسرائيل بالقرار كعادتها، وتوسعت الثغرة وزادت

قواتها بسرعة فى نقط ارتكازها غربى القناة إلى خمسة ألوية دبابات ولواءين ميكانيكين ولواء مظلات.

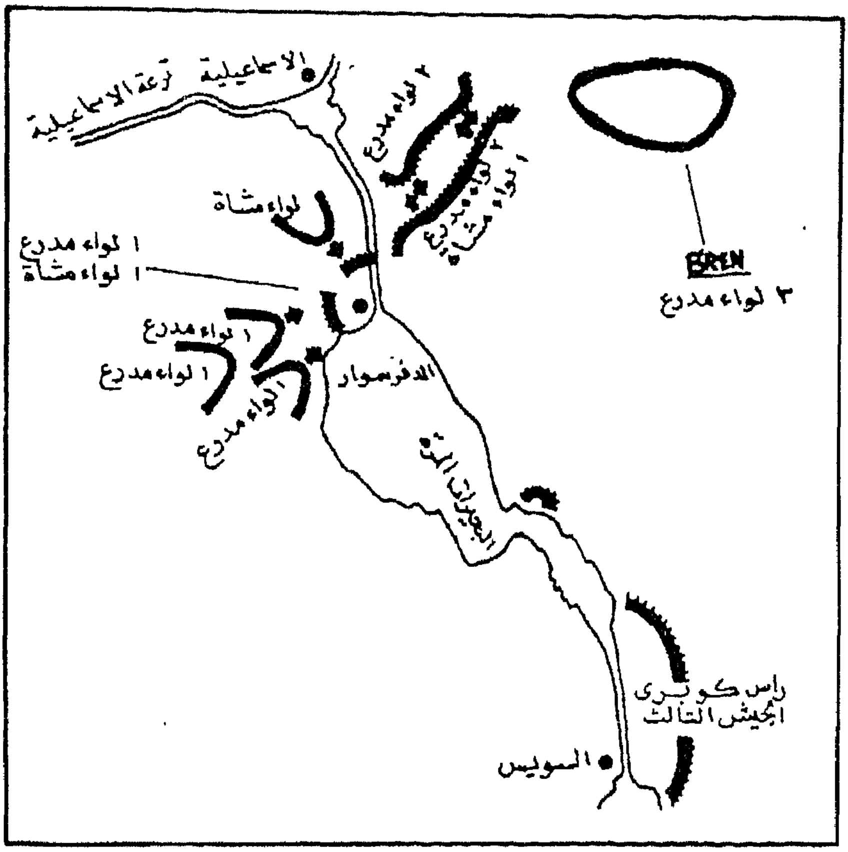
وكانت تلك الحقائق على الأرض تفرض نفسها بقوة على كل ما جرى فيما بعد من اتفاقيات.

وكان كسينجر قد شكر حافظ إسماعيل على دعوته إلى زيارة القاهرة راجيا تلبيتها فى أقرب فرصة.

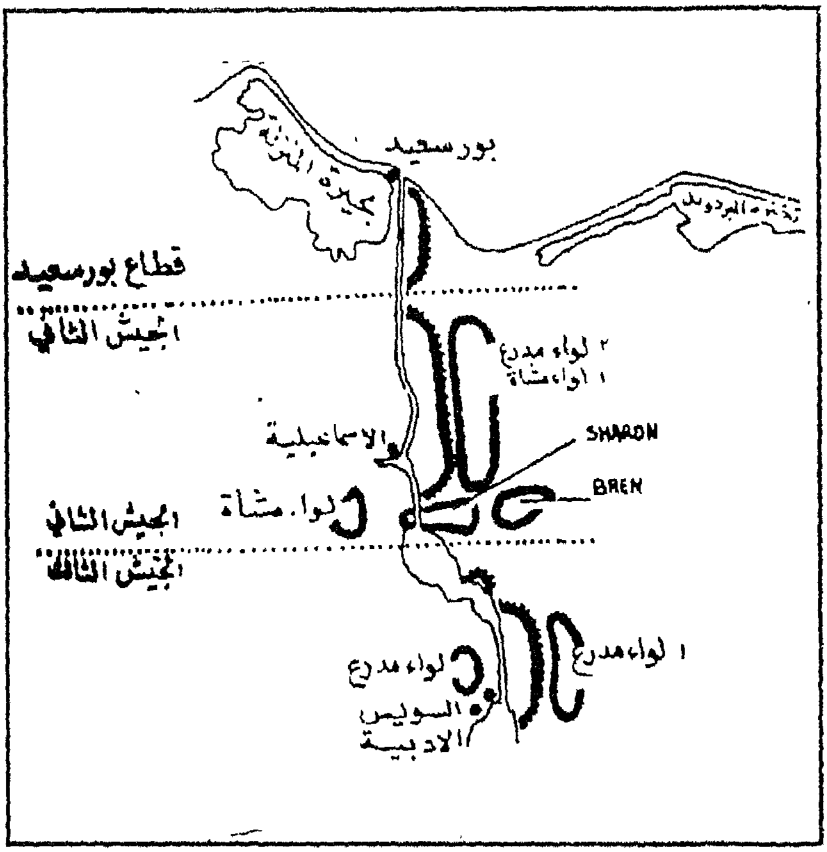
كانت أبواب القاهرة فتحت له على مصراعيها.

وبدأت رحلات كيسنجر المكوكية، وخطوة خطوة جرت أسوأ إدارة سياسية لنتائج ما حدث عند ظهر اليوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ .

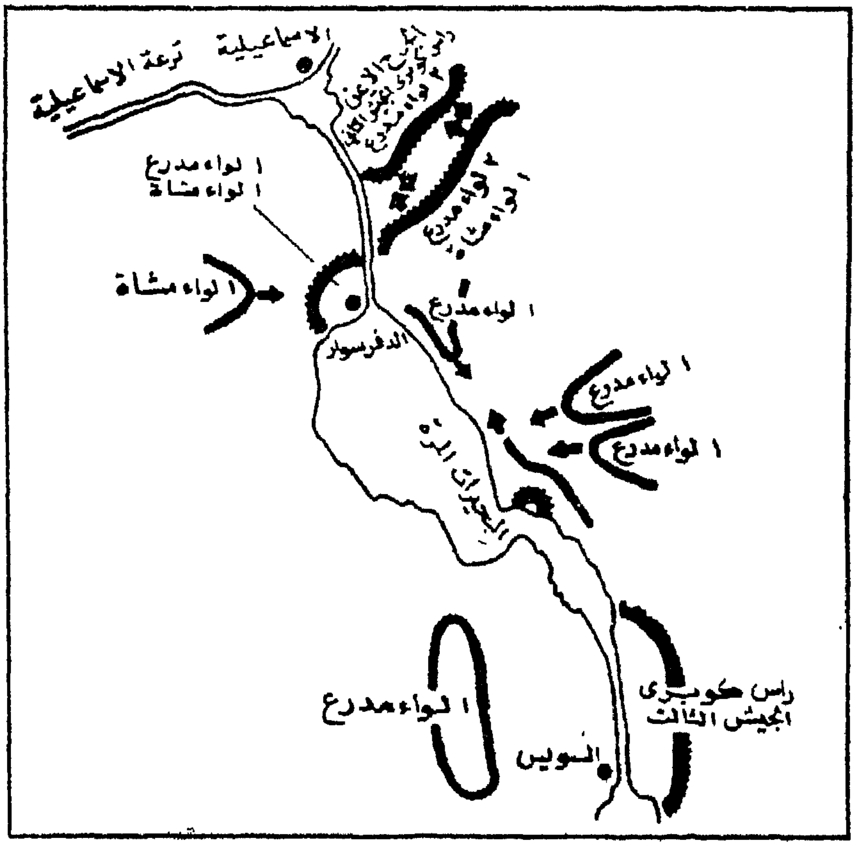
.... ويبقى للرجال - رغم كل ما حدث - ما صنعوه فيما يشبه الإعجاز، وتبقى تلك الصفحة من التاريخ هى صفحة الجندى والضابط المصرى الذى كان على - على حسب قول الإسرائيليين - هو المفاجأة الكبرى فى حرب ١٩٧٣ .



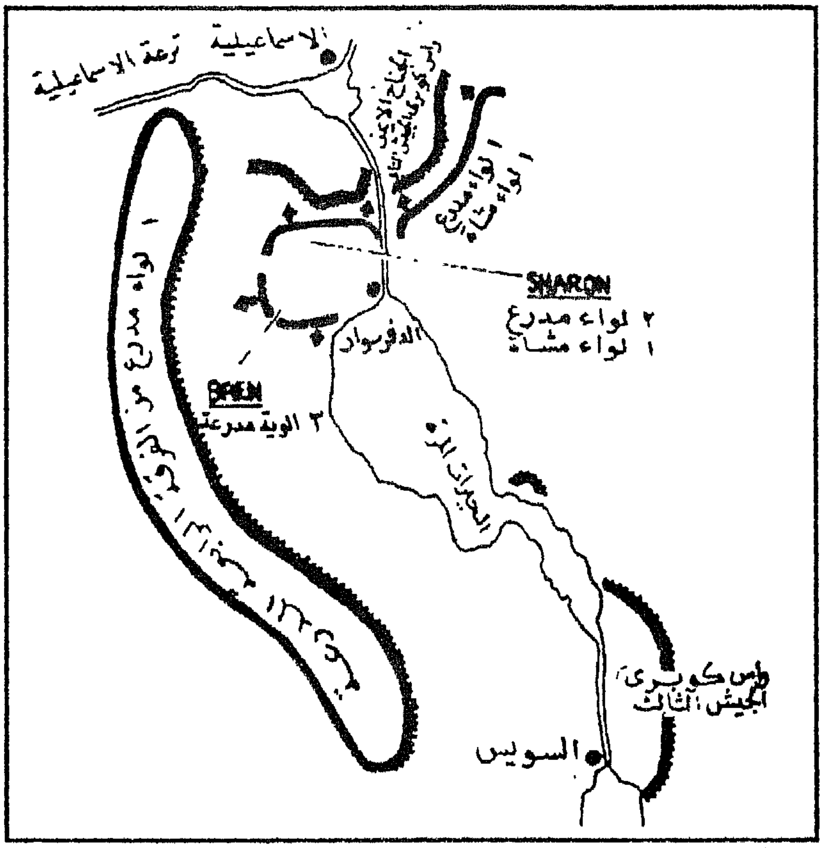
توزيع القوات ليلة ١٦ و١٧ أكتوبر



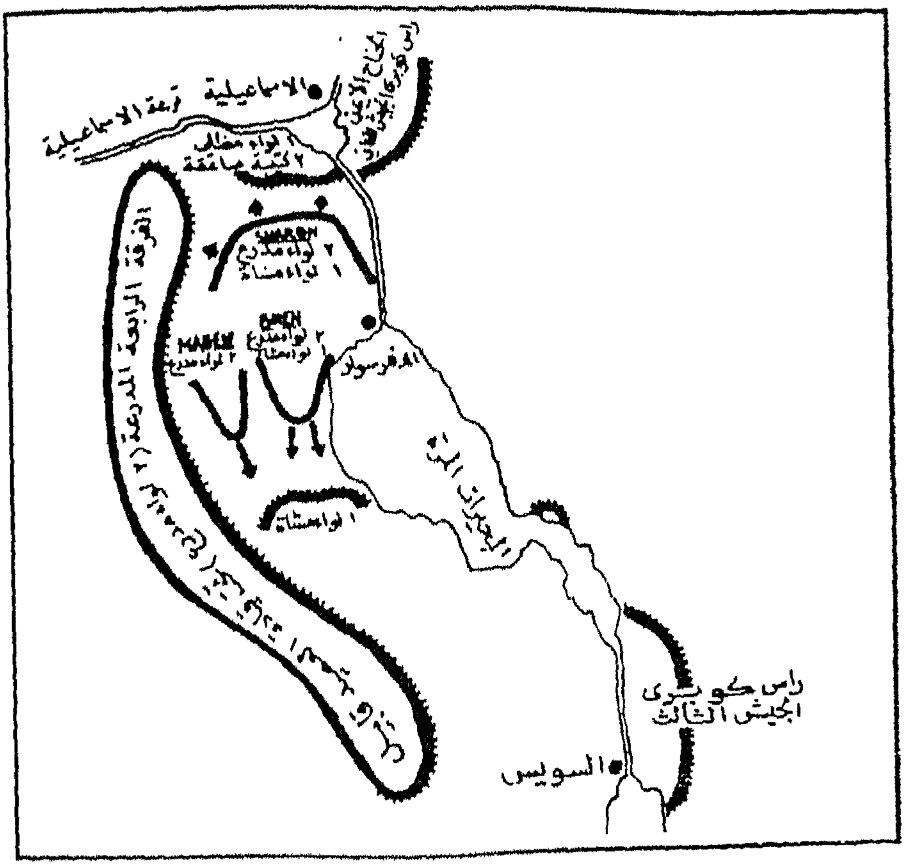
معركة الدفرسوار كما كان يريدها الفريق الشاذلى يوم ١٧ اكتوبر



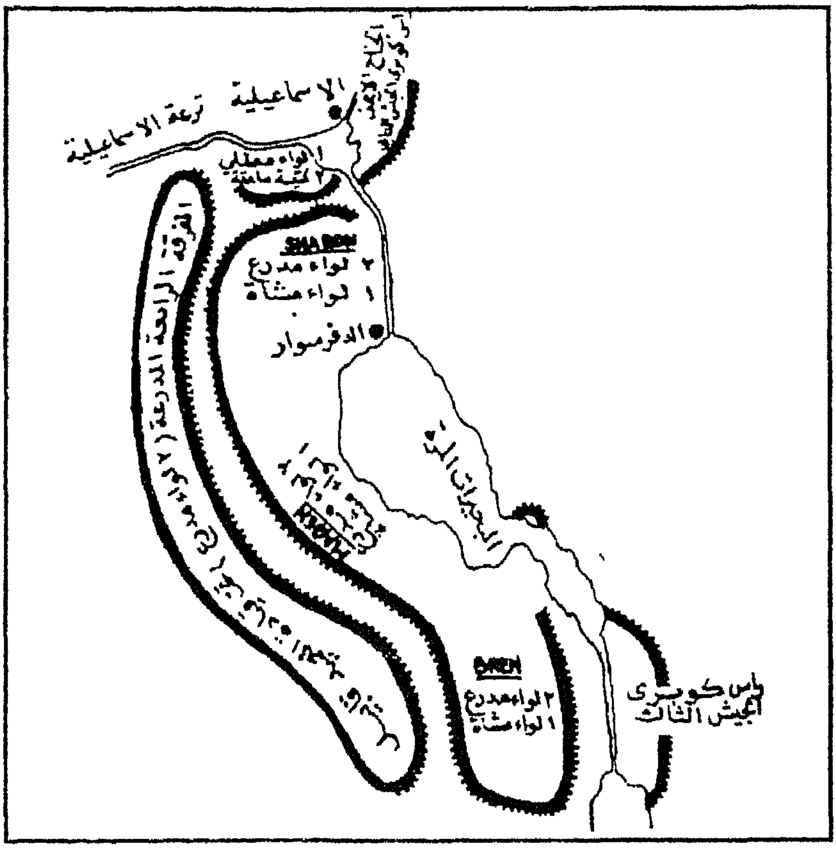
معركة الدفرسوار يوم ١٧ أكتوبر



موقف الثغرة مساء ١٨ أكتوبر



الموقف مساء ٢٢ اكتوبر



الموقف صباح ٢٥ أكتوبر



يبكى اليهود عند دفن موتاهم بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

آثار حرب أكتوبر ١٩٧٣

١ - الآثار العامة: -

(أ) المجال العسكرى:

أثبتت حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر ١٩٧٣ أهمية الصواريخ على اختلاف إستخداماتها فى تغيير كثير من تصورات القادة حول الأداء العسكرى. وكان سلاح الصواريخ من الأهمية بمكان بالنسبة للعرب، لأن إسرائيل متفوقة فى مجال الطيران والمدرعات، وجاء الرد على هذا التفوق من خلال إقامة حائط الصواريخ المصرى ومثيله السورى، وقيام الجندى العربى باستخدام القاذفات الصاروخية المضادة للمدرعات وهو أمر كبد إسرائيل خسائر فادحة فى المعدات والأرواح. كما سبق أن أثبتت الصواريخ المنطلقة من زورق يديره عدد محدود من الأفراد قدرتها على تدمير قطعة بحرية كبيرة، وهو ماحدث بالنسبة للقطعة البحرية «إيلات» قرب الشواطئ المصرية بعد حرب عام ١٩٦٧ . وعلى هذا يمكن القول أيضا أنه قد عادت الأهمية مرة أخرى لجندى المشاة بعد أن كانت هذه الأهمية قد توارت خلف فعالية أسلحة الطيران والمدرعات.

وثبت مرة أخرى عدم جدوى إقامة خطوط الدفاع المنيعة، فقد فشل خط بارليف وهو أقوى خط دفاعى عرفه التاريخ العسكرى فى العالم، فشل فى صد هجوم منظم ومحكم (١).

وأثبت جهاز المخابرات الإسرائيلية فشله تماماً فقد ركز عمله على النوايا المعادية وأهمل متابعة القدرات المعادية التى لم تكن فى الحسبان ويعود ذلك إلى السرية والأمن والتمويه العربى (٢).

وكان عنصر المفاجأة من أهم دروس أكتوبر. وقد استخدم المصريون والسوريون بنجاح فى عبورهم فى السادس من أكتوبر وفى كفاءة استخدام سلاح الصواريخ واستخدمه الإسرائيليون فى أحداث ثغرة الدفرسوار (٣).

وبالنسبة للقوتين العظمتين نجحت سياسة «حافة الهاوية» فى منع بدائل التوصل إلى حل مرضى الذى بدونه تتحقق هزيمة أحد الأطراف أو نشوب حرب عالمية ثالثة. وبالنسبة لمصر نجح تصورها فى إنهاء حالة الركود الذى عرف بحالة اللا سلم واللا حرب. وأخيراً فشلت نظرية التفوق العددى البشرى حتى الآن، ولكن لا أحد يعلم ما يأتى به المستقبل لدعم هذه النظرية وهنا يصبح على إسرائيل أن تسعى إلى سلام دائم وهى فى حالة قوية فى الوقت الراهن (٤).

(ب) الآثار الاقتصادية:-

لمواكبة التحرك العسكرى الفعال على الجبهتين المصرية والسورية ولمنع تدهور الموقف بسبب مساندة الولايات المتحدة

(١) كولونيل ت.ن.د.دويوى «تحليل عسكرى لحرب أكتوبر» السياسة الدولية، القاهرة، ١٩٧٤/١ ص ٢١٠ .
(٢) نفس المرجع السابق ص ٢١٠ .
(٣) نفس المرجع السابق ص ٢١٠ .
(٤) نفس المرجع السابق ص ٢١٠ - ٢١١ .

لإسرائيل اجتمع وزراء البترول في ١٧/١٠/١٩٧٣ في مدينة الكويت وقرروا خفض إنتاجهم من البترول بنسبة ٢٠٪ مما كانت عليه في أول سبتمبر على أن يستمر الخفض بنسبة ٥٪ إبتداء من ديسمبر ١٩٧٣ حتى تنسحب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة وأيضا قطع إمدادات البترول نهائيا عن الدول المساندة لإسرائيل (١).

وقد عانت الولايات المتحدة وهولندا من هذا الحظر معاناة شديدة، وقام المعلقون وخاصة في الصحافة الأمريكية وعدد من الصحف الأوروبية بمهاجمة سياسة إستخدام سلاح البترول ووصفوها بالابتزاز والابتعاد عن الأخلاقيات، ووصل البعض إلى درجة القول بعدم جواز استخدام سلاح البترول في السياسة. وعموما فإن القانون الدولي يعطي الدول العربية الحق في خفض صادراتها من البترول إلى الدول الأخرى على أساس مبدأ السيادة الدائمة للدول على مواردها الطبيعية (٢).

وقد أحدث استخدام سلاح البترول نتائج إيجابية أضافت قوة إلى الدول العربية وخاصة أن الدول العربية المنتجة للبترول قامت برفع الأسعار بنسبة ٧٠٪ وبذلك كانت أولى نتائج هذا السلاح هو إكتساب الدول العربية المنتجة للبترول عائدات ضخمة تترجم إلى قوة إقتصادية إذا أحسن استخدامها. وجاءت النتيجة الثانية بحدوث شقاق بين أوربا وأمريكا وتقارب بين أوربا وبين الدول العربية. وثالث هذه النتائج كان التوجه الذي أعلنته الدول التسع الأعضاء في السوق

(١) د. جعفر عبد السلام «سلاح البترول وقواعد القانون الدولي» السياسة الدولية، القاهرة، ١٩٧٤/١ ص ٤٤ ـ ٤٥.

(٢) المرجع السابق ص ٤٦ ـ ٥٠.

الأوربيـة المشتركـة والذى أكد على ضرورة قيام سلام فى الشرق الأوسط يستند إلى مبادئ: عدم جواز إكتساب الأراضى بالقوة، وضرورة إنهاء الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربيـة، وضرورة إحترام سيادة جميع دول المنطقة واستقلالها ووحدتها الإقليمية (١).

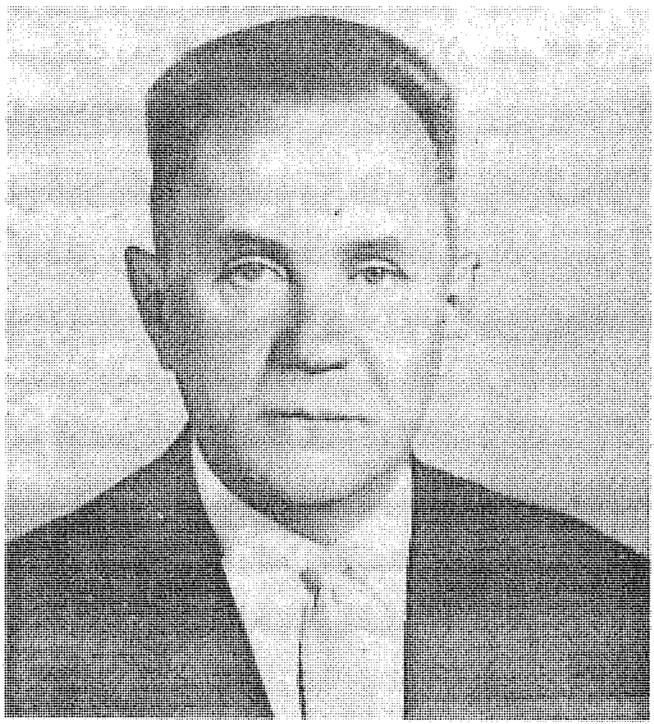
ويلاحظ أن إستخدام سلاح البترول كان اجراء لم يستثمر بعد عدوان ١٩٧٦ ولكن استخدم بحد أدنى من المطلوب لأن سرعان ما رفع الحظر دون الوصول إلى الغايات التى حددها قرار الحظر وهو جلاء القوات الإسرائيلية عن الأراضى العربية التى احتلتها فى ١٩٦٧/٦/٥.

وقد عارضت عدة دول عربية إستخدام سلاح البترول بشكل هين ومن ذلك ماوصفه أحد المعلقين العراقيين فى حينه من أن قرار الحظر بالشكل الذى صدر به كان يقصد به المزايدة السياسية وإمتصاص نقمة الجماهير وأنه كان بغرض كسب الوقت إلى حين إيقاف إطلاق النار على الجبهتين (٢).

(جـ) الوفاق الدولى: ـ

أمام الوفاق السوفييتى ـ الأمريكى تراجعت أهمية المشاكل الساخنة فى العالم ومنها النزاع العربى الإسرائيلى الذى تحول إلى المرتبة الثانية وجاءت قبله مصالح القوتين العملاقتين فى أنحاء الكرة الأرضية. ولم يكن الوفاق الدولى مفيدا للعملاقتين على

(١) صلاح منتصر «المجابهة فى ميدان النفط» السياسة الدولية، القاهرة ٧٤/١ ص ٥١ ـ ٥٤ .
(٢) حربى محمد «النفط العربى وأزمة الطاقة فى العالم» دار الثورة، بغداد، ١٩٧٤ ص ٦٩ ـ ٧٢ .



الكس كوسوجين

رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى آبان حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

أقام جسراً جوياً لامداد مصر وسوريا بالمعداد والعتاد العسكرى، وقد مارس ضغوطاً سياسية ودبلوماسية على الولايات المتحدة فى إطار سياسة «الوفاق» القائم بين الدولتين العظميين.

اختلف موقف الاتحاد السوفييتى فى عام ١٩٧٣ عنه فى عام ١٩٥٦ حينما هدد خرشوف بضرب لندن وباريس بالصواريخ إذا لم يوقفوا اعتدائهم على مصر.

المستوى السياسي أو الاسترخاء العسكرى فقط بل امتد للعلاقات الاقتصادية، ومثال ذلك أن التبادل التجارى والفنى بين الدولتين العظميين عام ١٩٦٨ ، من قبل سياسة الوفاق، لم تتجاوز ٥٨ مليون دولار وأصبحت بعد الوفاق ٥٤٧ مليون دولار عام ١٩٧٢ وحوالى ١٥٠٠ مليون دولار عام ١٩٧٣ .

وكان اندلاع النزاع المسلح بين الدول العربية وإسرائيل محكاً لأهمية الوفاق. وقد اجتاز الأمتحان بالفعل بالرغم من إنذارات وتحذيرات الاتحاد السوفييتى وإعلان الولايات المتحدة حالة الطوارئ فى كل مواقعها بالعالم، والدليل تعاون الدولتين فى الوصول إلى قرار تبنته الأمم المتحدة (٣٣٨) فى ٢٢/١٠/٧٣ وتم التوصل إليه بعد رحلة قام بها هنرى كيسنجر إلى موسكو مما بين هزال التنظيم الدولى - الأمم المتحدة وأنه بالفعل تنظيم غير ديمقراطى ولايتفق مع أمانى الشعوب التى تطلعت إلى غد أفضل فى ظل المنظمة الدولية(١).

٢ - الآثار بالنسبة للعرب: -

(أ) أبرز آثار حرب أكتوبر بالنسبة للأمة العربية كان نجاحها فى تحريك القضية العربية برمتها من ثلاجة اللاسلم واللا حرب إلى مجال التفاوض والنقاش، مع تأكيد هذه الحرب على ضرورة التوصل إلى حل عادل ودائم فى الشرق الأوسط. ولأن الحرب كانت حرب تحريك وليس تحرير فى إطار إمكانات العرب

(١) جمال مرسى بدر «انعكاسات حرب أكتوبر على إطار الوفاق الدولى» السياسة الدولية. القاهرة العدد ١/١٩٧٤ ص١١٦ - ١٢٠ .

العسكرية (محدودة) والاقتصادية. وفى ظل الوفاق الدولى بين العملاقتين فإن نتائجها تعد مفهومة بالنسلة للقدر المحدود من التحريك الذى أحدثته والذى توقف مؤقتا عند حد فشل مؤتمر جنيف فى ديسمبر ١٩٧٣ . ومع هذا فقد هيأت هذه الحرب أذهان القادة الإسرائيليين إلى ضرورة السير فى إجراءات التوصل إلى سلام فى المنطقة لأن الأرض المحتلة والاستحكامات التى قامت عليها وأبرزها خط بارليف لم توفر حدودا آمنة لإسرائيل.

(ب) وقد سبق أن أشرنا إلى سلاح البترول العربى وما جلبه من أموال للدول العربية المنتجة وخاصة بعد رفع أسعاره بنسبة ٧٠٪ ثم تجاوز هذا الرقم فيما بعد، إلا أن هذه القوة الاقتصادية تعد قوة فردية لايمكن أن تأخذ الاعتبار الكافى إلا إذا قننت فى إطار استخدامات التنمية فى كل العالم العربى ورفع كفاءة القوات المسلحة فى دول المواجهة، وهو مالم يحدث حيث بقت القوة فردية للدولة المنتجة للبترول.

(جـ) وبالرغم من كفاءة التخطيط العسكرى العربى فى حرب أكتوبر وشجاعة الجندى العربى المحارب خلف عدالة قضيته، إلا أن تطور هذه الحرب أثبتت محدودية الاستراتيجية العربية التى توقفت عند حد التحريك وافتقدت التصور والجرأة للاستمرار. وأمامنا مثال الثغرة التى أحدثتها القوات الإسرائيلية فى الدفرسوار بعد الارتباك الذى عانت فى الأيام الأولى للمعركة.

(د) ولعل أبرز أسباب محدودية الاستراتيجية العربية هو افتقاد العرب إبان الحروب لقيادة موحدة وتنسيق متناغم ومساندة اقتصادية

فعالة. فعلى الجانب الإسرائيلى نجد المساندة السياسية والاقتصادية من اليهود المهاجرين ومن الولايات المتحدة الأمريكية ذات الإمكانات المادية والتقنية الضخمة، وفى المقابل نجد القوات العربية تعتمد أساساً على جهود ذاتية لدول المواجهة مع نذر محدود من الدعم المالى من دول النفط الغنية بالاضافة إلى محدودية الدعم السوفييتى للدول العربية نظراً لقدراته الاقتصادية المقيدة.

(هـ) وبوجه عام أثبتت حرب أكتوبر أهمية حشد الطاقات العربية ولو كانت محدودة فى مواجهة إسرائيل - ومن خلفها المساندة الأمريكية الضخمة - لأن الحشد العربى كان له أثر مباشر وضخم فى تعديل موقف دول أوربا الغربية. وفى تليين الموقف الأمريكى للضغط على إسرائيل. ولنتصور إمكانية حشد الجهود العربية إلى أقصاها، لكانت الحرب قد انقلبت تحريرا وليس تحريكا وماكان فى مقدور أحد أن يوقفها لأنها تدور على أرض عربية محتلة وفى مواجهة دولة غاصبة.

٣ - الآثار بالنسبة لإسرائيل: -

(أ) سقوط نظرية الأمن الإسرائيلية: -

نظرا لضيق مساحة إسرائيل وقيامها على فلسفة عنصرية توسعية، فقد عمدت إلى التوسع إلى حدود اعتبرتها آمنة إبان حرب ١٩٦٧ . وجاءت حرب أكتوبر ١٩٧٣ لتثبت خطأ هذه النظرية وخاصة سقوط أكبر مانع عسكرى عرفه تاريخ العالم العسكرى، كما تبينت إسرائيل بسبب حرب أكتوبر أن الحرب لايمكن أن تكون وسيلة

لتسوية خلافاتها مع جيرانها العرب بعد أن خسرت أعدادا كبيرة من الضباط والجنود وخاصة من الطيارين وهى أعداد لم تخسرها من قبل.

وكانت نظرية الأمن هذه والتى أسقطتها حرب أكتوبر ١٩٧٣ تقوم على عدة محاور :-

١ - طرد السكان العرب من ديارهم بقوة السلاح وإرهاب السكان العرب من خلال المذابح الجماعية.

٢ - الاستيلاء على المدن والمناطق الفلسطينية.

٣ - الاستعانة بنظام المستعمرات الحصينة.

٤ - الاستعانة بقوات ضاربة سريعة الحركة لصد الهجوم العربى.

٥ - تأمين إمدادات السلاح من أوربا بمعاونة المؤسسات الصهيونية (١) .

هذا عن النظرية، أما إستراتيجية الجيش الإسرائيلى فكانت تقوم على مايلى:-

أولا : على جيش قوى مزود بأحدث الأسلحة وأحدث التدريبات.

ثانيا : الاستناد إلى الحروب الوقائية.

ثالثا : وجود جهاز مخابرات متميز.

(١) اللواء الركن يوسف كعوش «نظرية الأمن القومى الإسرائيلى» السياسة الدولية، القاهرة، العدد ١/١٩٧٦ ص ٢١١ .

رابعــــاً: القدرة على المفاجأة والمبادأة.

خامســاً: أن تكون الحـرب قصــيرة وحاسـمة لأسـباب سياسـية واقتصادية.

سادسـاً: أن يتم نقل المعركة إلى أرض الخصم.

سابعــاً: التمتع بسياسة خارجية ذكية ومرنه (١).

وجاءت حرب أكتوبر لتهدم نظرية الأمن الإسرائيلية ويضاف إليها ضغط المقاومة الفلسطينية واكتساب القضية الفلسطينية مزيدا من الدعم فى المحافل الدولية.

(ب) إرهاق الاقتصاد الإسرائيلى:-

أحدثت حرب ١٩٦٧ إنتعاشا فى الاقتصاد الإسرائيلى وأعطته فترة إستقرار طويلة وموارد طبيعية إضافية فى الأرض المحتلة منها بترول سيناء. ثم جاءت حرب أكتوبر لتضرب هذا الاقتصاد فحرمته من البترول ومن المياه ومن مصادر الثروة الزراعية فى سيناء، كما تأثر بالخسائر الفادحة إبان الحرب، وبسبب ضياع ساعات العمل والإنتاج التى وجهت للحرب عانت إسرائيل منها إقتصاديا.

ويكفى أن نعلم بالأرقام أن الحرب كلفت إسرائيل ٥ر١ مليار جنيه إسرائيلى يومياً، أى أنه فى مدى العشرين يوماً للحرب الفعلية فى أكتوبر /٧٣ نجد إسرائيل أنفقت حوالى ٣٠ مليار جنيه إسرائيلى أى مايعادل موازنة إسرائيل لعام كامل. ويضاف إلى ذلك أثر بقاء

(١) نفس المرجع السابق ص ٢١١ ـ ٢١٢ .

أكثر من ٣٠٠ ألف عامل إسرائيلى تحت السلاح وضياع دخل السياحة لفترة طويلة وتأثير ما أحدثته المقاطعة العربية والمقاطعة الافريقية، ناهيك عن التضخم وضغوط إرتفاع الأسعار (١).

(جـ) عزلة إسرائيل السياسية:

كان من نتائج حرب أكتوبر أن زاد عدد الدول التى تؤيد المطالب العربية وحل مشكلة الشعب الفلسطينى. وقد بدأت دول أوروبا تدرك خطورة استمرار مشكلة الشرق الأوسط بلا حل مناسب فأخذت تضغط على إسرائيل فى هذا الاتجاه. يضاف إلى ذلك أن الجمعية العامة للأمم المتحدة أصدرت فى نوفمبر ١٩٧٥ قراراً يدمغ نظام إسرائيل بالعنصرية لممارساته فى الأرض المحتلة، كما صدر عن الأمم المتحدة قراران قبل ذلك يدعو أحدهما إلى إشراك منظمة التحرير فى دورة المنظمة بجنيف والآخر لإقامة لجنة لمساعدة الفلسطينيين لممارسة حقوقهم المشروعة . وقد أظهرت هذه التحركات مدى عزلة إسرائيل السياسية.

(د) جبهة إسرائيل الداخلية: ـ

كانت إسرائيل فى منتصف حملتها الانتخابية عندما فاجأتها الحرب واضطرت حكومتها إلى تأجيل إنتخابات الكنيست، وطالب الرأى العام الإسرائيلى بضرورة إجراء تحقيق وانتهى التحقيق بتوجيه تهمة التقصير إلى القيادة الإسرائيلية التى وصلتها تحذيرات كافية بقرب هجوم المصريين والسوريين، وترتب على التحقيق إستقالة

(١) نبيل صباغ «ضغوط الحرب على الاقتصاد الإسرائيلى»، السياسة الدولية، القاهرة، ١٩٧٤/١ ص ١١١ ـ ١١٤

رئيس الأركان ثم سقطت حكومة جولدا مائير بعد ذلك. وبدأت عوامل التفرق تظهر فى المجتمع الإسرائيلى. «وابتدأت بوادر تهاوى الوعى الزائف بدور إسرائيل فيما بدأ يظهر من مقالات لكتاب يهود إسرائيليين يتحدثون بصراحة عن نهاية دولة إسرائيل الكبرى ...... وأن عقدة الدولة الإسرائيلية الكبرى التى تقف فى مواجهة جيرانها العرب والتى كانت راسخة تماما ومستحكمة للغاية، ومنذ مالا يزيد عن شهرين اختفت هذه الدولة تماماً بدون أن تخلف أية آثار [١].

تأثير الحرب علي مصر (نظرة خاصة)

بدايات ملموسة للتقارب المصرى - الأمريكى، والمصرى - الإسرائيلى.

جاء وقف إطلاق النار ولكل جانب همومه الخاصة: مصر كانت تهتم باستمرار إمدادات الجيش الثالث المحاصر شرق القناة، وإسرائيل كانت تتخوف من تواجدها فى الثغرة غرب القناة وتصلها إمدادات عبر ممر ضيق خلال الخطوط (المصرية) أى يعد موقفها سيئا هى الأخرى . وقد أعلن الرئيس السادات رغبته فى التعاون مع الولايات المتحدة وإعادة العلاقات معها، وكان ذلك بمثابة رسالة شجعت الولايات المتحدة على مزيد من الاقتراب من مصر، وبخاصة أن إسرائيل كانت تعانى من عزلة دولية نتيجة ضغوط دول أوروبا الغربية بسبب الحظر البترولى العربى الذى أتى بنتائج ملموسة، وقد التقط هنرى كيسنجر الخيط وطرح إمكانية قيام محادثات سلام بين

(١) السيد ياسين «التغيرات الاجتماعية داخل إسرائيل» السياسة الدولية، القاهرة ١/ ١٩٧٤ ص ١٠٠ .

مصر وإسرائيل، على غرار محادثات لوزان بين العرب وإسرائيل عام ١٩٤٩ . وقد تبلور التصور باجتماع وزراء خارجية مصر والأردن وإســـرائيل فى ١٩٧٣/١٢/٢٢ تحت رعـــاية الدولتين العظميين، ولم يتم التوصل إلى شئ ملموس وأعلن تأجيل المؤتمر مع تعهد كل من مصر وإسرائيل بمواصلة المحادثات العسكرية لفض الاشتباك بينهما.

وبعد تجربة اجتماع جنيف فى ديمسبر ١٩٧٣ لم يكن السادات متحمسا للعودة إلى جنيف وفضل عليها وساطة كيسنجر، بالاضافة إلى أن إسحاق رابين الذى خلف جولدا مائير كان يجد إسرائيل تمر بظروف صعبة وضغوط وعزلة دوليين ولذا كان مستعدا لإجراء تسوية مباشرة مع مصر وأكثر رغبة فى مقايضة الأرض بالسلام. وكان معظم إهتمام إسرائيل هو السلام مع مصر لأنه، أى السلام، مع مصر، يعيد الثقة إلى إسرائيل ويقضى على عزلتها ويجنبها الضغوط الدولية ويوفر الأمن لها.

فخروج مصر من المعركة يؤدى إلى إستقرار تنشده إسرائيل بعد ضرب إقتصادها بالحرب، وخاصة أن إنسحابها من سيناء سيقابله الكثير من التنازلات المصرية، مثل فتح الممرات المائية بما فيها قناة السويس أمام الملاحة الإسرائيلية وإنهاء المقاطعة الاقتصادية والكف عن الدعاية ضد إسرائيل، وكان الجانبان المصرى والإسرائيلى تحت المظلة الأمريكية مهيئان للإتفاق حول فض الاشتباك ثم حول السلام. وبفضل تحرك كيسنجر وإستجابة كل من مصر وإسرائيل للأسباب التى ذكرناها من قبل تم التوصل لإتفاقيتى الفصل بين القوات الأولى فى يناير ١٩٧٤ والثانية فى سبتمبر ١٩٧٥ .

وقد حاولت الحكومة المصرية من خلال الهيئة العامة للإستعلامات وبعد إتمام الاتفاق الثانى للفصل بين القوات على الجبهة المصرية أن ترد على كثير من الشائعات والتساؤلات (١). وهى ردود تعكس أصل الشائعة أو التساؤل على النحو التالى :-

= هل أدت الإتفاقية إلى تجميد الموقف؟

= هل أدت الإتفاقية إلى تجزئة القضية؟

= هل أدت إلى ترك الثورة الفلسطينية تقاتل وحدها؟

= هل شكلت الإتفاقية إعترافا بإسرائيل؟

= هل هى تكريس للسياسة الإسرائيلية المعلنة منذ زمن بعيد والقائلة بأن الصراع مع العرب ينبغى أن يحل بالمفاضات الثنائية؟

= هل ثبتت الإتفاقية حدوداً آمنة للعدو مع مصر داخل الأراضى المصرية ذاتها؟

= هل انتهت حالة الحرب بين مصر وإسرائيل؟

وقراءة متأنية لهذه الردود الساذجة وغير الواقعية على تساؤلات وشكوك أثبت الزمن جديتها، تبين أن الإعلام المصرى آنذاك فى مواجهة الشكوك العربية قد وصل إلى حد المصارحة.

وكانت فرصة كيسنجر سانحة لتحقيق عدد من الأهداف وخاصة أن الرئيس السادات كان مهددا بهزيمة عسكرية تشابه هزيمة ١٩٦٧ فعمد إلى :-

(١) انظر كتيب الهيئة العامة للاستعلامات - وزارة الإعلام - القاهرة - التاريخ (بدون) بعنوان «الإتفاق الثانى لفصل القوات على الجبهة المصرية ص ٣٣ - ٤٦

(أ) إنجاح خطوتى فك الاشتباك الأول والثانى، وهو أمر جذب الرئيس السادات ومصر ناحية الولايات المتحدة، وكان الرئيس مهيئا لهذه الظروف بعد أن دعم علاقاته بالدول العربية المحافظة وخاصة السعودية.

(ب) الإستعانة بالرئيس السادات نفسه لرفع الحظر الدولى البترولى عن الغرب وهو أمر يحدث تفككا فى الجبهة الصامدة ويضرب الخط السوفييتى فى الشرق الأوسط، وفعلا قرر وزراء النفط العرب المجتمعين فى فيينا فى مارس ١٩٧٤ رفع الحظر (١) .

ولم يكن أمام السوفييت فى مواجهة هذا الهجوم الدبلوماسى الأمريكى إلا التحرك وفق محاور ثلاثة: (٢)

الأول : ـ شن حملة ضد السادات للوصول إلى عزلته داخل مصر وخارجها.

الثانى : ـ زيادة الدعم السوفييتى لسوريا والعراق لمنعهما من الإقتداء بمصر.

الثالث : ـ تحسين العلاقات مع ليبيا بعد أن تفهمت الموقف السوفييتى.

وأخيرا أدى التقارب المصرى الأمريكى ومرونة الموقف الأمريكى بعد أن لمح تغيرات هامة فى سياسة الرئيس السادات

(١) د. اسماعيل صبرى مقلد «الصراع الأمريكى السوفييتى حول الشرق الأوسط» المرجع السابق ص ٣٦٣ـ ٣٧٠

(٢) نفس المرجع السابق ص ٣٧١ .

الخارجية إلى إجهاض كثير من منجزات وتأثيرات حرب أكتوبر. وقد أدى كل ذلك إلى تجميد الموقف وإخراج مصر من المعركة ومنح إسرائيل فترة إستقرار طويلة ووأد سلاح البترول قبل أن ينجز كامل مهمته، وكان إيذانا ببداية النهاية للنفوذ السوفييتى فى الشرق الأوسط وبداية حقيقية لنمو المصالح الأمريكية فى المنطقة.

دور الإعلام المصري

فى حرب أكتوبر ١٩٧٣

الآن قد مضت سنوات طويلة على أكتوبر ١٩٧٣ صدرت خلالها المذكرات الكثيرة عن الحرب، سواء من جانب المسئولين الحربيين فى مصر أو فى إسرائيل، وأصبحت هذه المعركة تدرس فى المعاهد الاستراتيجية فى العالم، إلا أن هناك نقصا كبيراً بالنسبة لموضوع هام يجب أن يسجل للأجيال القادمة، ويجب أن يدرس فى كل المعاهد العلمية للإدارة، وهو موضوع حكومة ٦ أكتوبر وإدارتها لما قبل المعركة وأثناءها وبعدها.

إن كل الذى نعرفه عن هذه الحكومة أن الرئيس الراحل أنور السادات أصدر قراراً بتشكيل حكومة برئاسته، وكلف الدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء وقتئذ بأن يكون رئيسا لمجلس الوزراء، وأن يكون مسئولا عن الحكومة أمام مجلس الشعب، وبذلك يتحمل المسئولية البرلمانية لإدارة الحكومة ـ قبل المعركة وأثناءها وبعدها.

ثم وجدنا اجتماعات مجلس الوزراء برئاسة الدكتور محمد عبد القادر حاتم تستمر أكثر من خمس ساعات، بل وصلت أحياناً - حسبما أعلن وقتئذ فى الصحف والإذاعة والتليفزيون - إلى تسع ساعات ، الأمر الذى جعل بعض الكتاب ينتقد طول وقت انعقاد مجلس الوزراء، واتضح بعد قيام المعركة أن مجلس الوزراء كان يدرس ويضع تنظيما إداريا (لم يعلن عنه) ولكن ظهرت نتائجه فى حرب ٦ أكتوبر.

فقد فوجئنا بإعلام جديد لم تعرفه مصر إلا فى حرب ١٩٥٦، إعلام يقول الحقيقة ويصارح الشعب بكل المشاكل - لاتشنج ولا مظاهرات ولا هتافات، بدأ هذا الخط الإعلامى بعد تشكيل الحكومة مباشرة.

وفى اليوم الثالث من حرب أكتوبر لخص الدكتور محمد عبد القادر حاتم، فى حديث أذيع من صوت العرب، «سياسة الإعلام المصرى» بقوله: نعتمد فى سياستنا الإعلامية على المبادئ التالية:

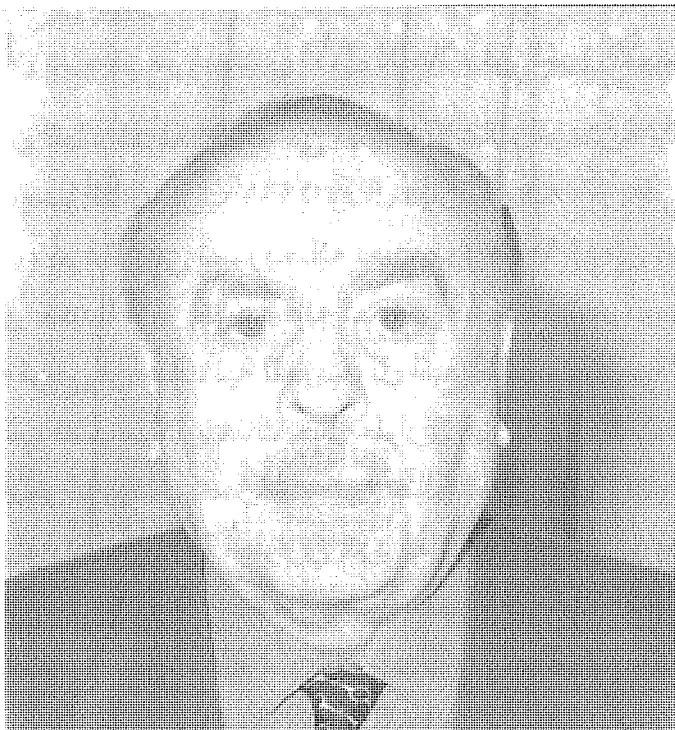
أولا : تقديم الحقائق للشعب والعالم بأسره برزانة وموضوعية.

ثانيا : الابتعاد عن المبالغات والمغالاة فى تقدير قوتنا وانتصاراتنا، وكذلك الامتناع عن الاستخفاف بقوة العدو.

ثالث : انتهاج أسلوب هدفه تقديم الحقائق بعيدا عن الانفعال.

رابعا : الالتزام بمبدأ الايحاء بالأعمال وليس بالكلام.

إن كل من يذكر حرب أكتوبر يذكر بالفخر أسلوب إعلام هذه



دكتور محمد عبد القادر حاتم رائد الإعلام العربى.

الحرب، ويقارنه بما كان عليه الحال فى حرب ١٩٦٧ - يذكر كيف وضع د. محمد عبد القادر حاتم رئيس وزراء حكومة أكتوبر، بالنيابة عن الرئيس الراحل السادات، خطة الإعلام قبل وأثناء وبعد المعركة.

ولابد أن نذكر ماقاله الغرب وعلماء الإعلام، فقد قالت جريدة التايمز أن د. حاتم هو المهندس الأول للإعلام فى الشرق الأوسط.

كان العالم قد فقد الثقة فى أجهزة الإعلام المصرية والعربية وخصوصا أثناء حرب ١٩٦٧ وقال ديان كلمته: «إن العرب لا يقرأون»، ثم قال فى تصريحاته بعد حرب ١٩٧٣: «إن الإعلام المصرى خدعنا أكبر خدعة فإنه لم يذكر قبل ٦ أكتوبر أى خبر أو معلومة توحى أن هناك نية للحرب، بل اتبع أساليب إعلامية جديدة فى العالم، فنشر مرة أن هناك حالة طوارئ فى القوات المسلحة، ولما بحثنا الأمر لم نجد أى تحركات تبين حالة الطوارئ، وكانت القوات الإسرائيلية أعلنت حالة الطوارئ كرد فعل لهذا الخبر. ثم بعد ذلك بشهر سربت أجهزة الإعلام المصرية خبراً بأن حالة الطوارئ قد أعلنت، فقامت مرة ثانية إسرائيل بإعلان حالة الطوارئ، واتضح أيضاً بأن هذا غير حقيقى.. ورددنا أن ماتذيعه أجهزة الإعلام المصرية ما هو إلا من باب الاستهلاك المحلى. ولذلك لما أعلنت حالة الطوارئ بمصر فى ٤ أكتوبر تأخرنا فى إعلان حالة الطوارئ فى القوات الإسرائيلية - فكانت المفاجأة الإعلامية التى قامت بها أجهزة الإعلام سبباً فى عدم توازننا الداخلى».

خطة الإعلام المصرى فى حرب أكتوبر:

التمهيد لحرب أكتوبر ١٩٧٣ وأثناءها: يجب الاعتراف بأن البداية العلمية للتخطيط الإعلامى للمعركة قد انبثقت أساساً من أخطاء الإعلام فى معركة ١٩٦٧، ففى ضوء ما حدث من أخطاء فى تلك الفترة وتمهيداً للاستراتيجية السياسية التى وضعتها القيادة السياسية، تم وضع خطة إعلامية شاملة ومسبقة، تنهض على أسس علمية واضحة أدخلت فى اعتبارها المراحل التالية:

١ ـ مرحلة ما قبل المعركة.

٢ ـ مرحلة أثناء المعركة.

٣ ـ مرحلة مابعد المعركة.

وتضمنت خطة كل مرحلة، تخطيطاً سليما لموقف الإعلام المصرى فى الداخل والخارج.

كما وضع فى الاعتبار أيضا البدائل التى يمكن استخدامها وفقاً لما يطرأ على الموقف من احتمالات أو تغييرات على الخطة الأصلية.

خطة الإعلام الداخلى:

تجنب الإعلام المصرى الارتجال، وردود الأفعال الانفعالية التى تجلب من الضرر أكثر مما تأتى بالنفع. وقامت خطته على مبادئ أساسية بالنسبة للداخل، أهمها:

* حق المواطن فى أن يعلم، وهو حق قرره الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، فطبقا لهذا الإعلان ينبغى احترام حق المواطن فى أن

يعلم، وتعتبر الأجهزة الإعلامية مسئولة عن أن يقف المواطن على الأخبار والبيانات والمعلومات منها؛ قبل أن يستمع إليها من أجهزة إعلامية أخرى.

*إطلاق حرية الصحافة ورفع الرقابة عنها لتصبح أداة فعالة فى خدمة الشعب.

* حق المواطن فى أن يعرف عدوه، وعلى ذلك كان أهم ما راعته الخطة الإعلامية هو الافراج عن الكتب الخاصة بإسرائيل تحت شعار «اعرف عدوك» وتم ترجمتها ونشر طبعات شعبية منها.

*العمل على ترسيخ العقيدة كدافع مؤثر فى سلوك الفرد والجماعات سواء كانت عقيدة دينية أو وطنية. ففى العقيدة الدينية تمجيد للقتال والاستشهاد من أجل الوطن.. وفى تحقيق ذلك كله ابتعد الإعلام عن الحملات التشنجية والتزم بالموضوعية التامة.

* تقديم المعلومات والحقائق للجماهير والشعب أول بأول وفى أسرع وقت، فذلك هو السبيل العلمى للقضاء على الشائعات التى تشكل خطرا على الجبهة الداخلية.

خطة الإعلام الخارجى:

كان من أول ما اتخذه الإعلام المصرى قبل حرب أكتوبر: فتح الأبواب أمام وكالات الأنباء والصحف والإذاعات العالمية، ورفع الرقابة التى كانت مفروضة على مراسلاتها. وما كاد هذا الإجراء ينفذ حتى سارعت وكالات الأنباء والصحف العالمية إلى إيفاد مراسليها إلى مصر. وبدأت أخبار مصر تظهر للعالم بأسلوب جديد يقوم على الحقائق لا الانفعالات.

وكان الهدف الرئيسى للإعلام الخارجى هو التركيز على رغبة العرب فى السلام للتفرغ لأعمال البناء والتعمير والتقدم، وتوضيح الحقائق التى تؤكد أن حكام إسرائيل لايؤمنون بالسلام، لأن مجدهم الشخصى قائم على شن الحروب وإكتساب البطولات الزائفة على جثث الضحايا من شعبهم. ودليلنا على ذلك العدوان المتكرر الذى مارسوه منذ عام ١٩٤٨ .

وهكذا أصبحت أجهزة الإعلام العالمى تستمع إلى مصر، بل وجدنا أن أجهزة إعلام إسرائيل نفسها كانت تذكر خسائر بلادها وهى تتحفظ فى ذكر هذه الخسائر كعادتها، ولكن الأغرب من ذلك أن أجهزة الإعلام المصرية كانت تذكر خسائر إسرائيل بأقل مما تقوله عن نفسها، الأمر الذى جعل العالم يصدق مصر ويثق فى الجهاز الإعلامى المصرى، بل يحترم كلمة مصر ويشيد بإعلامها.

ولاشك أن الدكتور حاتم وهو رائد الإعلام العربى، وقد وضع هذه الخطة الإعلامية، سوف لايضن على معاهد الإعلام المصرية والعربية بنشر وثائق هذه الخطة. وإذا كان لم ينشر حتى اليوم مذكراته التى ستكون المصدر الرئيسى والسجل الرسمى لإدارة حكومة أكتوبر ـ فإن الوقت قد حان لنشر هذه السجلات الرسمية.

القسم الثالث

الأوضاع فى الشرق الأوسط بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣

الفصل الأول

الأوضاع فى مصر

المرحلة الساداتية والتغيير الأول

التعقيب

الفصل الثانى

الأوضاع السياسية فى إسرائيل بعد حرب ١٩٧٣ وقبل رحلة السادات

الفصل الثالث

الرؤية الأمريكية السياسية فى النزاع العربى بصفة عامة

المرحلة الساداتية
المظاهر والدوافع ونظرة عامة

أولا مظاهر التغيير (١) :

نبدأ بمظاهر التغيير على الصعيد الداخلى إبان عهد الرئيس الراحل أنور السادات، فنجد الضربة التى وجهها إلى القوى الناصرية وإلى اليسار بشكل عام تحت مسمى «ثورة مايو ١٩٧١» ولم تكن هذه الضربة إلا بداية تصفية عهد والدخول إلى مرحلة جديدة تختلف فى مرتكزاتها عن المرحلة الناصرية.

وقد رفعت حركة التصحيح فى مايو ١٩٧١ شعار القضاء على مراكز القوى بمعنى دعم الديمقراطية، إلا أن الدلالة المباشرة لضرب مراكز القوى هو الابقاء على مركز واحد للقوة هو تصورات الرئيس قائد المرحلة.

ومظهر ثان للتغيير الداخلى، كان اقدام السادات بعد حرب أكتوبر

(١) نقسم التغيير فى مظاهره إلى تغير على الصعيد الداخلى وتغير على الصعيد الخارجى.

١٩٧٣ على تدعيم سياسة ليبرالية على كل المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية بما فى ذلك بداية فك الإجراءات الاشتراكية.

والمظهر الثالث، وكان مدخله دعم التوجه الليبرالى، هو محاولة الدخول إلى اتفاق عام مع الجماعات المحافظة فى المجتمع المصرى وهى جماعات دينية واقتصادية وسياسية واجتماعية بهدف ضرب مسلمات ومفاهيم الحقبة الناصرية وإيجاد المؤيدين الذين يشيدون بعهد السادات ويؤيدونه، بمعنى أن يكون هنا ساداتيون فى مقابل ومواجهة الناصريون.

وفى نفس عام ضرب مراكز القوى ١٩٧١ قاد السادات حملة عريضة للافراج عن المعتقلين وإصدار عفو عن الصحفيين وكان أكبر المستفيدين من هذا الافراج جماعة الاخوان المسلمين والهدف إطلاق هذا المارد من القمقم الذى حشره داخله عبد الناصر ليواجه الناصريين واليسارين المضروبين.

ورابع المتغيرات الداخليةِ نجده فى إقدام السادات على السماح بوجود منابر للرأى تحولت إلى ثلاثة أحزاب منذ عام ١٩٧٦ بضوابط رسمها قائد المرحلة، وأن يكون حزب مصر العربى الاشتراكى «حزب الرئيس» معبرا عن الوسط وحزب الأحرار يمثل اليمين، وحزب التجمع الوطنى التقدمي الوحدوى يمثل اليسار، ورفض السادات أية طلبات جديدة لقيام أحزاب من الناصريين أو الإخوان المسلمين أو غيرهم.

وخامس المتغيرات الداخلية نجده فى قيام السادات بتعديل الدستور عام ١٩٧٩، جعل فيه الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع وهو أمر دعم من حركة الجماعات الإسلامية.

وأخيراً نجد سياسة الانفتاح الاقتصادى التى بدأها السادات فى عام ١٩٧٤ بهدف تحرير الاقتصاد المصرى وإنهاء إحتكار القطاع العام وتشجيع القطاع الخاص والاستثمارات العربية والأجنبية، وقد كشفت هذه السياسة أن السادات قد تراجع تماماً عن الرؤية الناصرية، وقد لاقت هذه السياسة تأييداً من الرأسمالية المصرية ورجال الأعمال، وعارضتها الشرائح ذات الدخل المحدود وكذلك القوى الناصرية واليسارية بشكل عام.

وهناك مظاهر للتغيير على الصعيد الخارجى أولها: إستجابة السادات للرؤية الأمريكية فى فض الاشتباك، وكذلك بإعادة العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٧٤ .

وثانى هذه المظاهر نجده فى اختيار السادات للتحالف مع الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية (١) بديلا عن سياسات القوة العربية وعدم الانحياز والتحالف مع الاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية وقوى التحرر الوطنى فى العالم وكانت للرئيس السادات دوافعه إلى ذلك وهو مانشير إليه فيما بعد.

وثالث المظاهر الخارجية فى التغيير كان الصلح مع إسرائيل

---

(١) أدى التحالف إلى استئناف المعونة الأمريكية لمصر عام ١٩٧٤ وإلى وساطة أمريكا فى فض الاشتباك الأول والثانى وإلى مساهمة أمريكا وأوروبا بدور هام فى تطهير قناة السويس وإعادة فتحها للملاحة وحددت استرخاء عام فى المنطقة وهو أمر يهم الغرب فى المقام الأول لأسباب اقتصادية

بديلا عن سياسة ما أخذ بالقوة لايسترد بغير القوة، وسياسة اللاءات الثلاث التى انبثقت عن مؤتمر القمة بالخرطوم عام ١٩٦٧ : لاسلام - لا تفاوض - ولا اعتراف بإسرائيل مع التمسك بحق الشعب الفلسطينى فى أرضه وفى وطنه.

ورابع هذه المظاهر الخارجية كان على المستوى العربى إذ اتسم تحرك السادات دون قيد من تصورات ومسلمات عربية سابقة وهو أمر أوقعه فى خلاف كبير مع العالم العربى.

وخامس هذه المظاهر كان تقطيع أواصر التعاون والتحالف مع الاتحاد السوفييتى خطوة خطوة، بأن بدأ بتوجيه الانتقادات إلى الصديق السوفييتى، ثم طرد ٢٠ ألف خبير عسكرى سوفييتى من مصر فى يوليو ١٩٧٢ وإلغاء معاهدة الصداقة مع السسوفييت عام ١٩٧٦ وهى المعاهدة التى وقعها عام ١٩٧١ ذراً للرماد.

وسادس هذه المظاهر كان التحرك النشط فى عداء للتحرك السوفييتى الخارجى ومن ذلك مساعدته لجعفر نميرى فى السودان لسحق الحزب الشيوعى فى يوليو ١٩٧١ .

ثانياً: دواعى التغيير:

ويمكن النظر إلى دواعى التغيير بتصنيفها إلى أربعة مجموعات:- دواعى داخلية، ودواعى عربية، وثالثة متصلة بالولايات المتحدة وإسرائيل، وأخيراً المتعلقة بالاتحاد السوفييتى.

وأول الدواعى الداخلية نجده فى توجس الرئيس السادات من القوى الناصرية واليسارية وتصوره أنها لن تتركه يستمر، وهو

ماقوى شعوره بالخطر منها ومن حليفها الاتحاد السوفييتى، وكان الطريق إلى تسكين هذا الشعور هو مواجهة «مراكز القوى» وقطع صلاته التقليدية بالأتحاد السوفييتى وتغير تحالفاته ناحية الولايات المتحدة.

وثانى هذه الدوافع الداخلية كان تأثير الأوضاع الاقتصادية المتردية بعد سلسلة من الحروب والتضحيات، واجتمع هذا الدافع مع الشعور بالخوف من مراكز القوى وتحالفاتها وقاده إلى طريق واحد هو الطريق الأمريكى.

ونأتى إلى الدافع الثالث وهو يتصل بالشخصية نفسها، فقد عانى السادات طويلا من عقدة الرجل الثانى أو أبعد من ذلك ولم يتمكن من تجاوزها إلا بتجسيد تصوراته الشخصية والتخلص من مسلمات عصر سلفه ودفعه إلى ذلك أيضا مجمل الظروف الداخلية والخارجية آنذاك.

وهناك دواعى تتصل بعلاقات السادات العربية ومن ذلك ما شرحه مثقفو المرحلة الساداتية من أن مصر تحملت كل العبء بالمال والسلاح والرجال وأن الدول العربية رغم إنها جنت أرباحا هائلة بسبب استخدام سلاح البترول إبان حرب ١٩٧٣ قد احجمت عن تقديم المساعدات الكافية إلى مصر للنهوض من عثرتها الاقتصادية. كما تم الترويج إلى فكرة أن السوريين والفلسطينيين ليسوا فى عجلة من أمرهم لإنهاء نزاع الشرق الأوسط لأنهم يستفيدون من استمراره. وحدث تصعيد آخر مع عودة الرئيس السادات من زيارة القدس الشهيرة عام ١٩٧٧ وذلك عبر المناقشات الحامية التى قالت بأن

حضارة مصر هى جزء من حضارة البحر الأبيض المتوسط أى جزء من الحضارة الأوروبية [١]، وأن العرب مازالوا بدواً غير قادرين على إدراك أن السلام مع اسرائيل يعبر عن سلوك متحضر وعن إلتقاء حضارتين قديمتين عظيمتين، ولذلك يتعين على مصر عقد سلام مع إسرائيل وإلتزام الحياد فى مجال السياسة الخارجية وضغط نفقات التسلح والتركيز على التنمية الاقتصادية والاجتماعية. وهذه الأفكار لم تكن جديدة على المصريين بل تعود إلى رؤية الخديوى إسماعيل بأن مصر قطعة من أوربا وهو اتجاه يحيى اللبرالية المصرية بعد أن سيطر القوميون العرب والتيارات الإسلامية على الساحة تماماً، وقد حظى هذا التيار اللبرالى بتأييد من السادات، بل نقل أن السادات كان محييه، ووصل الأمر إلى التشكيك فى عروبة مصر والأشارة إلى اصولها الفرعونية، ثم انتهى الأمر برفع شعار مصر أولا ومصر أخيرا وهو شعار يصطدم مع شعارات القومية العربية.

وهناك من الدوافع ما يتصل بالولايات المتحدة وإسرائيل، ومن ذلك إقتناع السادات بأن الولايات المتحدة هى أقوى دولة فى العالم ويمكنها أن تقوم بأدوار تتعدى القدرات السوفيتية، ومن ذلك قدرتها على تقديم المعونات الاقتصادية لمصر للخروج من أزمتها، أو ليست امريكا هى التى تقدم كل شئ لإسرائيل؟، وكذلك قدرتها على تحديث سلاح وفاعلية القوات المسلحة المصرية، وأخيرا أنها الوحيدة القادرة على الضغط على إسرائيل للاستجابة لقرارات الأمم المتحدة والانسحاب من الأراضى العربية المحتلة وخاصة الأراضى

(١) يلاحظ اقتراب هذه النظرة من دعوة «الفينقية» فى لبنان.

المصرية.

ونجد الدوافع المتصلة باسرائيل وبالسلام الذى ترعاه الولايات المتحدة، وكان مدخل ذلك تعديل العلاقة الاستراتيجية من الاتحاد السوفيتى إلى الولايات المتحدة. وكانت زيارة السادات للقدس عام ١٩٧٧ والصلح مع اسرائيل عام ١٩٧٨ مدخلا إلى تحقيق سلام عادل ودائم فى تصور الرئيس السادات يتيح لمصر فترة استقرار لازمة لاعادة بناء اقتصادها وان يكون هذا الاستقرار بديلاً عن حشود الاستعداد والمواجهة، كما وقر فى ذهنى الرئيس السادات أن الحرب لاطائل من ورائها وأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تسمح بهزيمة إسرائيل ولذا يجب البحث عن حل سلمى بمباركه أمريكا. وأخيرا نجد الدوافع المتصلة بالاتحاد السوفيتى وقد تم التعرف عليها من خلال عرض الدوافع بأمريكا وإسرائيل والاضافة الوحيده هى اقتناع السادات بأن الاتحاد السوفيتى غير قادر على مساعدة مصر فى مجالين أساسيين وهما المعونات والفعل المؤثر لحل مشكلة الشرق الأوسط.

التعقيب على مظاهر التغيير ودوافعه

تعقيب عام:

نجد امامنا عده ملاحظات عن مرحلة «السادات» والتى عرضناها من خلال مظاهر التغيير ودواعى التغيير.

الملاحظة الأولى أن السياسة الخارجية هى انعكاس أمين للأوضاع الداخلية فى بلد ما، وهذه مقولة أثبتت الأحداث صحتها حقبة بعد الأخرى، ولهذا فإن ما اعتبره بعض المحللين انقلاباً فى السياسة الخارجية بعد تولى الرئيس السادات الحكم، بمعنى انقلاب غير مفهوم، لايستند ذلك إلى أساس لأن السادات لم يكن يقدم على التحول الدرامى داخلياً ومن ثم خارجياً إلا نتيجة ضغط الظروف الداخلية والخارجية التى سبق أن أشرنا إليها، وأبرزها الخوف من اليسار ومن الاتحاد السوفيتى واقتناعه الراسخ بأن الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك ٩٩٪ من أوراق حل مشكلة الشرق الأوسط.

والملاحظة الثانية تتراكم فوق الملاحظة الأولى، لأن السادات بدأ يمهد السبيل إلى التعاون مع أمريكا مبكراً بعد توليه الحكم، وذلك

بالضربة التى وجهها إلى اليسار المصرى وخاصة الناصرية، ثم بطرد الخبراء العسكريين السوفيت، ولما لم تفلح اشاراته فى تحقيق ما يصبوا إليه قام بحرب أكتوبر بغرض التحريك وليس التحرير، وتحقق له ما أراد بفتح الباب المؤدى إلى التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية.

والملاحظة الثالثة تتراكم هى الأخرى على الملاحظتين السابقتين، لأن مصر فى السبعينيات كانت قد حققت تعاوناً إقتصادياً مدراً للمعونات والعملات الصعبة من خلال العمالة المهاجرة إلى الخليج، والمعونات الاقتصادية والمالية العربية، ومع ذلك كانت آمال السادات أبعد من ذلك لأنه كان يرفع التحرك بعيداً عن مسلمات العالم العربى المتصلة بحل النزاع العربى ـ الإسرائيلى وهو ما يدفعه حتما للصدام مع بقية العالم العربى. فقد كان السادات يسعى إلى مناخ استقرار بديلاً عن المناخ الثورى، ومصدر للمعونات أكثر سخاء من العالم العربى والأتحاد السوفييتى، وكان يتصور فى السلام مع إسرائيل والتحالف مع أمريكا طريق إلى ذلك، وأنتهى به التفكير إلى افساح الطريق أمام التشكيك فى عروبة مصر وإلى أن الأنتماء المصرى هو أقرب إلى الفرعونية وحوض البحر الأبيض المتوسط، وانتهى الأمر إلى عداء من جهتين داخلية وخارجية: من الناصريين والاسلاميين ومن الدول العربية.

والملاحظة الرابعة تتراكم هى الأخرى، أى تنسجم مع ما سبق لأن قواعد التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية لا تتجزأ فكان عليه ان يقيم دعائم الديموقراطية التى قامت أولاً على المنابر ثم التعددية الحزبية، واقتضى ذلك السير فى سياسة الانفتاح الاقتصادى

وتدعيم قوانين السوق الحرة فى الداخل وهما شرطان لتحقيق التعاون مع أمريكا .

والملاحظة الخامسة المتراكمة هى اضطرار السادات إلى فتح المجال أمام الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية الأخرى لموازنة اية تحركات يسارية أو ناصرية، وأقدم على خطوة اكبر عام ١٩٧٩ بأن أدخل تعديلا على الدستور جعل فيه الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع وهو أمر دعم من استمرار مطالب الجماعات الإسلامية.

والملاحظة السادسة المركبة نلخصها فى القول بأن سياسة الرئيس السادات القائمة على المحاور الأربعة لم تلق النجاح الذى كان ينشده، والدعائم منها دعامتين متصلتين بالداخل، وهما الانفتاح الاقتصادى والديمقراطية المحسوبة، ودعامتين متصلتين بالخارج، وهما التحالف مع الغرب وخاصة الولايات المتحدة الامريكية والصلح مع إسرائيل، وبالنسبة لسياسة الانفتاح الاقتصادى وأعمال آليات السوق بديلاً عن التخطيط والدعم، فقد أنتهى إلى ارتفاع مستمر فى نفقات المعيشة وتذمر القطاعات محدودة الدخل واتساع الفروق بين قطاعات الشعب، وأدى ذلك إلى كم من الفساد ومن التضخم والتذمر عبر عن نفسه بانتفاضه الطعام فى يناير ١٩٧٧ وكانت بمثابة نذير للحكومة.

وبالنسبة للديمقراطية المحسوبة فقد خرج الأمرمن يد السادات بعد أن أطلق المارد من «القمقم»، وفشل السادات فى التعامل مع المعارضة بكل فصائلها وانتهى الأمر عام ١٩٨١ بأن أوقف صدور

عدد من الصحف والمطبوعات واعتقل أكثر من ١٥٠٠ من أبرز الشخصيات المعارضة لايجمعها رابط إلا معارضة السادات أو شعوره بالخطر من معارضتها، كما قام بخطوة غير مسبوقة فى التاريخ الحديث بعزل البابا شنوده بابا الكنيسة القبطية من منصبه وحدد اقامته. واعتقل قيادات الاخوان المسلمين فيما اسماه «الفتنة الطائفية».

وعن استخدام الجماعات الإسلامية فى عملية التوازن السياسى نجدها قد استفادت من المناخ الديمقراطى المحسوب ولجأت قطاعات منها إلى استخدام العنف للضغط من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية مسترشدة بالخومينية فى إيران وأصبحت صورة الاتجاه الإسلامى الأصولى فى عهد السادات على النحو التالى:-

= أصبح الشعب المصرى أكثر تدينا وتحفظا كما بدأت موجة التعذيب فى الانحسار.

= أحرزت جماعة الاخوان المسلمين وهى الحركة الإسلامية الرئيسية فى مصر منذ العشرينات موقعا متميزا رغم عدم تمتعها بوضع رسمى كحزب أو جماعة، إلا أنها تمكنت من العمل ضمن الإطار الشرعى السائد، وبعد أن بعثها السادات وسمح لها بالحركة وأصبحت أكثر استعدادا لقبول الديمقراطية الليبرالية طريقاً لاكتساب الشرعية السياسية، وتحالفت مرة مع حزب الوفد وأخرى مع حزب العمل وحزب الأحرار وحصلت على ٤٠ مقعداً فى انتخابات ١٩٨٧ وتحولت إلى أكبر قوة معارضة، وقد اتسم سلوكهم بالاعتدال والمرونة وخاصة لقبولهم بفكرة التدريجية فى

تطبيق الشريعة ونبذ العنف والإرهاب ولذا عادتهم الجماعات المتطرفة بوصفهم قوة مستأنسة، وقد استندت قوة الاخوان المسلمين إلى سيطرتهم على مؤسسات اقتصادية سيطرة عرفت باسم «توظيف الأموال». وقد ظهرت إلى جانبهم جماعات دينية تمكنت من اغتيال الرئيس السادات فى أكتوبر ١٩٨١ وتحولت الجماعات - المعتدلة والمتطرفة - إلى القوة فى الشارع السياسى المصرى مقارنة بقوة القومية فى الخمسينيات والستينيات والليبرالية فى السبعينيات.

وبالنسبة للتحالف مع أمريكا والصلح مع إسرائيل نجح السادات فى الحصول على معونات اقتصادية وعسكرية أمريكية وتمكن من استرداد سيناء، إلا أنه لم ينجح فى تحقيق سلام عربى - إسرائيلى شامل أو احتواء عدوانية إسرائيل تجاه العالم العربى وذلك لأن إسرائيل بعد أن خرجت مصر من المعركة من خلال اتفاقيات السلام اتجهت إلى أجزاء أخرى من الوطن العربى تفرض فيها هيمنتها مثل العراق ولبنان، كما فشلت مصر فى توظيف النفوذ الأمريكى لكبح جماح إسرائيل وهو ما أكد عصر قوة الرابطة الأمريكية - الإسرائيلية وقوة النفوذ الإسرائيلى داخل مؤسسات الفعل الأمريكى.

كما اتضح لمصر أن الولايات المتحدة الأمريكية تحابى وتتحيز لإسرائيل فى أكثر من مجال، مثال ذلك فى مجالات المعونات الاقتصادية والعسكرية، كما مارست الولايات المتحدة ضغوطها على مصر لتوقيع معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية بينما تركت لإسرائيل الحبل على الغارب.

الفصل الثانى

الأوضاع السياسية في إسرائيل

قبل رحلة السادات

كان من نتائج حرب أكتوبر ١٩٧٣ أن سقطت «جولدا مائير» ومعها حزب العمل الذى استمر فى الحكم أكثر من ٢٩ عاما، فقد أشتد الاستقطاب بين الكتلتين اللتين تتنازعان على الحكم بعد حرب ١٩٧٣، وهما كتلة حزب العمل بزعامة «شيمون بيريز»، وكتلة الليكود بزعامة «مناحم بيجين» (١) و «اسحاق شامير» (٢)، وهذا الاستقطاب كان قائما بصور مختلفة داخل الحركة الصهيونية.

وكان هذا الخلاف قبل عام ١٩٧٧ خلافا نظريا فى معظمه، لأن معسكر حزب العمل كان يسيطر على المسرح سيطرة تامة ولم يكن للتحدى الممثل فيما يسمى بمعسكر التصحيحيين أو المعسكر الوطنى تأثير يذكر على السياسة العملية. وطرأ تغيير أساسى على هذا الوضع فى يونية ١٩٧٧، قبل خمسة أشهر فقط من رحلة السادات إلى القدس، عندما شكل «بيجين» حكومته الأولى، وبذلك تحول

---

(١)، (٢): سيرة حياة كل منهما فى الملحقات.

الجدل الأيديولوجى إلى صراع سياسى حاسم سيطر على العقد الثانى برمته.

ولم يؤد التحول الذى حدث فى ١٩٧٧ إلى احلال سيادة الليكود المطلقة محل سيادة حزب العمل، لأن الليكود لم يحصل خلال هذا العقد إلا على أغلبية ضئيلة على حزب العمل (١٩٧٧ـ ١٩٨٤) أو كان متكافئا معه ومضطرا إلى إشراكه معه فى الحكم (١٩٨٤ ـ ١٩٨٨)، وقد حد هذا الوضع كثيرا من قدرة الليكود على اتخاذ القرارات فى القضية الأساسية المتعلقة بالحرب والسلام، وجعل من المناقشات التى تدور بين المعسكرين حول البرامج خلافا أساسيا حول المسلك العملى الذى تبعه إسرائيل.

ومن الطبيعى أن تقسيم الآراء السياسية إلى مدرستين فكريتين، هو تعميم واسع ولايستخدم إلا لأغراض التحليل. فقد كان مدى تنوع الآراء حول القضايا المرتبطة بعملية السلام من الاتساع بحيث يصبح مجرد ذكر مختلف الاتجاهات أمرا يتجاوز نطاق هذا الفصل. كما أنه ليس فى الوسع إيراد بيان هنا للاختلاف فى وجهات النظر بين القادة الإسرائيليين حتى داخل المعسكر السياسى الواحد ـ مثل الاختلاف بين «اسحاق شامير» «وآريل شارون» و «ديفيد ليفى» فى كتلة الليكود، أو «شيمون بيريز»، و «اسحاق رابين»، و«أبا إيبان» فى حزب العمل.

ومع التسليم بأن للشعب اليهودى حقوقا تاريخية فى أراضيه، فلابد لإسرائيل من تقديم حلول وسط بشأن الأراضى، وأن تتخلى عن المناطق التى يقطنها العرب بأعداد كبيرة. وربما كان من الخطأ

عدم التمسك بنوع من الحل الوسط فيما يتعلق بالأراضى فى سيناء أيضا، في مقابل وضع أكثر ملائمة بشأن قضيتى الضفة الغربية وغزة. فأمن إسرائيل هو الاعتبار الأسمى، ويقول مؤيدو هذه المدرسة أن عدم الوصول إلى تسوية أكثر شمولا ربما يؤدى إلى انهيار على الجبهة الشرقية، بل وقد يؤدى أيضا إلى إضعاف السلام القائم فى مصر.

والفرضيات الأساسية الكامنة وراء هذا الخلاف فى الرأى لها جذور عميقة فى تاريخ الصهيونية الفكرى والسياسى السابق على قيام الدولة. فقد ظهرت هذه الخلافات لأول مرة فى المرحلة الأخيرة للعصر العثمانى، عندما تصادمت المفاهيم الثورية للحركة العمالية، وهى التيار الذى خرج منه حزب العمل، مع نظرة المزارعين فى المستعمرات الصهيونية الأولى. كان التيار الأول يناضل من أجل ما أسماه «انتصار العمال» والسعى إلى إقامة الصهيونية بانشاء مجتمع جديد يعتمد على رؤية اشتراكية طوبوية، بينما كان التيار الآخر يركز اهتمامه على حل وطنى سياسى ضمن اطار مخطط دولى واسع.

لكن هذا الاستقطاب لم يصل إلى ذروته إلا فى فترة الانتداب، عندما انسحب «زئيف فلاديمير جابوتنسكى» من المنظمة الصهيونية، وأسس حركة التصحيحيين (وهو الفريق الذى خرج منه حزب بيجين). وكان التصحيحيون يستلهمون النزعات الوطنية الأوربية ذات الطابع الرومانسى والقائمة على الدعوة إلى الوحدة (وكان نموذجها الأساسى هو ايطاليا فى القرن التاسع عشر)، وأكدوا أن

«الوطنية قيمة مطلقة، وأنها تعبير عن التقدم الثقافى، وعن الحيوية، وعن تحقيق الهوية المتفردة، وتحقيق الذات والمصير المشترك» (١).

ولما كان هذا الفريق يدعو الشعب اليهودى إلى موقف انعزالى متمركز على الذات، فقد بنى أساطيره الوطنية على أفكار التضحية، والوحدة العضوية والعظمة والغلبة، وجعلوا من إنشاء الدولة الهدف الأسبق والأوضح بالقياس إلى معظم الاتجاهات الصهيونية الأخرى، ساعين إلى السيادة والهيمنة على إسرائيل التاريخية على ضفتى نهر الأردن. واستهدف التصحيحيون تحقيق ذلك بالقوة العسكرية التى لابد من الإعداد لها، لا كخيار طارئ بل كعمل من أعمال تأكيد الذات. وأكدوا أن الصهيونية لايمكن واقعيا أن تتحقق عن طريق التعاون مع العرب، أو الوصول معهم إلى حلول وسط، وقد رفض «جابوتنسكى» فكرة تقسيم فلسطين، ورأى أنها فكرة خالية تماما من أى معنى (٢).

وعلى خلاف ذلك كانت الرؤية الوطنية لمعسكر حزب العمل (وهو القوة الأساسية فى الحركة الصهيونية فى ذلك الحين، وكان قائدة المبرز «ديفيد بن جوريون») متأثرة بنظرة أكثر شمولا تمثلت فى الاشتراكية الروسية واشتراكية أوروبا الشرقية فى أطوارها المبكرة، وكانت هذه الحركة تمجد قيم العمل والأرض، وجهود الرواد، والمساواة الاجتماعية، والإحياء الثقافى.

---

(١) انظر «موقف حركة التصحيحيين من الحركة الوطنية العربية، بقلم «ياكوف شافيت» فى «الصهيونية والمسألة العربية» باللغة العبرية. (القدس: مركز زالمان شازار للتاريخ اليهودى، ١٩٧٩) ص ٧٩ . ويعتبر شافيت فى أوساط الليكود منحازا ايديولوجية التصحيحيين.

(٢) انظر «الصهيونية والعرب» ١٨٨٢ - ١٩٤٨ دراسة فى الأيديولوجية. بقلم يوسف جورنى (أكسفورد: كلاريندون برس، ١٩٨٧) ص ٢٦٧ .

وفيما يتعلق بانشاء المجتمع الجديد فى فلسطين باعتباره الوسيلة الوحيدة لاقامة أمة، ركزوا جهودهم على بناء المؤسسات، والمستوطنات، وعلى التنمية الاقتصادية، ودعا فريق كبير من معسكر حزب العمل الصهيونى إلى التضامن والتعاون مع الطبقة العاملة العربية الفلسطينية، وتمسك بهذا الهدف من ناحية المبدأ حتى فى الفترات التى كان يبدو فيها أنه هدف غير عملى، وكانت الحلول التى يقترحونها «المشكلة العربية» أكثر تنوعا وأقل وضوحا من الحلول التى يقدمها منافسوهم، ولكنها كانت أيضا حلولا أقرب إلى التنفيذ العملى. ومن بين النماذج المختلفة للحلول القائمة على الحل الوسط ثم فى نهاية الأمر اعتماد فكرة التقسيم - باعتبارها اختيارا لأقل الأضرار وخضوعا للقيود الموضوعية التى لاسبيل إلى تغييرها.

وعندما تعرض «بن جوريون» للهجوم من جانب معارضيه لعدم محاولته احتلال جميع الأراضى فى عام ١٩٤٨، رد فى الكنيست بأن ذلك لم يكن فى الوسع تحقيقه إلا عن طريق مذابح من طراز مذبحة دير ياسين وطرد السكان بالجملة، أو بالتخلى عن الديمقراطية وعن الطابع اليهودى للدولة، وأنه «لا يمكن فى الواقع تصور دولة يهودية فى مجموع أراضى إسرائيل التاريخية، أو حتى فى الجزء الغربى منها بدون دير ياسين» (١).

ومهما يكن من الاختلافات فى الجذور الأيديولوجية بين الليكود وحزب العمل فإنها لاتمثل تعارضا تاما بين هاتين المدرستين، وإذا كان هناك خطأ فيما يقوله المراقبون العرب من أن هذه الفروق هى

(١) محضر الجلسة ٢١ للكنيست، ٤ - ٦ ابريل ١٩٤٩، وقد ورد اقتباس لها فى كتاب «الخيار» الأردنى بقلم دان شوفتان (باللغة العبرية، (رامات جان، إسرائيل: ياد تابنكين، ١٩٨٦) الصفحتان ٢٤٧، ٢٤٨ .

خلافات تكتيكية ووهمية لا أكثر، فمن الخطأ أيضا المبالغة فى تلك الفروق وتصور أن الموقفين هما على طرفى نقيض ايديولوجيا، ولاشك فى أن استقطابا ايديولوجيا فى إسرائيل، ولكنه ليس بين الكتلتين الرئيسيتين، بل بين الفئات المتطرفة إلى الجانبين فى الطيف السياسى الإسرائيلى، بين أصحاب النظرة الدينية لاستعادة الأرض، وبين أصحاب النظرة التى تقوم على التصالح المتكافئ مع الفلسطينيين، أما الخلافات بين الكتلتين الرئيسيتين فأكثر من ذلك تعقيدا، وهى تعرض عادة فى الحوار العام على أسس برجماتية لاعلى أسس أيديولوجية.

ورغم تشبث كتلة الليكود بمعتقداتها الأيديولوجية، فإن حملاتها السياسية لاتعتمد على تلك المعتقدات، إذ تضم قيادة الليكود وأعضاؤه الكثيرين من ذوى الفكر الواقعى والمواقف العملية، ممن يدركون أن قيام إسرائيل التاريخية ليس مجرد ايمانا قويا بأن فهمهم للجانب العربى وللخريطة السياسية أكثر واقعية من فهم خصومهم، وأن برنامجهم يخدم المصالح الاستراتيجية الوطنية بصورة أفضل.

وقد تصادف أن كان الليكود على قمة السلطة حينما فاجأ السادات مصر والعالم العربى بزيارته الشهيرة للقدس وخطابه الذى القاه فى الكنيست الإسرائيلى، كان هدفه هدم الحاجز النفسى الذى يفصل العرب وإسرائيل وبناء الثقة لتحقيق سلام عادل وشامل.

ولم تأت هذه الزيارة من فراغ أو قفزة غير ممهد لها. بل بدأ السادات السير نحو كامب ديفيد منذ عام ١٩٧٠ - عام رحيل جمال عبد الناصر، وقام بتغيير واضح داخليا وخارجيا وهو أمر شرحناه من قبل.

الفعل الأمريكى

١ ـ على النحو الذى ذكرناه من قبل، كان التحرك الأمريكى للإسهام فى حل مشكلة الشرق الأوسط دون نتائج ملموسة رغم التحركات والاشارات المفهومة التى بعث بها الرئيس السادات إلى واشنطن وإلى إسرائيل، وكان لاستئناف الأتحاد السوفييتى لشحنات الأسلحة إلى مصر نتيجة ايجابية مكنت الرئيس السادات من شن حرب تحريك لضرب الجمود الذى فرضته إسرائيل ووافقت عليه الولايات المتحدة والذى عرف بحالة اللا سلم واللا حرب وهو موقف فى صالح إسرائيل وحدها.

٢ ـ وللدلالة على الموقف الأمريكى قبل عام ١٩٧٣ نورد ماجاء فى خطاب الرئيس نيكسون إلى الكونجرس فى ١٨/٢/١٩٧١ وهو خطاب فيه الشرح المفصل والواضح.

(أ) الموقف الأمريكى من النزاع العربى الإسرائيلى:

١ ـ ترى الولايات المتحدة أن إمكانية تسوية هذا النزاع لا تزال بعيدة، فالمشاعر المحلية مترسبة وعميقة بحيث تجعل من المتعذر

على القوى الخارجية التأثير على الدول المعنية فى المنطقة، وإلى أن يتم تخطى هذه المشاعر حين تدرك أطراف النزاع أهمية التوسط لحل وسط مبنى على التنازلات المتبادلة فسيكون متعذرا التوصل إلى تسوية يرضى بها الطرفان (إلى معيار محايد «لتسوية عادلة ومعقولة).

٢ ـ وانطلاقا من هذا الأساس، فإن الولايات المتحدة تؤكد بأن قرارات الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار تمثل الحد الأدنى اللازم توافره فى سبيل التوصل إلى تسوية للنزاع، وأن دور الولايات المتحدة كان حث الأطراف المعنية على معاودة الحفاظ على وقف إطلاق النار.

٣ ـ وبقيام هذا الحد الأدنى، فإن المجال للتسوية يوجد فقط على أساس الأخذ والعطاء بين الأطراف المعنية وفى شكل مفاوضات تنتهج وضع إطار لمفاوضات بين الطرفين تحت إشراف يارنج وتتفق مع القرار ٢٤٢ نوفمبر ١٩٦٧، أخذه فى الاعتبار المسائل المشروعة التى تهم الدول المعنية.

(ب) الأزمة وصلتها بسياسات القوى:

١ ـ ذكر نيكسون أنه لا يجوز توقع انفراد حكومته بصياغة شروط السلام فى المنطقة أو ضمانه، فالآخرين ـ سواء داخل المنطقة أو من القوى الكبرى ـ مدعوين لواجب البحث عن مجالات التفاهم بحيث تغلب كل منها اعتبارات السلام على مصالحها الخاصة، وبما يضمن للجميع مصلحة فى الحفاظ على السلام فى هذه المنطقة.

٢ - وأن الولايات المتحدة لم تحقق الكثير مما كانت ترجوه فى مباحثاتها مع الاتحاد السوفييتى أو فى إطار المحادثات الرباعية.
وأضاف نيكسون أن إدارته قد ذهبت إلى أبعد حد تراه مجديا انتشارا لتجارب الأطراف الأخرى إزاء مقترحاتها، الاستمرار فى الحوار طالما كان ممكنا للحكومة المساهمة بشئ فى هذا الصدد.

٣ - أنه إذا تعذر التوصل إلى تسوية نهائية للنزاع، فينبغى على الأقل حصر نطاقه والحد من احتمالات وقوع اشتباك مباشر بين القوى الكبرى، ويشير نيكسون إلى ذلك بوصفه بعدا ثانيا لأزمة الشرق الأوسط مع تعارض مصالح القوى الكبرى وتنافسها وتداخل ذلك كله بالصراع بين دول المنطقة، ولم يفته فى هذا الصدد أن ينوه بأن درس ٦٧ يوضح حاجة القوى الكبرى إلى اليقظة لكى لاتجرفها القوى الذاتية لدول المنطقة إلى خضم الصراع. ومن هنا كان حرص إدارته بأن توضح للسوفييت والآخرين معارضتها لكافة الخطوات المتصلة بالأزمة والتى من شأنها زيادة تورط القوى الكبرى.

٤ - أن لتزايد النشاط السوفييتى فى الشرق الأوسط والبحر الأبيض فى السنوات الأخيرة نتائجه التى تتعدى حجم النزاع العربى الإسرائيلى. فهناك التزامات الولايات المتحدة وعلاقات تربطها بعدد من دول الشرق الأوسط حيث تسعى إلى حماية كيان هذه الدول وحريتها وأنه إذا كانت أمريكا تقبل التعاون مع الأتحاد السوفييتى من أجل تحقيق السلام، فإنها ستنظر إلى أية محاولة يقوم بها للسيطرة على المنطقة على أنها مدعاة للقلق الشديد.

وأضاف نيكسون بأن أية محاولة من قوة خارجية لاستغلال الصراع المحلى لتوفير مزايا خاصة بها لما يتعارض وسياسة الولايات المتحدة الأصيلة فى المنطقة.

٥ - ولذلك فلم تقتصر جهود إدارة نيكسون على الدعوة إلى احترام وقف إطلاق النار والدعوة إلى محادثات بهدف التوصل إلى سلام حقيقى فحسب، بل وفى الدعوة إلى اتفاق لتحديد شحنات الأسلحة للمنطقة كخطوة يمكن أن تساعد على استقرار الموقف فى المنطقة. وأضاف نيكسون قائلا: «وفى الوقت نفسه فإنى أؤكد نوايانا التى سبق وعبرنا عنها بالاستمرار فى المراقبة الدقيقة لتوازن القوة العسكرية، وبأن تزود الدول الصديقة بالسلاح كلما استدعت الضرورة ذلك».

(جـ) آفاق العلاقات الأمريكية بدول المنطقة:

١ - ذهب نيكسون إلى أن مشاكل الشرق الأوسط لن تحل إلا بقبول أطراف النزاع - اقتناعا أو تسليما - مصالحهم الأساسية المتبادلة. والولايات المتحدة من جانبها ستواصل السعى للتعاون مع كافة دول المنطقة على أساس احترام المصالح القومية المشروعة لهذه الدول، مع احترام هذه الأخيرة للمصالح القومية المشروعة للولايات المتحدة. وأنه ينبغى التركيز على جانب «المشاركة» فى هذه العلاقة.

٢ - ليس النزاع العربى - الإسرائيلى هو التحدى الوحيد الذى تواجهه السياسة الأمريكية، فهناك المنافسات المحلية الأخرى، وعدم

الاستقرار المصاحب للتغييرات الاجتماعية والاقتصادية ووراء ذلك كله، ينبغى التفكير فى الأسلوب البناء للعلاقات الأمريكية مع منطقة لديها امكانياتها الخاصة للتمويل. فهناك عدد من دولها قد انطلق فى الطريق نحو بناء اقتصاد عصرى، والبعض منها من لا تتوافر لديها رؤوس الأموال اللازمة ستنتظر مساعدة الدول المجاورة على أساس إقليمى.

٣ - ويحدد هذا الوضع دور الولايات المتحدة، إذ ستتضاءل الحاجة لمعونتها من رؤوس الأموال وكذا الأنماط المساعدة الاقتصادية التى دأبت فيما سبق على تقديمها، ولكن ستبقى الحاجة إلى تعاون وثيق لدول المنطقة.

(د) والجديد الذى يسترعى الانتباه فى رسالة نيكسون هو الدعوة لما وصفه بسياسة جديدة للولايات المتحدة فى علاقاتها بدول المنطقة خلال السبعينيات، إذ حدد منطلق هذه السياسة من القول بأن هذه الدول بحاجة فى نموها إلى التعاون على أساس اقليمى أكثر من حاجتها للمساعدات الخارجية، مع تحديد دور الولايات المتحدة فى تزويد هذه الدول بالخبرات الفنية والإدارية وبالاستثمارات التى وصفها نيكسون بأنها «مصالح أمريكية مشروعة» يتعين على الآخرين احترامها إذا أريد أن تحترم الولايات المتحدة مصالح هؤلاء.

وإذا كان النزاع العربى الإسرائيلى لا يتيح فى الظروف الراهنة تحقيق اندماج إسرائيل بدول المنطقة على أساس إقليمى (والذى سبق أن عبر الجمهوريون عن الأمل فى تجميده فى شكل مشروع

شتراوس) فإن السياق الوارد بالرسالة يتيح لدول أخرى مثل تركيا وإيران بأن تشكل جزءا من دائرة التعاون الاقليمى الذى يدعو إليه نيكسون فى منطقة الشرق الأوسط.

لذلك يصح الافتراض بأن السياسة الأمريكية تتجه نحو خلق تكتل إقليمى له مزاياه الظاهرة فى خدمة الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة بالمنطقة فضلا عما ترجوه من ورائه فى توفير جانب من الحماية للنظم العربية المحافظة فى مواجهة التيار الثورى الذى يدعمه نموذج الثورة الليبية والإسلامية فى إيران.

وبالنسبة لمكان مصر من مثل هذا المخطط الأمريكى ، فإنها إذا قبلت بالتعاون الاقليمى مع الدول المحايدة، فعلى أساس من الاعتراف الضمنى باستعدادها للتعايش بين نظم سياسية واجتماعية مختلفة ولعدم تهديدها للمصالح الأمريكية فى المنطقة، بعبارة أخرى أن تبدى استعدادها لقبول الوضع الراهن.

القسم الرابع

رحلة السادات المفاجئة للقدس
والرؤية الأمريكية الإسرائيلية فى السلام

الفصل الأول

أولا: وجهات النظر الإسرائيلية فى السلام مع مصر.

ثانياً: ازدواجية الرؤية.

الفصل الثانى

دور الولايات المتحدة الأمريكية

«هنرى كيسنجر» والاتحاد السوفييتى

بعد حرب ٧٣ مباشرة فى بداية مرحلة السلام والأوضاع فى مصر

وجهات النظر الإسرائيلية في السلام مع مصر

لم تكن إسرائيل تتوقع سلاما سريعا مع العرب بسبب المسلمات التى كانت محتدمة من قِبلْ كل الأوساط الشعبية والرسمية والعربية ومنها اللاءات الثلاثة التى انطلقت بعد قمة الخرطوم عام ١٩٦٧ من زعيم له وزنه هو جمال عبد الناصر حيث أكد ومن خلفه الأمة العربية: لا مفاوضة ولا سلام ولا اعتراف. ويؤكد هذا الشعور أن جرح عام ١٩٤٨ الذى أصاب العرب قد أضيف إليه جرح هزيمة ١٩٦٧ . وعلى هذا كانت إسرائيل تطرح شعار السلام بشكل تكتيكى لإحراج العرب وإظهار عدوانيتهم أمام العالم بعد أن تكون قد قامت بأعمالها العدوانية فعلا.

(أ) بالنسبة للسلام مع مصر:

كانت زيارة السادات للقدس فى نوفمبر ١٩٧٧ لاتتسق مع التصور الإسرائيلى العام عن السلوك والتفكير العربى، ولذا كان يلزم إسرائيل بعض الوقت والجهد لإستيعاب التغير المفاجئ فى الموقف المصرى، وخاصة أن إسرائيل أصبحت لها هى الأخرى جراحها من

جراء الهجوم المصرى المفاجئ فى أكتوبر ١٩٧٣، واعتبرته إسرائيل من الأعمال العبقرية لرجل أستاذ فى التمويه والخداع هو الرئيس السادات، ولذلك فإن الوثوق به يقتضى وقتا. وساعد عوامل الريبة فى إسرائيل أن الرأى العام المصرى كان لا يزال لا يرحب بالإقتراب كثيرا من إسرائيل. وكانت كل العوامل السابقة سببا فى تعثر مفاوضات كامب ديفيد وكادت تضيع الفرصة أمام الإسرائيليين.

ولضمان عدم الرجوع وضعت إسرائيل بعض العقبات ـ نظرت إليها بوصفها ضمانات ـ منها وضع جداول زمنية لكل مرحلة إنسحاب يقابلها إجراءات مصرية تدعم من عملية السلام والحصول على التأكيد بعدم الربط بين التقدم على الساحة المصرية وبين إنجاز مايتعلق بالقضية الفلسطينية.

وأخيرا أكدت إسرائيل أن أولويات الإلتزام بالنسبة لمصر هو إلتزامها بنصوص إتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة السلام، بمعنى أنها تأتى فى الأولوية قبل إلتزامات مصر العربية.

وكان صقور إسرائيل يرون أن السلام يضر بما فى يد إسرائيل وقتئذ من عمق ومن بترول ومن مصادر مياه ومواد أولية تحققه سيناء، كما يضيع عليها الاستثمارات الضخمة التى صرفتها على مستوطنات ومنشآت سيناء.

وقد أثبتت السنوات بعد كامب ديفيد أن هواجس إسرائيل ليست على أساس بل أن عوامل تفاؤل حمائم إسرائيل كانت أقرب إلى الحقيقة.

وقد أدت كامب ديفيد وما تبعها من معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية إلى زيادة اعتماد إسرائيل على الولايات المتحدة الأمريكية إلى درجة كبيرة، وهو أمر اعتبرته إسرائيل خطرا ومضرا بسيادتها. ومع ذلك فإن السلام مع مصر غير اتجاه التاريخ من خلاف حول الوجود إلى خلاف حول شروط التصالح.

وبالنسبة لعملية السلام فى الشرق الأوسط عامة ومع مصر بوجه خاص كان هناك تصور خاص لكل من الحزبين الرئيسيين فى إسرائيل «العمل والليكود» يعبران عن إتجاهين مختلفين:-

الاتجاه الأول: مثله مناحم بيچين ويرى أن مهمة جيله هى الحفاظ على سلامة أرض إسرائيل الكبرى، ومن ثم فإن السلام لا يجب أن يتعارض مع هذا الهدف الأكبر ولا يجب أن يؤدى إلى إيقاف بناء المستوطنات ولا إلى ضم الأراضىّ المحتلة. ومع ذلك يرى الليكود أن السلام مع مصر يعد إنجازاً كبيرا لأنه أزال خطر أبرز الجهات وعزل مصر عن العالم العربى ومن ثم أطلق يد إسرائيل فى تحقيق حلم إسرائيل الكبرى. ولذلك فإن مبدأ الأرض مقابل السلام الذى اتبع مع مصر لن يكون نموذجا لاتفاقيات سلام المستقبل مع بقية الدول العربية. وراهنت إسرائيل على عدم الحاح مصر فى المستقبل على انجاز سلام شامل فى إطار مبدأ الأرض مقابل السلام.

والاتجاه الثانى: مثله حزب العمل « شيمون بيريز واسحاق رابين» الذى يتصور إسرائيل اليهودية والديمقراطية والقومية والمتصالحة مع جيرانها والمقبولة لدى العالم الديمقراطى ولذلك يعتبر السلام مع مصر خطوة أولى تعقبها خطوة ثانية مع طرف

أردني ـ فلسطيني. ويرفع حزب العمل هو الآخر شعار حق إسرائيل التاريخي على جميع أراضيه، إلا أن الظروف جميعا تتطلب التعامل وفق حلول وسط والتخلي عن الأراضي التي يقطنها العرب بأعداد كبيرة. ويضيف أنصار هذا التصور أن عدم الوصول إلى تسوية شاملة سيؤدي إلى انهيار عملية السلام كلها بما في ذلك إضعاف السلام مع مصر.

وقد طرأ على هذين الاتجاهين تغير شد كل منهما إلى الحلول العملية وفاء للظروف الدولية وبالعوامل الجغرافية وخاصة وجود كثافة سكانية عربية في مناطق متعددة.

(ب) بالنسبة لمفهوم الحكم الذاتي للفلسطينيين:

مفهوم الحكم الذاتي قديم قدم كتابات المفكرين السياسيين اليهود منذ ١٩١٢، متأثرين بمقترحات الحكم الذاتي للأقليات في بلدان أوربا الشرقية مثل بولندا وأستونيا ولتوانيا ولاتڤيا وهي تجارب خاصة بالأقليات هناك.

كما أضيف لهذه الأدبيات السياسية الأفكار التي طرحت إبان الانتداب البريطاني بالنسبة لكل من السكان العرب واليهود. وكان التصور الإسرائيلي الذي استفاد من تجارب الماضي التي لمسها عن قرب يهدف إلى إبقاء الأراضي والسكان تحت سيطرة إسرائيل، بمعنى أن ينخفض الحكم الذاتي إلى درجة «إدارة الشئون الخاصة» وهو تقريبا التصور الذي تقدم به «بيچين» بالنسبة للحكم الذاتي الفلسطيني إلى كل من كارتر والسادات، إلا أن اتفاقيتي كامب ديڤيد

كانت تتعلق بأمور أكبر من الإدارة الذاتية أى بالاستقلال الذاتى وهو أمر يؤدى إلى استبعاد ضم هذه الأراضى من جانب إسرائيل.

وكانت أداة الرفض الإسرائيلى بعد أن أصبح الاستقلال الذاتى التزاما فى إطار كامب ديڤيد هو تطبيق مفهوم الحكم الذاتى والمماطلة فى التنفيذ وهو أمر يؤدى إلى ركود العملية برمتها وهو ما كان «الليكود» يسعى إليه. وهذا التصور ينطلق من رفض الصقور لأية حقوق للفلسطينين ورفض وصفهم بالشعب وأرضهم بالوطن بل هم مجرد سكان فى إسرائيل الكبرى.

وأدى الموقف الإسرائيلى المتشدد والمعوق والموقف المصرى الصلب حتى لا يتهم بالتفريط ومعارضة الفلسطينيين والأردن إلى فشل محادثات الحكم الذاتى عام ١٩٨٢ .

النظرة الاسرائيلية إلى مصر وعملية السلام بعد رحلة السادات

ازدواجية الرؤية

ذكر «شيمون شامير» سفير إسرائيل في مصر في مذكراته أن السلام أخذ إسرائيل على غرة، فقد اعتبر معظم الإسرائيليين مبادرة السادات وما أعقبها من اتفاق للسلام انقاذا حقيقيا من عند الله، إذ تعلم الإسرائيليون على مدى العقود التي انقضت منذ اقامة دولتهم، أن ينظروا إلى السلام مع دولة عربية كبرى على أنه أمر يخرج عن نطاق الأهداف القابلة للتحقيق، واستند هذا الاعتقاد إلى عناصر أساسية في موقف العرب من إسرائيل، رفض الاعتراف بشرعية وجود الدولة الإسرائيلية، مما جعل هذا النزاع يختلف نوعيا عن النزاعات «المعتادة» بين الدول، ثم عمق الجرح الذي شعرت به الدول العربية في عام ١٩٤٨ والذي ارتبط بذكريات عديدة في التاريخ العربي والإسلامي، والاعتقاد بأن التفوق العددي الهائل للعرب يجعل انتصارهم في نهاية الأمر على الدولة الصهيونية مسألة حتمية تاريخية.

ولم يكن يلوح فى الأفق أى عرض للسلام من جانب أى زعيم عربى، ولم تكن إسرائيل ترى فى الأحاديث العربية عن النوايا السلمية غير محاولة للخداع والتضليل. ولذا فإن ما أقدم عليه أنور السادات من «اجتياز الحاجز النفسى» وظهوره المسرحى أمام الكنيست فى نوفمبر ١٩٧٧ كان بمثابة نشاز لدى العقل الإسرائيلى، إذ أصبحت السياسة على حين غرة فن المستحيل (١).

وعندما هدأت الفورة الأولى. كان موقف إسرائيل يتميز بشعور عميق بالشك المعذب للنفس، فالجرح الذى نجم عن الهجوم المصرى المفاجئ فى أكتوبر ١٩٧٣ كان لا يزال فى الذاكرة الجماعية لإسرائيل، هذا فضلا عن أن السادات فى نظر كثيرين من الإسرائيليين هو أولا وقبل كل شئ أستاذ فى فن الخداع، ولاحظ الإسرائيليون أن مبادرة السادات لم تسبقها فى مصر أى مراجعة أيديولوجية للآراء والنظرات عن الدولة اليهودية، وأن المواقف السائدة لاتتفق مع روح مصالحة حقيقية، فالمسئولون والمثقفون المصريون كانوا فى العادة لايرحبون بالتعامل مع الإسرائيليين، وقد استقال اثنان من وزراء الخارجية احتجاجا على سياسة السادات. وكثيرا ما نشرت صحف القاهرة هجوماً مقزعاً ضد حكومة إسرائيل، وآثر كثير من الإسرائيليين الذين علمتهم التجربة التاريخية ألا يطمئنوا لابداء حسن النية المفاجئ، أن يتحفظوا فى حكمهم على

(١) على سبيل الدقة، يجب أن نذكر أنه كان هناك قبل عام ١٩٧٧ شعور لدى بعض الساسة الإسرائيليين، ومن بينهم «موشى ديان» بأن استعداد أنور السادات للسلام يزداد باضطراد، لكنهم لم يروا أن هذا التغيير وصل من العمق إلى حد يدعو إلى إدخال تغيير على سياسة إسرائيل. وكذلك استشعر الأكاديميون الإسرائيليون التغير الطارئ على موقف مصر. انظر: «مصر فى عصر السادات: البحث عن اتجاه جديد» بقلم شيمون شامير (باللغة العبرية) (تل أبيب: ديمير، ١٩٧٨).

صدق اليد الممدودة بالسلام، فمن ناحية، كانت هناك رغبة واضحة من جانب الرأى العام الإسرائيلى فى عدم إضاعة الفرصة التاريخية التى أتاحها السادات، ولكن كان هناك من ناحية أخرى الحرص على عدم الوقوع فى الفخ الذى ينصبه هذا الخصم الماكر.

وكان لهذا الحذر الشديد أثره فى الطريقة التى أدار بها الإسرائيليون مفاوضات السلام. وكان يثير قلقهم أنهم يدركون أن المتوقع من إسرائيل أن تتخلى عن أصول محدودة وملموسة فى مقابل علاقة سلمية غير محدودة، ويمكن بسهولة العدول عنها، ومن ثم فإن عدداً من القضايا التى تبين فيما بعد أنه ليست لها أهمية عملية تذكر، كان لها دور حاسم فى عملية المساومة، بل أنها هددت فى بعض الأوقات باجهاض العملية برمتها، وكان من هذه المسائل مشكلة الجداول الزمنية - «حجم السلام» الذى يتحقق قبل كل مرحلة من مراحل الانسحاب، ثم مسألة الارتباط - إلى أى مدى تتوقف العناصر الثنائية فى الاتفاق على تنفيذ العناصر المتعلقة بفلسطين، ثم مشكلة أولوية التعهدات - هل يجوز لمصر أن تنفذ التزاماتها المتعلقة بالمواثيق الدفاعية مع الدول العربية الأخرى فى حالة تعارضها مع المعاهدة المبرمة مع إسرائيل، وقد أوشك بعض هذه المسائل أن يذهب الآن إلى طى النسيان، ولكنها توضح أن الموقف الإسرائيلى من السلام كان يخشى المخاطر بقدر مايتوقع المنافع.

الأوضاع في مصر بعد حرب ١٩٧٣ ودور أمريكا (هنرى كيسنجر)

كان التحول المطرد فى سياسة مصر الخارجية وانحيازها العالمى، وذلك بالابتعاد عن السوفييت والتقارب مع الأمريكيين. فقد أمر السادات بطرد ٢٠ ألف خبير عسكرى سوفييتى من مصر فى منتصف ١٩٧٢ . وأكدت هذه الخطوة ماسبقها من مؤشرات بضياع الثقة المتبادلة. وتضمنت هذه المؤشرات التصدى السافر من جانب السادات للعناصر الناصرية فى مايو ١٩٧١، والتى ينظر إليها كعناصر صديقة لموسكو، وإيحاءاته المتواصلة بأن السوفييت يتباطأون فى تقديم الأسلحة لمصر برغم وقوف السوفييت إلى جانب مصر فى حرب أكتوبر، وتصديهم للجسر الجوى الأمريكى لنقل الأسلحة إلى إسرائيل بإقامة جسر جوى سوفييتى لمصر وسوريا، إلا أن السادات كان يدرك أن غالبية الشعب المصرى قد ضاقت ذرعا برابطة عبد الناصر بالسوفييت بعد هزيمة ١٩٦٧ . ولم يأسف سوى القلة من المصريين لمواقف السادات غير الصديقة تجاه السوفييت.

وجاء التقارب الحذر مع الولايات المتحدة فى السنوات الأولى من تولى السادات منصب الرئاسة، عن طريق المملكة العربية

السعودية وغيرها من القنوات. ولم تكد تمضى بضعة أسابيع على حرب أكتوبر حتى قام السادات بتكثيف تحركه من أجل «علاقة خاصة» مع الولايات المتحدة. وفى أوائل ١٩٧٤ عادات العلاقات الديبلوماسية الكاملة بين البلدين (كانت العلاقات مقطوعة منذ حرب يونيه ١٩٦٧). وسيطرت دبلوماسية هنرى كيسنجر على مسرح الأحداث فى الشرق الأوسط، وحظت بمباركة السادات وتقديره.

وفى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ أصدر مجلس الأمن القرار رقم ٣٣٨، الذى تم فيه الربط بين وقف الأعمال العسكرية، والبدء فى تسوية سلمية. وفى هذا القرار وجه نداء إلى جميع الأطراف للإعداد لمؤتمر سلام، يعقد لحل مجموعة بكاملها من المسائل المتصلة بتسوية نزاع الشرق الأوسط وإقامة سلام عادل ودائم فى المنطقة.

وقد دارت مناقشات بين وزير الخارجية الأمريكى كيسنجر والزعماء السوفييت فى موسكو قبل اتخاذ هذا القرار، ووافقت الولايات المتحدة، فى ضوء الموقف الذى نشأ، على فكرة التركيز على ايجاد تسوية شاملة، وذلك من أجل إنهاء الصراع العربى الإسرائيلى والذى بدأ منذ عهد طويل، وعلى ذلك، بدأ التأييد الأمريكى للتسوية السلمية بعد أن ظهر لهم فشل عقيدة إسرائيل السياسية والعسكرية، كما كشفت عن ذلك حرب أكتوبر ١٩٧٣، وقد وافق السياسيون الأمريكيون، الزعماء فى موسكو على أن هناك إمكانية محددة للتوصل إلى تسوية شاملة للصراع العربى الإسرائيلى، ووافقوا أيضاً على أن الآلية الخاصة بتحقيق هذا الهدف قد نشأت، وهى مؤتمر جنيف.

إلا أنه بعد الموافقة على قرار الأمم المتحدة رقم ٣٣٨ مباشرة بدأت الولايات المتحدة، في محاولة فصل وقف إطلاق النار عن عملية التسوية الشاملة، ويذكر كيسنجر في مذكراته كيف أصبح التفاهم الذي توصل إليه في موسكو عديم القيمة بالنسبة له، وكيف بدأ عن عمد في تقويض الجهود المبذولة من أجل الإعداد لتسوية شاملة في الشرق الأوسط في الوقت الذي بدت فيه الظروف المتعلقة بمثل هذه التسوية في النضوج. «لقد كان مؤتمر جنيف المعقود في ديسمبر ١٩٧٣ بمثابة طريقة لتسخير جميع الأطراف للقيام بعمل رمزي واحد، وبذلك يتمكن كل طرف من انتهاج مسلك منفصل لفترة ما على أقل تقدير، وكان من الصعب تجميع هذا الملتقى الكبير مثلما كان من الصعب الابقاء عليه مطوعا بعد ذلك عندما عادت الدبلوماسية إلى قنواتها الثنائية».

وهكذا فإنه منذ البداية لم تعتبر الولايات المتحدة مؤتمر جنيف ضرورة، بل رأت فيه عوضا عن ذلك طريقة لصرف انتباه الجميع عن الصفقة التي كان يعدها الأمريكيون بالتعاون مع إسرائيل والرئيس السادات، وبالتالي بدأت الآمال المتعلقة بمؤتمر جنيف تتخلو إذ أنه بعد جلسته الأولى في أواخر عام ١٩٧٣، لم تنعقد أبدا جلساته التالية.

وقد عكست اتفاقيتا فض الاشتباك بين القوات الإسرائيلية والمصرية، وبين القوات الإسرائيلية والسورية، نهجا مختلفا تجاه عملية التسوية.

وكان لإسرائيل والولايات المتحدة أفكارا مختلفة، ففي ١٦

ديسمبر ١٩٧٣، وبينما كان كيسنجر فى القدس، وصف استراتيجيته الشاملة للقيادة الإسرائيلية كما يلى:

«أن هدف محادثات فض الاشتباك هو الدوران حول الحاجة إلى التحدث فى الوقت الحاضر عن الحدود والترتيبات النهائية. كما أن نجاح المحادثات (بشأن فض الاشتباك) سيقضى أيضا إلى إنجاز آخر ـ رفع الحظر عن النفط، وسوف ينهى هذا أيضا عزلة إسرائيل بالتخفيف من الضغط الموجه لها أساساً من دول أوروبا الغربية واليابان»، وحذر كيسنجر قائلا: «يجب ألا يكون لدى أى أحد فى إسرائيل أقل شك فى أن فشل محادثات فض الاشتباك سيحدث شرخا فى السد الذى يحول دون الضغوط على إسرائيل، وهذه المرة لن يكون ذلك من أجل الإنسحاب الجزئى، بل الإنسحاب الكامل إلى حدود ٤ يونيه عام ١٩٦٧» .

وتعزيزاً لنشاطه قام الرئيس ريتشارد نيكسون بزيارة مصر واستئناف إرسال المعونة الأمريكية عام ١٩٧٤، وأدت الوساطة والمساعدة الأمريكية إلى تحقيق اتفاقيتين لفض الاشتباك بين القوات المصرية والإسرائيلية على طول قناة السويس وفى سيناء، واتفاقية مماثلة على الجبهة السورية، وساهمت المساعدات الأمريكية والأوروبية بدور رئيسى فى تطهير قناة السويس وإعادة فتحها للملاحة الدولية.

التدخل السوفييتى الأمريكى ومفاوضات الكيلو ١٠١ فى السويس

وفى مساء ٢٤ أكتوبر بعث بريچنيف رسالة شخصية إلى نيكسون، يحذره فيها بأنه إذا استحال العمل سويا فى هذا الأمر، فسيضطر الاتحاد السوفييتى تحت ضغط الضرورة الملحة، وبالجهد السوفييتى أن يعمل وحده لفك حصار الجيش الثالث المصرى. وكرد فعل عكسى عبأت الولايات المتحدة كل قدراتها العسكرية لمواجهة التحدى السوفييتى. ولما لم تكن المواجهة العسكرية الشاملة مع الولايات المتحدة محل تفكير قادة الكرملين. فقد أعطى بريچنيف تعليماته بعد ظهر ٢٥ أكتوبر لسفيره فى الأمم المتحدة بحذف المطالبة بعمل عسكرى سوفييتى - أمريكى لحفظ السلام، وقبل الروس الصياغة الأمريكية بإنشاء قوة تابعة للأمم المتحدة، ومن غير قوات القوى العظمى للفصل بين المتحاربين. وهذا ما أقره مجلس الأمن بعد ظهر الخامس والعشرين من أكتوبر. حيث أعلن كورت فالدهايم سكرتير عام الأمم المتحدة فى اليوم التالى أن قوة الطوارئ الأولى المكونة من ٧٠٠٠ رجل، «قوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة» «U.N.E.F»، والمشكلة من الاستراليين والفنلنديين والسويديين،

والمأخوذة من بين وحدات الأمم المتحدة لحفظ السلام العاملة فى قبرص وقد وصلوا إلى مصر. وعندما توقف القتال، كانت القوات الإسرائيلية قد احتلت مساحة خمسة وعشرين ميلا غربى قناة السويس وأصبحت تتحكم تقريبا فى المسافة مابين جنوب الإسماعيلية وخليج السويس. بينما وزعت القوات المصرية فى الضفة الشرقية على امتداد خط بارليف وبعمق من ثلاثة إلى خمسة أميال، باستثناء ممر إسرائيلى ضيق شمال شرق البحيرة المرة الكبرى.

وفى ٢٦ أكتوبر وبعد مفاوضات مباشرة بين كيسنجر وكلا من ممثلى الإسرائيليين والمصريين تم التوصل إلى صيغة يسمح بمقتضاها لقافلة واحدة من الصليب الأحمر محملة بالامدادات الطبية والأغذية بالمرور عبر الخطوط الإسرائيلية. وللتوصل إلى تفاصيل تلك العملية، أجتمع ضباط برتب كبيرة من كلا الطرفين تحت إشراف الأمم المتحدة فى ٢٦ أكتوبر على طريق السويس ـ القاهرة عند الكيلو «١٠١» على طرف الأراضى التى احتلتها إسرائيل غرب القناة، وكانت المحادثات هناك تعنى بدء أول اتصالات رسمية مباشرة بين المصريين والإسرائيليين منذ انهيار لجنة الهدنة المشتركة منذ سبعة عشر عاما إبان العدوان الثلاثى على مصر. وبعد مفاوضات تم التوصل إلى اتفاق عبرت بمقتضاه فى ٢٨ أكتوبر قافلة من مائة عربة نقل (شاحنة) تحت إشراف بعض أفراد من الأمم المتحدة الخطوط الإسرائيلية فى طريقها إلى الخطوط المصرية. وقد قام الإسرائيليون وسمحوا لها بالمرور نظير قيام مصر بتقديم قائمة بالأسرى الإسرائيليين الجرحى فى الحرب، وقد سمح للصليب الأحمر

بزيارة هؤلاء الرجال. وعند ذلك أصبح واضحا أن الصراع العسكرى لن يستأنف. وأن الخمسة حروب بين مصر وإسرائيل تكاد تكون قد وصلت إلى نهايتها.

القسم الخامس

العلاقات المصرية الأمريكية الإسرائيلية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣

الفصل الأول

العلاقات المصرية - الأمريكية

الفصل الثانى

العلاقات المصرية - الإسرائيلية

الفصل الثالث

مواقف الولايات المتحدة ومبادراتها إزاء النزاع العربى الإسرائيلى حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣م

الفصل الأول

العلاقات المصرية ـ الأمريكية

أولا : الخلفية :

منذ توليه الحكم فى أواخر سبتمبر ١٩٧٠ قام السادات بمبادرات لتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة، وكانت استجابة واشنطن سلبية إلى أن قامت حرب ١٩٧٣ بما جرته من إحتمالات المواجهة بين الدولتين العظميين، ورأت إدارة نيكسون فى السادات سياسى عربى معتدل.

وبعد حرب ١٩٧٣ تعدلت صورة مصر وبدا تأثيرها فى العالم العربى، إلا أن الأمريكيين كانوا غير متأكدين من قدرة مصر على توجيه منظمة التحرير الفلسطينية نحو السلام رغم أن السادات كان يؤكد سيطرته على المنظمة كان الأمريكيون يتصورون أن السادات كان يؤيد الأمانى الفلسطينية باللفظ فقط لأن عقيدته كانت مصرية وليست عربية وهو مستعد للوصول إلى حل وسط للقضايا العربية طالما تحققت المصالح الوطنية المصرية.

وكان السادات يروج لفكرة أنه طالما إتفقت مصر فسترضخ بقية الدول العربية.

وكان مما يشجع واشنطن على التعامل مع السادات أنها رأت مصر تواجه إنهيارا إقتصاديا شاملا، وأن السلام بالنسبة لها ضرورة وأنها غير قادرة على الاستمرار فى الحرب. وعزز من هذا الرأى سرعة قبول السادات لاقتراحات كيسنجر بشأن فض الاشتباك الأول رغم تواضعها ومعارضة مستشارى الرئيس، وعزز السادات هذا التصور بطلبه مساعدة اقتصادية وعسكرية ملحة من واشنطن، ورأت الأخيرة أنها بهذه المعونة يمكنها تحريك عملية السلام وتقليص النفوذ السوفييتى، ثم كان تصرف السادات مع السوفييت وتقييده لحركتهم فى مصر بمثابة محاولة إحداث أثر طيب لدى أمريكا. وهكذا تحولت المعونة الاقتصادية والوعد بالمعونة العسكرية بمثابة تزييت وتليين التحرك المصرى نحو السلام وإتسامة بالمرونة.

وابتداء من ١٩٧٤، عام عودة العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية، تحركت علاقات البلدين نحو نمط بارز من العلاقة الخاصة ارتكز على تزايد المعونات الاقتصادية وتدفق المعونات العسكرية بعد ذلك إلى أن وصلت إلى ذروتها بالجهد الخاص الذى بذله الرئيس كارتر لإنجاح لقاءات كامب ديڤيد عام ١٩٧٨ وأصبحت مصر تتسم فى تحركاتها الخارجية بما لا يصطدم بمصالح أمريكا بل يمكن القول بما يخدم الاستراتيجية الغربية، مثل مساعدة كارتر والسماح للطائرات الأمريكية باستخدام المطارات العسكرية المصرية إبان أزمة الرهائن الأمريكيين فى إيران عام ١٩٨٠، وتدخل مصر لمساندة موبوتو (زائير) صديق الغرب عام ١٩٧٧. ورغم مساعدات مصر - السادات لأمريكا فى مجالات

التنسيق العسكرى والمناورات وتأمين النظم الموالية للغرب، فإن مصر لم توافق على تواجد قواعد عسكرية أمريكية دائمة على أرض مصر وكانت هذه النقطة مثار خلاف بين البلدين.

وهناك موضع خلاف كبير وهو فى اقناع مصر- مبارك بأن أمريكا منحازة فى علاقاتها بإسرائيل بل وتتواطأ أحيانا ولا تضغط عليها بالقدر الكافى.

إذ أن هذا الانحياز يظهر فى المجال الاقتصادى حيث تحصل إسرائيل وحدها على حوالى ثلاثة أمثال ماتحصل عليه مصر من معونات أمريكية.

وكان النزاع فى الشرق الأوسط وحقوق الشعب الفلسطينى من أبرز المشاكل التى أزمت علاقات مصر بأمريكا فى كثير من الأحيان إذ اختلفت مواقف الدولتين حول عدة نقاط منها:-

(أ) أن مصر تفضل هى والعرب أن يكون مؤتمر السلام دوليا تحت رعاية الأمم المتحدة وبتواجد السوفييت وتفضله إسرائيل وأمريكا إقليميا بعيداً عن تواجد الأمم المتحدة أو الأتحاد السوفييتى.

(ب) وترى مصر ضرورة تعامل أمريكا وإسرائيل مباشرة مع منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى أما أمريكا وإسرائيل فترفضان ذلك.

(جـ) وتقتنع مصر بأن معنى حق تقرير المصير للفلسطينيين هو حقهم المشروع فى إقامة دولتهم، وترفض إسرائيل ومن ورائها

أمريكا قيام دولة فلسطينية، ويمكن فقط أن تكون إقليما فى إطار اتحادى مع الأردن.

وفيما بعد كانت حادثة السفينة «أكيلى لاورو» وماتبعها من اعتراض الطائرات الحربية الأمريكية لطائرة مدنية مصرية، كان لذلك أثر سيئ لأن مصر اعتبرتها إهانة بالغة وانتهى الأمر بشبه اعتزار أمريكى.

ومنذ تولى الرئيس مبارك القيادة كان حريصا على إعادة علاقات مصر بالعرب بينما كانت الولايات المتحدة تقلل من أهمية هذا الأمر بل وتخشى عواقبه.

ولعل أبرز مشكلات العلاقات المصرية الأمريكية كان فى نظرة الولايات المتحدة إلى مصر بأنها دولة تابعة بسبب المعونات المشروطة التى تتلقاها، بينما رأت مصر ـ مبارك أن العلاقة تحكمها الندية وخاصة أن التاريخ يبين أن حكومات مصر المتعاقبة ـ ومنها ما كان فى ظل الإحتلال البريطانى ـ لم يراودها أبدا الشعور بالتبعية بل شعرت دوما بأن مصر دولة معتدى عليها.

وقد كان تصرف الرئيس مبارك حاسما إبان حادث الطائرة ورفض زيارة إسرائيل وتمهل فى تطبيع العلاقات وأسرع فى تدعيم علاقات مصر العربية وكان كل ذلك بمثابة تعبير عن ندية العلاقات.

وقد وصلت هذه الرسالة تماما إلى الولايات المتحدة وظهر ذلك من خلال تصرفات رئيسها وخاصة إبان حكم الرئيس بوش.

ثانياً: المسار:

١ - فى ٧٨/٩/١٧ وقعت اتفاقيتا كامب ديڤيد، جاءت الأولى بخطوات عريضة للسلام بين مصر وإسرائيل نتيجة جهود ضخمة للرئيس كارتر، وتنازلات فى السنة التالية ١٩٧٩ فى معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية قدمها السادات أثر تلميح كارتر بأن علاقات أمريكا بمصر ستصبح فى متانة العلاقات بين أمريكا وإسرائيل، وأخذ السادات التلميح على أنه حقيقة، وأن العلاقات بين أمريكا وكل من مصر وإسرائيل ستكون متوازنة.

كما جاءت الاتفاقية الأولى بعبارات مبهمة ومرنة تتحمل تفسيرات شتى، كما تم تأجيل البت فى بعض القضايا الخلافية مما يفتح الطريق أمام الخلافات مستقبلا.

أما الاتفاقية الثانية فقد تناولت موضوع الحكم الذاتى الفلسطينى دون تحديد دقيق لمفهوم هذا الحكم فى الضفة الغربية وقطاع غزة على أساس أنه مرحلة متوسطة.

ورغم الانتقادات التى وجهت إلى كامب ديڤيد إلا أنها كانت بداية علامة ثنائية جديدة تتوثق باستمرار بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية.

والعلاقة الثنائية بين أى بلدين تقوم إلى حد كبير على القواعد التالية.

١ - ثبات المصالح المتبادلة.

٢ - التفاعل بين صفوة قيادات كل منهما بشأن قضايا محددة.

٣ - التأييد الداخلى المستمر للتعاون الوثيق بينهما.

ولم تتمكن الدولتان من إرساء علاقاتهما وفق التصور السابق نظراً لنشوب خلافات حول تصورات كل منهما، ولتفوق العامل السياسى على كل ما عداه من أوجه التعاون.

٢ ـ ومع موت السادات المفاجئ تضاءل النفوذ المصرى فى واشنطن وهو نفوذ اعتمد إلى حد كبير على شجاعة رئيس الدولة المصرى وشخصيته. وخلال السنوات العشر التى تلت كامب ديڤيد كانت علاقات مصر والولايات المتحدة طيبة بوجه عام مع وجود خلافات بينهما، ثم انحسرت كما قلنا بموت السادات إلا أنها اكتسبت طابعاً برجماتياً قربها من الواقعية وهو أمر صحى.

● وعلى عكس السادات المتساهل المستعد لقبول المقترحات الأمريكية، بدأ مبارك متشددا إلى حد ما وغير مستعد للتساهل. وكانت صراحته وإنتقاداته فى حديثه مع القادة الأمريكيين صريحة أحيانا برغم أنه ما يزال ملتزما بمعاهدة السلام مع إسرائيل ومؤيدا لجهود إستئناف وتوسيع عملية السلام فى الشرق الأوسط.

● ويروج بعض الأمريكيين للقول بأن إرتباط مصر بالولايات المتحدة لا رجعة فيه بسبب توجه الصفوة القائدة حاليا وتخطيطها الاقتصادى واعتمادها على القوة العسكرية فى دعم مواقفها. ورغم منطقية هذا القول إلا أن التاريخ أثبت أن مصر أحدثت تغييراً دراميا فى علاقاتها بالدولتين العظميتين فى الماضى ويمكن أن تفعل ذلك مرة أخرى وذلك أمر يتوقف على:

(أ) القيادة.

(ب) وعلى الظروف.

ولا شك أن مبارك مثله مثل السادات يريد أن تستمر العلاقة الوثيقة مع الولايات المتحدة الأمريكية ولكن هناك من المتغيرات ما يخرج عن سيطرة قيادتى البلدين مثل:

(أ) الإجراءات التى يتخذها الكونجرس مستقبلا بشأن المعونة الاقتصادية والعسكرية.

(ب) حدوث صدام شديد بين إسرائيل وسوريا.

(جـ) معاملة إسرائيل للفلسطينيين ورد الفعل الأمريكى.

(د) أو ظهور عوامل سياسية داخلية مؤثرة فى السياسة المصرية.

٣ ـ وأخيراً هناك ملاحظات عامة على العلاقة بين البلدين:ـ

أولا : أن العلاقة تقوم بين قيادة الصفوة وليس لها جذور عميقة حتى الآن فى المجتمع المصرى، ولذلك فإن أية تصرفات أمريكية غير محسوبة قد تلحق ضرراً بالقيادة المصرية المعتدلة كما يمكن أن تكون وقودا تستفيد منه عناصر المعارضة الديماجوجية.

ثانيا : يجب أن لا تتصور الولايات المتحدة أن المعونة الأمريكية الكبيرة لمصر ستؤدى إلى خضوعها سياسيا، إذ لا بد أن تقوم العلاقة بين ندين.

ثالثاً : وعموماً يختلف وضع مصر عن وضع إسرائيل فالأخيرة تعتبر حليف من خارج حلف الأطلنطى بالإضافة إلى أن المصريين لا يميلون إلى التحالف بسبب عمق سياسة عدم

الانحياز فى تاريخهم ـ وقد رفضت مصر إبرام إتفاقية أمن محدودة مع الولايات المتحدة على غرار الاتفاق مع إسرائيل.

رابعاً: والأرجح أن يكون نمط العلاقات فى المستقبل هو الصداقة والتعاون ضمن حدود متفق عليها مع اقتران ذلك بتخوف مصر من اعتداء أمريكى حقيقى أو متخيل ضد سيادتها.

ثالثا: عوامل التعثر فى علاقات مصر بالولايات المتحدة:

١ـ من هذه العوامل أن السادات ذكر أو تصور أن هناك التزاما أمريكيا بمعاملة مصر على قدم المساواة مع إسرائيل فيما يتعلق بالمعونة الاقتصادية والعسكرية. وقد أدت تصرفات أمريكا وخاصة قبولها وتغاضيها عن بعض السياسات الإسرائيلية إلى إثارة شكوك مصر بشأن ما وعدت به أمريكا من اتباع سياسة متوازنة، كما أكد هذا الانطباع إصرار واشنطن وخاصة فى عهد ريجان على قيام مفاوضات مباشرة وهو أمر يزكى وجهة النظر الإسرائيلية بدلا من المؤتمر الدولى الذى يفضله العرب. ومن العوامل الهامة أيضا أن واشنطن لم ترض عن المراوغة المصرية بشأن ما يهم الولايات المتحدة مثل طلب قواعد عسكرية وتسهيلات خاصة وتطبيع كامل للعلاقات مع إسرائيل.

٢ ـ وأيضا كان لبقاء قضية الحكم الذاتى الفلسطينى معلقة تأثير واضح فى إذكاء الخلاف.

وكان مجئ رئيس وزراء جديد لإسرائيل عام ١٩٨٣ «شامير» وهو من المعارضين لكامب ديفيد بمثابة عامل جديد يؤدى إلى إفساد علاقات مصر بالولايات المتحدة.

٣ ـ وكان حسنى مبارك إبان عمله نائبا للرئيس السادات من مؤيدى السياسة السلمية، وعندما تولى الحكم فى أكتوبر ١٩٨١ أبدى إهتماما كبيرا باستعادة مصر دورها الهام بين الدول العربية. بالاضافة إلى أن مبارك لم يكن يلجأ إلى المراوغة الإعلامية مثل السادات ولم يكن له نفس التأثير على الإدارة والكونجرس الأمريكى. وكان من نتائج سياسة مبارك القومية أن رد على غزو إسرائيل للبنان بالابطاء فى تطبيع العلاقات مع إسرائيل.

٤ ـ ونجد أيضا تعثر عملية السلام وزيادة نفوذ إسرائيل من العوامل التى أدت إلى التعثر ومزيد من التعثر فى العلاقات، أدى غزو إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ وفشل السياسة الأمريكية فى إحتواء الموقف بشكل متوازن إلي تعميق الخلاف بين مصر وأمريكا.

وقد أدى الرهان الأمريكى والإسرائيلى على دور الأردن فى تقديم مظلة لتمثيل الفلسطينيين، أن وجدت مصر نفسها خارج مجال الحركة بالنسبة لقضية السلام فى الشرق الأوسط، بمعنى أنها خرجت من المعركة سياسيا.

٥ ـ ثم جاءت مشكلة طابا لتزيد من شكوك مصر لأن واشنطن نظرت إليها بوصفها مشكلة فرعية، أما مصر فقد اكتسبت طابا بالنسبة لها أهمية رمزية.

وكانت حادثة السفينة «أكيلى لاورو» فى أكتوبر ١٩٨٥ وماتبعها من تعامل مصر مع المشكلة وما أدى إليه من قيام طائرات عسكرية أمريكية بارغام طائرة مدنية تحمل الإرهابيين بالهبوط فى إيطاليا، واعتبر مبارك ذلك إهانة وطنية.

إن زيادة فعالية التجسس من قبل وكالة المخابرات المركزية. ومحاولة واشنطن الحصول على قواعد وتسهيلات عسكرية بشكل علنى ومستديم ومعارضة مصر لهذه الصيغة، وأيضا نجد واشنطن بسبب ضخامة المعونات الاقتصادية والعسكرية التى تقدمها إلى مصر، على أساس أن مصر دولة متعاونة تستجيب لمطالب واشنطن وحساسية الموقف المصرى بسبب هذه المعونات حتى لاتجور على استقلالها.

وكان أسلوب التشاور بين البلدين بمثابة عامل جديد للخلاف، إذ أبدت الإدارة الأمريكية - كارتر وريجان - ترحيبها بالتشاور السياسى مع مصر لتحقيق قدر من التعاون بشأن قضايا الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، إلا أن التشاور أصبح محدودا فى المسائل الجوهرية لأن القاهرة انتقدت واشنطن لأنها تميل إلى استخدام العصا الغليظة وأنها فى تقديراتها متأثرة بإسرائيل. أما واشنطن فترى مصر متأثرة.بالاعتبارات العربية.

٦ - ورغم أن سوريا كانت معادية لمصالح مصر السياسية، منذ عام ١٩٧٤، إلا أن مصر إستاءت من تواطؤ الولايات المتحدة مع إسرائيل ضد سوريا فى لبنان ١٩٨٢ - ١٩٨٣ وكان هذا الإستياء بسبب أن هذا التواطؤ أضر بجهود مصر لاستعادة مكانتها العربية، وبنفس الشكل كانت ليبيا معادية لمصر منذ عام ١٩٧٤، ولذا أطلق السادات أجهزة الإعلام ضدها فى هجوم لم يعرف من قبل، إلا أن مبارك أوقف هذه الحملات الإعلامية عندما تولى السلطة عام ١٩٨١ رغم إستمرار حملات القذافى ضد مصر ومناوءته لها فى

تشاد والسودان وتونس. كانت مصر تتبادل الرأى مع الولايات المتحدة حول الخطر الذى يمثله القذافى إلا أن لكل منهما موقف مغاير بالنسبة للإجراءات الواجب اتباعها. وعندما أقدمت الولايات المتحدة فى عام ١٩٨٦ على قصف بنغازى وطرابلس جوا وصفت مصر ذلك بأنه قصر نظر سياسى واشتركت مع الدول العربية الإسلامية فى ادانة القصف.

وقد استاءت القاهرة عندما انكشف التواطؤ الأمريكى الإسرائيلى فى نوفمبر ١٩٨٦ من خلال شحنات الأسلحة السرية الأمريكية إلى إيران فى الوقت الذى ادعت فيه أمريكا أنها تفرض حظرا للسلاح على إيران.

٧ - وعلى خلاف تعاون السادات بشكل كامل فى سياسة الحد من النفوذ السوفييتى فى الشرق الأوسط، بدأ مبارك راغبا فى تطبيع العلاقات مع الاتحاد السوفييتى وهو اتجاه آثار قلق أمريكا التى تركز فى سياستها الكونية على مناهضة الأتحاد السوفييتى.

وقد تعللت مصر لتفسير خطوتها بسياسة عدم الانحياز، وقد يكون إقدام مصر على هذه الخطوة أشبه بالعلاج السياسى حتى لاتتعرض للخطر بسبب اعتمادها الزائد على الولايات المتحدة.

٨ - وكان تقدير واشنطن لمعالجة مبارك للاعتداء على الديبلوماسيين الإسرائيليين فى القاهرة فى أغسطس ١٩٨٥، أنها كانت معالجة تتسم بعدم المبالاه. وقد زاد استياء واشنطن بعد حادث إعتداء مجند مصرى على سبعة من السياح الإسرائيليين فى سيناء، وأكدت أن مبارك لا يقدر خطورة هذه الأعمال. ولما كانت هذه

الاعتداءات من عمل المتطرفين الإسلاميين فقد فسر سلوك مبارك بأنه محاولة لاسترضائهم. وعموما لم تدرك واشنطن المهارة والمرونة الفائقة التى عالج بها مبارك مشكلة الأصوليين الإسلاميين فى مصر.

كما شعرت واشنطن منذ منتصف عام ١٩٨٧ بالقلق من الأعمال الإرهابية ضد الأمريكيين التى يقوم بها الناصريون الجدد.

ومن المسلم به أن التأثير السياسى للناصريين الجدد أضعف من تأثير الأصوليين الإسلاميين، وأيا كانت الاختلافات الأيديولوجية بين الحركتين فإن لهما عدو واحد هو الولايات المتحدة وإسرائيل.

رابعا: عوامل هامة فى علاقات مصر والولايات المتحدة

١ ـ العامل الفلسطينى وغزو إسرائيل للبنان:

= كانت الإتفاقية الثانية لكامب ديفيد عام ١٩٧٨ بداية جديدة للعلاقات المصرية ـ الأمريكية حول القضية الفلسطينية، ولم يكن الأمريكيون متأكدين من إمكانية مصر توجيه منظمة التحرير الفلسطينية نحو السلام رغم أن السادات كان يردد دائما أنه المسيطر على المنظمة وأنه يأمر ياسر عرفات فيطيع. ولأن ولاء السادات للقومية المصرية وليس للقومية العربية فإنه كان يؤيد الأمانى الفلسطينية باللفظ فقط وهو مستعد للوصول إلى حل وسط للقضايا العربية طالما تحققت المصالح الوطنية المصرية.

● وعندما بدأت مباحثات الحكم الذاتى فى أغسطس ١٩٧٩ أصيب السادات بخيبة أمل نظرا لعدم تحرك كارتر بشكل ايجابى لانجاح

المباحثات لأن ظروف الرئيس الأمريكى كانت بالغة الصعوبة فى ذلك العام. وانتهى الأمر بأن فشلت الأطراف الثلاثة: مصر - أمريكا - وإسرائيل فى تحديد معنى الحكم الذاتى.

- وأقدم السادات على خطوة أحرجت واشنطن - ريجان وهو فى طريقه إلى العاصمة الأمريكية فى زيارة رسمية فى أغسطس ١٩٨١، إذ اقترح إنشاء حكومة فلسطينية فى المنفى. وكان هذا التصرف من السادات مناقضا لما كان يردده أمام القادة الأمريكيين من عدم وجود مصلحة له فى حل المشكلة الفلسطينيه، والواقع أن مصر أرادت تحقيق تسوية مرضيه للقضية لاستعادة مكانتها فى العالم العربى.

- بعد أن أدركت واشنطن متأخرة أنه رغم إدعاءات السادات فإن مصر لا تستطيع أن تتحدث بأسم الفلسطينيين. ولما كانت منظمة التحرير الفلسطينية غير مقبوله لدى إسرائيل كشريك فى المفاوضات، كان المطلوب العثور على متحدث آخر وكان الأردن هو الخيار المنطقى. وجاءت مقترحات ريجان فى سبتمبر ١٩٨٢ لترفض قيام دولة فلسطينية مستقلة، كما ترفض ضم الضفه الغربية وغزة لإسرائيل. وبالتدريج وقر فى ذهن أمريكا أن دور مصر قد أصبح هامشيا بالنسبة لمشكلة الشرق الأوسط. أى تم إخراج مصر عسكريا ثم الآن سياسيا، وقد ابلغت إدارة ريجان هذا التصور لزعماء الدول العربية.

- وفى عام ١٩٨٢ اقتنعت واشنطن بعجز الأطراف العربية عن دفع محادثات السلام، وبأنه يمكن إحداث تقدم بتحريك المشكلة

اللبنانية بالقضاء على الفوضى الداخلية والعمل على إبرام معاهدة سلام بين لبنان وإسرائيل. وقد عارضت مصر هذا التصور وتوقعت فشله لأنها ترى أن المشكله الفلسطينية هى لب الصراع بعكس التصور الأمريكى الإسرائيلى .

- وفى يونيو ١٩٨٢ قامت إسرائيل بغزو لبنان لإزالة الوجود العسكرى الفلسطينى، وأدى عدم تحرك أمريكا لمواجهة هذا الغزو إلى تزايد شكوك مصر. ووجد مبارك نفسه محرجا للغاية وخاصة أن دول الرفض العربية إتهمت مصر بالتواطؤ، وبدا كأن إسرائيل أطلقت يدها فى الشرق الأوسط بعد كامب ديڤيد، وزدات مشاعر العداء ضد أمريكا. وكان الرئيس مبارك يدرس الاجراء المناسب فى هذا الصدد فى إطار التزامات مصر الدولية والعربية، إلا أن مذابح صابرا وشاتيلا فى سبتمبر ١٩٨٢ دفعت مبارك إلى سرعة الحركة وخاصة أن أمريكا كانت قد أعطت تأكيدات مكتوبة للمنظمة بحماية المدنيين فى المعسكرات بعد خروج المقاتلين ولذلك:
- قامت مصر بسحب السفير المصرى من إسرائيل.
- جمدت تطبيع العلاقات.
- سمحت للصحافة بإستئناف الهجوم على إسرائيل.
- وفى إطار تصورات ريجان عن المؤتمر الدولى للسلام والخيار الأردنى، تم التوصل إلى إتفاق بين الأردن والمنظمة فى فبراير ١٩٨٥ ، وأيدت مصر الإتفاق إلا أن أمريكا لم تبذل جهدا لإنجاحه مما أدى إلى تزايد شكوك مصر.

- وابتداء من عام ١٩٨٦ كانت واشنطن وإسرائيل تأملان أن يحل الفلسطينيون فى الداخل محل المنظمة كشريك مع الأردن فى التفاوض، واستمرت مصر بتمسكها بضرورة إشتراك المنظمة وحثت الأردن على إعادة العلاقات مع عرفات ولكن الإدارة الأمريكية لم تتحرك أيضا التحرك الكافى فى نظر مصر.

- وأدت الإنتفاضة الفلسطينية فى ديسمبر ١٩٨٧ إلى إقناع واشنطن بضرورة التدخل الأمريكى إذا أريد منع حدوث المزيد من التدهور السياسى فى الشرق الأوسط، وضغط مبارك أثناء زيارته لواشنطن فى يناير ١٩٨٨ لدفع واشنطن لتحرك عاجل.

٢ـ العامل الإقتصادى:

- فى وقت إبرام إتفاقيتى كامب ديفيد كانت مصر تحصل على حوالى مليار (ألف مليون) دولار معونات إقتصادية وكانت تلح فى طلب معونات أكبر لتتساوى مع إسرائيل. وكانت مصر وإسرائيل أكبر متلقى للمعونه الأمريكية، وتأتى إسرائيل فى المرتبة الأولى.

- وكانت واشنطن تشعر بالقلق لفشل مصر فى علاج العيوب الهيكلية فى نظامها الإقتصادى، رغم أن المعونه حققت إنجاز كبيرا فى مجالات توليد الكهرباء، وصناعة الأسمنت، وصوامع الغلال، وتحسين شبكات الصرف الصحى، وتحسين وسائل الزراعة، وتوفير المواد الغذائية وأصبحت مصر تحصل على قسم من احتياجاتها من القمح والدقيق الأمريكى. ومع هذا لم يلق برنامج

المعونة تأييد الجماهير التى لم تشعر بتحسن فى معيشتها وتحولت المعونة إلى مصدر شك وإحتكاك. وفى المقابل كانت هناك إنتقادات أمريكية من عدم كفاءة وثبات الأجهزة المصرية.

- وكان موضوع الدعم الذى ترى أمريكا ضرورة إلغائه ويتخوف مصر من هذا الإجراء، موضوع خلاف مستمر. وخاصة أنه أدى عام ١٩٧٧ إلى إضطرابات شعبية ضخمة، ولكن مصر وقعت فى مايو ١٩٨٧ إتفاقا مع صندوق النقد الدولى بتخفيض الدعم تدريجيا وتعويم الجنيه المصرى.
- وهناك مشكلة الديون الخارجية وبلغت عام ١٩٨٧ حوالى ٤٤ مليار دولار منها ١٠ مليار تخص أمريكا وكان الخلاف حول إعادة الجدولة وسعر الفائدة.
- ونجد كذلك سياسة الإنفتاح الاقتصادى التى بدأها السادات ولم تنجح فى إجتذاب رأس المال الأمريكى. واتهمت السياسة بأنها تسببت فى وجود خط استهلاكى ضار وظهور طبقة انتهازية، وربط الأصوليون الإسلاميون بين هذه الفئة وبين الولايات المتحدة واعتبروا هذه السياسة مخططا من الغرب لإبقاء مصر ضعيفة إقتصاديا.

٣ ـ العامل العسكرى:

- منذ وقت مبكر فى عام ١٩٧٤ سعى السادات إلى الحصول على أسلحة ومعونات عسكرية أمريكية وقد وافق فى نفس العام على قيام سفن الأسطول الأمريكى بزيارة وديه لميناء الإسكندرية للإستفادة من خدماتها وكان هذا أمراً مفيداً للولايات المتحده وتتطلع إليه بشغف.

- وكانت المعونه العسكرية وسيله لحصول السادات على تأييد العسكريين المصريين الذين لم يعارضوا فكرة السلام بل عارضوا شروط المعاهدة فقط وشعروا بأن إسرائيل لاتزال الخصم العسكرى لمصر (تصريح المشير أبو غزاله فى مجلس الشعب)، وعارضت إسرائيل إمداد مصر بالسلاح الأمريكى ثم وافقت بشرط ألا يصل الأمر إلى درجة التكافؤ العسكرى معها.

- ولما سأل الكونجرس الأمريكى عن العدو المرتقب لمصر من أجل تزويدها بالسلاح، ردت الإدارة بعبارات غامضة بأنها تواجه التهديد من ليبيا وتحتاج للدفاع عن السودان لحماية منابع النيل، وكذلك إحتمال الدفاع عن دول الخليج الغنية بالبترول فى مواجهة إيران. بالإضافة إلى مواجهة الشيوعية فى دول جنوب الصحراء فى إفريقيا، وقد وافق الكونجرس مع بعض التحفظات بعد موافقة إسرائيل.

- وأدى برنامج المعونة العسكرية، هو الآخر، إلى شكوى المصريين من عدم كفاية المعدات ونقص تطورها وبطء التسليم وهى معونة لا تجئ على مستوى ما يقدم لإسرائيل.

- وقد عرض السادات على أمريكا أن تقوم بتطوير وإصلاح قاعدة رأس بناس المصرية وتقوم بإستخدام إمكاناتها الجوية والبحرية، واهتمت أمريكا بهذا العرض لحاجتها إليه ولموازنة القواعد السوفيتية فى أثيوبيا. وبموت السادات توقفت المحادثات حول هذا الموضوع بفضل قرار مبارك، واعتبرت أمريكا هذا التصرف بمثابة دليل على عدم الثبات فى السياسة المصرية وعدم الإعتماد

على مصر. أما مصر مبارك فقد وجدت فى التواجد الأمريكى الدائم على أرض مصر تعارضا مع سياسة عدم الإنحياز.

- كما حدث خلاف حول تزويد الطائرات الأمريكية بالوقود فى المطارات المصرية بصوره دورية ودائمة وتمسكت مصر بضرورة مناقشة كل حالة على حدة حتى لاتتورط فى عمليات غير مقبوله سياسيا.

- وبنفس الشكل اشترطت مصر بالنسبة للمناورات العسكرية والبحرية المشتركة عدم الإعلان عنها وهو أمر لم ترتح إليه واشنطن .

- وبالنسبة لمرور السفن الحربية الأمريكية التى تستخدم الطاقة الذرية فقد عارضت مصر أول الأمر رغم الضمانات الأمريكية وعادت للموافقه مع زيادة فى الرسوم بدعوى تعطيل مرور السفن وقت المرور الأمريكى.

- وبالرغم من قيام قدر من التعاون العسكرى بين البلدين فإن أمريكا تراه أقل من اللازم بالاضافة إلى أنه عرضة لتغيير الموقف المصرى. وإذا حدث وتوقفت المعونة العسكرية أو ضعفت فإن هذا التعاون سوف يتوقف وقد وضح هذا التمسك بحقوق مصر العسكرية بعد تولى الرئيس مبارك السلطة مباشرة.

- - إن العلاقة الخاصة بين مصر ـ السادات وبين الولايات المتحدة لم تبدأ متأخرة بل بدأت مع تولى الرئيس السادات السلطة فى أواخر عام ١٩٧٠، وقد دفعته عدة عوامل إلى السير فى طريق اقتنع بصوابه لمصر، وحتى يحافظ على استقرار الحكم فى ظل

ظروف خاصة، ومن ذلك شعوره بالخطر من القوى الداخلية التى آمنت بجدوى الصداقة المصرية السوفييتية لمواجهة إسرائيل والولايات المتحدة، وكان الطريق إلى تسكين هذا الشعور هو مواجهة هذه القوى التى أسماها «مراكز القوى» وقطع صلاته بالصداقة التقليدية مع السوفييت وهو أمر لايقود إلا إلى الطريق الأمريكى بسبب حاجته إلى المعونات الاقتصادية والعسكرية التى سيفقدها بابتعاده عن الاتحاد السوفييتى، وأيضا لاقتناعه بأن حل مشكلة الشرق الأوسط بسبب الدعم الأمريكى الكامل خلف إسرائيل، لن يكون عسكريا، ولذا كانت حرب ١٩٧٣ بمثابة تحريك للموقف الراكد وليس تحرير الأرض، بمعنى أن يكون التحريك طريقا إلى الحوار مع الولايات المتحدة وأيضا لوعيه بخطورة الوضع الاقتصادى وأهمية الوصول إلى صيغة كفيلة بانعاش هذا الاقتصاد، ولذا اجتمع الخوف من «مراكز القوى» والرغبة فى انعاش الاقتصاد المصرى عن طريق واحد هو الطريق الأمريكى.

- وأخذت السياسة الخارجية المصرية سمات جديدة نتيجة دخول مصر منذ عام ١٩٧٤ فى علاقات صداقة وتعاون مع الولايات المتحدة حصلت من ورائها على معونات اقتصادية وعسكرية وزادت هذه المعونات بتوقيع معاهدة السلام مع إسرائيل.
- وأصبحت أبرز سمات السياسة الخارجية المصرية فى عهد الرئيس السادات (١٩٧٠ - ١٩٨١) هى مايلى:-
- الاهتمام بتدفق المعونة الاقتصادية والعسكرية الأمريكية إلى مصر وقد تحقق ذلك بالتساهل والتسليم لمطالب أمريكا .

- محاولة ايجاد حل لمشكلة الشرق الأوسط يتيح لمصر إستعادة مكانتها العربية والإسلامية، ولم يتحقق هذا البعد بسبب التواطؤ الأمريكى مع إسرائيل.
- العمل على فك الانحياز الأمريكى نحو إسرائيل وهو هدف لم يتحقق هو الآخر أيضا.

العلاقات المصرية ـ الإسرائيلية

- بعد مؤامرة إنشاء الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨ وزرعها فى قلب العالم العربى، قامت إسرائيل بأعمال عدوانية توسعية لا إنسانية (منها طرد السكان) ووصل الأمر إلى مأساة يونيو ١٩٦٧ .

وقد تحركت الأمة العربية لإزالة آثار العدوان وفق مقررات مؤتمر القمة بالخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) وقادت مصر معركة الاستنزاف (١٩٦٩ ـ ١٩٧٠) كبداية وتجربة وتدريب لمعركة إزالة آثار العدوان بالقوة وتحقق ذلك بمعركة أكتوبر ١٩٧٣ .

- وقد تجرعت إسرائيل فى هذه الحرب ـ رغم إنها كانت حرب تحريك وليست حرب تحرير ـ تجرعت مرارة الخسارة البشرية والاقتصادية والنفسية وعانت ولاتزال من آثارها بعيدة المدى، فقد اسقطت الحرب نظرية الأمن الإسرائيلية وأدت إلى إرهاق الاقتصاد الإسرائيلى وعملت على عزلة إسرائيل عن أصدقائها التقليدين وعن المجتمع الدولى ووجهت ضربة نفسيه إلى جبهة إسرائيل الداخلية وإلى فكرة المجتمع المختار الذى لايخضع بسهولة وإلى الجيش الذى لايقهر.

• وقد انتهى أمر الحرب على النحو الذى فصلناه فى القسم الأول إلى اتفاقيتى فض الاشتباك ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥، ثم قام الرئيس السادات بزيارته المفاجئة إلى القدس فى نوفمبر ١٩٧٧ .

• ورغم مظاهر حسن النية المصرية ورغبة مصر الصادقة فى السلام الشامل والعادل اقدمت إسرائيل على غزو جنوب لبنان فى مارس ١٩٧٨ مستهدفة سوريا والمنظمة، وفشلت الدول العربية فى مواجهة هذا الغزو كما فشلت محاولات الاتحاد السوفييتى فى التحرك وكان الهجوم أيضا اختبارا لطبيعة تحرك ونوايا السادات.

• وجاء صلح كامب ديفيد فى ١٩٧٨/٩/١٧ وتبعه مؤتمر بغداد (نوفمبر ١٩٧٨) وقطع الدول العربية علاقاتها بمصر وتعليق عضويتها بالجامعة العربية، ومع ذلك وجدت مصر نفسها تثير مع إسرائيل قضية دير السلطان بالقدس بالطرق الدبلوماسية وهو موضوع ماكان يجب ـ مع حسن النوايا ـ أن تجعله إسرائيل محكاً للنزاع مع كل ماقدمه الرئيس السادات.

• وتمادت العربدة الإسرائيلية باحراج الرئيس السادات وإظهاره ـ بشكل المتواطئ، وكان قد اجتمع مع بيچين فى شرم الشيخ فى ٨١/٦/٤ وبعدها بثلاثة أيام ضربت إسرائيل المفاعل الذرى العراقى (١٩٨١/٦/٥).

وفى ديسمبر ١٩٨١ قبل اتمام انسحابها من سيناء أثارت إسرائيل مشاكل حدودية أبرزها مشكلة طابا بهدف التنصل من إتمام الانسحاب، ثم اقدمت بعد اتمام انسحابها من سيناء فى ٨٢/٤/٢٥ على غزو لبنان فى يونيو من نفس العام، ثم ارتكبت مذابح صابرا

وشاتيلا فى سبتمبر ١٩٨٢ ويلاحظ دائما أن إسرائيل عندما تقدم على تنازل أو إنسحاب أو تعبير عن المرونة لأحد الأطراف تضرب طرفا آخر لتعتدل الكفة فى تصورها وهو أمر يحرج الطرف المستفيد فى تصور المعلقين والمراقبين.

● ثم توالت عربدة وعدوانية إسرائيل وأبرزها:

الغارة الإسرائيلية على مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس (١٩٨٥). وكشفت صفقات الأسلحة السرية التى أرسلتها الولايات المتحدة إلى إيران بالتواطؤ مع إسرائيل وتم إكتشاف التورط فى نوفمبر ١٩٨٦، والأعمال الوحشية ضد الانتفاضة الفلسطينية التى اندلعت عام ١٩٨٧، ثم الأحداث التى شهدتها فترة التسعينيات وأبرزها الممارسات اللا إنسانية الإسرائيلية فى الأرض العربية المحتلة ومراوغة إسرائيل فى محاولات السلام التى بدأت بمؤتمر مدريد (أكتوبر ١٩٩١).

الفصل الثالث

مواقف الولايات المتحدة ومبادراتها إزاء النزاع العربى الإسرائيلى حتى حرب اكتوبر ١٩٧٣ م .

المشروعات الأمريكية المكتوبة بالنسبة لأزمة الشرق الأوسط مقسمة حسب عناصر التسوية

	الرد علي المشروع السوفيتي الأول	ورقة العمل الأمريكية	النقاط الثلاثة عشر	النقاط الأربعة عشر	النقاط العشر
(١) قرار مجلس الأمن الصادر فى ٢٢ نوفمبر١٩٦٧	إن إسرائيل قد قبلت القرار وتوافق علي تنفيذه بواسطة الاتفاق.	قبول الأطراف المعنية للقرار والاستعداد لتنفيذ كافة بنوده بما يتفق والفقرة الثالثة منه.	قبول الطرفان للقرار ويوافقا على تنفيذه بنية صادقة بالنسبة لكافة بنوده بما يتفق مع الاتفاق النهائي.	تأكيد الطرفان لالتزاماتهما بموجبه والاستعداد لتنفيذه بحسن نية في كافة بنوده.	تأكيد الطرفان لالتزاماتهما بموجبه والاستعداد لتنفيذه بحسن نية فى كافة بنوده.
(٢) المفاوضات	ضرورة اتفاق الأطراف المعنية علي تسوية نهائية على أساس قرار ٢٢ نوفمبر بطريق التفاوض. تنسحب القوات	ضرورة اتفاق الأطراف المعنية على جميع عناصر التسوية قبل بدء تنفيذ أى جزء من القرار. يتبادل الطرفين وجهات النظر الموضوعية بشكل غير مباشر عن طريق يارنج، ثم مباحثات غير مباشرة يعقبها اتصال مباشر فى مرحلة ما.	يجتمع ممثلى الطرفين فى أقرب وقت تحت اشراف يارنج وفى مكان وزمان يحدده الأخير، بهدف التوصل فيما بينهما لاتفاق نهائى وملزم بغرض إقامة سلام عادل ودائم.	يجتمع ممثلى الطرفين تحت اشراف يارنج دون تأخير ليضعا اتفاقا نهائيا ملزما للطرفين بالتبادل بشأن طريقة تنفيذ القرار وبغرض إقامة سلام عادل ودائم.	يتبع ممثلى الطرفين - تحت اشراف يارنج - الاجراءات التى اتبعاها فى ردوس سنة ٤٩، دون تأخير، يحدوهما الأسس التى تتضمنها الأحكام الواردة فيما يلى للتوصل إلى اتفاق نهائى بشأن طريقة تنفيذ القرار وبغرض إقامة سلام عادل ودائم.

(٣) الأنسحاب	الإسرائيلية إلى حدود آمنة وفقا للأتفاق بين الطرفين.	تنسحب القوات الإسرائيلية إلى حدود آمنة ومعترف بها. يرتبط الإنسحاب ارتباطا وثيقا بالالتزام التعاقدى للسلام وبنصوص محدودة للضمانات.	توافق إسرائيل، بعد اتفاق الطرفين على كافة بنود الأتفاق النهائى ودخولها حيز النفاذ، على سحب قواتها إلى الحدود الآمنة والمعترف بها. يجرى تنفيذ الأنسحاب وفقا لبرنامج زمنى ونظام يتفق عليه مع الأطراف.	يحدد الطرفان برنامج زمنى ونظام لسحب القوات الإسرائيلية من أراضى ج.م.ع. تنسحب القوات إلى حدود يتم تخطيطها باتفاق الطرفين كحدود آمنة ومعترف بها. يبدأ الأنسحاب يوم ايداع الإتفاق النهائى بالأمم المتحدة، وينفذ فى مدى ٣ شهور مبدئيا تحت مراقبة ممثلى الأمم المتحدة.	يحدد الطرفان برنامج زمنى ونظام لسحب القوات الإسرائيلية من أراضى ج.م.ع. تنسحب القوات الإسرائيلية إلى حدود ستبين طبقا لهذا المشروع (راجع بند ٦)
(٤) إنهاء حالة الحرب	تنتهى حالة الحرب خلال مرحلة التحول من الهدنة إلى السلام الحقيقى.		يتفق الطرفين على انهاء كل الدعاوى أو حالات الحرب. ويتفقا على منع الاعتداءات أو التهديد	تنتهى حالة الحرب بين إسرائيل وج.م.ع. منذ اللحظة التى يودع فيها الأتفاق النهائى لدى الأمم المتحدة.	تنهتى حالة الحرب بين إسرائيل وج.م.ع. يمتنع كلا الطرفين عن الأعمال التى تتنافى مع حالة السلام وإنهاء حالة

			بهـا بواسطة قـواته المسلحة. يتفق الطرفان على أن الأعمال العدوانية التي يقوم بها أفراد أو تجمعات أو منظمات من اقليم أحدهما ضد الطرف الآخر لما يتعارض وحالة السلام ويبذلا كل ما بوسعهما للتأكد من أن مثل هذه الأعمال لم تنشأ أو ترتكب داخل أقليم كل منهما.	تمتنع الدولتان وتمنعا جميع الأفراد أو التجمعات على اقليميهما من القيام بأعمال تتنافى مع حالة السلام وانهاء حالة الحرب، ويمتنعا عن التحريض أو تشجيع هذه الأعمال.	الحرب.
(٥) السلام	الهدف هو إقامة سلام حقيقي أنه لا يمكن فرضه بمعرفة الدول الكبرى.	الهدف هو اقامة سلام دائم وعادل يقوم على اتفاق الأطراف المعنية.	تنشأ بين الطرفين حالة سلام رسمية اعتبارا من تاريخ دخول الأتفاق النهائي دور التنفيذ. تعترف كلا من	تنشأ بين الطرفين حالة سلام رسمى لحظة ايداع الأتفاق النهائي لدى الأمم المتحدة. يحدد الطرفين إتفاقهما حول إرساء السلام،	تنشأ بين الطرفين حالة سلام رسمى. لا يجوز لأحد الطرفين القيام بعمل عدوانى أو التهديد به بواسطة قواته المسلحة نظامية كانت أو

			الدولتين وتحترم سيادة الطرف الآخر وحقه فى العيش بسلام بعيدا عن التهديد أو باستعمال القوة. يؤكد الطرفين أنه مما يتنافى فى حالة السلام أن يضع أيا منهما تحفظات على تطبيق المعاهدات بالنسبة للطرف الآخر. تأكيد الطرفين باتباع ماورد فى الميثاق وخاصة المادة ٢ فى علاقاتهما المتبادلة.	بالأتفاق على منع الاعتداءات أو التهديد بها بواسطة قواته المسلحة مع بذل كل مافى طاقتهما للحيلولة دون قيام هيئات حكومية أو مؤسسات أو أفراد بارتكاب أعمال عدائية ضد طرف من أقليم الطرف الآخر.	غيرها ـ برية أو بحرية أو جوية ـ ضد شعب الطرف الآخر أو قواته المسلحة. يتعهد الطرفان بعمل كل مابوسعهما لتأمين عدم حدوث أعمال عدائية وحربية من قبل الهيئات الحكومية أو الخاصة (أفرادا أو منظمات) ضد طرف من أقليم الطرف الآخر. يمتنع كلا الطرفين عن التدخل المباشر أو غير المباشر فى الشئون الداخلية لأيا منهما، لأية أسباب سياسية أو اقتصادية أو غيرها. تأكيد الطرفان باتباع ما

					ورد بالمادة الثانية (فقرة ٣، ٤) من الميثاق.
(٦) الحدود الآمنة	يجرى تعديل الحدود باتفاق الطرفين فى مرحلة التحول من حالة الهدنة إلى السلام الحقيقى وبما يناسب أمن إسرائيل.	وثيقة الأرتباط باعتبارات الأمن الهامة لكلا الطرفين. التعديلات التى تجرى بين الخطوط السابقة وتلك الحالية يجب أن تقتصر على تلك التى يتطلبها الأمن المتبادل وألا تعكس ثقل الغزو.	يتفق الطرفان على مواقع الحدود الآمنة والمعترف بها بينهما. وتحدد على خرائط تلحق بالأتفاق النهائى. توافق إسرائيل على ألا تستبعد بالضرورة الحدود الإسرائيلية السابقة بين مصر وأراضى فلسطين تحت الأنتداب كحدود آمنة ومعترف بها.	يتفق الطرفان على مواقع الحدود الآمنة والمعترف بها بينهما. وتحدد على خرائط تلحق بالأتفاق النهائى، توافق إسرائيل على ألا تستبعد بالضرورة الحدود الإسرائيلية السابقة بين مصر وأراضى فلسطين تحت الانتداب كحدود آمنة ومعترف بها.	يتفق الطرفان على مواقع الحدود الآمنة والمعترف بها التى سوف توضح على خريطة أو خرائط تصبح جزءا من الاتفاق النهائى. تصبح الحدود الدولية السابقة بين مصر وأراضى فلسطين تحت الأنتداب الحدود الآمنة والمعترف بها بين إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة.
(٧) قطاع غزة				يتفق الطرفين فيما بعد	

		يجب مراعاة ترتيبات خاصة بقطاع غزة.	يتفق الطرفان فيما بعد على تحديد وضع القطاع بمعرفة إسرائيل والأردن وج. م. ع. تحت اشراف يارنج. يسجل ماينتهي إليه الأتفاق بهذا الشأن فى الاتفاق النهائى بين إسرائيل وكل من الدولتين على حده.	على تحديد وضع القطاع بمعرفة إسرائيل والأردن وج.م.ع تحت اشراف يارنج. يسجل ما ينتهي إليه الأتفاق بهذا الشأن فى الاتفاق النهائى بين إسرائيل وكل من الدولتين على حده. وتكون الموضوعات التالية محل اعتبار: * مسألة سحب قوات إسرائيل. * نزع سلاح غزة وإجراءات الأمن الأخرى. * امكانية تواجد إدارة مؤقتة للأمم المتحدة. * الوضع النهائى لغزة.	يتفق الطرفان على ترتيبات الأمن العملية التى تناسب الوضع النهائى لغزة.

(٨) القدس		يكون للأردن دور مدنى واقتصادى ودينى محدد فى القدس التى يجب أن تبقى موحده وأن يكون هناك ترتيبات معينة من شأنها ضمان حقوق سائر الأديان.			
(٩) شرم الشيخ	يراعى بشأنها القدر الأقصى من الترتيبات الآمنة بالنسبة لحقوق الملاحة عبر مضايق تيران. مطالب إسرائيل عن ضرورة تواجد قواتها فى شرم الشيخ ترتبط بما يتوصل إليه الطرفين فى إطار التسوية.	يتطلب الأمر ترتيبات خاصة بشرم الشيخ. تأمين حرية الملاحة لسفن جميع الدول بما فيها إسرائيل فى خليج العقبة.	يؤكد الطرفان بأن خليج العقبة ممر مائى دولى ويتعهدا بأنهما وكل الدول سيحصلا على حرية الملاحة بدون تمييز أو تدخل. ضمان حرية الملاحة فى مضيق تيران بواسطة الطرفين.	يعلن كلا الطرفين أن مضيق تيران ممر مائى دولى، ويؤكدان مبدأ حرية الملاحة فى مضيق تيران وخليج العقبة لسفن جميع الدول. يتفق الطرفان على إجراءات الأمن بالنسبة لمنطقة شرم الشيخ والتى تضمن برضا - ما المتبادل - تأمين حرية الملاحة دون رجوع فى	يتفق الجانبان ويؤكد مجلس الأمن أن مضيق تيران هو ممر مائى دولى وأن لسفن جميع الدول بما فيها إسرائيل حرية المرور فيه وفى خليج العقبة. يتفق الجانبان على ترتيبات الأمن العملية بمنطقة شرم الشيخ لتأمين حرية الملاحة عبر مضيق تيران.
(١٠) قناة السويس	ضرورة التفاوض بين				

	الأطراف على ضمان الحقوق الملاحية الواردة فى الفقرة الثانية (٩) من قرار ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ .	تأمين حرية الملاحة لسفن جميع الدول بما فيها إسرائيل فى قناة السويس.	يؤكد كلا الطرفين ويعلنا بأن قناة السويس ممر مائى دولى، ويتعهدا بأنهما وكل الدول سيحصلا على حرية الملاحة بدون تمييز أو تدخل. يضمنا كلاهما حرية الملاحة فى القناة.	ذلك. وتؤكد ج. م.ع حرية الملاحة لسفن جميع الدول بما فيها اسرائيل دون تمييز أو تدخل وذلك من خلال ممارستها لحقوقها على القناة. يتفق الطرفان على التنسيق بين أعمال تطهير القناة واستئنافها للملاحة وبين انسحاب القوات الإسرائيلية.	تؤكد. ج .ع. م. حرية الملاحة لسفن جميع الدول بما فيها إسرائيل فى قناة السويس دون تمييز أو تدخل، وذلك من خلال ممارستها لسيادتها على القناة.
(١١)المناطق المجردة من السلاح	نزع سلاح سيناء بالكامل على أساس أن حربى ٥٦، ٦٧ قد نشأت بسبب الأحداث والنشاط فيها. وجوب الاتفاق بين الولايات المتحدة	ينزع سلاح مناطق معينة «حساسة».	يوافق الطرفان على أن المناطق التى تنسحب منها القوات الإسرائيلية يجرى تجريدها من السلاح. ويتفقا تحت إشراف	تقام مناطق منزوعة السلاح تتكون من الأراضى التى تنسحب منها إسرائيل. لايجب أن تتيح هذه المناطق ميزة لأى من	يتفق الجانبان على المناطق التى يجرى تجريدها من السلاح، وعلى الاجراءات التى تؤمن ذلك، وذلك بما يضمن سلامة أراضى

	والاتحاد السوفيتى حول مستويات التسلح والحد منها فى المنطقة.		يارنج على الاجراءات الخاصة بالرقابة على تجريد هذه المناطق من السلاح.	الطرفين، وتقتصر القيود بالنسبة لادارتها على المسائل العسكرية البحتة. يضع الطرفان الاجراءات الخاصة بتأمين وضع المناطق المجردة من السلاح مستخدمين إمكانيات الأمم المتحدة على النحو الذى يتم به اتفاقهما.	الجانبين والحدود الآمنة والمعترف بها بينهما.
(١٢) اللاجئين		تتضمن التسوية مايكفل حل مشكلة اللاجئين. يجب أن يتاح للاجئين مباشرة حقهم فى الاختيار بحرية بين العودة أو إعادة التوطين	يقبل كلا الطرفين المبدأ بأن لاجئ ١٩٤٨ الخاضعين لأشراف وكالة الغوث لهم الخيار بين العودة لاسرائيل أو إعادة التوطين مع التعويض.	يقبل كلا الطرفين المبدأ بأن لاجئ ٤٨ الخاضعين لاشراف وكالة الغوث لهم الخيار بين العودة أو اعادة التوطين مع التعويض. يعترف الطرفان بالحاجة العملية لتنفيذ	يلتزم الطرفان بأحكام التسوية العادلة لمشكلة اللاجئين وفقا لما يتضمنه الأتفاق النهائى بين الأردن وإسرائيل، كما يشاركا فى وضع أحكام هذه التسوية إذا اعتبر السفير يارنج هذا

		مع التعويض. يتفق الأطراف على الكيفية التى يمكن أن تسير المشكلة بموجبها لفترة ممتدة.	يوافق الطرفان على أنه بهدف تحقيق مثل هذه التسوية، يجب تحديد والموافقة على الاجراءات والشروط التى بموجبها يمكن تنفيذ العودة وإعادة التوطين وكذلك العدد الكلى للعائدين. يوافق الطرفان على أن هذه الاجراءات والشروط ستجرى تحت اشراف يارنج بواسطة اسرائيل وج. م. ع وأطراف أخرى منها بصفة خاصة الأردن إذا رأى يارنج ذلك ضروريا ومرغوبا فيه. يتفق الطرفان على أن	ما تقدم عن طريق اجراءات وشروط يقبلها الطرفان بالتبادل. توضح هذه الاجراءات الشروط الخاصة بالعودة وكذا نسبة المقبولين سنويا والاجراءات والشروط والنسب المتقدمة تحت اشراف يارنج بين إسرائيل وج. م. ع وأطراف أخرى معها بصفة خاصة الأردن إذا رأى يارنج ذلك ضروريا ومرغوبا فيه. يتفق الطرفان على أن تنفيذ باقى أحكام الأتفاق النهائى لا يحتاج الأنتظار حتى يتم التنفيذ الكامل	أمرا مرغوبا فيه. يكون مفهوماأن الاتفاق بين ج. م.ع وإسرائيل يجرى متوازيا مع اتفاق بين الأردن وإسرائيل شامل لتسوية عادلة لمشكلة اللاجئين. ولا يبدأ تنفيذ كلا الاتفاقية إلا بعد الأتفاق على كافة البنود ككل.

			تنفيذ باقى أحكام الاتفاق النهائى لا يحتاج الانتظار حتى يتم تنفيذ كامل لتسوية مشكلة اللاجئين.	لتسوية مشكلة اللاجئين. يتفق الطرفان على أن تصل المجوعة الأولى من اللاجئين الذين اختاروا العودة إلى إسرائيل خلال ٣ شهور من دخول الأتفاق النهائى دور النفاذ.	
(١٣) الأعتراف			يتفق الطرفان بالتبادل على أحترام والأعتراف بسيادة كل منهما ووحدة اقليمه، وعدم جواز انتهاكه واستقلالها السياسى وبحق كل طرف فى الحياة بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها متحررة من استعمال القوة أو التهديد بها.	إن ج.م.ع وإسرائيل باتفاقهما المتبادل تحترمان وتعترفان بسيادة كل منهما ووحدة اقليمه وعدم جواز انتهاكه واستقلالها السياسى، وبحق كل طرف فى الحياة بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها متحررة من استعمال القوة أو التهديد بها.	أن ج.م.ع وإسرائيل باتفاقهما المتبادل تحترمان وتعترفا بسيادة كل منهما وبوحدة اقليمه وبعدم جواز انتهاكه، وباستقلاله السياسى، وبحق كل طرف فى الحياة بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها دون التعرض للتهديد بالقوة أو باستخدامها.

(١٤) وثيقة الصلح		يجب أن يكون هناك التزامات متبادلة بين الأطراف بشأن التسوية. وجوب تحديد التزام تعاقدى للسلام مصحوب بنصوص محدودة للضمانات.	يتفق الطرفان على أن الاتفاق النهائى والذى يوقع عليه من كلاهما سيودع طرف مجلس الأمن للتصديق. الاتفاق النهائى الموقع عليه يعتبر نافذا بالتوقيع عليه وبعد الاجراءات من قبل مجلس الأمن، ويبدأ بذلك تنفيذ الأطراف لالزاماتهما وفقا لشروط الأتفاق النهائى.	يسجل الأتفاق النهائى فى وثيقة يوقعها الطرفان تودع فورا لدى الأمم المتحدة، وبعد الإيداع يطلب الطرفان مباشرة من السكرتير العام أخطار مجلس الأمن وجميع أعضاء الأمم المتحدة بهذا الخصوص. بالنسبة لتنفيذ الأتفاق النهائى يكون مفهوما لدى الأطراف الطابع التبادلى والمترابط لالتزاماتهما وأنه منذ لحظة ايداعها فإن الوثيقة تصبح ملزمة وغير جائز الرجوع فيها وتبدأ بذلك تنفيذ ومراقبة الأطراف لبنود	يسجل الأتفاق النهائى فى وثيقة يوقعها الطرفان وتودع فورا لدى الأمم المتحدة. وبعد الايداع يطلب الطرفان مباشرة من السكرتير العام اخطار مجلس الأمن وجميع أعضاء الأمم المتحدة بهذا الخصوص. منذ لحظة الايداع، تصبح الوثيقة ملزمة وغير جائز الرجوع فيها وتبدأ بذلك تنفيذ ومراقبة الأطراف لبنود الأتفاق. بالنسبة لتنفيذ الأتفاق النهائى. يكون مفهوما لدى الأطراف الطابع التبادلى والمترابط

				الأتفاق.	لالتزاماتهما، وينص الاتفاق النهائى على أن الانتهاك المادى له من قبل أحد لأطراف يعطى الطرف الآخر أساسا يوقف بموجبه تنفيذ الاتفاق كلية أو جزئيا
(١٥) الضمانات الدولية	توجيه جهود الدول الكبرى لوقف الزيادة الخطيرة فى عمليات الإرهاب العربى.	لاتستثنى المساومة الدولية كأحد عناصر الضمان الشامل لأحكام التسوية، وذلك فى شكل ابدائها لوجهات النظر حول كيفية تحقيق اتفاق شامل بين الأطراف.	يصدق مجلس الأمن على الأتفاق النهائى الموقع من قبيل الطرفين. يسجل الأتفاق النهائى بعد توقيعه فى هيئة الأمم المتحدة وفقا للمادة ١٠٢ من الميثاق. يتخذ مجلس الأمن الإجراءات المناسبة لتنفيذ الأتفاق.	يقدم الأتفاق النهائى مرفقا به الخرائط لمجلس الأمن لاعتماده. استخدام امكانيات الأمم المتحدة اذا اتفق الطرفان على ذلك ضمن اجراءات تأمين المناطق المجردة من السلاح. يكون مفهوما أن الدول الأربع الكبرى ستتقدم بقرار مناسب لمجلس	حتى تتم علاج ذلك الانتهاك. يوافق الطرفان على تقديم الأتفاق النهائى إلى مجلس الأمن لاعتماده. يكون مفهوما أن الدول الأربع الكبرى ستتقدم بقرار مناسب لمجلس الأمن مؤيد فيها مع تعهد ببذل جهودها مستقبلا لمساعدة الأطراف على التمسك

				الأمن مؤيد فيها بتعهد خاص ببذل جهودا مستقبلا لمساعدة الطرفين على التمسك بكافة أحكام الأتفاق النهائى.	بكافة أحكام الاتفاق النهائى.

القسم السادس

اتفاقية كامب دافيد وما بعدها

الفصل الأول

مقدمات ونصوص اتفاقيتى «كامب دافيد»
والخطابات المتبادلة بين كل من الرئيس «كارتر»
والرئيس «السادات» ورئيس وزراء إسرائيل «مناحم بيجين».

الفصل الثانى

نبذة عن الشخصيات الرئيسية
التى ساهمت فى إنجاز إتفاقيتى «كامب دافيد»

تمهيد :

(أ) هناك علامات على التاريخ تميز مراحل تاريخية معينة عن غيرها، ومثال ذلك مايقال عن حدث أنه وقع قبل الميلاد أو بعد الميلاد (ميلاد السيد المسيح) .

- وحدث آخر فيقال قبل ثورة يوليو المصرية أو بعدها.
- وقبل نكسة يونيو ١٩٧٦ وبعدها.
- وقبل نصر أكتوبر ١٩٧٣ وبعده.
- وأيضا يمكن أن نعد اتفاقيتى كامب دافيد فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ بمثابة علامة هامة فى تاريخ النظام الاقليمى ومنطقة الشرق الأوسط إذ قامت بالفصل بين مرحلتين: ماقبل كامب دافيد ومابعدها.

(ب) ويقاس أى حدث بنتائجه، ووفق هذا التصور فإن حدث كامب دافيد ضخم، أنه أحدث تغيرات ضخمة على المسرح السياسى لإسرائيل فى فترة ما بعد عام ١٩٧٨ ، فقد إزداد الإنقسام الإسرائيلى حدة فى المجالين السياسى والإجتماعى. واهتزت

الثوابت الإسرائيلية التى كانت بارزة منذ عام ١٩٤٨ . وأصبح السلام حقيقة لأنه قام واستمر مع أكبر دولة عربية وهى مصر.

وعلى الصعيد العربى: ترسخت مفاهيم كامب دافيد بوصفها حقيقة تاريخية وخاصة بزوال الاتحاد السوفييتى، القطب الدولى الثانى، وقامت صيغة مدريد على أساس كامب دافيد، وكذلك ارتكزت صيغة اتفاقية غزة ـ أريحا، على فقرات كاملة من كامب دافيد، تدور حول فكرة الحكم الذاتى الفلسطينى.

كما أدى خروج مصر من المواجهة العسكرية بتنفيذ إتفاقية كامب دافيد أن أصبحت فرص الحرب العربية ـ الإسرائيلية تتلاشى تدريجيا لتحل محلها ضرورات السلام وفق مبدأ الأرض مقابل السلام.

وبعد كامب دافيد تغيرت الأولويات لتحل محل الحرب والمواجهة:

- أولوية الأندماج الأقتصادى والاجتماعى فى الشرق الأوسط بالنسبة لإسرائيل وصولا إلى التنمية والرخاء عبر الاستقرار.
- وفى الدول العربية برزت أولويات التنمية والأستقرار والديمقراطية ودعم حقوق الإنسان.

(جـ) وهناك دفعة تاريخية رئيسية نتجت عن كامب دافيد وهو ظهور ضرورة للاندماج الاقتصادى والاجتماعى ومن ثم السياسى لكل دول الشرق الأوسط لأن هذا الدمج هو الوسيلة الرئيسية لإزالة شبح الحرب بشكل نهائى، ولذلك شملت عملية

التفاوض فى مدريد، وبعدها، عدة مسويات تدور حول التعاون الإقتصادى وتطبيع العلاقات ودراسه موضوعات مثل المياه والأمن والتبادل الأقتصادى والثقافى.

وقد يؤدى هذا الدفع إلى قيام سوق شرق أوسيطة، وربما فى المستقبل بناء نظام شرق أوسطى يقوم على المصالح والتعاون بدلا من المواجهة والحروب.

(د) ومع ذلك فإن كل ما سبق مشروط بضرورة أن تكتمل إجرءات كامب دافيد بأن تتحول عملية السلام إلى:

- عملية دائمة.
- عملية شاملة.
- وعادلة.
- وتتجه إلى علاقات قائمة على تبادل المنافع وليس الاستثمار بالمنافع والمغانم.

- وأن تصبح الولايات المتحدة شريكا بالفعل لصنع السلام والاستقرار، وهذا يتطلب منها عدم الإنحياز وعدم تفضيل إسرائيل وخاصة تسامحها فى مجال التسلح النووى الإسرائيلى.

اتفاقيتا كامب دافيد، ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ :

مقدمة :

إن السعى نحو السلام فى الشرق الأوسط يجب أن يسترشد بما يلى:

- إن الأساس المتفق عليه لتسوية سلمية للنزاع بين إسرائيل وجيرانها، وهو قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٢٤٢ بجميع أجزائه.

- بعد أربع حروب وقعت خلال ثلاثين سنة، وبالرغم من الجهود البشرية المكثفة، فإن الشرق الأوسط، مهد الحضارة ومكان ولادة ثلاث ديانات عظيمة، لم يستمتع حتى الآن ببركات السلام. إن شعوب الشرق الأوسط تتطلع إلى السلام، حتى يمكن تحويل موارد المنطقة البشرية والطبيعية الهائلة إلى نشدان السلام، ومن أجل أن تتمكن هذه المنطقة من أن تصبح نموذجا للتعايش والتعاون بين الأمم.

- إن مبادرة الرئيس السادات التاريخية المتمثلة بزيارته للقدس، والإستقبال الذى قابله به برلمان وحكومة وشعب إسرائيل، والزيارة المقابلة التى قام بها رئيس الوزراء بيجين إلى الإسماعيلية، وعروض السلام التى قدمها الزعيمان، بالإضافة إلى الترحيب الحار الذى قابل به شعبا الدوليتن، هاتين المهمتين، قد أوجدت فرصة للسلام لا سابق لها، يجب أن لا تضيع، إذا كان لهذا الجيل والأجيال المقبلة أن تتجنب مآسى الحرب.

- أن نصوص ميثاق الأمم المتحدة، والقواعد الأخرى المقبولة فى القانون الدولى والشرعية الدولية، توفر الآن مقاييس مقبولة لسير العلاقات بين جميع الدول.

- من أجل تحقيق إقامة علاقة سلام بموجب روح المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة، فإن إجراء مفاوضات بين إسرائيل وأى جار لها على استعداد للتفاوض معها بشأن السلام والأمن، هو أمر ضرورى لهدف تنفيذ جميع نصوص ومبادىء القرارين ٢٤٢، ٣٣٨ .

- إن السلام يتطلب إحتراما للسيادة، وسلامة إقليمية وإستقلالا سياسيا لكل دولة فى المنطقة، وحقها فى العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها، خالية من التهديدات أو أعمال العنف، وأن التقدم نحو ذلك الهدف يمكنه أن يسرع التحرك نحو عهد جديد من المصالحة فى الشرق الأوسط يتسم بالتعاون فى تعزيز النمو الإقتصادى وفى المحافظة على الإستقرار، وفى ضمان الأمن.

- فالأمن يتعزز بعلاقات سليمة، وبتعاون بين الدول التى تتمتع بعلاقات طبيعية. وبالإضافة إلى ذلك، وبموجب شروط معاهدات السلام، تستطيع الأطراف على أساس التبادل، أن تتفق على ترتيبات أمنية خاصة، مثل مناطق منزوعة السلاح، ومناطق محدودة التسلح، ومحطات إنذار مبكر، ووجود قوات دولية، وإقامة إتصال متبادل، وتدابير مراقبة متفق عليها، وترتيبات أخرى يوافقون على أنها مفيدة.

مع أخذ هذه العوامل فى الأعتبار. فإن الطرفين مصممان على التوصل إلى تسوية عادلة شاملة ودائمة لنزاع الشرق الأوسط، من خلال عقد معاهدات سلام، تستند إلى قرارى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٢٤٢، ٣٣٨، بجميع أجزائها. أن الهدف هو تحقيق سلام وعلاقات جوار حسنة. وهما يعترفان بأنه إذا كان للسلام أن يدوم ، فإنه يجب أن يتناول جميع الذين تأثروا بصورة عميقة بالنزاع. ولهذا فإنهما يتفقان على أن إطار العمل هذا بإعتباره ملائما، قد قصدا به أن يشكل أساسا للسلام، ليس فقط بين مصر وإسرائيل، بل أيضا بين إسرائيل وكل من جيرانها، الذين هم على إستعداد للتفاوض بشأن السلام مع إسرائيل على هذا الأساس، ومع وجود هذا الهدف ماثلا فى الذهن.

وفى إطار عمل للسلام فى الشرق الأوسط، فقد اجتمع محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية، ومناحم بيجين، رئيس وزراء إسرائيل بجيمى كارتر، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، فى كامب دافيد من الخامس من سبتمبر حتى السابع عشر من سبتمبر عام ١٩٧٨، واتفقا على إطار العمل التالى، للسلام فى الشرق الأوسط، وهما يدعوان الأطراف الأخرى فى النزاع العربى الإسرائيلى للتقيد به.

إطار العمل:

(أ) الضفة الغربية وغزة:

١ـ على مصر وإسرائيل والأردن، وممثل الشعب الفلسطيني، أن يشتركوا في مفاوضات لحل المشكلة الفلسطينية بجميع وجوهها. ولتحقيق ذلك الهدف، يجب أن تتم المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وغزة على ثلاث مراحل:

(أ) إن مصر وإسرائيل تتفقان على أنه من أجل ضمان انتقال سلمي ومنظم للسلطة، ومع الأخذ بالحسبان الاهتمامات الأمنية لجميع الأطراف، يجب أن تكون هناك ترتيبات إنتقالية للضفة الغربية وغزة، لمدة لا تتجاوز الخمس سنوات.

ومن أجل توفير حكم ذاتي تام للسكان، فإن الحكومة العسكرية الإسرائيلية وإدارتها المدنية، سوف تنسحب حالما يجرى إنتخاب سلطة حكم ذاتي إنتخابا حرا، من قبل سكان هذه المناطق، لتحل محل الحكومة العسكرية القائمة. ومن أجل التفاوض حول تفاصيل الترتيبات الإنتقالية، ستدعى حكومة الأردن إلى الإشتراك في المفاوضات على أساس إطار العمل هذا. ويجب أن تولى هذه الترتيبات الجديدة اعتباراً مناسباً لمبدأ الحكم الذاتي من قبل سكان هاتين المنطقتين وللاهتمامات الأمنية الشرعية للأطراف المعنية في آن معا.

(ب) ستتفق مصر وإسرائيل والأردن على كيفية إنشاء سلطة الحكم الذاتي المنتخبة في الضفة الغربية وغزة. وقد يتضمن وفدا مصر والأردن فلسطينيين من الضفة الغربية وغزة، أو فلسطينيين آخرين، كما يتفق على هذا الأمر بصورة متبادلة.

وستتفاوض الأطراف بشأن اتفاقية تحدد سلطات ومسؤوليات سلطة الحكم الذاتي التي ستمارس في الضفة الغربية وغزة. وسيجرى سحب القوات الإسرائيلية المسلحة، وستتم إعادة تمركز القوات الإسرائيلية المتبقية في مواقع أمنية معينة.

وستتضمن الاتفاقية أيضا ترتيبات لضمان الأمن الداخلي والخارجي والنظام العام. وسيتم إنشاء قوة بوليس محلية قوية، قد تشتمل على مواطنين أردنيين. إضافة إلى ذلك

ستشترك القوات الإسرائيلية والقوات الأردنية فى دوريات مشتركة، وفى تزويد مراكز المراقبة بالرجال من أجل ضمان الحدود.

(جـ) وعندما يتم إنشاء سلطة الحكم الذاتى (وهى المجلس الإدارى) فى الضفة الغربية وغزة، وتباشر هذه السلطة أعمالها، ستبدأ فترة الخمس سنوات الانتقالية. وفى أسرع وقت ممكن، ولكن فى وقت لا يتجاوز السنة الثالثة من بداية الفترة الانتقالية، ستجرى مفاوضات لتحديد الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقاتهما بجيرانهما، ولعقد معاهدة سلام بين إسرائيل والأردن فى نهاية الفترة الانتقالية.

وستجرى هذه المفاوضات بين مصر وإسرائيل والأردن، وممثلى سكان الضفة الغربية وغزة المنتخبين، وسيعقد اجتماع للجنتين مستقلتين ولكن مرتبطتين. إحداهما تتألف من ممثلين للأطراف الأربعة التى ستتفاوض وتتفق بشأن الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقتها مع جيرانها. وتتألف اللجنة الثانية من ممثلين عن إسرائيل وممثلين عن الأردن يشترك معهم ممثلون منتخبون من قبل سكان الضفة الغربية وغزة للتفاوض بشأن معاهدة سلام بين إسرائيل والأردن، آخذين فى الاعتبار الاتفاقية التى يتم التوصل إليها بشأن الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة.

إن المفاوضات سترتكز على جميع نصوص ومبادئ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢. وستسوى المفاوضات بين أمور أخرى: موقع الحدود، وطبيعة ترتيبات الأمن. ويجب أيضا أن يعترف الحل الناتج عن المفاوضات بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى ومتطلباته العادلة. وبهذه الطريقة سيشترك الفلسطينيون فى تقرير مستقبلهم عن طريق:

١ ـ المفاوضات بين مصر وإسرائيل والأردن وممثلى سكان الضفة الغربية وغزة للاتفاق على الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وغير ذلك من القضايا المعلقة، فى موعد أقصاه نهاية الفترة الانتقالية.

٢ ـ عرض اتفاقهم للتصويت من قبل الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة.

٣ ـ تمكين الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة من أن يقرروا كيف سيحكمون أنفسهم فى صورة تتمشى مع بنود اتفاقهم.

٤ - المشاركة حسبما ذكر أعلاه، في عمل اللجنة التي تجري المفاوضة حول معاهدة السلام بين إسرائيل والأردن.

٢ - جميع الاجراءات اللازمة ستتخذ وجميع النصوص ستوضع لضمان أمن إسرائيل وجيرانها أثناء الفترة الانتقالية وما وراءها.

وللمساعدة في توفير مثل هذا الأمن، سيجري تشكيل قوة بوليس محلية قوية من قبل سلطة الحكم الذاتي. وستتألف هذه القوة من سكان الضفة الغربية وغزة. وسيبقى البوليس على اتصال متواصل حول شؤون الأمن الداخلي مع الضباط الإسرائيليين والأردنيين والمصريين المعتمدين.

٣ - أثناء الفترة الانتقالية، سيشكل ممثلو مصر وإسرائيل والأردن وسلطة الحكم الذاتي، لجنة مستمرة لتبت بالاتفاق في كيفية معالجة إدخال أشخاص شردوا من الضفة الغربية وغزة عام ١٩٦٧، مع الاجراءات اللازمة لمنع الفوضى والاضطراب، كذلك يمكن لهذه اللجنة معالجة مسائل أخرى ذات اهتمام مشترك.

٤ - ستعمل مصر وإسرائيل مع بعضهما، ومع الأطراف الأخرى المعنية، على وضع اجراءات متفق عليها لتنفيذ فوري وعادل ودائم لحل مشكلة اللاجئين.

(ب) مصر وإسرائيل

١ - تتعهد مصر وإسرائيل بألا تلجآ إلى التهديد با قوة أو استعمالها لتسوية النزاعات. وأن أية نزاعات ستسوى بوسائل سلمية وفق نصوص المادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة.

٢ - لكي يتم تحقيق السلام بينهما، يوافق الفريقان على التفاوض بنية حسنة بهدف عقد معاهدة سلام بينهما في غضون ثلاثة أشهر من توقيع إطار العمل هذا، بينما تدعى أطراف النزاع الأخرى للمضي في نفس الوقت في التفاوض وعقد معاهدات سلام مماثلة

بقصد تحقيق سلام شامل فى المنطقة. وسيحكم إطار العمل لعقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل، مفاوضات السلام بينهما. وسيوافق الفريقان على كيفية المعالجة وجدول زمنى لتنفيذ تعهدهما بموجب المعاهدة.

(جـ) مبادئ مرافقة

١ - تعلن مصر وإسرائيل أن المبادئ والنصوص المشروحة أدناه يجب أن تنطبق على معاهدات السلام بين إسرائيل وكل واحدة من جاراتها: مصر والأردن وسوريا ولبنان.

٢ - إن الموقعين أدناه سينشئان فيما بينهما علاقات طبيعية كتلك القائمة بين دول فى سلام مع بعضها. ومن أجل هذه الغاية يجب أن يتعهدا بالالتزام بجميع نصوص ميثاق الأمم المتحدة. وتشمل الخطوات التى ستتخذ فى هذا الصدد:

(أ) الاعتراف الكامل.

(ب) إزالة المقاطعة الاقتصادية.

(جـ) الضمان بأن مواطنى الأطراف الأخرى الذين تحت سلطتهما القضائية سيتمتعون بحماية عملية القانون المناسبة.

٣ - يجب أن يتقصى الموقعان الإمكانيات من أجل تطور اقتصادى فى اطار معاهدات سلام نهائية بهدف المساهمة فى جو السلام والتعاون والصداقة الذى هو هدفهما المشترك.

٤ - يمكن إنشاء لجان مطالبة من أجل التسوية المتبادلة لجميع المطالب المالية.

٥ - ستدعى الولايات المتحدة للاشتراك فى المحادثات حول مسائل تتصل بكيفية معالجة تنفيذ الاتفاقات ووضع جدول زمنى لتطبيق تعهدات الطرفين.

٦ - سيطلب من مجلس الأمن الدولى بأن يصادق على معاهدات السلام ويضمن بألا تخرق

نصوصها. وسيطلب من أعضاء مجلس الأمن الدائمين بأن يكفلوا معاهدات السلام ويضمنوا الاحترام لنصوصها، وسيطلب منهم أيضا بأن يجعلوا سياساتهم وتصرفاتهم متمشية مع التعهدات الواردة فى إطار العمل هذا.

عن حكومة جمهورية مصر العربية | **عن حكومة إسرائيل**

أنور السادات | **مناحم بيجين**

شاهد التوقيع

چيمى كارتر

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

إطار عمل لعقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل.

لكى يتحقق سلام بين مصر وإسرائيل. توافق الدولتان على التفاوض بنية حسنة بهدف عقد معاهدة سلام بينهما فى غضون ثلاثة أشهر من توقيع إطار العمل هذا.

لقد اتفق على:

أن مكان المفاوضات سيكون تحت علم هيئة الأمم المتحدة فى موقع أو مواقع يتفق عليها فى صورة متبادلة.

جميع مبادئ قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ ستطبق فى هذا الحل للنزاع بين مصر وإسرائيل.

ما لم يتفق على غير ذلك فى صورة متبادلة، ستنفذ شروط معاهدة السلام خلال مدة تتراوح بين سنتين وثلاث سنوات بعد التوقيع على معاهدة السلام .

لقد اتفق على الأمور التالية بين الفريقين:

(أ) الممارسة الكاملة للسيادة المصرية على الحدود المعترف بها دوليا بين مصر وفلسطين فى عهد الانتداب.

(ب) انسحاب القوات الإسرائيلية المسلحة من سيناء.

(جـ) استعمال المطارات التى يتركها الإسرائيليون قرب العريش ورفح ورأس النقب وشرم الشيخ للأغراض السلمية فقط، بما فى ذلك الاستعمال التجارى الممكن من قبل جميع الدول.

(د) حق المرور الحر لسفن إسرائيل عبر خليج السويس وقناة السويس على أساس انطباق ميثاق القسطنطينية لعام ١٨٨٨ على جميع الدول، وأن مضيق تيران وخليج العقبة هما ممران مائيان دوليان يجب أن يكونا مفتوحين لجميع الدول من أجل حرية ملاحة غير معرقلة وغير متوقفة وتحليق جوى.

(هـ) بناء طريق برى عريض بين سيناء والأردن وقرب إيلات مع مرور حر وسلمى مضمون لمصر والأردن.

(و) مرابطة قوات عسكرية كما هو مبين أدناه.

مرابطة القوات

(أ) لايسمح بمرابطة أكثر من فرقة واحدة «مدرعة أو مشاة» من القوات المصرية المسلحة داخل منطقة تقع على مسافة ٥٠ كيلو مترا تقريبا إلى الشرق من خليج السويس وقناة السويس.

(ب) إن قوات الأمم المتحدة وقوات البوليس المدنى المزودة بأسلحة خفيفة لإنجاز المهام البوليسية العادية، هى فقط سترابط ضمن منطقة تقع غربى الحدود الدولية وخليج العقبة، ويتراوح عرضها بين ٢٠ كيلو مترا و٤٠ كيلو مترا.

(جـ) داخل المنطقة الواقعة على مسافة ٣ كيلو مترات إلى الشرق من الحدود الدولية، ستكون هناك قوات إسرائيلية عسكرية، لا تتجاوز أربع كتائب مشاة، ومراقبون دوليون.

(د) ستكمل وحدات من دوريات الحدود لا تتجاوز الثلاث كتائب، البوليس المدنى، فى المحافظة على النظام فى المنطقة غير المشمولة أعلاه.

سيتقرر التخطيط الدقيق للمناطق أعلاه خلال مفاوضات السلام.

يمكن إقامة محطات للإنذار المبكر لضمان الامتثال لنصوص الاتفاق.

سترابط قوات الأمم المتحدة ـ

(أ) فى جزء من منطقة سيناء الواقعة ضمن حوالى ٢٠ كيلو مترا من البحر الأبيض المتوسط ومتاخمة للحدود الدولية.

(ب) ـ فى منطقة شرم الشيخ لضمان حرية المرور عبر مضيق تيران. وهذه القوات لن

تسحب ما لم يوافق على هذا الانسحاب مجلس الأمن الدولى بتصويت إجماعى للأعضاء الدائمين الخمسة.

بعدما توقع معاهدة سلام، وبعدما يكتمل الانسحاب المرحلى، ستقام علاقات طبيعية بين مصر وإسرائيل، بما فى ذلك: الاعتراف الكامل، ويشمل العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والعوائق التى تعترض التنقل الحر للسلع والأشخاص، والحماية المتبادلة للمواطنين بعملية القانون المناسبة.

الانسحاب المرحلى

خلال فترة تتراوح بين ثلاثة أشهر وتسعة أشهر بعد توقيع معاهدة السلام، ستنسحب جميع القوات الإسرائيلية إلى الشرق من خط يمتد من نقطة تقع شرقى العريش إلى رأس محمد، وسيتحدد الموقع الدقيق لهذا الخط باتفاق متبادل.

عن حكومة جمهورية مصر العربية. **عن حكومة إسرائيل**

أنور السادات مناحم بيجين

شاهد التوقيع

جيمى كارتر

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

رسالة من مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل الي الرئيس جيمي كارتر، ١٧ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى السيد الرئيس،

لى الشرف أن أبلغك بأنه خلال أسبوعين من عودتى إلى بلادى سأقدم اقتراحا للبرلمان الإسرائيلى (الكنيست) لكى يتخذ قرارا حول الموضوع التالى:

إذا ما اتفق أثناء المفاوضات حول عقد معاهدة سلام بين إسرائيل ومصر على جميع القضايا المعلقة، «هل تحبذون إزالة المستوطنات الإسرائيلية من مناطق سيناء الشمالية والجنوبية أم تحبذون إبقاء المستوطنات المذكورة آنفا فى تلك المناطق؟».

إن التصويت على هذا الموضوع ياسيادة الرئيس سيكون متحررا كليا من القواعد الحزبية البرلمانية المألوفة من حيث الأئتلاف رغم أنه يلقى الآن تأييدا من ٧٠ عضوا من أصل ١٢٠ عضوا، فإن كل عضو فى الكنيست، حسبما أعتقد، من مؤيد للحكومة ومعارض لها، سيتمكن من التصويت حسبما يمليه عليه ضميره.

المخلص

التوقيع

مناحم بيجين

رسالة من الرئيس جيمي كارتر الي الرئيس المصري أنور السادات، ٢٢ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى السيد الرئيس،

أنقل إليكم هنا نسخة من رسالة وردت إلى من رئيس الوزراء بيجين يشرح فيها كيف يقترح عرض قضية مستوطنات سيناء على الكنيست لكى يتخذ الأخير قراره.

وفى هذا الصدد أفهم من رسالتكم أن موافقة الكنيست على سحب جميع المستوطنين من سيناء وفق جدول زمنى ضمن المهلة المحددة لتنفيذ معاهدة السلام هى شرط أساسى لأية مفاوضات حول معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل.

المخلص

التوقيع

جيمى كارتر

مرفق: رسالة من رئيس الوزراء مناحم بيجين

رسالة من الرئيس المصري أنور السادات الي الرئيس جيمي كارتر، ١٧ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى السيد الرئيس:

بصدد « إطار العمل لتسوية فى سيناء» يجرى توقيعه هذا المساء، أود أن أعيد تأكيد موقف جمهورية مصر العربية بالنسبة إلى المستوطنات:

١ ـ جميع المستوطنين الإسرائيليين يجب أن ينسحبوا من سيناء وفق جدول زمنى خلال المهلة المحددة لتنفيذ معاهدة السلام.

٢ ـ إن موافقة الحكومة الإسرائيلية ومؤسساتها الدستورية على هذا المبدأ الأساسى هى لذلك شرط أساسى لبدء مفاوضات السلام من أجل عقد معاهدة سلام.

٣ ـ إذا تعذر على إسرائيل تلبية هذا التعهد سيصبح «إطار العمل» لاغيا وباطلا.

المخلص

التوقيع

محمد أنور السادات

رسالة من الرئيس جيمي كارتر الي مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل ٢٢ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى رئيس الوزراء:

تلقيت رسالتك المؤرخة ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ والتى تشرح كيف تنوى أن تطرح مسألة مستقبل المستوطنات الإسرائيلية فى سيناء أمام الكنيست من أجل قراره بشأنها.

مرفق طيه نسخة من كتاب الرئيس السادات إلىّ حول هذا الموضوع.

المخلص

التوقيع

چيمى كارتر

مرفق: رسالة من الرئيس السادات

رسالة من الرئيس المصرى أنور السادات الي الرئيس جيمى كارتر، ١٧ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزي الرئيس:

أكتب إليكم لكى أعيد تأكيد موقف جمهورية مصر العربية بالنسبة إلى القدس:

١ ـ إن القدس العربية هى جزء لا يتجزأ من الضفة الغربية، وإن الحقوق العربية القانونية والتاريخية فى المدينة يجب أن تحترم وتستعاد.

٢ ـ إن القدس العربية يجب أن تكون تحت سيادة عربية.

٣ ـ إن السكان الفلسطينيين للقدس العربية يحق لهم ممارسة حقوقهم الوطنية الشرعية كونهم جزءا من الشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية.

٤ ـ إن قرارات مجلس الأمن المتصلة بالموضوع، وعلى الأخص القرارين ٢٤٢ و٢٦٧ يجب أن تطبق فيما يختص بالقدس. وإن جميع الإجراءات التى أخذتها إسرائيل لتغيير وضع المدينة هى لاغية وباطلة ويجب نقضها.

٥ ـ جميع الشعوب يجب أن تكون لها حرية الوصول إلى المدينة والتمتع بالممارسة الحرة للعبادة ويحق الزيارة والعبور إلى الأماكن المقدسة بدون تمييز أو تفرقة.

٦ ـ إن الأماكن المقدسة لكل ديانة يمكن أن توضع تحت إدارة وإشراف ممثليها.

٧ ـ إن المهام الجوهرية فى المدينة يجب أن تكون غير مجزأة وفى استطاعة مجلس بلدى مشترك مؤلف من عدد متساو من الأعضاء العرب والإسرائيليين أن يشرف على تنفيذ هذه المهام. وبهذه الطريقة ستبقى المدينة غير مجزأة.

المخلص

التوقيع

محمد أنور السادات

رسالة من مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل الي الرئيس جيمي كارتر ١٧ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى السيد الرئيس:

لى الشرف أن أبلغك يا فخامة الرئيس أن البرلمان الإسرائيلى (الكنيست) نشر فى ٢٨ يونية ١٩٦٧ وأبرم قانونا يقضى بأن: «الحكومة مخولة الصلاحية بمرسوم لأن تطبق القانون والسلطات التشريعية والإدارية للدولة على أى جزء من أرض إسرائيل (أرض إسرائيل - فلسطين)، كما حدد فى ذلك المرسوم».

وعلى أساس هذا القانون أصدرت حكومة إسرائيل مرسوماً فى يولية ١٩٦٧ يقضى بأن القدس هى مدينة واحدة غير مجزأة وعاصمة دولة إسرائيل.

المخلص

التوقيع

مناحم بيچين

رسالة من الرئيس جيمى كارتر إلى الرئيس المصرى أنور السادات ٢٢ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى السيد الرئيس:

تلقيت رسالتك المؤرخة ١٧ سبتمبر ١٩٨٧ التى تحدد الموقف المصرى حول القدس. وإنى مرسل نسخة من تلك الرسالة إلى رئيس الوزراء مناحم بيجين لاطلاعه.

إن موقف الولايات المتحدة حول القدس لا يزال كما أعلنه السفير جولدبيرج فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٤ يولية ١٩٦٧، وفى وقت لاحق السفير بوست فى مجلس الأمن الدولى فى أول يولية ١٩٦٩ .

المخلص

التوقيع

چيمى كارتر

رسالة من الرئيس المصرى أنور السادات إلى الرئيس جيمى كارتر، ١٧ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى الرئيس:

بصدد، إطار العمل للسلام فى الشرق الأوسط، أكتب إليك هذه الرسالة لأعلمك بموقف جمهورية مصر العربية بالنسبة إلى تنفيذ التسوية الشاملة.

لضمان تنفيذ النصوص المتصلة بالضفة الغربية وغزة ولكى تضمن الحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى، ستكون مصر مستعدة للقيام بالدور العربى المنبثق من هذه النصوص بعد مشاورات مع الأردن عن الشعب الفلسطينى.

المخلص

التوقيع

محمد أنور السادات

رسالة من الرئيس چيمى كارتر الى مناحم بيچين رئيس وزراء إسرائيل، ٢٢ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى رئيس الوزراء،

أثبت هنا أنك ابلغتنى ما يلى:

(أ) فى كل فقرة من وثيقة إطار العمل المتفق عليه، التعبيران «الفلسطينيون» أو «الشعب الفلسطينى» يجرى تفسيرهما وفهمهما، وسيفسران ويفهمان من قبلكم على أنهما يعنيان «فلسطينيين عرباً».

(ب) فى كل فقرة يظهر فيها التعبير «الضفة الغربية» يفهم وسيفهم من قبل حكومة إسرائيل على أنه يهودا والسامرة.

المخلص

التوقيع

چيمى كارتر

رسالة من هارولد براون وزير الدفاع الي عزرا وايزمان وزير الدفاع الإسرائيلى، مرفقة بالوثائق التى اتفق عليها في كامب ديفيد، نشرت فى ٢٩ سبتمبر ١٩٧٨

٢٨ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى السيد الوزير.

تدرك الولايات المتحدة أنه فى ارتباط بتنفيذ الاتفاقيتين التى تم التوصل إليهما فى كامب ديفيد؛ فإن إسرائيل تنوى بناء قاعدتين جويتين عسكريتين فى مواقع مناسبة فى النقب لتحلا محل القاعدتين فى وايتام إتزيون اللتين ستجلوا إسرائيل عنهما بمقتضى معاهدة السلام المبرمة بين مصر وإسرائيل. وتدرك أيضا العجلة والأولوية الخاصتين اللتين توليهما إسرائيل لإعداد القاعدتين الجديدتين فى ضوء اقتناعها بأنها لا تستطيع أن تترك قاعدتى سيناء الجويتين وهى آمنة إلا إذ أصبحت القاعدتين الجديدتين جاهزتين للتشغيل.

واقترح أن تتشاور حكومتانا حول حجم وتكاليف القاعدتين الجويتين الجديدتين، وكذلك حول أشكال المساعدة المرتبطة بذلك، والتى تستطيع الولايات المتحدة تقديمها بصورة ملائمة فى ضوء المشكلات الخاصة التى قد يثيرها تنفيذ مثل هذا المشروع على أساس عاجل. والرئيس مستعد لالتماس موافقات الكونجرس الضرورية على مثل هذه المساعدة حسبما يوافق عليه الجانب الأمريكى نتيجة لمثل هذه المشاورات.

هارولد براون

نص الحديث الصحفى لبيجين لصحيفة التايم الأمريكية بتاريخ ١٩٧٨/١٠/٢٠

تصريحات بيجين بعد توقيعه مباشرة على اتفاقية كامب دافيد، موضحاً النقاط والأسس التى توضح وجهة نظره ونظر جميع الساسة الإسرائيليين وهى النابعة عن القوالب الصهيونية التى وضعها بن جوريون وأصبحت لزاماً على كل سياسى إسرائيلى أن يتبعها فى مفاوضاته مع العرب (١).

رغم نتائج ختام مؤتمر كامب دافيد فقد بقيت بعض النقاط غير المتفق عليها بين رئيس الوزراء الإسرائيلى مناحم بيجين والمسئولين الأمريكيين حول عدد من العناصر الرئيسية فى الاتفاق. ناقش الزعيم الإسرائيلى هذه النقاط وغيرها فى حديث خاص «للتايم».

س: من كان عليه أن يعطى أكثر؟

جـ: لم يتنازل أحد عن مبادئه فى كامب دافيد. فقد تمسك الوفد الإسرائيلى بمبادئ خطته للسلام، وكان من المثير تقديمها فى ديسمبر، وهى مفيدة الآن أيضا. ولم نسأل الرئيس السادات أن يتنازل عن مبادئه.

س: ألم يكن على السادات أن يتنازل عن مطلبه بإعادة كافة الحدود العربية؟

جـ: لا أستطيع الحديث بالنيابة عن الرئيس السادات. والذى أعرفه أنه قد تم الاتفاق حول سؤال يهودا والسامرا وقطاع غزة والذى ترك بغير تحديد. وكان هذا مفتاح الاتفاق. لأننا - وأنا أعتقد هذا من كل قلبى - لنا الحق والادعاء بالسيطرة على يهود وسامرا وقطاع غزة. ولكن هناك دعاوى أخرى. ولهذا فقد كانت فكرتنا هى: «دعنا نترك السؤال حول السيطرة قائما غير مقرر، ولنتعامل مع البشر. فسوف يكون للعرب سلطة كاملة وسيكون لنا الأمن الكامل على اعتبار أن القوات الإسرائيلية سوف تتمركز فى يهودا وسامرا وقطاع غزة.

س:ماذا يحدث فى نهاية فترة السنوات الخمس الانتقالية ؟

جـ: سنقول بالطبع أننا لنا السلطة على يهودا وسامرا وقطاع غزة وسيأتى آخرون ويدعون ذلك. ماذا ستكون النتيجة؟. إننا لانقبل هذا النوع من الاتفاقية ولكن مانستطيع التأكيد عليه هو أننا فى كامب دافيد أحياناً ما نواجه مشاكل تبدو غير ذات حل وأننا سوف نحاول ذلك. لأن ذلك هو طبيعة العقل البشرى. فإذا ما كان هناك اثنان بين الفرق المتباحثة فعندئذ يستطيع كلُّ القول بأن هناك اتفاق. ولكن إذ لم يكن هناك اثنان فإن ترتيبات الأمن الاسرائيلية الحالية سوف تستمر. ولهذا ففى كلا الحالين لن يحدث شئ على غير ما يرام. ولهذا فأنا متفائل بالنسبة للمستقبل.

س: ماذا فى الحقيقة تم الاتفاق عليه فيما يتعلق ببناء مستوطنات فى الضفة الغربية؟ يقول الأمريكيون أنه قد تم الاتفاق على أنه لا مستوطنات فى خلال السنوات الخمس الانتقالية؟

جـ: لم أقدم مثل هذه الموافقة. بالأمس سألت الرئيس كارتر فى البيت الأبيض: «سيدى الرئيس هل أعطيتكم إقراراً حول خمس سنوات؟ قال: «لا لم تعطنى مثل هذا الاقرار». هناك بعض الخلط فى وجهات النظر حول ما تم الاتفاق عليه حقيقة حول هذه المسألة.

ولكن كما أن رفيقى فى المفاوضات مع كارتر هما الآن فى إسرائيل فيجب أن أشاورهما. فلدى تصورى وهناك رأى أمريكى يختلف ولا أستطيع أن أفعل شيئا سوى أن أعد أننى سأقارن بين النقاط مع أصدقائى الذين كانوا معى فى المناقشات مع كارتر.

س: عندما تقول «أقارن الملاحظات» أتعنى أنه لا يوجد سجل رسمى.

جـ: أنا لا أدون ملاحظات. ولكى أتصور أن السكرتير فانس قد دون بعض الملاحظات وأن الرئيس قد دون أيضا. ولكنا نقارن الأفكار فى ذاكرتنا أيضا. فسوف أذهب إلى القدس هناك السماء صافية وتصبح الذاكرة أكثر صفاء..

س: ولكنك لاترى هذا الاختلاف على أنه حجر عثرة يمنع اتفاقية السلام؟.

جـ: لايجب أن يكون كذلك على الإطلاق. كلا مطلقاً. كلا مطلقا إنه النقطة الخطيرة الآن بين مصر وإسرائيل هى المستوطنات فى شمال سيناء. فهذه المستوطنات أنشئت عن طريق الحكومة السابقة كمنطقة عازلة يتمتع قطاع غزة بالسلام كما نتمتع نحن به، ولكن بالنسبة للرئيس السادات فهى مسألة يقول فيها «لا أستطيع» وعلى هذا فهو قرار على الكنيست أن يتخذه إن علينا طاعة البرلمان.

س: أتشعر بأنك فى مصاعب سياسية فى إسرائيل؟

جـ: إنه لأمر خطير. فإن بعض أفضل أصدقائى، بعض أعز أصدقائى ضد هذه السياسة، وأعتقد أنهم سيصوتون ضدها فى الكنيست وهم ينتقدون الاتفاق كذلك، وفى لغة حادة جداً ينتقدوننى بالطبع. إن حقهم الطبيعى أن يفعلوا ذلك، فالفرنسيون لديهم تعبير فرنسى فى هذا «إنها الحياة.. *Cést la vie*».

لدينا الآن اتفاق. اطار عمل لخطة سلام موقعة بين مصر وإسرائيل هى غالباً اتفاقية سلام. لقد قمنا بحل مشكلة اتفاقية السلام بنسبة ٩٨٪ والآن تخيل قد يكون قريباً جداً سيكون هناك آتفاق سلام بين مصر وإسرائيل. إن تغيير ثورى فى الوضع فى الشرق الأوسط أعتقد أنه الطريق الصواب وسوف أستمر.

س: كيف ترى فرص اشتراك الأردن فى المحادثات؟

جـ: نود من الملك حسين أن يشارك. لقد طلب منا عرضاً مسبقاً أن نعود إلى حدود ٤ يونيه ١٩٦٧ بما فى ذلك القدس. وهذا لن يكون مقبولاً لأى حزب فى إسرائيل فيما عدا الشيوعيين.

س: إذا لم يشارك ماذا يحدث؟

ج : لن يحدث شئ. فسوف يشارك الفلسطينيون العرب ويحصلون على وضعهم ونحصل على أمننا سوف نعيش معاً.

س: كيف تحصلون على سلام بينما بقية العرب يعارضون الاتفاق؟

جـ: ربما يكون هناك اختلاف فى التفكير. فالسوريون متطرفون، يحبون أن يرونا محطمين الخ. ولكن سوريا لا تستطيع مهاجمتنا سيكون إنتحارياً والأردن لن تهاجمنا وحدها. فهم لا يستطيعون فعل ذلك. والعراق خلف الأردن. ولهذا فإنه عندما يكون لدينا سلام بين مصر وإسرائيل فإن لدينا فى الحقيقة *defacta* سلام فى الشرق الأوسط.

س : ماذا فعلت هذه التجربة لك شخصياً؟ ماذا تشعر عقب مثل هذا الحدث؟

جـ: أشعر بسعادة. ولكنى شعرت بسعادة قبل كامب دافيد أيضا. إن العامل المجد جداً كان الرئيس كارتر كان فى جميع اللجان. كنت مع أصدقائى بينما كان هو فى كل مكان وكنا نأوى لفراشنا فى الثانية أو الثالثة أو حتى الرابعة صباحاً. ولكن عندما تكون لك روح معنوية عالية تختفى المتاعب الجسدية.

■ خطاب الرئيس رونالد ريجان ونقاط المحادثات، أول سبتمبر ١٩٨٢*.

بنى وطنى الأمريكيين، كان اليوم، يوما يدعونا جميعا إلى الفخر، لأنه سجل نهاية جلاء منظمة التحرير الفسطينية عن بيروت، لبنان بنجاح. وما كان لهذه الخطوة السلمية أن تتحقق على الإطلاق لولا المساعى الحميدة للولايات المتحدة، وعلى الأخص العمل البطولى بالفعل الذى قام به الدبلوماسى الأمريكى الكبير السفير فيليب حبيب. فبفضل جهوده، يسرنى أن أعلن أن فرقة مشاة البحرية الأمريكية التى ساعدت فى الإشراف على عملية الجلاء قد أنجزت مهمتها. ويتعين بعد ذلك أن يغادر شبابنا لبنان فى غضون أسبوعين. وقد أدى هؤلاء الشبان أيضا خدمة لقضية السلام بجدارة وبشكل يدعونا جميعا إلى الاعتزاز بهم.

إلا أن الوضع فى لبنان ليس سوى جزء من المشكلة الشاملة لنزاع الشرق الأوسط، ومع أن الأحداث فى بيروت قد هيمنت على الصفحات الأولى فى وسائل الإعلام خلال الأسبوعين الماضيين، فقد تمكنت الولايات المتحدة بهدوء وخلف الستار من بذل مجهود يرمى إلى وضع أساس لسلام أشمل فى المنطقة .. ولم يحدث فى هذه المرة تسرب للأنباء قبل الأوان فيما كانت البعثات الدبلوماسية الأمريكية تجوب عواصم الشرق الأوسط، واجتمعت هنا بطائفة واسعة من الخبراء لوضع أساس مبادرة سلام أمريكية لشعوب الشرق الأوسط التى تعانى منذ زمن طويل، أى الشعوب العربية والشعب الإسرائيلى على السواء.

لقد ثبت لى بالاتفاق الذى تم التوصل إليه فى لبنان أن لدينا فرصة لبذل مجهود سلمى بعيد الأثر فى المنطقة، ولقد صممت على انتهاز هذه الفرصة. وكما جاء فى كلمات الكتاب المقدس، فإن الوقت قد حان «للسعى وراء الأشياء التى تحقق السلام» .

* ورد نص الخطاب فى النيويورك تايمز، ٢ سبتمبر ١٩٨٢ . وقد صحبت نقاط المحادثات رسالة بعث بها الرئيس ريجان إلى مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل. وقد قدمت نفس النقاط للحكومات. انظر النيويورك تايمز، ٩ سبتمبر ١٩٨٢ .

دور الولايات المتحدة

ويودى الليلة أن أطلعكم على الخطوات التى اتخذناها والاحتمالات التى يمكن أن تتيحها للتوصل إلى سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط. إن أمريكا ملتزمة منذ أمد بعيد بإحلال السلام فى هذه المنطقة المضطربة. وقد سعت الحكومات الأمريكية المتعاقبة منذ أكثر من جيل إلى تطوير عملية عادلة وقابلة للتطبيق يمكن أن تؤدى إلى سلام حقيقى ودائم، بين العرب والإسرائيليين. إن دورنا فى البحث عن إحلال السلام فى الشرق الأوسط ليس مسألة تتعلق بالتفضيلات، وإنما هو واجب أخلاقى حتمى. ذلك أن الأهمية الاستراتيجية للشرق الأوسط بالنسبة للولايات المتحدة معروفة تماما.

إلا أن الدافع وراء سياستنا يتعدى المصالح الاستراتيجية، إذ أن لدينا أيضا التزاما لا رجوع فيه إزاء بقاء ووحدة أراضى دول صديقة. كما أنه ليس بوسعنا أن نتجاهل حقيقة أن ازدهار الجزء الأكبر من الاقتصاد العالمى مرتبط باستقرار منطقة الشرق الأوسط التى تمزقها النزاعات. وأخيرا، فإن اهتماماتنا الإنسانية التقليدية تملى علينا ضرورة مواصلة الجهود لحل النزاعات بصورة سلمية.

وعندما تولت حكومتنا مقاليد السلطة فى شهر يناير عام ١٩٨١ قررت أن يتبع الإطار العام لسياستنا فى الشرق الأوسط الخطوط العريضة التى وضعها أسلافى.

كان من الضرورى معالجة قضيتين رئيسيتين. الأولى، التهديد الاستراتيجى للمنطقة الذى يمثله الاتحاد السوفييتى والدول العميلة له، والذى اتضح على خير وجه فى الحرب الوحشية فى أفغانستان. والثانية، عملية السلام بين إسرائيل وجيرانها العرب. وفيما يتعلق بالتهديد السوفييتى، فقد قمنا بدعم جهودنا بهدف تطوير سياسة مشتركة مع أصدقائنا وحلفائنا لردع السوفييت وعملائهم عن القيام بمزيد من التوسع فى المنطقة، والتصدى له إذا لزم الأمر. وفيما يتعلق بالنزاع العربى الإسرائيلى؛ تبنينا إطار كامب دافيد بصفته السبيل الوحيد للتقدم للأمام. غير أننا أدركنا أيضا أن حل النزاع العربى الإسرائيلى ذاته وفى حد

ذاته لا يمكن أن يضمن تحقيق سلام فى أرجاء منطقة شاسعة ومليئة بالاضطرابات مثل الشرق الأوسط.

وكان هدفنا الأول بموجب عملية كامب دافيد هو ضمان التطبيق الناجح لمعاهدة السلام المصرية. وقد تحقق هذا بعودة سيناء إلى مصر بطريقة سلمية فى شهر أبريل من عام ١٩٨٢ . وحتى نحقق هذا الهدف، بذلنا جهودا شاقة مع أصدقائنا المصريين والإسرائيليين، وأخيرا مع بلدان أخرى صديقة من أجل إنشاء قوة متعددة الجنسيات تمارس الآن مهامها فى سيناء.

وخلال هذه الفترة من المفاوضات الصعبة والتى استهلكت وقتا طويلا، لم تغب عن بصرنا أبدا الخطوة التالية فى كامب دافيد، وهى محادثات الحكم الذاتى لتمهيد السبيل على نحو يسمح للشعب الفلسطينى بممارسة حقوقه المشروعة. غير أنه بسبب حادث الاغتيال المفجع للرئيس السادات والأزمات الأخرى فى المنطقة، لم نستطع بذل جهد رئيسى لاستئناف تلك المحادثات حتى يناير عام ١٩٨٢ . لقد قام وزير الخارجية هيج والسفير فيربانكس بثلاث زيارات لإسرائيل ومصر فى مطلع هذا العام لمتابعة محادثات الحكم الذاتى. وقد تحقق تقدم كبير فيما يتعلق بتطوير المخطط الرئيسى للنهج الأمريكى الذى كان سيعرض على مصر وإسرائيل بعد شهر أبريل.

إن استكمال إنسحاب إسرائيل من سيناء بنجاح، والشجاعة التى أبداها فى هذه المناسبة كل من رئيس الوزراء بيجين والرئيس مبارك بالارتفاع إلى مستوى الالتزام بما بينهما من اتفاقات، أقنعانى أن الوقت قد حان لبدء سياسة أمريكية جديدة تستهدف محاولة تخطى الخلافات المتبقية بين مصر وإسرائيل بشأن عملية الحكم الذاتى. ولذلك فقد دعوت فى شهر مايو إلى اتخاذ اجراءات محددة ووضع جدول زمنى محدد للمشاورات مع حكومتى مصر وإسرائيل بشأن الخطوات التالية فى عملية السلام، غير أنه قبل الانطلاق فى هذا الجهد الجديد، أدى الصراع فى لبنان إلى إجهاض جهودنا. وتجمدت محادثات الحكم

الذاتى أساسا فى الوقت الذى كما نسعى فيه إلى فك الاشتباك بين الأطراف وإسكات مدافع الحرب .

إن الحرب فى لبنان بكل مافيها من مآس قد أتاحت لنا فرصة جديدة لإحلال السلام فى الشرق الأوسط . وعلينا أن نغتنم هذه الفرصة الآن ونحقق السلام فى تلك المنطقة التى تعانى من الاضطرابات، والتى تمثل أهمية حيوية لاستقرار العالم حيث لا يزال الوقت متاحا لذلك . وبهذا الإيمان القوى، أصدرت تعليمات منذ أكثر من شهر، قبل إتمام المفاوضات الحالية فى بيروت، إلى وزير الخارجية شولتز ليجرى استعراضاً جديدا لسياستنا، ويجرى المشاورات مع طائفة واسعة النطاق من الأمريكيين البارزين حول أفضل الطرق لتعزيز فرص السلام فى الشرق الأوسط .

ولقد تشاورنا مع الكثيرين من المسؤولين الذين كان لهم دور فى العملية من الناحية التاريخية، ومع أعضاء الكونجرس، ومع أفراد من القطاع الخاص، كما أجريت مشاورات موسعة مع مستشاريى حول المبادئ التى سوف أحددها لكم الليلة .

لقد اكتمل الآن جلاء منظمة التحرير الفلسطينية عن بيروت . ونستطيع الآن مساعدة اللبنانيين على إعادة تعمير بلادهم التى مزقتها الحرب . وعلينا واجب إزاء أنفسنا وتجاه ذريتنا من بعدنا أن نتحرك بسرعة لتعزيز هذا الإنجاز والبناء انطلاقا منه . إن وجود لبنان الذى يتمتع بالاستقرار والازدهار من جديد أمر ضرورى لتحقيق كل آمالنا فى السلام فى المنطقة . إن شعب لبنان يستحق من المجتمع الدولى بذل أفضل الجهود لتحويل ذلك الكابوس الذى جثم على أنفاسه خلال السنوات العديدة الماضية إلى فجر جديد من الأمل .

مواجهة الأسباب الجذرية للنزاع

غير أن فرص إحلال السلام فى الشرق الأوسط لا تبدأ وتنتهى فى لبنان . فبينما نساعد لبنان على إعادة بناء نفسه، علينا أيضا أن نتحرك نحو معالجة أسباب النزاع بين

العرب، والإسرائيليين من جذورها. لقد أظهرت الحرب فى لبنان أشياء عديدة، غير أن اثنتين من النتائج لهما أهمية كبرى بالنسبة لعملية السلام:

أولا: إن الخسائر العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية لم تقض على تطلع الشعب الفلسطينى إلى حل عادل لمطالبه.

ثانيا: إنه فى حين أن النجاحات العسكرية الإسرائيلية فى لبنان أظهرت أن القوات المسلحة الإسرائيلية لا تضاهيها قوة فى المنطقة، فإنه لا يمكن لهذه القوة وحدها أن تحقق السلام الدائم والعادل لإسرائيل وجيرانها.

وتتلخص المسألة الآن فى كيفية التوفيق بين المطالب الأمنية المشروعة لإسرائيل، وبين الحقوق المشروعة للفلسطينيين. ولن تتم الإجابة على هذا السؤال، إلا على مائدة المفاوضات. فعلى كل طرف أن يسلم بضرورة أن تكون النتائج مقبولة للجميع وأن السلام الحقيقى سيتطلب حلولا وسطا من الجميع.

لذلك فإننى الليلة أدعو إلى بداية جديدة. فهذه هى اللحظة المناسبة لتقوم كل الأطراف المعنية للمشاركة فى وضع أساس عملى للسلام أو لدعمه. إن اتفاقية كامب دافيد ما زالت تشكل أساس سياستنا. فلغتها توفر لكافة الأطراف المهلة التى تحتاج إليها للمفاوضات الناجحة.

وإننى أدعو إسرائيل أن توضح أن الأمن الذى تتطلع إليه لا يمكن تحقيقه إلا من خلال سلام حقيقى، سلام يتطلب شهامة وبعد نظر وشجاعة.

وأدعو الشعب الفلسطينى إلى التسليم بأن تطلعاته السياسية مرتبطة ارتباطا لا ينفصم بالاعتراف بحق إسرائيل فى مستقبل آمن.

والعدل لا يمكن تحقيقهما إلا عن طريق المفاوضات المباشرة والمنصفة والشاقة.

وإننى أعترف وأنا أوجه هذه الدعوات للآخرين بأن على الولايات المتحدة مسؤولية

خاصة، فلا توجد أمة غيرها فى وضع يمكنها من التعامل مع الأطراف الرئيسية للنزاع على أساس من الثقة والاطمئنان.

لقد حان الوقت لتتحلى جميع شعوب الشرق الأوسط بنزعة واقعية جديدة، فدولة إسرائيل حقيقة راسخة، تستحق شرعية لا نزاع فيها داخل المجتمع الدولى.

غير أنه لم يعترف بشرعية إسرائيل حتى الآن سوى عدد قليل من البلدان، كما أن جميع الدول العربية ما عدا مصر أنكرت هذه الشرعية. إن إسرائيل موجودة، ولها الحق فى الوجود فى سلام وراء حدود آمنة يمكن الدفاع عنها، ولها الحق فى مطالبة جاراتها بالاعتراف بهذه الحقائق.

لقد تابعت شخصيا وأيدت كفاح إسرائيل البطولى من أجل البقاء منذ تأسيس دولة إسرائيل قبل ٣٤ سنة. لقد كان عرض إسرائيل عند أضيق نقاطها لا يتعدى العشرة أميال فى حدود ما قبل عام ١٩٦٧ . وكانت أغلبية سكان إسرائيل تعيش على مرمى مدفعية الجيوش العربية المعادية. إننى لن أطلب من إسرائيل أن تعيش بتلك الطريقة مرة أخرى.

لقد أظهرت الحرب فى لبنان واقعا آخر فى المنطقة. فقد عبر رحيل الفلسطينيين عن بيروت، أكثر من أى وقت مضى، عن مأساة تشرد الشعب الفلسطينى.

فالفلسطينيون يشعرون بقوة أن قضيتهم أكثر من مسألة لاجئين. وأنا أوافق على ذلك. إن اتفاقية كامب دافيد اعترفت بهذه الحقيقة عندما تحدثت عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ومطالبه العادلة. ولكى يبقى السلام ثابتا يجب أن يشمل كل الذين تضرروا من النزاع على نحو أعمق من غيرهم. ولن يمكن لإسرائيل أن تثق فى أن جاراتها ستحترم أمنها ووحدة أراضيها إلا بتوسيع نطاق المشتركين فى عملية السلام، وخاصة الأردن والفلسطينيين على وجه السرعة. فمن خلال عملية التفاوض فقط يمكن لجميع الأمم فى الشرق الأوسط أن تحقق سلاما آمنا.

مقترحات جديدة

تلك إذن هى أهدافنا العامة. فما هى المواقف الأمريكية الجديدة على وجه التحديد، ولماذا نتخذها؟

من خلال محادثات كامب دافيد استطاعت كل من إسرائيل ومصر حتى الآن التعبير عن آرائهما بحرية فيما يتعلق بالنتيجة التى يجب التوصل إليها. والمفهوم أن آراءهما كانت مختلفة فى العديد من النقاط.

وقد سعت الولايات المتحدة حتى الآن إلى القيام بدور الوسيط. وقد تجنبنا التعليق علنا على القضايا الأساسية. لقد اعترفنا دوما، وسنواصل الاعتراف بأن الاتفاق الطوعى للأطراف المشتركة اشتراكا مباشرا فى النزاع هو وحده القادر على تحقيق الحل الدائم. غير أنه اتضح لى أن توضيح الموقف الأمريكى حول القضايا الأساسية بقدر أكبر ضرورى للتشجيع على حشد تأييد أوسع لعملية السلام.

أولا: وكما جاء فى اتفاقية كامب دافيد، يجب أن تكون هناك فترة من الزمن يتمتع خلالها السكان الفلسطينيون فى الضفة الغربية وقطاع غزة باستقلال ذاتى كامل فى شؤونهم الخاصة، ويجب أن يعطى اعتبار كاف لمبدأ الحكم الذاتى لسكان الأراضى المحتلة وللمشاغل الأمنية المشروعة للأطراف المعنية.

وهدف الفترة الانتقالية التى تستمر خمسة أعوام، والتى ستبدأ بعد إجراء انتخابات حره لاختيار سلطة فلسطينية للحكم الذاتى، هو أن تثبت للفلسطينيين أن فى وسعهم إدارة شؤونهم، وأن مثل هذا الاستقلال الذاتى الفلسطينى لايشكل تهديداً لأمن إسرائيل.

إن الولايات المتحدة لن تؤيد استغلال أية أراض إضافية بغرض إقامة مستوطنات خلال الفترة الانتقالية، والواقع أن قيام إسرائيل بتجميد بناء المستوطنات على وجه السرعة يمكنه، أكثر من أى إجراء آخر، أن يخلق الثقة التى يتطلبها توسيع نطاق المشاركة فى هذه

المحادثات فالمزيد من النشاط الاستيطانى غير ضرورى على الإطلاق لأمن إسرائيل، ويقلل فقط ثقة العرب فى إمكانية التفاوض بإنصاف وحرية حول النتيجة النهائية.

إننى أريد أن يُفهم الموقف الأمريكى فهما جيدا: إن الهدف من هذه الفترة الانتقالية هو انتقال السلطة بصورة سلمية ومنظمة من إسرائيل إلى السكان الفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة. وفى الوقت ذاته يجب ألا يتعارض هذا النقل مع متطلبات إسرائيل الأمنية.

وفيما وراء هذه الفترة الانتقالية، ونحن ننظر إلى مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة، يتضح لى أنه لا يمكن تحقيق السلام عن طريق إقامة دولة فلسطينية مستقلة فى هاتين المنطقتين. كما لا يمكن تحقيقه عن طريق ممارسة إسرائيل لسيادتها أو سيطرتها الكاملة على الضفة الغربية وقطاع غزة.

ولذلك فإن الولايات المتحدة لن تؤيد إقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة، ولن تؤيد ضمهما أو السيطرة الكاملة عليهما من جانب إسرائيل.

غير أن هناك سبيلا آخر إلى السلام. إذ يجب بطبيعة الحال أن يتم الاتفاق على تحديد الوضع النهائى لهاتين المنطقتين عن طريق مفاوضات تقوم على الأخذ والعطاء. إلا أن الولايات المتحدة ترى بحزم أن حكما ذاتيا من جانب الفلسطينيين للضفة الغربية وقطاع غزة مرتبط بالأردن يوفر أفضل فرصة لسلام دائم وعادل وثابت.

ونحن نبنى موقفنا بصورة متوازنة على مبدأ أن النزاع العربى الإسرائيلى يجب أن يحل بمفاوضات تنطوى على مبادلة الأرض بالسلام. وهذه المبادلة منصوص عليها فى قرار مجلس الأمن الدولى رقم ٢٤٢ الذى تم دمجه بدوره بجميع جوانبه فى اتفاقيتى كامب دافيد. ومازال قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ صالحا فى مجمله كحجر الأساس لجهود السلام التى تبذلها الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط.

إن موقف الولايات المتحدة يقوم على أساس أنه فى مقابل إحلال السلام تنطبق المادة الخاصة بالانسحاب فى القرار رقم ٢٤٢ على جميع الجبهات، بما فى ذلك الضفة.

وعندما يجرى التفاوض بين الأردن وإسرائيل حول مسألة الحدود، فإن رأينا حول المدى الذى ينبغى به مطالبة إسرائيل بالتخلى عن الأرض سيتأثر إلى حد كبير بمدى السلام الحقيقى والتطبيع والترتيبات الأمنية المعروضة فى المقابل.

وأخيرا، فإننا مازلنا مقتنعين بضرورة أن تظل القدس غير مجزأة، إلا أن وضعها النهائى يجب أن يتقرر بالتفاوض.

وخلال عملية المفاوضات المقبلة، ستؤيد الولايات المتحدة المواقف التى تبدو لنا منصفة وحلولا وسطا معقولة ينتظر أن تؤدى إلى اتفاق سليم. كما سنتقدم باقتراحاتنا المفصلة الخاصة عندما نعتقد أنها يمكن أن تكون مفيدة.

وليعلم الجميع دون أى لبس أن الولايات المتحدة سوف تعارض أى اقتراح - من أى طرف وفى أية مرحلة من مراحل عملية التفاوض - من شأنه أن يهدد أمن إسرائيل. فالتزام أمريكا بأمن إسرائيل التزام راسخ، وقد أضيف أن التزامى أنا هو كذلك بالمثل.

التزام الولايات المتحدة بالسلام

خلال الأيام القليلة الماضية، قدم سفراؤنا فى إسرائيل ومصر والأردن والمملكة العربية السعودية إلى حكومات الدول المضيفة المقترحات التى عرضتها الليلة هنا بتفصيل كامل. وإننى مقتنع الآن بأن هذه المقترحات يمكن أن تحقق العدل والأمن والثبات لسلام عربى إسرائيلى. إن الولايات المتحدة ستمسك بهذه المبادئ بتفان كامل. وهى مبادئ تتمشى كلية مع متطلبات إسرائيل الأمنية ومع تطلعات الفلسطينيين. وسنعمل جاهدين على توسيع نطاق المشاركة حول مائدة السلام كما استهدفت عملية كامب دافيد. وإننى آمل بقوة فى أن يقبل الفلسطينيون والأردن، بدعم من إخوتهم العرب، هذه الفرصة.

إن الإضطرابات المفجعة فى الشرق الأوسط تعود إلى فجر التاريخ. وفى وقتنا الحاضر، اقتضى نزاع تلو الآخر، ضريبة وحشية هناك بالمنطقة. وفى عصر التحدى النووى والتكافل الاقتصادى، تشكل مثل هذه النزاعات تهديدا لكل شعوب العالم، لا للشرق الأوسط فحسب. وقد حان الوقت لنا جميعا، فى الشرق الأوسط وفى جميع أنحاء العالم، أن ندعو إلى وضع حد للنزاع والكراهية والتعصب، لقد حان الوقت لكى نقوم جميعا بجهد مشترك للتعمير وإحلال السلام والتقدم.

لقد قيل فى أحيان كثيرة - وهو قول غالبا ما كان صحيحا مع الأسف - أن قصة البحث عن السلام والعدالة فى الشرق الأوسط هى مأساة الفرص الضائعة. وفى أعقاب التسوية التى تم التوصل إليها فى لبنان، نواجه الآن فرصة لإحلال سلام أوسع نطاقا. ويتعين علينا هذه المرة ألا ندع الفرصة تفلت من أيدينا. ويجب علينا أن نتخطى صعوبات وعقبات الحاضر، ونتحرك بإنصاف وحزم نحو مستقبل أكثر إشراقا. إننا مسؤولون أمام أنفسنا وأمام الأجيال القادمة ألا نفعل أقل من ذلك.. ذلك أننا إذا ضيعنا الفرصة لتحقيق بداية جديدة، فقد ننظر إلى هذه الفترة بعد فوات الوقت وندرك مدى الثمن الذى سندفعه لإخفاقنا جميعا.

هذه إذن هى المبادئ التى تستند إليها سياسة الولايات المتحدة تجاه النزاع العربى الإسرائيلى. لقد قطعت على نفسى التزاما شخصيا لأرى هذه المبادئ تسود، وبعون الله سوف تنظر جميع الشعوب التى تتحلى بالمنطق والإنسانية إلى هذه المبادئ على أنها منصفة وقابلة للتحقيق وأنها لصالح جميع الذين يرغبون فى أن يروا السلام يتحقق فى الشرق الأوسط.

والليلة، عشية ما يمكن أن يكون بزوغ أمل جديد لشعوب منطقة الشرق الأوسط التى يسودها الاضطراب، ولجميع شعوب العالم التى تحلم بمستقبل يسوده السلام والعدالة، أطلب منكم أيها المواطنون الأمريكيون تأييدكم وصلواتكم لنجاح هذا التعهد.

نص نقاط المحادثات التي أرسلها الرئيس ريجان
إلى مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل

مبادئ عامة:

(أ) سنحافظ على التزامنا بكامب دافيد.

(ب) سنحافظ على التزامنا بالشروط التى نطالب بها للاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية والتفاوض معها.

(جـ) يمكننا تقديم ضمانات للموقف الذى سنتخذه فى المفاوضات. ومع ذلك، فلن نكون قادرين على أن نضمن مقدما نتائج هذه المفاوضات.

تدابير انتقالية:

(أ) موقفنا هو أن هدف الفترة الانتقالية يتمثل فى نقل السلطة سلميا، وبطريقة منظمة من إسرائيل إلى السكان الفلسطينيين.

(ب) سنؤيد: قرار الاستقلال الذاتى الكامل باعتباره يعطى للسكان الفلسطينيين سلطة حقيقية على أنفسهم، وعلى الأرض ومواردها، بشرط وجود ضمانات عادلة بشأن المياه.

- علاقات اقتصادية وتجارية وثقافية بين الضفة الغربية وغزة والأردن.
- مشاركة سكان القدس الشرقية الفلسطينيين فى انتخابات سلطة الضفة الغربية - غزة.
- تجميد حقيقى للمستوطنات.
- تزايد المسؤولية الفلسطينية عن الأمن الداخلى استنادا إلى القدرة والأداء.

(جـ) وسنعارض: إزالة المستوطنات القائمة.

الأحكام التى تمثل تهديدا مشروعا لأمن إسرائيل، المحدد بطريقة معقولة.

- *عزل الضفة الغربية وغزة عن إسرائيل.*

- *التدابير التى تعطى إما للفلسطينيين أو للإسرائيليين حقوق سيادة معترف بها.*

بصفة عامة باستثناء الأمن الخارجي، الذى ينبغى أن يظل فى أيدى إسرائيل خلال فترة الانتقال.

القضايا المتعلقة بتحديد الوضع النهائى:

(أ) قرار مجلس أمن الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ :

موقفنا هو أن القرار ٢٤٢ ينطبق على الضفة الغربية وغزة ويقتضى انسحاب إسرائيل مقابل السلام، وينبغى أن تحدد المفاوضات الحدود. وموقف الولايات المتحدة فى هذه المفاوضات بشأن نطاق الانسحاب سيتأثر كثيرا بنطاق وطبيعة ترتيبات السلام والأمن المقدمة فى مقابله.

(ب) السيادة الإسرائيلية:

فى اعتقادنا أن المشكلة الفلسطينية لا يمكن حلها (من خلال) السيادة أو السيطرة الإسرائيلية على الضفة الغربية وغزة. وبالتالى، فلن نؤيد مثل هذا الحل.

(جـ) الدولة الفلسطينية:

إن التفضيل الذى سنسعى من أجله فى المفاوضات المتعلقة بتحديد الوضع النهائى هو ارتباط الضفة الغربية وغزة بالأردن. ولن نؤيد تكوين دولة فلسطينية فى تلك المفاوضات. فليس هناك أساس للتأييد السياسى لمثل هذا الحل فى إسرائيل، أو الولايات المتحدة. ومع ذلك، فإن النتيجة ينبغى أن تحددها المفاوضات.

(د) تقرير المصير:

فى سياق الشرق الأوسط، يعادل تعبير تقرير المصير على وجه الحصر، تكوين دولة

فلسطينية. ونحن لن نؤيد هذا التعريف لتقرير المصير. ونعتقد أنه ينبغى للفلسطينيين أن يقوموا بالدور القيادى فى تحديد مستقبلهم، وأن يؤيدوا بالكامل الحكم الوارد فى اتفاقيتى كامب ديفيد والذى ينص على انتخاب ممثلين لسكان الضفة الغربية وغزة ليقرروا كيف سيحكمون أنفسهم اتفاقا مع أحكام ما اتفقوا عليه فى المفاوضات المتعلقة بتحديد الوضع النهائى.

(هـ) القدس:

سنؤيد بالكامل الموقف القائل بأن وضع القدس ينبغى تحديده من خلال المفاوضات.

(و) المستوطنات:

ينبغى تحديد وضع المستوطنات الإسرائيلية فى خلال مفاوضات تحديد الوضع النهائى. ولن نؤيد استمرارها كقواعد أمامية فى أراضى الغير.

نقاط إضافية للمحادثات:

١ ـ مفاتحة حسين:

قام الرئيس بمفاتحة حسين لتحديد مدى اهتمامه بالمشاركة.

وقد تلقى الملك حسين نفس التحديد لموقف الولايات المتحدة مثلكم. ويرى حسين أن مقترحاتنا جادة وهو يوليها اهتماما جادا.

ويدرك حسين أن كامب دافيد هى الأساس الوحيد الذى سنقبله للمفاوضات. كما أننا نناقش هذه المقترحات مع السعودية.

٢ ـ الالتزام العلنى:

أيا كان التأييد من هذين البلدين العربيين أو غيرهما، فإن هذا هو ما توصل الرئيس إلى أنه ينبغى القيام به.

والرئيس مقتنع بأن مواقفه عادلة ومتوازنة وتحمى أمن إسرائيل حماية كاملة. وبالاضافة إلى هذا، فإنها تتيح فرصا عملية للتوصل فى نهاية المطاف إلى معاهدات السلام التى ينبغى أن تربط إسرائيل بجيرانها.

وسيلقى خطابا يعلن فيه هذه المواقف، ربما خلال أسبوع.

٣ ـ خطوات إجرائية تالية:

لو كانت الإستجابة لأقتراح الرئيس إيجابية، فستتخذ الولايات المتحدة خطوات مباشرة لبدء مفاوضات الأستقلال الذاتى بأوسع مشاركة ممكنة كما هو منصوص عليه فى إتفاقيتى كامب دافيد.

كما نبحث قيام الوزير شولتز بزيارة قريبة للمنطقة.

وإن لم تكن الإستجابة إيجابية، فإن الرئيس كما قال فى رسالته إليكم، سيدافع رغم ذلك عن موقفه بالإخلاص المناسب.

التذييل «هـ»

■ قرارات مؤتمر القمة العربي الثاني عشر، فاس، المغرب، ٩سبتمبر ١٩٨٢ *.

إنعقد بمدينة فاس مؤتمر القمة العربى الثانى عشر، فى ٢٧ محرم ١٤٠٢ هـ الموافق ٢٥ نوفمبر ١٩٨١ . وبعد أن أرجأ أشغاله أستأنفها فى الفترة ما بين ١٧-٢٠ ذو القعدة ١٤٠٢ الموافق ٦-٩ سبتمبر ١٩٨٢ ، برئاسة جلالة الملك الحسن الثانى ملك المملكة المغربية، وقد شاركت فى أعمال المؤتمر جميع الدول العربية بإستثناء الجماهيرية العربية الليبية.

واعتبارا للظرف الخطير والدقيق الذى تمر به الأمة العربية. وبوحى من الشعور بالمسئولية القومية التاريخية، درس أصحاب الجلالة والفخامة والسمو والسيادة ملوك ورؤساء وأمراء الدول العربية القضايا الهامة المطروحة على المؤتمر، واتخذوا بشأنها القرارات التالية:

حيّا المؤتمر صمود قوات الثورة الفلسطينية والشعبين اللبنانى والفلسطينى والقوات المسلحة العربية السورية، وأعلن مساندته للشعب الفلسطينى فى نضاله من أجل إسترداد حقوقه الوطنية الثابتة.

وإيمانا من المؤتمر بقدرة الأمة العربية على تحقيق أهدافها المشروعة وإزالة العدوان، وانطلاقا من المبادىء والأسس التى حددتها مؤتمرات القمة العربية، وحرصا من الدول العربية على الأستمرار فى العمل بكل الوسائل من أجل تحقيق السلام القائم على العدل فى منطقة الشرق الأوسط، وإعتمادا على مشروع فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة الذى يعتمد الشرعية الدولية، أساسا لحل القضية الفلسطينية، وعلى مشروع جلالة الملك فهد بن عبد العزيز حول السلام فى الشرق الأوسط.

* مقتطف من إدارة الرباط المحلية، ٩ سبتمبر ١٩٨٢، فى نشرة الاذاعات الخارجية لهيئة الاستعلامات

وفى ضوء المناقشات والملاحظات التى أبداها أصحاب الجلالة والفخامة والسمو والملوك والرؤساء والأمراء، فقد قرر المؤتمر إعتماد المبادىء التالية:

١ ـ إنسحاب إسرائيل من جميع الأراضى العربية التى احتلتها عام ١٩٦٧ بما فيها القدس العربية.

٢ ـ إزالة المستعمرات التى أقامتها إسرائيل فى الأراضى العربية بعد عام ١٩٦٧ .

٣ ـ ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية لجميع الأديان بالأماكن المقدسة.

٤ ـ تأكيد حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيرة وممارسة حقوقه الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف، بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، ممثله الشرعى والوحيد، وتعويض من لا يرغب فى العودة.

٥ ـ تخضع الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة إنتقالية تحت إشراف الأمم المتحدة ولمدة لا تزيد عن بضعة أشهر.

٦ ـ قيام الدولة الفلسطينية بعاصمتها القدس.

٧ ـ يضع مجلس الأمن الدولى ضمانات السلام بين جميع دول المنطقة، بما فيها الدولة الفلسطينية المستقلة.

٨ ـ يقوم مجلس الأمن الدولى بضمان تنفيذ تلك المبادىء.

التذييل « و »

■ إتفاقية بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية، ١١ فبراير ١٩٨٥ .

الأتفاقية

إنطلاقا من روح قرارات قمة فاس المتفق عليها عربيا، وقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بقضية فلسطين، وتمشيا مع الشرعية الدولية، وانطلاقا من الفهم المشترك لبناء علاقة مميزة بين الشعب الأردنى والفلسطينى، اتفقت حكومة المملكة الأردنية الهاشمية ومنظمة التحرير الفلسطينية على السير معا نحو تحقيق تسوية سلمية عادلة لقضية الشرق الأوسط ولإنهاء الإحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية المحتلة بما فيها القدس، وفق الأسس والمبادىء التالية:

١ ـ الأرض مقابل السلام، كما ورد فى قرارات الأمم المتحدة، بما فيها قرارات مجلس الأمن.

٢ ـ حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى. يمارس الفلسطينيون حقهم الثابت فى تقرير حق المصير عندما يتمكن الأردنيون والفلسطينيون من تحقيق ذلك ضمن إطار الأتحاد الكونفيدرالى العربى المنوى إنشاؤه بين دولتى الأردن وفلسطين.

٣ ـ حل مشكلة اللاجئين الفلسطينين حسب قرارات الأمم المتحدة.

٤ ـ حل القضية الفلسطينية من جميع جوانبها.

٥ ـ وعلى هذا الأساس تجرى مفاوضات السلام فى ظل مؤتمر دولى، تحضره الدول الخمس دائمة العضوية فى مجلس الأمن الدولى وسائر أطراف النزاع، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية، الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى ضمن وفد مشترك (وفد أردنى ـ فلسطينى).

الفصل الثاني

نبذة عن الشخصيات الرئيسية

التى ساهمت فى إنجاز إتفاقتى كامب دافيد

١ ـ أنور السادات

٢ ـ جيمى كارتر

٣ ـ مناحم بيجين

٤ ـ موشى ديان.

أنور السادات

- راجع الفصل الأول من القسم الأول تحت عنوان «بداية عهد السادات».
- وراجع أيضاً الفصل الأول من القسم الثالث تحت عنوان «المرحلة الساداتية، المظاهر والدوافع ونظرة عامة».

٢ ـ جيمي كارتر

تأثير شخصية كارتر على مفاوضات «كامب دافيد»

عندما دعا الرئيس كارتر كلا من الرئيس السادات ورئيس الوزراء مناحم بيچين للاجتماع فى كامب دافيد فى سبتمبر ١٩٧٨، كانت إدارة كارتر مثخنة الجراح فعلا من معاملات مع إسرائيل ومؤيدى إسرائيل فى الكونجرس. وكان كارتر قد استثمر على نحو لم يسبق له مثيل، من الوقت والجهد والرصيد السياسى فى حملته التى عقد فيها العزم على الوصول إلى تسوية سلمية عربية إسرائيلية. كان كارتر بأسلوبه الديبلوماسى قد رفع حالة الانتباه الإسرائيلية إلى مستوى عال من العصبية. وزادت الشكوك حول نوايا كارتر البعيدة إزاء إسرائيل بسبب ما أعلنه عن سياسته العالمية بشأن العلاقات الأمريكية السوفيتية، وسياساته الجديدة بشأن نقل السلاح، والتى بدت وكأنها كارثة على احتياجات إسرائيل.

كان كارتر مزيجا فريدا من النوازع المتضاربة، كان ضابطا بحريا ومهندسا وفلاحا وسياسيا صنع نفسه بنفسه، ومبشرا دينيا. كان

متفانيا فى أداء الواجب،دؤوبا لا يعرف الكلل، إذ له قدرة اسطورية على العمل وعزيمة على النجاح أيا كانت العوائق، أو الثمن السياسى الذى يدفعه. وكان يتحكم فى التفاصيل الصغيرة، ولديه قدرة هائلة على ضبط النفس، واقتناع بأن فى الوسع حل أى مشكلة بالتذرع بقدر كاف من النيْة الطيبة والعمل المضنى. كانت هذه الصفات جميعا خصائص هذا الرجل. ولئن كان صادقا ومقنعا وسط الجماعات الصغيرة، فقد بدا عليه نفور من المناسبات الرمزية أمام الجماهير الكبيرة. وكان ملما بالكتاب المقدس، ولكن فهمه السابق لليهود كان قليلا، ولا سيما فهمه للجيل الذى أضير بالمذابح (النازية) والذى ما زال يحكم إسرائيل. وهو كرجل يحتكم إلى العقل وإلى التوجه الداخلى من ذات نفسه، فقد كان فى كثير من الحالات يفهم، وبصورة جيدة جداً، جميع الجوانب الخاصة بكل مشكلة.

واستغرق كارتر فى كل جانب من جوانب الأزمة العربية الإسرائيلية المثقلة بالتاريخ، وذلك إلى أدق تفاصيلها. وكان فى وسعه مناقشة التأويلات القانونية للمعاهدات مع كبار المحامين الإسرائيليين، ومناقشة التاريخ الدينى (التوراتى) مع كبار رجال الدين.

وكان كارتر يترجح بين التعاطف الحار تجاه إسرائيل وبين المواجهة الباردة معها. وهو يرى أن الشعب اليهودى قد عانى عناء شديداً وأعاد إقامة وطنه من جديد، والإسرائيليون خليقون بأن يعيشوا فى سلام. غير أن للفلسطينيين بدورهم مطلبا تاريخيا صحيحا. إنهم شعب مشرد جرد من ممتلكاته ولديه حق مشروع فى أن ينتمى إلى

أمة ويكون له وطن. ولئن كانت إسرائيل قوية، فلا يسعها أن تحقق السلام الدائم إلا بالتوافق مع هذه الحقيقة الموازية. واعتبر كارتر أن رسالته الشخصية هي تحقيق ذلك لمصلحة شعوب المنطقة، وكذلك لفائدة مصالح الولايات المتحدة، وإن كان الاعتبار الأول هو الأساس.

وكان لكارتر فريق متجانس ومتماسك بالنسبة لمشاكل الشرق الأوسط. ولم يحدث أبدا في التاريخ الحديث أن عمل وزيرا للخارجية والدفاع والموظفون التابعون لهما بمثل هذه السلاسة في التجهيز. وكان كبار الموظفين المعنيين بالشرق الأوسط ضمن موظفي مجلس الأمن القومي وفي وزاة الخارجية زملاء قدامى، وهذا يصدق أيضا على سفراء كارتر المحترفين في جميع العواصم الهامة في الشرق الأوسط تقريبا، وقد تمت الاستعانة بهم أيضا كأعضاء دائمين في فريق كارتر الخاص بالسياسة. وكان يحسن التفويض في الاختصاصات، وقد كلفه الوقت الذي استنفد في ذلك ثمنا غاليا في قضايا أخرى أجنبية ومحلية، ولكنه حقق انتصاره في كامب دافيد. وواضح أن عجزه عن مواصلة هذا المستوى الكثيف من الانشغال الشخصي كان عاملا من عوامل الاخفاق في إنجاز المرحلة الثانية.

٣ ـ مناحم بيچين

أولا: حتى قيام دولة إسرائيل:

١ ـ ولد مناحم بيجين في بولونيا عام ١٩١٣ ودرس القانون في جامعة وارسو وتزعم حركة بيتار التي كانت تتبع قائد الحركة التصحيحية «زئيف فلاديمير جابوسنكي»، وأصبح في عام ١٩٣٨

على رأس التيار النشط في الحركة الذى تصدى للخط السائد فى الحركة التصحيحية المؤيد لبريطانيا كحليف بزعامة جابوسنكى، ودعا إلى تغيير هذا الخط.

٢ - وكان بيجين منسقا مع مبعوثى منظمه إتسل اليهودية المسلحة إلى بولونيا وعند سقوطها (بولونيا) فى يد النازيين هرب إلى ڤيلنا وواصل نشاطه الصهيونى عقب إحتلال الجيش السوفيتى للمدينه، الأمر الذى تسبب فى إعتقاله على يد الروس وأودع فى معتقل شمال روسيا.

- وعقب الإتفاق الذى تم بين ستالين والجنرال شيكورسكى رئيس حكومة بولندا فى المنفى أفرج عن بيجين ليخدم فى الجيش البولندى، ووصل إلى فلسطين مرتديا الزى العسكرى البولونى دون أن يكون على علم بتطورات منظمه إتسل وعن الانشقاق داخلها وعن مصرع رزئيل وشترن. وقد رفض تسلم قيادة إتسل، إلى بعد ترك الخدمة العسكرية وتم ذلك فى عام ١٩٤٣ .

٣ - وقد بدأ الشقاق داخل صفوف إتسل وهو أمر أدى إلى نشأة منظمة ليحى بعد ذلك، ويحاول جابوسنكى فى رسالته إلى كل من رزئيل وشترن أن يتفادى الشقاق، إلا أن جابوسنكى أصيب فى ٣/٨/ ١٩٤٠ بأزمة قلبية فى نيويورك أودت بحياته وأدى هذا؛ إضافة إلى مصرع قائدى إتسل الأصلى والإنشقاق - رزئيل وشيرن - إلى فراغ كان لابد من ملئه، وكانت هذه هى مهمة القائد الجديد لإتسل مناحم بيجين الذى قام بتعيين قيادة جديدة وتحديد مهامها فى أربعة بنود هى:-

(أ) رفع شعار الحرب القومية «من أجل الوحدة القومية» .

(ب) غرس فكرة حرب التحرير بين جماهير الشعب .

(جـ) إشتراك الشبيبة وجماهير الشعب فى الحرب .

(د) بعث التقاليد السامية والطهارة الأخلاقية لإتسل المقاتلة وتوحيد صفوفها .

- وفى بداية قيادة بيجين أعلنت إتسل وقف الهدنة مع بريطانيا، وبدء الحرب ضد الحكم الأجنبى على شكل تمرد فى عامى ١٩٤٢-١٩٤٣ وأتهم سياسة حكومة بريطانيا بالخيانة لإستمرارها إنتهاج سياسة الكتاب الأبيض الذى صدر عام ١٩٣٩ وأعد ونفذ عددا من عمليات التخريب والإغتيال ضد المنشآت والشخصيات البريطانية.

٤ - وفى ١٩٤٤/١١/٢ نجحت منظمة ليحى فى إغتيال وزير الدولة البريطانى فى الشرق الأوسط، «اللورد موين» بالقرب من منزله فى القاهرة وفق خطة رسمها إسحق شامير .

وقد خشى بيجين من تأثير الحادث على منظمة إتسل، رغم أن إتسل وليحى كانا يعملان فى تنسيق معا ضد بريطانيا، إلا أن عملية اللورد موين إنفردت بها ليحى، ولذلك أدان بيجين العملية ودعا ليحى إلى الإنضمام إلى إتسل تفاديا للتصفية من جانب بريطانيا أو من جانب الهاجاناه .

٥ - وعندما حضرت لجنة الأمم المتحدة إلى فلسطين فى منتصف ام ١٩٤٧ للإستماع إلى قادة المنظمات والإتجاهات المختلفة قبل

قرار التقسيم، عرض مناحم بيجين فى إجتماع ضم قادة المنظمة وأعضاء اللجنة، عرض تاريخ منظمة إتسل وأهدافها وتحدث عن اللاسامية والمجازر النازية، مؤكدا أن الحل هو إقامة دول يهودية فى أرض إسرائيل، ويعنى بها فلسطين وشرق الأردن، مع إمكانية بقاء العرب داخل الدوله والعيش فيها كمواطنين، ومعارضته لأى حل يمنح العرب كيانا مستقلا سواء بالتقسيم أو الفدرالية أو الدولة ثنائية القومية، بحجة أن الوطن حق لا يجب المتاجرة به، ورد على رئيس اللجنة بأن العرب إذا هاجموا اليهود «سنضربهم ضربا موجعا». وليس العدد هو المحسوب فى الحرب الحديثة بل الرأس والقدره على القتال.

٦ - بعد ظهور مشروع التقسيم الذى أصدرته الأمم المتحده عام ١٩٤٧ قام مناحم بيجين بمعارضته بشكل متطرف مما أزعج الهاجاناه «بقيادة بن جوريون» ومن ذلك مطالبته بريطانيا بالإنسحاب من أرض إسرائيل التى تشمل فلسطين وشرق الأردن لتكون كلها أرض إسرائيل.

٧ - وبعد قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ وافق مناحم بيجين على حل منظمة إتسل العسكرية (الإرهابية) وحولها إلى حزب استقطب فيه أعضاء الحركة التصحيحية وحمل اسم «حركة حيروت».

ثانيا: بعد قيام الدولة:

١ - سيطرت حكومات حزب العمل فى إسرائيل حتى طرأ تغيير هام فى يونيو ١٩٧٧، أى قبل خمسة أشهر من رحلة السادات التاريخية إلى القدس، وذلك عندما شكل مناحم بيجين حكومته

الأولى، وعندئذ تحول الجدل الأيديولوجي إلى صراع سياسي حاسم سيطر على العقد التالي برمته.

ولم يؤد قيام حكومة الليكود عام ١٩٧٧ إلى إحلال سياسته المطلقة محل سياسة حزب العمل، لأن الليكود وحكمة (١٩٧٧-١٩٨٨) لم يحصل خلال هذا العقد إلا على أغلبية ضئيلة وكان شبه متكافيء مع أصوات حزب العمل، مما اضطر إلى إشتراكه معه (١٩٨٤ـ ١٩٨٨)، وقد حدّ هذا الوضع كثيرا من قدرة بيجين والليكود على إتخاذ القرارات فى القضية الأساسية المتعلقة بالحرب والسلام.

وكانت إسرائيل حيال سياسيتين أساسيتين بالنسبة للحرب والسلام، تزعم إحداهما مناحم بيجين «الليكود» الذى قال: «بأن الرسالة التاريخية لهذا الجيل هى المحافظة على سلامة أراضى إسرائيل الكبرى من أجل الشعب اليهودى، وأن السلام مع مصر لا يجب أن يتعارض مع هذا الهدف لأن السلام مع مصر استلزم تقديم تنازلات كبيرة، إلا أن الليكود لم يكن يقبل بالسلام إذا أدى إلى فرض قيود على إقامة المستوطنات أو اعترف بحقوق وطنية جماعية للسكان العرب فى يهودا والسامره وغزة، أو حال دون المطالبة بضم هذه الأراضى إلى دولة إسرائيل. إن السلام مع مصر كان إنجازا كبيرا لأنه أزال خطر الحرب من إحدى الجهات وفصل مصر عن المعسكر العربى المتمسك بالحرب وأطلق يد إسرائيل للتركيز على إقامة إسرائيل الكبرى. وأن إتفاق السلام فى سيناء لن يكون نموذجا لإتفاقيات تعقد مع الدول العربية الأخرى ولن يعتد بمبدأ الأرض مقابل السلام».

أما المدرسة الثانية فقد مثلها شيمون بيريز زعيم حزب العمل الذى يرى أن الهدف هو إسرائيل اليهودية والديمقراطية والقومية والمتصالحة مع العرب والمقبولة لدى العالم المستنير.

٢ - وفى ١٩٧٨/٩/١٧ وقع كل من بيجين، وكارتر والسادات إتفاقيتى كامب دافيد التى تحدد المبادئ التى تحكم التفاوض بشأن معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ومعها صيغة تتعلق بكيفية معالجة المسألة الفلسطينية.

وبعد التوقيع نشبت خلافات بين كارتر وبيجين، إذ كان كارتر مقتنعا بأن بيجين قد تعهد بأن تلتزم إسرائيل بتجميد إنشاء مستوطنات جديدة فى الضفة الغربية وغزة إبان إجراء المفاوضات من أجل الحكم الذاتى الفلسطينى، وتمسك بيجين بأنه وافق فقط على التجميد لمدة ثلاثة أشهر، وفى النهاية تغلب عناد بيجين كما كان بإستمرار فى تفسير النقاط الدقيقة فى كامب دافيد، وأدرك السادات حقيقة الموقف الذى وضعه فيه بيجين لأنه سيتهم من العالم العربى ومن بعض المصريين بأنه قد تخلى عن الفلسطينيين.

٣ - وعندما عرض بيجين إتفاقيتى كامب دافيد على الكنيست ووجه باعتراض شديد من حزبه ومن الإئتلاف الحاكم، إلا أنه دافع عن الإتفاقيتين موجها النظر إلى أهمية إخراج مصر من المعركة وإلى ضمان أمن إسرائيل، وتفتت العرب، وكان من معارضيه: إسحاق شامير وموشى أرينز وجيئولا كوهين وأريل شارون، إلا أن مهارة بيجين فى تبنى آراء معارضيه من حزب العمل مكنته من تمرير الإتفاقيتين. ومن رأى المعلقين السياسيين أن من المشكوك فيه أن

تتمكن حكومة من غير الليكود «أى العمل» من تمرير إتفاقيتى كامب ديفيد.

ومن سوء حظ بيجين أن المعارضة الشديدة جاءت من داخل حزبه «حيروت» ومن داخل الإئتلاف الحاكم الليكود، واتهموه بأنه عرض أمن إسرائيل للخطر نتيجة ضغوط كارتر.

ـ وقد اتخذ بيجين خطوات متشددة ليثبت العكس ومن ذلك.

- أنه وجه تهديدات لنقل العاصمة إلى القدس الشرقية.وأطلق صيحات غاضبة ضد كارتر.
- واستخف بأى دور يمكن أن تقوم به السعودية فى عملية السلام .
- وأكد أن الحكم الذاتى الفلسطينى لن يشتمل على الأراضى بل موجه للسكان فقط.

٤ ـ وعندما تعامل بيجين مع ريجان بعد رحيل كارتر أخذت علاقات البلدين تتدهور بسبب صلف بيجين وإعتداده بنفسه وعدم صدقه والتزامه بوعوده، عندما وعد بعدم معارضته صفقة الأواكس للسعودية ثم عمد إلى غير ذلك، بالإضافة إلى إحراج الولايات المتحدة بأعمال إستفزازية وحشية مثل غزو لبنان ١٩٨٢ .

٥ ـ وقد تراكمت أخطاء وأعمال بيجين ومنها ضرب المفاعل العراقى، وغزو لبنان، وضم الجولان، وقمع مظاهرات حركة «السلام الآن» وإنتهى الأمر لأسباب غير محددة إلى استقالة بيجين فى سبتمبر ١٩٨٣ .

موسى ديان

وزير الدفاع الإسرائيلى حتى عام ١٩٧٤، ولد فى فلسطين ويعتبر من **الصابرا**. كان والده من **رواد** الاستيطان، وقد عاش لفترة فى احدى مزارع **الموشاف** ودرس الزراعة بها وانضم للهاجاناه وعمل مع مجموعات الحراسة التى نظمها **الانتداب** البريطانى لمواجهة المظاهرات العربية، كما اشترك فى الوحدات التى نظمها **وينجيت** للحراسة الليلية وتأثر بنشاطاته فى العمليات الانتقامية الخاطفة والهجمات الليلية.

وقبضت عليه السلطات البريطانية لنشاطه السرى فى الحركة الصهيونية المسلحة عام ١٩٣٩ وأفرج عنه عام ١٩٤١ لكى يقود جماعات **البالماخ** التى كانت مكلفة بمهام استكشافية (وليست قتالية) إبان الغزو البريطانى لسوريا حيث فقد عينه اليسرى فى اشتباك مع القوات التابعة لحكومة فيشي. وقد عمل مع المخابرات البريطانية فى إقامة شبكة إذاعية تعمل فى حالة وقوع فلسطين تحت الاحتلال الألمانى، كما عمل كضابط اتصال وتخابر مع البريطانيين فى **القدس** حتى ١٩٤٤ .

وفى حرب ١٩٤٨ قاد ديان عمليات القوات الصهيونية فى وادى الأردن، كما قاد القوات التى استولت على اللد والرملة وعمل فى جبهة القدس قبل اشتراكه فى محادثات رودس (١٩٤٩) مع الأردن كرئيس للوفد العسكرى فى لجان الهدنة المشتركة.

وفى عام ١٩٥٠ عين قائدا للقطاع الجنوبى، ثم قائدا لقطاع الشمال عام ١٩٥١، وتولى بعد ذلك رئاسة المخابرات العسكرية.

وفى عام ١٩٥٢ تولى رئاسة الأركان العامة ثم رئاسة أركان الجيش عام ١٩٥٣ وبهذا يكون قد تولى أهم المناصب الرئيسية فى الجيش الإسرائيلى. وقد قام ديان بتدبير سلسلة من الأعمال الانتقامية ضد مصر وسوريا والأردن ولبنان عام ١٩٥٥، وبدأ نجمه فى الصعود بعد توليه قيادة حملة سيناء عام ١٩٥٦، وفى أواخر عام ١٩٥٧ درس القانون والأقتصاد والعلوم السياسية.

وقد تولى بن جوريون حضانة ديان سياسيا، فدخل الكنيست عام ١٩٥٩ عن حزبة «**المابای**»، وأسندت إليه وزارة الزراعة فى عام ١٩٥٩ إلا أنه ترك الوزارة عام ١٩٦٤ على أثر نشوب خلاف بينه وبين أشكول، وما لبث أن انشق عن المابای مقتفيا خطى بن جوريون لتكوين حزب رافى، وذهب بعد ذلك إلى فيتنام الجنوبية لدراسة أسلوب مقاومة الشعب الفيتنامى للجيش الأمريكى الذى يستخدم معدات حربية متقدمة. وقد كان لآراء ديان بصدد ضرورة التفوق العسكرى الإسرائيلى كأسلوب للتعامل مع الدول العربية المجاورة أكبر الأثر فى تدعيم التصور الصهيونى للأمن وفى تزايد سطوة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية. وكان من الطبيعى أن يتولى وزارة الدفاع فى أغسطس عام ١٩٦٦ إبان إعداد إسرائيل لشن حرب يونيو ١٩٦٧ . وفى الفترة التالية للحرب صار ديان رمزا لتسلط فكر المؤسسة العسكرية على المجتمع، وتولى إدارة الأراضى المحتلة من خلال الحكم العسكرى. وباعتباره وزيرا للدفاع كان ديان مسئولا عن تنفيذ سياسة إسرائيل تجاه الأراضى العربية المحتلة باستخدام أسلوب العقاب الجماعى ونسف المنازل وتبنى سياسة الجسور المفتوحة

والردع الجسيم ضد الفدائيين الفلسطينيين فى أعقاب أى من عملياتهم العسكرية. ونادى ديان بإنشاء مزيد من المستعمرات الإسرائيلية فى الأراضى المحتلة وبإنشاء ميناء يميت قرب رفح، وهو الأمر الذى اعتبره عدد من قيادات حزب العمل إعلانا مبكرا عن النوايا الإسرائيلية.

ويصف البعض ديان بنقص الثقافة والغرور والتكالب على كسب شعبية بين الشباب، كما أنه يجرى وراء الآثار القديمة والتنقيب عنها. وله كتابات عدة أشهرها مذكراته عن حرب عام ١٩٥٦ .

وقد وجهت لديان عقب حرب ١٩٧٣ انتقادات لاذعة من العسكريين والقيادات المدنية الأخرى فى حزب العمل وخاصة **شابيرو وسابير وايبان** مما أدى إلى عدم اشتراكه فى وزارة **رابين**. وعقب هذا عاد ديان للاهتمام ببيع العاديات وبالاشترك فى حملات الجباية الصهيونية فى الخارج.

وإن كان قد بدأ أخيرا فى تبنى مواقف معارضة لأى «تنازلات» للعرب قد تقوم بها وزارة رابين، كما أنه يتردد فى الدوائر السياسية الإسرائيلية الحديث عن احتمال انضمام بطل المعراخ العسكرى لليكود.

وقد شارك فى مفاوضات «كامب دافيد» ممثلا لحزب العمل والجيش «والصابرا»، وكان مناحم بيجين يأخذ فى أغلب الموضوعات بتوصياته وآرائه التى لا تخرج عن آراء ومبادئ أستاذه «بن جوريون».

القسم السابع

أوضاع إسرائيل الداخلية والخارجية فى ظل كامب دافيد.

الفصل الأول

الأوضاع الداخلية فى إسرائيل

الفصل الثانى

علاقات إسرائيل الخارجية

١ - نظرة إلى مرحلة ما قبل كامب دافيد.

(أ) كانت إسرائيل فى عشية المبادرة المسرحية للرئيس السادات عند مفترق طرق سياسية. إذ كانت تحتفل فى عام ١٩٧٧ بمرور عشر سنوات على حرب الأيام الستة وإحتلال مرتفعات الجولان والضفة الغربية وسيناء وغزة. ولم يكن هناك إتفاق فى الرأى بشأن ما يترتب على استمرار وجود إسرائيل فى تلك المناطق من أثر على الشكل الجغرافى للدولة، وعلى تكوينها الديموغرافى ونسيجها السياسى.

وأدت حرب أكتوبر ١٩٧٣ إلى عزلة إسرائيل فى المجتمع الدولى، وإلى إنخفاض الروح المعنوية بين كثير من المواطنين.

ووجه الإتهام إلى قادة قوات الدفاع الإسرائيلية والوزراء المسؤولين بأنهم إنسانيون أكثر مما ينبغى. وتبددت الأسطورة التى كانت شائعة عن أن الجيش الإسرائيلى لا يقهر. وساد البلاد نوع من الوهن والشعور بالسأم. ومع ازدياد تدهور الأوضاع الاقتصادية وتفاقم المنازعات الداخلية، إزداد الحديث عن عدم كفاءة القيادة

القائمة وعدم نزاهتها. وفى مايو ١٩٧٧ جاءت الانتخابات فأنهت هيمنة حزب العمل التى استمرت ٢٩ عاما ودفعت إلى الساحة بحكومة الليكود التى ليست لها تجربة، وبدأت مفاوضات السلام مع مصر فى هذا الجو من السيولة وعدم اليقين.

(ب) وكانت الصهيونية هى الأيديولوجية الأساسية لإسرائيل المعاصرة. وهى قائمة على إفتراض وجود علاقة عضوية بين أرض إسرائيل والشعب اليهودى وإقامة مؤسسات سياسية سيادية.

وكانت الخطوط الأساسية للمشروع الصهيونى دائماً محلا لتفسيرات متعددة. وقبل إنشاء الدولة كانت هناك تيارات أيديولوجية متعددة متنافسة.

(جـ) وحتى عام ١٩٦٧ كانت هذه الآراء تتعايش مع النهجين الثقافى والماركسى لتناول الصهيونية فى ظل توازن دقيق وهش. غير أن إحتلال المناطق فى حرب ١٩٦٧ إستلزم إعادة بحث العلاقة بين الأسس الجغرافية والإنسانية والسياسية للدولة.

فقد أظهر الصراع الأيديولوجى الذى أعقب ذلك وجود تعارض بين الإهتمام الزائد بالأمن والإعتبارات الجغرافية «وقد مثله فى المقام الأول الليكود» وبين الإعتبارات الديمقراطية والإجتماعية وقد عبرت عنها «دوائر حزب العمل» وتأكد تعذر الجمع بين هذين النهجين المتعارضين عندما شرعت إسرائيل فى مفاوضات السلام مع مصر.

(د) وقبل عام ١٩٧٧ كانت إسرائيل تنظر إلى مصر، وهى أكبر وأقوى الدول المجاورة والمعادية لها، على أنها الخطر الأساسى على وجودها، فمصر، على خلاف سوريا والأردن ولبنان، كان لها دور إيجابى فى الحروب الأربع جميعا، كما كان لها الدور القيادى فى الهجوم الديبلوماسى على إسرائيل فى المحافل الدولية. وهى التى عندما شنت حرب يوم كيبور فى عام ١٩٧٣، كانت المسؤولة بشكل مباشر عن تحطيم شعور إسرائيل بأن قواتها العسكرية لاتهزم.

٢ - النتائج الأولية لكامب دافيد:

(أ) حدثت تغيرات كبيرة على المسرح السياسى الإسرائيلى خلال العقد الذى أعقب توقيع إتفاقيتى كامب دافيد فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ خلال أربع مراحل.

١ - مرحلة الإنجازات الديبلوماسية وزيادة الإستقطاب الداخلى، لكتلة ليكود برياسة مناحم بيجين «١٩٧٧ - ١٩٨١».

٢ - والمرحلة الثانية هى مرحلة الإضطرابات السياسية والركود الدبلوماسى تخللها الغزو الإسرائيلى للبنان فى يونيو ١٩٨٢ .

٣ - والمرحلة الثالثة تميزت بإستقرار داخلى تدريجى مصحوب بعجز عن اتخاذ قرارات سياسية حاسمة فى ظل حكومة الوحدة الوطنية المشتركة بين حزب العمل وكتلة ليكود «١٩٨٤ - ١٩٨٧».

٤ - والمرحلة الرابعة أعلنتها الإنتفاضة المدنية فى الضفة الغربية وغزة والتى بدأت فى ديسمبر ١٩٨٧ .

(ب) وخلال هذه السنوات اختفى تماما الآباء المؤسسون لإسرائيل، وحل محلهم جيل جديد من القادة السياسيين، وإزداد الإنقسام الإجتماعى حده، وانتقل مركز الثقل فى التوازن السياسى، وحدث تحول فى الأولويات السياسية، وانتهت فورة التفاؤل التى تولدت عن زيارة الرئيس السادات إلى القدس فى نوفمبر ١٩٧٧ وحل محلها مزيج من التطرف من ناحية، والإتجاه إلى تأمل الذات والتوقف عن التحرك من ناحية أخرى.

(جـ) لقد أثرت إتفاقيتا كامب دافيد والعمليات التى صحبتهما على مسار الحوار السياسى فى إسرائيل، وعلى المواقف من الصراع العربى الإسرائيلى. وعلى الإنحيازات السياسية، وعلى جدول أعمال الرأى العام وأساليب التحرك السياسى، وعلى العلاقات الخارجية.

(د) وقد أدى التقارب بين إسرائيل ومصر إلى بدء سلسلة من عمليات التكيف السياسى، لم تلبث أن اكتسبت مسارا خاصا بها خلال عقد الثمانينات.

(هـ) وقد حاول مناحم بيجين أن يدافع عن الإتفاقيتين اللتين نتجتا عن كامب دافيد بالفصل بين قضية السلام ومسألة الأراضى. فأعلن أثناء المناقشة التى دارت فى الكنيست حول شروط السلام مع مصر، بصورة قاطعة: «إن إسرائيل لن تعود أبدا إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ . والقدس الموحدة هى العاصمة الأبدية لإسرائيل.ولن تقسم أبدا بعد الآن، ولن تقوم دولة فلسطين فى يهودا والسامرة وغزة». وكان بيجين يأمل أن يبرر بذلك عودة

سيناء إلى مصر، وإرساء الأساس لإحتفاظ إسرائيل بالضفة الغربية إلى مالا نهاية، واسترضاء المجموعات الوطنية المتطرفة داخل معسكره ذاته.

(و) وقد أدت إتفاقيتا السلام إلى بداية التشرذم الأيديولوجي للقاعدة المؤيدة لليكود. وفي هذه المرحلة وضعت الخطوط الأساسية للتطرف الديني والوطني، والذي يتمثل في قيام شخصين منشقين على جماعة حيروت هما جيئولا كوهين، ويوفال نيمان بإنشاء حزب تحيا في عام ١٩٧٩م.

(ز) وأدت مبادرة السادات إلى تشجيع إحتمالات إخراج مصر من دائرة المواجهة وتحييد الخطر الذي تتعرض له حدودها الجنوبية، كما أن المبادرة أدت إلى إيقاع الفرقة بين الصفوف العربية.

٣ ـ النظرة إلى السلام:

(أ) إتخذت الأفكار العامة عن السلام صورة نموذجية مثالية، وتوقع كثير من الإسرائيليين أن تتحول مصر على الفور من العداء إلى الصداقة. وطفقت الصحف تتحدث عن الإنتقال من الكراهية إلى توقف القتال بنفس العبارات السيكولوجية التي تستخدم في العلاقات الشخصية. وكان من نتائج هذه النظرة أن أصبح كل تردد مصري، أو تأجيل أو تسويف ينظر إليه على أنه دليل على التراجع.

وواقع الأمر أن السلام مع مصر لم يحقق في بعض الأحيان التوقعات المتفائلة التي عززتها كامب دافيد في أذهان الإسرائيليين

وخلال العقد الأول من التقارب المصرى الإسرائيلى، أصبحت مسألة إمكانيات التنفيذ العملى لمعاهدة السلام جزءا من الحوار السياسى الدائر داخل إسرائيل. فكان غير الراغبين فى إستكشاف سبل جديدة للسلام يبرزون العقبات القائمة بين البلدين، والثمن الباهظ الذى دفعته إسرائيل مقابل ذلك. بينما كان من يسعون إلى المزيد من المبادرات يشيرون إلى الهدوء السائد على الحدود الجنوبية لإسرائيل.

(ب) وقد خلقت عملية السلام بين مصر وإسرائيل مجالا للتمييز بين السيادة على الشعب والسيادة على الأرض، وبين الحكم الذاتى الإدارى والحكم الذاتى التشريعى، وبين الإشراف السياسى والسيطرة العسكرية. والأهم من ذلك أنها تطلبت لأول مرة منذ عام ١٩٦٧ أن تقدم الحجج المؤيدة لإستمرار الإحتلال مستندة إلى أساس داخلى محلى، لأن الحجج الخارجية القائمة على منطق الدفاع لم يعد لها مايبررها فى حد ذاتها.

(جـ) وكان من المفارقات أن معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل قللت أيضا من الشعور الذى كان قائما بضرورة البحث العاجل عن تسوية للنزاع العربى الإسرائيلى فى نطاقه الأوسع. فإتفاقيتا ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ عندما أتاحتا للحكومة الإسرائيلية فترة لإلتقاط الأنفاس، ويربطهما بين إستمرار التقدم فى عملية السلام وتحسين العلاقات مع مصر، أجلتا - مؤقتا على الأقل - المواجهة الجدية لمسألة علاقات إسرائيل المقبلة بجيرانها الآخريين.

٤ ـ زيادة حدة الخلافات الداخلية :

أدت التصورات التى نتجت عن كامب دافيد إلى زيادة حدة الخلافات الداخلية. فالذين يؤيدون الوصول إلى حل وسط قالوا إن إسرائيل لن تستطيع أن تبقى كدولة يهودية إلا بالإنسحاب من المناطق التى يوجد فيها العرب بتركيزات كبيرة. أما من يسعون إلى تحقيق حلمهم بإسرائيل الكبرى، فكانوا يريدون الإحتفاظ بالإحتلال «وبالقوة إذا لزم الأمر»، بل ووصل البعض إلى حد وضع خطط لترحيل السكان «الترانسفير»، وكان من المحتم أن تستخدم الاعتبارات الديموغرافية فى الآراء الداعية إلى زيادة عدد اليهود، سواء عن طريق زيادة معدل المواليد، أو عن طريق التوسع فى الهجرة التى يأتى معظمها من الاتحاد السوفييتى.

وقد ترتب على التشرذم الأيديولوجى الذى صحب توقيع معاهدة السلام مع مصر، تفاقم ما لوحظ فى السبعينيات من إنهيار قواعد التعايش التى كانت سائدة فى السنوات الأولى لقيام الدولة.

٥ ـ الأمن الإسرائيلى :

(أ) وقد عالجت الإتفاقيتان جميع الجوانب الأمنية التى تهتم بها جميع الفئات السياسية فى إسرائيل تقريبا. فقد كان فى وسع المعتدلين «فى الليكود كما فى حزب العمل» أن يروا فى المعاهدة دليلا على خطأ الحكمة الشائعة التى تقول : إن جميع العرب عقدوا العزم على إزالة إسرائيل من الوجود. وشعر المتشددون أيضا بالإغتباط لأن المعاهدة أدت عمليا إلى زيادة قدرة إسرائيل على تحقيق أهدافها العسكرية فى الأنحاء

الأخرى. ورأى المواطنون الذين أنهكهم القتال فى الإتفاقيتين قدرا من تخفيف العبء على الأقل.

(ب) غير أن إتفاقيتى كامب دافيد لم تقضيا على مخاوف إسرائيل الأمنية، بل غيرتا اتجاهها فحسب. وقد حدث بعد مفاوضات السلام إعادة توجيه للأهداف الإستراتيجية، ولكن دون تغيير للإفتراضات الأساسية. وبحلول أوائل الثمانينيات كانت سوريا قد أصبحت أهم خصم خارجى يواجه إسرائيل. كما وجه مزيد من الإهتمام إلى «العدو الداخلى» إذ أصبح الفلسطينيون - ولا سيما منظمة التحرير الفلسطينية - هم المحور الأساسى لإهتمامات إسرائيل الأمنية. ومن ثم يمكن أن يقال إن كامب دافيد أدخلت تعريفا جديدا للعدو، وجعلته جزئيا عدوا داخليا.

(جـ) وقد أثرت هذه التغييرات الفكرية على مسار النزاع العربى الإسرائيلى، وأصبح الإهتمام موجها فى الأساس إلى الجبهة الشمالية. وكان قصف المفاعل النووى العراقى فى يونيو ١٩٨١ مؤشرا أوليا على هذا التوجه الجديد. وكان فرض القانون الإسرائيلى على الجولان تعبيرا أكثر خطورة عن ذلك. وكانت حرب لبنان هى ذروة هذا الإتجاه.

التأثيرعلى البناء السياسى - الاقتصادى والاجتماعى.

١ - الحياة الحزبية والديمقراطية:

(أ) الديمقراطية البرلمانية فى إسرائيل تقوم على سيادة مجلسها الوطنى (الكنيست). ونظامها القائم على التمثيل النسبى الذى وضع أصلا لإتاحة الفرصة لمختلف المجموعات للمشاركة فى رسم السياسة، لم يشجع على التنافس الفردى بينما شجع على تعدد الأحزاب. ولما كان الحصول على ١ ٪ من الأصوات كافيا لشغل مقعد فى الكنيست، كان من الطبيعى أن تتعدد الأحزاب وتتفتت.

غير أن الوصول إلى السلطة أصبح يمر أيضا عن طريق تلك الأحزاب الصغيرة، وأصبح قادتها يتمتعون بقدر من النفوذ يتجاوز بكثير ما لهم من أصوات. وكانت الأحزاب الصغيرة متجانسة فى داخلها بوجه عام إذ تمثل فئات محددة، أما التكتلات الكبيرة فهى بحكم طبيعتها تضم مصالح متعددة، وابتليت هذه التكتلات بصورة مستمرة بالصراعات الداخلية القائمة على الخلافات الشخصية

بالاضافة إلى الخلافات الأيديولوجية والتكتيكية. وفى داخل هذه الظروف لم يحصل حزب واحد على الأغلبية، وكان على الحكومات أن تعتمد على تحالفات هشة للبقاء فى الحكم. وتتجه الحياة السياسية فى مثل هذا النظام المعقد إلى أوضاع غير مستقرة. ورغم السيطرة التى مارسها حزب العمل خلال السنوات الثلاثة الأولى من إستقلال إسرائيل، فقد كانت هذه الخصائص ظاهرة بوضوح، وإن كان قد أمكن السيطرة على جوانبها المتطرفة.

(ب) وأدت إنتخابات مايو ١٩٧٧ إلى إحداث تحول أساسى فى توازن القوى داخل إسرائيل. إذ أصبحت مجموعة الليكود «التى تتألف من حيروت والحزب الليبرالى ومجموعة لعام الصغيرة» تسيطر على ٤٣ مقعداً. وبذلك غدت أكبر حزب فى الكنيست بعد أن استقطبت سخط الفئات المحرومة، ومعظمها من السفارديم، وحصلت على أصواتهم فى المدن الجديدة والأحياء الفقيرة. وانخفض عدد نواب حزب العمل إنخفاضا حادا، من ٥١ فى عام ١٩٧٣ إلى ٣٢ فى عام ١٩٧٧ . وكان ضعف مؤسسة العمل «وهى تتألف أيضا من عدة فصائل» ملحوظا منذ بعض الوقت».

فقد أسهم فى ضعف تأثير الحزب جمود حركته، وعجزه عن الاستجابة السريعة للأحداث، وعدم الكفاءة، وعدم تحديد السياسات. وتحولت أصوات الناخبين الذين إعتادوا تأييد حزب العمل إلى الحزب الجديد المسمى «الحركة الديمقراطية من أجل التغيير»، وهو تشكيل وسطى كان من شعاراته الإنتخابية إجراء تعديل لنظام

الانتخاب. وكانت نتيجة الإنتخابات تحديا خطيرا للديمقراطية، التى مازالت ضعيفة التكوين فى إسرائيل.

(جـ) وجاء السادات إلى القدس فى الوقت الذى كان فيه كثير من الساسة والأحزاب والمواطنين مازالوا يحاولون التكيف مع الواقع السياسى الجديد. وأدت مفاوضات السلام إلى المزيد من تفاقم المناخ السياسى المتوتر. وكانت الحجج تتطاير فى داخل الكتلتين الأساسيتين حول محتوى الإتفاقيتين ونتائجهما السياسية.

ووقع حزب العمل حائرا بين تأييده للمعاهدة من حيث المبدأ وخوفه من تأثر مركزه السياسى نتيجة لتوصل الليكود إلى اتفاق ناجح. وانقسم الليكود أيضا بين الوطنيين المتطرفين الذين رأوا فى إعادة سيناء تنازلا لايمكن قبولة، وبين اللذين أيدوا التصديق على إتفاقية السلام.

(د) وقامت جماعة جوش إمونيم (كتلة المؤمنين) التى تأسست فى عام ١٩٧٤ بدور الداعى الأساسى للتعجيل بإنشاء المستوطنات اليهودية فى الضفة الغربية وغزة. وتحرك أعضاؤها بين الكواليس، مع المجموعات المتحالفة معهم «اللجنة المناهضة للإنسحاب من سيناء، وحركة كاخ التابعة للحاخام مائير كاهان» للعمل ضد الإتفاقيتين.

وتشكلت حكرة «السلام الآن» بصورة تلقائية بعد أن وجه ٣٥٠ من ضباط الإحتياط رسالة إلى مناحم بيجين فى عشية سفره إلى كامب دافيد يناشدونه فيها أن يضع قضية السلام على رأس جدول أعماله. وأصبحت هذه الحركة فى مقدمة المؤيدين للإتفاقيتين.

(هـ) وصوتّ الكنيست مؤيدا لإتفاقيتى كامب دافيد بأغلبية ساحقة وكانت أغلبية أصوات المعارضين من داخل صفوف الإئتلاف ذاته، وكان من العوامل التى مكنت بيجين من التمسك بموقفه أنه لم يواجه معارضة رسمية من خارج حزبه حول هذا الموضوع.

وهو عندما تبنى بمهارة نفس الدعوات التى كان حزب العمل يتبناها وضع منافسيه فى وضع لايملكون معه إلا أن يؤيدوا الإتفاقيتين. ومن المشكوك فيه أن تكون حكومة أخرى، لايرأسها تكتل الليكود، قادرة فى ذلك الوقت على ضمان التأييد البرلمانى اللازم للمعاهدات.

غير أن السياسات الداخلية المرتبطة بمعاهدة السلام الإسرائيلية المصرية أدت إلى المزيد من الخلافات، فقد تم عمليا تحييد معارضة حزب العمل. إذ سرعان ماتبددت الأسطورة التى كانت تردد أن التصحيحيين إذا ما وصلوا إلى السلطة لن يلبثوا أن يجروا البلد إلى حرب أخرى.

(و) وأيضا تأثر تركيب الأحزاب السياسية نتيجة لتوقيع إتفاقيتى كامب دافيد فالحركة الديمقراطية من أجل التغيير إنقسمت على نفسها. وبذلك إنهار الفريق الذى يشغل الموقع الأوسط. وخلال أشهر معدودات من التصديق على معاهدة السلام فى ١٩٧٩، إنفصل عن الحكومة إثنان من المفاوضين الأساسيين وهما وزير الخارجية موشى ديان، ووزير الدفاع عزرا وايزمان، وذلك بسبب مسلك الحكومة فى محادثات الحكم الذاتى.

ومن ثم خرج صوتان من أصوات المعتدلين. وغضب المتطرفون اليمينيون في حيروت بسبب إعادة سيناء. فانفصلوا وكونوا جماعة تحيا. وفي داخل حزب بيجين ظل المؤيدون والمعارضون لكامب دافيد يتنافسون على السيطرة على المؤسسات الرئيسية للحزب.

وهناك عامل آخر إذ أصبح للحركات خارج البرلمان في ظل هذا الوضع دور سياسي أكبر مما كان لها في السابق.

وشكلت حركتا «جوش إمونيم» و «السلام الآن» مع مجموعة متباينة من الحركات تجمع بين اليمين واليسار، شبكات تنظيمية لصيغة جديدة من المواجهة السياسية. ولما كانت هذه المجموعات غير مقيدة للإنضباط الحزبي، فقد إبتعدت بساحة النشاط السياسي عن أبهاء الكنيست والمكاتب الحكومية وحولتها إلى شوارع المدن الرئيسية ومواقع المستوطنات المقترحة.

وهناك أيضا، تأثير عمليات المواءمة السياسية التي تمت في أواخر السبعينيات على الحد من الضوابط المفروضة على مراكز السلطة. فعندما تضاءلت قوة حزب المعارضة فقد الكنيست سلطانه وتفشت المنازعات داخل الأحزاب، وقوى نفوذ الفئات غير البرلمانية، وإزداد المركز الشخصي لمناحم بيجين ترفعا، ولم تبق غير آليات قليلة للغاية لمراقبة النشاط الحكومي. وفي هذه المرحلة تدعم مركز الليكود، وزادت أهمية تركيز السلطة والإعتبارات المتعلقة بها.

(ز) وجاءت إنتخابات عام ١٩٨١ فضاعفت من التوتر السياسى الداخلى الذى كانت عملية كامب دافيد قد أذكته. ورغم ما تبين من أن حكومة ليكود الأولى غير مؤهلة لمعالجة أدواء البلد الاقتصادية المتفاقمة، ورغم تزايد السخط الاجتماعى، فإن تكتل حزب العمل لم يتمكن من الإستفادة من الأخطاء الحكومية الصارخة، وأثبت بيجين مرة أخرى أنه السياسى الذى لايشق له غبار.

(ح) أدى غزو لبنان فى يونيو ١٩٨٢ إلى إحياء المعارضة التى أخمدتها كامب دافيد، وجعل منها مركزا لإثارة الإهتمام ولكن دون أن تنشأ عنه أية مبادئ تنظيمية توحيدية. وتكاثرت حركات الإعتراض: فإلى جانب حركة «السلام الآن» ظهر عدد من التجمعات المناهضة للحرب من بينها حركة «الأمهات المعاديات للصمت» و «اللجنة المعارضة للحرب فى لبنان» وحركة «هناك حد»، وعمل المدافعون عن حقوق الإنسان على تعزيز «لجنة التضامن مع جماعة بيرزيت» و «رابطة الحقوق المدنية فى إسرائيل» و «حركة الحقوق المدنية» التى تزعمها شولاميت ألونى.

(ط) وصل التوتر المتزايد فى النظام السياسى إلى ذروته فى إنتخابات عام ١٩٨٤ ورغم جو السخط السائد، وعدم الكفاءة الصارخ لحكومة الليكود، والتفوق الظاهر لحزب العمل فى استطلاعات الرأى التى سبقت الإنتخابات، خرج التحالفان الرئيسيان فى النهاية متكافئين تقريبا. وفقد كل من الحزبين

الرئيسين عددا من الأصوات لصالح المجموعات المنشقة من اتجاهه ذاته. ونجح فى الوصول إلى الكنيست ١٥ حزبا وكان كل من التكتلين الرئسيين قد أخطأ فى تقدير مدى رغبة الناخبين فى وجود وسيلة يمكن بها التعرف على التحركات السياسية مقدما.

وخرج من الطريق الإنتخابى المسدود حل عملى: فأنشئت حكومة «للوحدة» الوطنية تضم حزبى العمل والليكود، واتفق على نظام معقد لتوزيع المقاعد الوزارية، وعلى تبادل رئاسة الوزارة بين شيمون بيريز رئيس حزب العمل، وإسحق شامير رئيس الليكود. وكان هذا الترتيب تعبيرا عن حل وسط، ولكنه لا يصل إلى حد التوافق فى الرأى.

ودليلا على انتصار اعتبارات السلطة على الأيديولوجية والمبادئ، والأرجح أن هذا الترتيب كان أيضا، فى الظروف التى تم فيها، هو المخرج العملى الوحيد من مواجهة مأزق سياسى شامل.

وترتب على تشكيل حكومة الوحدة الوطنية عدد من التغيرات الهامة فى الخريطة السياسية لإسرائيل. منها القبول بصيغة الاشتراك فى الحكم أحدث تغييرا فى هيكل القيادة. فمن الأشخاص الذين يتولون المناصب الرئيسية، وهى رئاسة الوزارة ووزارة الخارجية بالتبادل بين اسحاق شامير وشيمون بيريز ووزارة الدفاع «اسحق رابين» تشكلت هيئة ثلاثية (ترويكا) وأصبح رابين هو صاحب السلطة الرئيسية، وإن لم يكن دائما هو الشخصية البازة جماهيريا، بل إزدادت سلطته السياسية نتيجة لاستمراه فى منصبه طوال فترة السنوات الأربع التى تقضيها الوزارة فى الحكم. وبالتالى كان هو أكبر

المستفيدين من الترتيبات التى وضعت لحكومة الوحدة الوطنية. ومابدا أنه إنتقال إلى شكل من أشكال القيادة الجماعية، تحول إلى وسيلة لتثبيت إنقسام السلطة فى القمة، وتحاشى المسؤولية الجماعية لمجلس الوزراء.

وأيضا عندما جمعت هذه التركيبة بين قوى متعارضة داخل الإئتلاف الحاكم، لم تعد الحكومة قادرة على التصرف بقوة. وقد أمكن تحقيق بعض التقدم فى المسائل ذات الإهتمام المشترك «الإقتصاد والإنسحاب من لبنان» ولكن لم يكن فى الوسع تحقيق تقدم يذكر فى المسائل الأساسية التى يقوم بشأنها الخلاف (وهى مسائل الأراضى المحتلة، ومبادرات السلام، وبعض جوانب العلاقات الخارجية، ثم أهم الموضوعات وهو أسلوب معالجة الإنتفاضة المدنية فى الضفة الغربية وغزة) وكان هذا الترتيب يستلزم الإعتدال، ولكنه شجع على العناد والتشبث بالرأى.

(ى) وقد عملت هذه الترتيبات، بتجميدها للنشاط السياسى على بقاء الموجودين بالفعل فى السلطة، وحاولت دون تجديد القيادة السياسية. وأسفرت فى النهاية عن إغلاق قنوات الإتصال السياسى، ومن ثم حدّت من الحافز للتغيير. ولذا فقد أثارت تجربة حكومة الوحدة الوطنية تساؤلات جدية عن مدى قدرة الديمقراطية فى إسرائيل بصورتها الحاضرة على الإحتفاظ بأية قوة دافعة.

وتضخمت بعض هذه القضايا عشية الذكرى العاشرة. لإجتماعات كامب دافيد، إذ اختلف شيمون بيريز وإسحاق شامير

حول كيفية معالجة التحدى الفلسطينى، وكيفية تحريك العملية الدبلوماسية. وخلال الشهور الحاسمة فى الفترة بين ديسمبر ١٩٨٧ وفبراير ١٩٨٨ لم تكن للحكومة سياسة معروفة وكان الشخص الذى يقرر الإجراءات التى تتخذ هو فى الغالب إسحاق رابين بوصفه الوزير المسؤول عن الأمن.

وفى هذا الجو تمت باستعجال المراحل الأولى للحملة الإنتخابية فى عام ١٩٨٨ وإذا كان قد بدأ فى أواخر عام ١٩٨٧ أن إسرائيل ستشهد نتيجة لا تختلف كثيرا عن نتيجة إنتخابات ١٩٨٤، فإن أحداث بداية سنة الانتخابات جعلت التنبؤ بالنتائج أمرا محفوف بالمخاطر على الأقل. فلم يكن فى الوسع التنبؤ بدرجة من اليقين بتأثير الهزه الفلسطينية على سياسات الأحزاب.

والخلاصة، أن المسرح السياسى الداخلى فى أواخر الثمانينيات كان يختلف إختلافا كبيرا عن الأوضاع التى كانت سائدة عشية إجتماعات كامب دافيد. وقد أثرت مفاوضات السلام على التجمعات السياسية وعلى الإجراءات والقواعد والممارسات.

(٢) التركيب الإقتصادى - الإجتماعى:

(أ) رغم ما أبداه المجتمع الإسرائيلى فى بعض الفترات من تماسك خارجى شديد، فقد كان يفتقر دائما إلى التماسك الداخلى. وخلال القرن العشرين، ومع إتساع نطاق الهجرة، وتشكيل أنواع مختلفة من المؤسسات الإجتماعية، ظهرت شروخ فى واجهه الوحده فنجد:

(أ) الإنقسامات العنصرية التى تقسم البلد بوجه عام إلى معسكر للسفارديم (يهود البلدان المتحدثة بالعربية) ،والإشكينازى - اليهود ذوو الأصول الأوربية والغربية،

(ب) الفوارق الطبيعية المتزايدة والتى تتمثل فى الإختلاف فى الدخل والمهنة، والإختلافات الجغرافية ،وهى فى معظمها بين سكان الكيبوتز المخضرمين وسكان المدن الجديدة المجاوره.

(جـ) الفوارق الدينية التى تمتد بين الفئات الأرثوذكسية والفئات العلمانية.

(د) التكتلات الأيديولوجية التى كانت محورا للتواصل والتفاعل الإجتماعى.

(هـ) التجمعات الوطنية التى تفصل بين أغلبية اليهود والمواطنين العرب، ومن ثم فإن العلاقات الإجتماعية تتميز بطبيعتها بدرجة من السيولة الكامنة، كما أن أسباب القلق الداخلى تتغير من وقت لآخر.

وفى أوائل السبعينات، زادت الأنقسامات الإجتماعية وضوحا بين اليهود فى إسرائيل. وكانت إنتخابات عام ١٩٧٧ قد أضفت على تلك الفوارق طابعا سياسيا.

(ب) وكان الإجهاد الناتج عن المواجهة الإنتخابية مازال ملموسا

عندما قام السادات بزيارته للقدس. ومع ذلك كان التوقيت أفضل مايكون لزيارة كهذه، فالسنوات الطويلة من النزاع جعلت لنداء السلام جاذبيه خاصه.

وأدت عملية السلام بين مصر وإسرائيل إلى تخفيف كثير من مشاعر القلق لدى معظم الإسرائيليين. وعندما تضاءل الخوف من الحرب إتجه إهتمام الجمهور وطاقته إلى القضايا الداخلية التى أهملت لبعض الوقت.

ودعم هذا الإتجاه ما قام به مناحم بيجين بمهارة من الربط بين السلام والرخاء الإجتماعى فى دفاعه عن التصديق على إتفاقيتى كامب دافيد فضلا عما فى ذلك من تهدئة لمطالب العناصر الجديدة التى إنضمت إلى مؤيدى الليكود. ومن ثم فإن المعاهدة أدت بشكل غير مباشر إلى السماح باستخدام السياسة وسيلة لتحقيق مكاسب فئوية، وعززت الفكرة القائلة بأن الدولة هى موزعة المنافع. وبذلك زادت المعاهدة من التوقعات الشعبية من الحكومة. وأثرت على إيقاع المبادلات الاجتماعية وطبيعتها ومحتواها.

(جـ) وكانت عملية السلام مع مصر واحدة من العوامل العديدة التى سمحت بالسعى وراء الأهداف المادية، وكشفت عن الميول البراجمانية للإسرائيليين فى العقد الرابع بعد الإستقلال. ففى هذه الفترة أصبح الإهتمام العام يتركز بدرجة أكبر على الأمور المباشرة والملموسة. وغدت الأولويات تتحذ بصورة متزايدة على أساس المطالب المحلية، وحتى بعد تخفيف المشكلات الإقتصادية الجوهرية ظلت الشئون المحلية هى التى لها الأولوية فى إهتمام الجماهير، وذلك نتيجة لتدهور الخدمات الإجتماعية، وكثرة المطالب المتعلقة بالأجور، والإضرابات العمالية المعلنة والمستترة، كما أنفجر عدد من الفضائح المالية.

وفى الوقت ذاته إزداد التوتر حول القضايا الدينية. وبينما إستمرت بعض الضغوط الداعيه إلى معالجة مسألتى الأرض والسلام إلا أنها توارت وراء مجموعة واسعة من الإهتمامات المحدودة والضيقة التى ظلت تشغل وقت الحكومة.

وكانت هذه التحولات دخيلة على أنماط التفاعل الإجتماعى فى إسرائيل. ففى المرحلة التى أعقبت كامب دافيد مباشرة إرتبط قدر من الدعه المادية بإرتفاع الروح الوطنية. ولما كانت المصالح العنصرية الطبقية قد إزدادت صقلا ووجدت أشكالا تنظيمية للتعبير عنها، فإن المطالب الإجتماعية الإقتصادية للفئات التى كانت محرومة السابق أصبحت تلقى آذان صاغية وتغيرت تبعا لذلك أنماط الإنفاق الحكومى.

(د) وفى بداية الثمانينيات، كان هناك هيكل ثلاثى يميز المسرح الإجتماعى اليهودى: إذ تشكلت فى هذه المرحلة مجموعتان إجتماعيتان كبيرتان، هما على وجه التقريب جماعة الإشكينازى فى مقابل جماعة السفارديم، الحمائم مقابل الصقور، القادرون على الترقى فى السلم الإجتماعى مقابل المحرومين، والعلمانيون مقابل التقليديين. وكانت هناك جماعة ثالثة بدأت تتبلور حول قضايا عملية خالصة. وهى جماعة غير محددة الشكل وليست لها إرتباطات إيديولوجية إجتماعية قوية، تضم فئات توجه القدر الأكبر من إهتمامها إلى مطالب الحياة اليومية لا إلى القضايا الكبرى المتعلقة بالحرب والسلام والأمن. وكانت كل جماعة من هذه الجماعات مكتفية بذاتها إلى حد

كبير. ولا يتم التواصل بينها على الخطوط إلا فى أضيق الحدود مع ما ينطوى عليه ذلك من نزاعات. ويقف القطاع العربى خارج هذه المجموعات، إحتياجاته مهملة، وشعوره بالغربة يزواد.

وتجلى بوضوح شديد هذا الإبتعاد عن القضايا السياسية الكبرى خلال هذا العقد فى إحتدام الإنقسامات الدينية إذ إزدادت أهمية فرق الأرثوذكس المتطرفة، والأرثوذكس، والتقليديين، والعلمانيين، والمناهضين للدين. وانتشرت المنازعات ذات الجذور الدينية، واتخذت أشكالا عنيفة. وأصبحت العلاقات بين المجموعات ذات العقائد الدينية المختلفة أكثر حدة، وزادت النزعات الأصولية. وهذه المنازعات الدينية على خلاف المنازعات السياسية والاقتصادية، غير قابلة للتفاوض. ولما كانت هذه الجماعات أقل قابلية للتغير، وأقل إستعدادا لعقد تحالفات مع من ينتمون إلى العقائد الأخرى، فقد إزدهرت عندما إفتقد البديل، وهو التجمع على أساس المصالح. وكان لهذه الإتجاهات أثرها السياسى الواضح. فبحلول عام ١٩٨٨ كان الإئتلاف القديم بين حزب العمل والحزب الدينى الوطنى قد إنتهى إلى غير رجعة. وغدت الأحزاب الدينية أكثر إرتباطا بمعسكر الليكود، ومن ثم زادت قدرتها على التأثير فى التوازن السياسى بعد إنتخابات عام ١٩٨٨ . وكان هذا الإزدهار للتيارات الدينية تحديا للقيم الديمقراطية الأساسية القائمة على التسامح والتعددية، وبذلك إصطدمت بأهم قواعد المجتمع الإسرائيلى.

والخلاصة هى أنه بعد توقيع معاهدة السلام مع مصر، مر المجتمع الإسرائيلى فى البداية بعملية استقطاب، ثم بإنقسامات

وإنقسامات فرعية، ثم بعملية تفتت وتشرذم. وفى حين تعمقت الخلافات الرئيسية لم تتشكل تحالفات جديدة، ومن ثم انتقل مجال النشاط من القضايا العامة التى تهم الوطن كله إلى مسائل أقرب للإهتمامات المحلية، ثم إلى مصالح لاتمس غير فئات محدودة. وربما يكون إهتمام المجتمع بالسياسة قد زاد، ولكنه إهتمام يفتقر إلى الإتجاه المترابط، وبالتالى إلى التأثير السياسى.

وزاد الإستقطاب فى العلاقات بين اليهود والعرب داخل إسرائيل بعد عام ١٩٨٧، وقام القطاع العربى الذى كان تهميشه يجرى بصورة منظمة خلال العقد السابق، بتنظيم إضراب عام تأييدا للمقاومة أو الإنتفاضة، وتمسك بمعارضته للسياسة الإسرائيلية - مع إستخدام العنف فى بعض الأحيان. وتفاقم الإنقسام بين المواطنين والعرب فى إسرائيل وبين الأغلبية اليهودية. وربما كان أوضح مثال على ذلك هو ما قرره عبد الوهاب دراوشه، عضو الكنيست عن حزب العمل، من الخروج من الحزب، وفى عشية الإنتخابات عام ١٩٨٨ كان الناخبون من غير اليهود حريصين على الابتعاد سياسيا عن الكتلتين الرئيسيين، ولو عبئت إمكانياتهم الإنتخابية التى تستطيع أن تحصل على ١٤ مقعدا فى الكنيست لكان لها أثر عميق على مجرى السياسة المحلية فى السنوات المقبلة.

وقد عبر المناخ الوطنى بطبيعة الحال عن كثير من هذه التحولات فى جوهر الحياة الاجتماعية وإيقاعها. ففى فترة التفاوض مع مصر كانت السمه المميزه هى الساحه السياسية وتناقصت الرغبة فى المشاركة، وإنتشرت ظاهرة «روش كاتان» «العقل الصغير»

ومؤداها إنعدام الرغبة فى فهم الجدل السياسى، أو التأثير فيه. وكانت كل من النزعة الأصولية والنزعة إلى الجمود شكلا من أشكال الهروب، وقبل ديسمبر ١٩٨٧ كان كل زعيم جكومى وكل حزب سياسى مضطرا لأن يتصدى للبحث عن وسيلة لمحاربة اللامبالاة دون التخلى عن السيطره للفئات الهامشية. ولكن أحداث ذلك الشهر أدت إلى إخراج كثير من الإسرائيليين من لا مبالاتهم، وإن كان هناك ما يدل على أن المسؤولين لم يستجيبوا للأحداث بالسرعة اللازمة وحل مزيج من عدم اليقين والشك والخوف محل رباطة الجأش التى سادت فى السنوات السابقة.

وساعدت مفاوضات السلام التى إقتربت بإضفاء طابع سياسى على الفوارق الاجتماعية فى أواخر السبعينيات، على حفز التغير الاجتماعى الإقتصادى فى إسرائيل.

وقد لوحظ أن مستوى المعيشة ارتفع بصورة ملموسة فى السنوات العشر التالية، لكن العلاقات الإجتماعية لم تستقر خلال تلك الفترة، وزادت الرغبة فى تجنب مناقشة القضايا الاجتماعية. ومن ثم فإن جدول الأعمال العام كان فى ١٩٨٨ أكثر غموضا وإضطرابا عنه فى ١٩٧٨ . وعندما تنظر الآن إلي الوراء لترى تأثير عملية السلام بين مصر وإسرائيل، نجد أنها كانت حافزا للتحول الداخلى.

الفصل الثانى

١ - علاقات إسرائيل الخارجية :

(أ) منذ أن أصدرت الأمم المتحدة فى عام ١٩٤٧ قرارها المؤيد لإنشاء دولة إسرائيل فى العام التالى، بات وجود هذه الدولة وإزدهارها معتمدين دائما، لدرجة ما، على موقفها فى المجال الدولى. ولذا كان للعلاقات الخارجية دورها الأساسى فى سياسة إسرائيل. وقد صحب حرب ١٩٦٧ قطع العلاقات مع الكتلة الشرقية، وتوقف الدعم العسكرى الفرنسى، وتراجع مكانة إسرائيل فى المحافل الدولية. وبعد حرب عام ١٩٧٣ كان الحظر النفطى وما أعقبه من ركود إقتصادى عالمى وقطع معظم بلدان أفريقيا علاقاتها الدبلوماسية بإسرائيل، أصبحت إسرائيل، تعيش على تخوم المجتمع الدولى.

وكان ضعف موقف إسرائيل واضحا فى عشية محادثات كامب دافيد. وأتاح الوصول بالمفاوضات إلى خاتمة ناجحة، الفرصة لإسرائيل لتجديد القدرة على التحرك فى الخارج، ولكن فى نفس اللحظة التى تحسنت فيها الإمكانيات الدبلوماسية، زادت تبعية إسرائيل للولايات المتحدة.

(ب) وقد شهد العقد الذى تلا التصديق على معاهدة السلام مع مصر تحسنا ملحوظا فى الوضع الدولى لإسرائيل. وعندما تم الجلاء عن سيناء أبدت عواصم كثيرة فى أوروبا والعالم الثالث إستعدادها لإعادة تقييم الموقف من إسرائيل. ولولا غزو لبنان، وما أثاره من استهجان دولى شديد لترتب على ذلك الاستعداد لنتائج ملموسة فى وقت مبكر. وعلى أية حال، فإنه مع نهاية عام ١٩٨٣ كانت قد أعيدت العلاقات الدبلوماسية مع زائير وليبيريا، كما بدأت عملية إعادة العلاقات مع بلدان أفريقيا الأخرى. وفى ظل حكومة الوحدة الوطنية نجحت إسرائيل فى إحراز تقدم ملموس فى كل من آسيا وأفريقيا.

ولا شك فى أن هذه التحولات ترجع ايضا إلى التغير فى طبيعة التنافس بين الدولتين العظميين، والتغيرات التى طرأت على محتوى جدول الأعمال العالمى، والنظرة الجديدة إلى محاور النزاع، والعوامل الجيوبوليتيقية فى الشرق الأوسط التى كان لها أثرها على أحداث كامب دافيد. ومع ذلك، كان لعملية السلام دور ملموس فى توسيع نطاق علاقات إسرائيل الخارجية. غير أن سياسة إسرائيل الخارجية ظلت تتميز طوال الجانب الأكبر من السنوات ١٩٨٧ - ١٩٨٨ بأنها ردود أفعال.

(جـ) وقد بينت الآثار السياسية التى ترتبت على كامب دافيد أن النجاح فى فرض ضغوط خارجية على إسرائيل كان يتوقف إلى حد كبير على قبول تلك الضغوط داخليا. والإنقسامات الداخلية قد حالت دون وضع سياسة خارجية منسقة، وأسهمت

فى زيادة تدخل القوى الخارجية فى السياسات الداخلية لإسرائيل، واستخدمت الإشارة إلى العوامل الخارجية لتأييد القرارات السياسية الصعبة «مثال ذلك ما قيل فى عام ١٩٨٧ من أن إيقاف العمل فى مشروع الطائرة لا فى كان سببه إصرار الحكومة الأمريكية على ذلك». كما استخدمت الروابط الخارجية لتعزيز المكانة السياسية فى الداخل.

ومن المهم للغاية أن حجم العزلة الدولية أو القبول لدى المجتمع الدولى أصبحا جزءا جوهريا فى الحوار الأيديولوجى الدائر.

وكان مناحم بيجين من الشخصيات التى عجلت بإدخال العناصر الخارجية فى المجال السياسى الداخلى، عندما عمل على تعبئة يهود الشتات «ولاسيما فى الولايات المتحدة» لمساندة مفاوضات السلام فى البداية، ثم لتأييد عدد من التدابير السياسية «من بينها تطبيق القانون الإسرائيلى على مرتفعات الجولان، وغزو لبنان».

وقد توقف النجاح فى محادثات السلام بين إسرائيل ومصر على الوساطة الإيجابية من جانب الولايات المتحدة. وأكد شكل الاجتماعات وطريقة عقدها مدى الإرتباط الوثيق بين العوامل الداخلية والخارجية فى صياغة السياسة.

وخلال السنوات العشر التى تلت ذلك كانت هناك قيود أيديولوجية وموضوعية ومؤسسية شديدة تفرض نفسها على من يرسمون السياسة الخارجية، بينما بذلت محاولات نشيطة لإجتذاب

الشركاء الخارجيين المحتملين. وما زالت العلاقة بين شكل المفاوضات المقبلة ومصدرها ومحتواها، من الأمور التى يدور حولها النقاش.

٢ ـ مكانة كامب دافيد:

(أ) أصبحت معاهدة السلام بين إسرائيل ومصر جزءا لا يتجزأ من مسار السياسة الإسرائيلية فى السنوات الأخيرة. فقد أثرت المعاهدة على القيم والإهتمامات والأساليب والهياكل وأنماط التعامل السياسى فى إسرائيل.

(ب) وعلى المستوى الموضوعى، هناك إعتراف عام بأن التقارب مع مصر أفضى إلى توسيع الخيارات المتاحة لراسمى السياسة، نتيجة لكسر العزلة التى كانت قائمة بين إسرائيل والدول العربية المجاورة، ولهذا السبب كان لمعاهدة السلام أثر ملموس على جميع جوانب الحياة فى إسرائيل. ولهذا السبب أيضا لايمكن الفصل بين هاتين الإتفاقيتين وبين الإتجاهات السياسية السائدة الآن.

(جـ) وعلى المستوى الإجرائى، كانت أهمية إطار كامب دافيد محلا لجدل مستمر، فما أن جاء أهم المعارضين الداخليين لكامب دافيد إلى السلطة «إسحاق شامير، وموشى أرينز، وآريل شارون» حتى تحولوا إلى مدافعين متحمسين عما تضمنته من أحكام بشأن الحكم الذاتى، إذ رأوا فيها وسيلة للإحتفاظ بالضفة الغربية، ودعوا مرارا إلى تجديد المحادثات المباشرة مع قيام

الولايات المتحدة بدور الوسيط. أما المدافعون عن كامب دافيد «فى شخص شيمون بيريز فى الفترة الأخيرة» فقد سعوا إلى إيجاد صيغ بديلة من أجل تجديد قوة الدفع لعملية السلام، وتمسكوا بإجراء مفاوضات تحت إشراف دولى.

(د) وعلى المستوى التنفيذى، يرى كثير من الإسرائيليين أن إطار المفاوضات التى دارت فى ١٩٨٧ ليس من السوابق التى يلزم الإقتداء بها. فكل المحاولات التى بذلت على نفس النهج، لم تحقق نتائج ملموسة فى السنوات العشر التى أعقبت كامب دافيد. وعندما بدأت التفاصيل المحددة لإحداث ١٩٧٧ - ١٩٧٩ تخبو فى المذاكرة الجماعية لإسرائيل، أخذ السلام مع مصر يتحول بالتدريج إلى فكرة مستقلة عن العملية الجارية، التى يفترض أنها بدأت فى ذلك التاريخ.

(هـ) وعلى المستوى الرمزى، كان للتفاهم بين إسرائيل ومصر تفسيرات متعددة، يختلف أحدها عن الآخر إختلافا نوعيا، تبعا للمعتقدات الأيديولوجية والميول السياسية. ولم يتم التوصل فى إسرائيل إلى اتفاق واضح فى الرأى حول القضايا الأساسية، بعد التصديق على الإتفاقيتين، بل بدأ التخلى عن أسطورة توافق الآراء نفسها. ولما كانت مهمة التصدى للأوضاع الإسرائيلية المتميزة قد تأجلت، فقد تعذر التوصل إلى إتفاق عملى بشأن الأهداف الوطنية.

(و) لقد عقدت إجتماعات كامب دافيد عند منعطف فريد فى التاريخ السياسى لإسرائيل. وقد أمكن داخليا التصديق على الإتفاقيتين لأنهما تمنحان لكل فرد شيئا فيما يتعلق بجميع القضايا الحيوية.

وتتمثل أهمية هاتين الإتفاقيتين لإسرائيل فى أنهما توافقتا مع مطالب السياسة الداخلية فى أواخر السبعينيات. وإن بقاء هاتين الإتفاقيتين وإستمرارهما لهو دليل على أنهما أصبحتا جزءا من نسيج السياسة الإسرائيلية. وقد يتطلب الأمر فى السنوات العشر التالية نوعا أخر من البراعة، يأخذ فى الحسبان التحولات السياسية التى حدثت بالفعل، ويضفى على عملية السلام ديناميكية جديدة.

٣ ـ أهداف إسرائيل من الغزو اللبنانى:

(أ) قام بالتخطيط والتنفيذ للغزو الإسرائيلى للبنان فى يونيو ١٩٨٢ قادة أفادوا من ميزة أن إسرائيل ليس لها أن تخشى هجوما من جانب مصر. وقد شنت إسرائيل الحملة اللبنانية بهدف تحقيق خمسة أهداف أساسية:

- إقامة حزام أمنى بعرض أربعين كيلو مترا على إمتداد الحدود الشمالية لإسرائيل.
- طرد سوريا من لبنان.
- إزالة البنية الأساسية العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية فى جنوب لبنان وفرض عدم الشرعية على وجود قادتها هناك.
- الإطاحة بالحكومة اللبنانية ليقوم مكانها تحالف مسيحى مستعد لتوقيع معاهدة سلام مع إسرائيل.
- تعزيز الهيمنة الإسرائيلية على الضفة الغربية.

وفى البداية كانت ردود الفعل الداخلية للحرب تابعة للمواقف الحزبية، فالمؤيدون قبلوا ما أكدته الحكومة من أن العملية ضرورية،

بينما تشكك فى ذلك المعارضون. لكن السخط على الحرب أخذ يتصاعد بالتدريج.

وتركزت التحفظات، أولا، على خطأ استخدام الوسائل العسكرية لتحقيق أهداف سياسية. وتلا ذلك الإعراب عن الشك فى سلامة التفكير الإستراتيجى الكامن وراء الحملة اللبنانية، إذ كان الطابع الهجومى السافر «لعملية السلام للجليل» مخالفا للمفاهيم الدفاعية التى كانت نقطة إنطلاق العمليات العسكرية السابقة. وأشعل قصف بيروت فى أغسطس ١٩٨٢ ومذابح صابرا وشاتيلا فى سبتمبر، لأول مرة فى تاريخ إسرائيل، جدلا شديدا حول مدى أخلاقية الحرب.

(ب) وعندما حل موعد الانتخابات فى عام ١٩٨٤ كان من الواضح أن الأهداف المعلنة للحرب لم تتحقق. فمنظمة التحرير تشتتت، ولكنها لم تفقد سمعتها، وسوريا إنشغلت، ولكنها لم تضعف ولم تزد عزلتها، وقضية الضفة الغربية وغزة هدأت مؤقتا ولكنها لم تنته، والخريطة السياسية للبنان تغيرت، ولكن بصورة لا تخدم مصالح إسرائيل. وبلغت تكلفة عملية غزو لبنان أكثر من ٦٠٠ قتيل إسرائيلى، وأكثر من خمسة مليارات دولار.

(جـ) وأصبح الخروج من لبنان يتصدر أولويات حكومة الوحدة الوطنية التى تسلمت مقاليد الحكم فى سبتمبر١٩٨٤ . ولم تكد تنقضى تسعة أشهر حتى أجرى رئيس الوزراء «شيمون بيريز» ووزير الدفاع إسحاق رابين إنسحابا من جانب واحد للقوات الإسرائيلية من معظم أنحاء لبنان. وقد حقق الإنسحاب الإسرائيلى السريع مطلب الرأى العام فى الداخل، بدون إزالة

الوجـود العـسكرى الإسـرائيلى من الحـزام الأمنى فى جنوب لبنان، وبدون الإضرار بقدرة إسرائيل الضاربة فى إتجاه الشمال.

وإذا كانت كامب دافيد قد أذكت، بصورة غير مباشرة، الروح العسكرية الإسرائيلية وشجعت على غزو لبنان، فإن هذه الحـرب ونتائجها أدت بدورها إلى أنقاص إحتمالات قيام إسرائيل بمغامرات عسكرية أخرى فى المستقبل القريب.

٤ ـ الحقوق الفلسطينية والحكم الذاتى:

(أ) كان قطع محادثات الحكم الذاتى «التى أوقفها السادات من طرف واحد فى مايو ١٩٨٠ بعد مناقشات مطولة وغيرة مثمرة» بالإضافة إلى ما أعلنه الليكود من الفصل بين عملية السلام وإستمرار الوجود الإسرائيلى فى الضفة الغربية، من العوامل التى مهدت الطريق للتغيير القانونى للوضع فى القدس، والإسراع بعملية الإستيطان الإسرائيلى فى المناطق.

(ب) وارتبطت حرب لبنان بمستقبل الأراضى المحتلة، إذ كان من الأهداف الفرعية للغزو فى شهر يونيو ١٩٨٢ إدامة الحكم الإسرائيلى بفرض الصيغة الضيقة للحكم الذاتى التى رأتها الحكومة على الضفة الغربية، وذلك بعد إضعاف النزعات الوطنية الفلسطينية ولا سيما إضعاف منظمة التحرير الفلسطينية، وبتشجيع إقامة دولة فلسطينية فى الضفة الشرقية للأردن.

(جـ) وأدى إنفجار المقاومة على نطاق واسع فى ديسمبر ١٩٨٧ ضد

الحكم الإسرائيلى فى غزة والضفة الغربية إلى إعادة فتح أبواب المناقشة الداخلية التى كانت قد أغلقت.

واندفع الجمهور وصناع القرار السياسى فى محاولة لإعادة النظر فى الأوضاع القائمة. وإذا كانت كامب دافيد قد دعت إسرائيل للشعور بالأمن، فإن أحداث أواخر ١٩٨٧ بعثت مسألة الأراضى من جديد فى ظل ظروف أقل مواتاه للوصول إلى حل سياسى دبلوماسى.

(د) وأيضا يمكن القول أن كامب دافيد قلصت، لفترة من الزمن وعلى نحو غير مباشر، إحتمالات التوصل إلى حل وسط بالنسبة للأراضى فى الضفة الغربية وغزة.

فهى إذ فكت الاقتران بين السلام والأراضى، شجعت فى الواقع على إقامة المستوطنات الإسرائيلية. وهى إذ تعمدت أن تترك فكرة الحكم الذاتى الفلسطينى مبهمة. سمحت بأن يقوم مختلف القادة الإسرائيليين بوضع صيغ تدريجية للحكم الذاتى التنفيذى لتمييع المطالبة بتقرير المصير. وهى رؤية أعطت الحكومات المتعاقبة شعورا زائفاً بالأمن، رؤية أعمت القادة الإسرائيليين عن ردود الفعل الفلسطينية لنتائج الحكم الإسرائيلى.

والإنتفاضة الفلسطينية ألزمت الإسرائيليين أن يواجهوا أسئلة جديدة. فقد أثير فى الدوائر الرسمية لأول مرة منذ عام ١٩٦٧ إحتمال أن يكون إستمرار الإحتلال عقبة فى سبيل بقاء الدولة. وبدأت القضايا التى يشملها جدول الأعمال الأيديولوجى تتغير، كما

تغيرت لهجة الحوار. والأهم من ذلك أن أصحاب الآراء المتعارضة إضطروا إلى إعادة تقييم مواقفهم. وأصبح من الواضح أن هناك قدرا من السيولة الأيديولوجية لا يقارن بما كان قائما فى العقد السابق.

(هـ) وفى ١٩٨٨ وصلت إسرائيل إلى منعطف حاسم. ولم يعد فى الوسع فصل قضية المحافظة على المؤسسات الديمقراطية للدولة وطابعها اليهودى عن مسألة الإحتلال.

فالإحتفاظ بالضفة الغربية لأمد طويل أحدث بالفعل تغييرا فى التكوين البشرى للدولة وهياكلها السياسية.

وكان من الصعب التمسك بالمبادئ الديمقراطية وبالإعتبارات اليهودية داخل الحدود التى أصبحت عليها الدولة بعد عام ١٩٦٧ .

(و) وقد أكدت أعمال العنف التلقائية التى إنبثقت فى أواخر العقد الأول بعد كامب دافيد، النظرة القائلة بأن التحركات الفلسطينية هى المصدر الأساسى للعدوان على إسرائيل. وترتب على القسوة التى واجه بها الإسرائيليون الإنتفاضة، والتى بلغت فى بعض الأحيان درجة الوحشية، أن تأكدت النظرة إلى الفلسطينيين على أنهم خطر جدى على الأمن، وهو خطر لم يكن يلقى تقديره الصحيح من قبل.

والأهم من ذلك أن هذه الأحداث كانت دليلا على تغيير طبيعة الصراع العربى الإسرائيلى خلال هذه السنوات العشر. ففى الفترة بين ١٩٧٨ ـ ١٩٨٢ كان الصراع يتخذ شكل العمليات العسكرية التقليدية.

أما فى الفترة ١٩٨٢ ـ ١٩٨٧ فقد أصبحت تكتيكات حرب العصابات أوسع إنتشاراً، ثم جاء ديسمبر ١٩٨٧ وتهيأت الظروف المناسبة لإعادة إضفاء الطابع الفلسطينى على الصراع العربى الإسرائيلى، وصحبت ذلك مرحلة جديدة من المقاومة المدنية، والمواجهة الجماهيرية.

وكان هناك وجه آخر لتغيير دلالة المسألة الفلسطينية فى نظرة إسرائيل إلى المعادلة العربية الإسرائيلية، تمثل فى التحركات الديبلوماسية والسياسية. وقد سعى ممثلو إسرائيل فى الخارج، ولا سيما مندوبوها لدى الأمم المتحدة، إلى تفويض شرعية مطالبة الفلسطينيين بتقرير المصير، والتشكيك فى أوراق إعتماد المتحدثين بإسمهم. وفى الوقت ذاته أولت إسرائيل إهتماما خاصا لإبعاد الزعماء المتصلين بالمنظمة عن المراكز المؤثرة فى الضفة الغربية. وترتب على هذا الموقف أن أصبحت القيادة السياسية والعسكرية الإسرائيلية غير مستعدة لرصد الاتجاهات فى الأراض المحتلة وغير مهيأة لمواجهة المقاومة التى انتشرت على نطاق واسع.

(ز) وباتت مشكلة تمثيل الفلسطينيين حجر عثرة فى سبيل إستئناف عملية السلام. وهناك أسباب عديدة لاحجام الإسرائيليين عن التفاوض مع أعضاء الجماعات الوطنية الفلسطينية، لكن هذا الإحجام يعكس أيضا تغيرا فى التوجهات الإستراتيجيه الإسرائيلية فيما يتعلق بالموقف من المنظمات الفلسطينية. وبعد توقيع إتفاقيتى كامب دافيد أصبحت مواقف الإسرائيليين تجاه العرب الفلسطينيين يتم الإفصاح عنها بقدر أكبر من الوضوح

فضلا عن تباينها لتشمل جميع الإتجاهات. ففى أحد الأطراف كانت الإدعاءات العنصرية التى يرددها الحاخام مائير كاهان مؤيدوه الذين ينظرون إلى الفلسطينيين على أنهم نوع أدنى من مرتبة البشر.

وفى الوسط كان هناك كثير من الإسرائيليين الذين يرفضون الإتفاق مع الفلسطينيين كأفراد، وقع ذلك يحاولون أن يميزوا بين منظمة التحرير الفلسطينية والشعب الفلسطينى، ثم هناك مواقف أكثر تطوراً من جانب كثيرين من مؤيدى الصهيونية العالمية الذين يسلمون بفكرة وجود شعب فلسطينى.

وأخيرا كانت هناك الصيحات التى صدرت عن مجموعة ضئيلة من اليسار الذى أعرب عن عطفه على محنة الفلسطينيين.

وبقدر ما أدت أحداث الفترة الأخيرة من ١٩٨٧ إلى إلزام الإسرائيليين بإعادة النظر فى هذه المواقف. فإنها أيضا أثرت فى نظرة الإسرائيليين إلى أنفسهم.

وبعد عام ١٩٧٨ إزداد الإدراك بأنه لا بد من مواجهة المسألة الفلسطينية إذا أراد الإسرائيليون أن يصلوا إلى إتفاق فيما بينهم. وهناك إدراك هو ما يفسر التوسع فى الإتصالات غير الرسمية بين بعض سكان إسرائيل ونظرائهم فى الضفة الغربية، وبين الإسرائيليين والفلسطينيين فى الخارج. «بما فى ذلك الممثلون الرسميون لمنظمة التحرير الفلسطينية.

القسم الثامن

نظرة إسرائيل للسلام

الفصل الأول
المفاجأة واختلاف الرؤى
الفصل الثانى
التصور حول الحكم الذاتى
الفصل الثالث
التطبيع
الفصل الرابع
الأزمة اللبنانية
الفصل الخامس
مبادرات دفع السلام

المفاجأة واختلاف الرؤى

١ ـ مفاجأة السلام:

(أ) كان السلام مفاجأة لإسرائيل، فقد اعتبر معظم الإسرائيليين مبادرة السادات وما أعقبها من اتفاق للسلام انقاذا حقيقيا من عند الله. بسبب رفض العرب الإعتراف بشرعية وجود الدولة الإسرائيلية، ثم عمق الجرح الذى شعرت به الدول العربية فى عام ١٩٤٨ والذى ارتبط بذكريات عديدة فى التاريخ العربى والإسلامى، بالإضافة إلى جرح يونيو ١٩٦٧ العميق.

ولذا فإن ما أقدم عليه أنور السادات من «اجتياز الحاجز النفسى» وظهوره المسرحى أمام الكنيست فى فبريار ١٩٧٧ كان بمثابة نشاز فكرى لدى العقل الإسرائيلى، إذ أصبحت السياسة على حين غرة فن المستحيل.

وعندما هدأت الفورة الأولى كان موقف إسرائيل يتميز بشعور عميق بالشك المعذب للنفس . فالجرح الذى نجم عن الهجوم المصرى المفاجئ فى أكتوبر ١٩٧٣ كان لا يزال حيا، هذا فضلا عن

أن السادات فى نظر كثير من الإسرائيليين هو أولا وقبل كل شئ أستاذ فى فن الخداع.

(ب) وكان لهذا الحذر الشديد أثره فى الطريقة التى أدار بها الإسرائيليون مفاوضات السلام. وكان يثير قلقهم أنهم يدركون أن المتوقع من إسرائيل أن تتخلى عن أصول محددة وملموسة فى مقابل علاقة سلمية غير محددة، ولم يؤد النجاح فى إبرام اتفاقيتى كامب دافيد فى سبتمبر ١٩٧٨ وتوقيع المعاهدة الثنائية فى مارس ١٩٧٩، إلى تبديد تلك المخاوف. إذ كانت إسرائيل ترى أن الالتزم بالجلاء عن سيناء مخاطرة محسوبة محفوفة بالشكوك.

فلم يكن لدى الإسرائيليين من سبيل يجعلهم يطمئنون تماما إلى أن اتفاق السلام لم يتم مع السادات وحده، وأن هذا الأتفاق سيصمد فى حالة تغيير القيادة فى مصر. وضاعف من هذا الشك بطبيعة الحال الشعور الصادق بالخسارة نتيجة للألتزام بإعادة سيناء، وأن ذلك سيحرم اسرائيل من مجال المناورة العسكرية، ومن سلاح فى يدها فى مواجهة جيرانها فى الجنوب، ومن حقول نفط غنية ومناطق بها إمكانيات كبيرة للتنمية، ومن الأستثمارات الضخمة التى انفقت فى إنشاء المستوطنات والمطارات وغيرها من المرافق.

ولم تؤكد السنوات التالية شيئا من تلك المخاوف. ولم يؤثر اغتيال السادات وتولى حسنى مبارك مقاليد السلطة على معاهدة السلام. كما أنها لم تتأثر بإتمام الإنسحاب من سيناء. ولم يرضخ المصريون فى سعيهم لإعادة العلاقات مع الدول العربية لأى

محاولة لفرض الرأى عليهم فيما يتعلق بسياستهم فى النزاع مع إسرائيل. وعندما توارت ذكرى المشاهد المحزنة للجلاء ولم يتحقق شيء مما خشية المتشائمون، لم يجد حتى بعض أشد المعارضين لكامب دافيد مفرا من الأعتراف بأن إسرائيل كسبت من ورائها. وتمثلت هذه المكاسب على أصعدة مختلفة.

٢ - أهم نتائج كامب ديفيد.

(أ) كان أهم نتائج كامب دافيد بالنسبة لاسرائيل هو إزالة خطر العمليات الحربية عن حدودها الجنوبية، وبذلك تحررت أجهزتها الأستراتيجية من عبء الأستعداد الدائم لحالة نشوب الحرب فى جبهتين. ومن الصحيح أن إسرائيل لم تتحرر نهائيا من هذا الخطر، وكان على القائمين بالتخطيط أن يدخلوا فى أعتبارهم احتمال أن ينهار نظام السلام، أو نظام الحكم الذى دافع عنه. ومع ذلك فإن التحسن الأساسى فى وضع إسرائيل الأستراتيجى لا يمكن أن ينكر. والحقيقة المؤكدة أنه خلال عشر سنوات من كامب دافيد لم تشهد الحدود الإسرائيلية المصرية أى أضطراب، وهى أطول فترة هدوء متصلة منذ بداية النزاع العربى الإسرائيلى.

(ب) كما أن كامب دافيد عززت العلاقة الخاصة بين إسرائيل والولايات المتحدة، ورغم أنها لم تكن السبب الوحيد فى هذا التطور، فمن المؤكد أن العقد الذى أنقضى منذ إبرامها شهد تعاونا وثيقا بين البلدين، لم يسبق له مثيل فى المجالين السياسى والأستراتيجى، كما شهد مستوى لم يسبق من قبل فى المعونة الأقتصادية الأمريكية لإسرائيل.

(جـ) وأخيرا فإن السلام مع مصر أرسى سابقة تاريخية أدت بشكل ما إلى تغيير أوضاع الصراع العربى الإسرائيلى برمتها.. وهذه النتيجة هى أقل نتائج كامب دافيد واقعية، وإن كان لا يمكن أن يبالغ فى أهميتها. إن السلام الذى عقده السادات مع اسرائيل حطم الكثير من المحرمات العربية، بحيث لم يعد ممكنا العودة إلى الرفض المطلق الذى كان سائدا فيما مضى.

(د) ومع ذلك.. ورغم التغير الذى حدث فى موقف إسرائيل وفى نظرتها، لم يتحقق التحول الفكرى الشامل الذى توقع بعض المراقبين والمشاركين أن يحدث فى موقف إسرئيل الأساسى تجاه العرب. ولم يكن من الصعب تفسير جانب من هذه الأستجابة المتحفظة. فبينما كان المصريون مطمئنين إلى أن الأتفاق مع إسرائيل سيسمح لهم بالتحول الكامل من الأعمال العدائية إلى حالة السلام، كان الإسرائيليون يعرفون أنه لابد لهم من الأستمرار فى مواجهة الواقع القاسى للصراع مع البلدان العربية الأخرى. ولذا آثروا أنْ ينظروا إلى عملية السلام على ضوء الصراع الشامل مع العرب، بدلا من أن ينظروا إلى الصراع على ضوء السلام مع مصر.

(هـ) وكان هناك بغير شك استعداد كبير لتقديم تنازلات حتى تتحقق الإمكانات الكامنة لعملية السلام، ولكن لم يحدث تغير هيكلى فى المواقف الإسرائيلية الأساسية.

٣ ـ الأختلاف بين العمل والليكود:

(أ) خلال العقد الذى تلا كامب دافيد، كان استمرار ـ أو تعزيز ـ الأستقطاب الأساسى فى نظرة إسرائيل إلى العلاقات مع العرب هو أهم العناصر التى شكلت موقف إسرائيل تجاه عملية السلام. وخاصة موقف العمل وموقف الليكود المختلفين. والواقع أن الخلاف قد اشتد منذ عام ١٩٦٧، عندما أصبح مستقبل الأراضى المحتلة هو القضية الأساسية فى إسرائيل، وكان قائما بصور مختلفة داخل الحركة الصهيونية منذ نهاية القرن الماضى. ولكن قبل عام ١٩٧٧ كان الخلاف نظريا فى معظمه، لأن معسكر حزب العمل كان يسيطر على المسرح سيطرة تامة، ولم يكن للتحدى المتمثل فيما يسمى بمعسكر التصحيحيين أو المعسكر (الوطنى) تأثير يذكر على السياسة العملية إلا بعد أن حكمت كتلة الليكود عام ١٩٧٧ .

(ب) ولكن حتى إذا لم يكن هناك استقطاب فكرى كامل، فإن انقسام المشتغلين بالسياسة فى إسرائيل إلى مدرستين كان أمرا بالغ الأهمية، بل ربما كان هو أهم عنصر منفرد يؤثر فى سياسة إسرائيل الخارجية، وقد أدى التوزان بينهما إلى خلق حالة من الاعتماد المتبادل القلق.

(جـ) ولما كانت هناك عملية مماثلة للتشدد فى التفسير من الجانب المصرى فى الوقت ذاته، بدا أن محادثات الأستقلال الذاتى مقضى عليها بالفشل منذ البداية. وقد عقدت اللجنة أكثر من ١٢ إجتماعا حتى نهاية عام ١٩٨١ دون أن تصل إلى إتفاق

شامل. فالخلافات التى لم يتم التوصل إلى تسوية حقيقية لها فى كامب دافيد عادت إلى الظهور فى هذه المحادثات بجلاء أكبر. ولم يكن بالإمكان التوصل إلى إتفاق بشأن قضايا أساسية مثل طبيعة مجلس الحكم الذاتى، أو مصدر سلطته، أو حجمه، أو صلاحيته، أو شموله لسكان القدس الشرقية، أو دور الوجود العسكرى الإسرائيلى.

٤- رؤية الليكود

(أ) ترى الكتلة الأولى، وأبرز المعبرين عنها هو «مناحم بيجين»، أن الرسالة التاريخية لهذا الجيل هى المحافظة على سلامة أراضى إسرائيل الكبرى من أجل الشعب اليهودى، وأن السلام مع مصر لا يجوز أن يتعارض مع هذا الهدف. واستلزم تحقيق هذا السلام تقديم تنازلات كبيرة، ولكن الليكود لم يكن ليقبله لو أنه فرض أية قيود على إقامة المستوطنات أو أعترف بحقوق وطنية جماعية للسكان العرب فى يهودا أو السامرة وغزة، أو حال دون المطالبة فيما بعد بضم هذه الأراضى إلى دولة إسرائيل.

لقد كان السلام مع مصر عن المعسكر العربى المتمسك بالحرب، وأطلق يد إسرائيل للتركيز على إقامة إسرائيل الكبرى، وكان أيضا خطوة هامة فى الطريق إلى السلام، وهو الطريق الذى ستستمر اسرائيل على السير فيه مادام لا يشكل خطر يهدد سيطرتها على الأراضى برمتها. ولن يكون اتفاق سيناء نموذجا لاتفاقات تعقد مع الدول العربية الأخرى، وأن السعى إلى السلام فى المستقبل سيوضع على أساس يختلف عن مبدأ «الأرض مقابل السلام».

والأرجح أن المصريين الذين يشعرون نحو القضية الفلسطينية بالتزام غير عميق سوف يسلمون بهذا الواقع.

(ب) فقد ظهرت هذه الخلافات لأول مرة في المرحلة الأخيرة للعصر العثماني، عندما تصادمت المفاهيم الثورية للحركة العمالية، وهي التيار الذي خرج منه حزب العمل، مع نظرة المزارعين في المستعمرات الصهيونية الأولى، كان التيار الأول يناضل من أجل ما أسماه «انتصار العمال» والسعي إلى إقامة الصهيونية بانشاء مجتمع جديد يعتمد على رؤية اشتراكية طوبوية، بينما كان التيار الآخر يركز اهتمامه على حل وطني سياسي يضمن إطار مخطط دولي واسع.

لكن هذا الاستقطاب لم يصل إلى ذروته إلا في فترة الانتداب، عندما أنسحب «زئيف فلاديمير جابوتنسكي» من المنظمة الصهيونية، وأسس حركة التصحيحيين (وهو الفريق الذي خرج منه حزب بيجين). وكان التصحيحيون يستلهمون النزعات الوطنية الأوربية ذات الطابع الرومانسي والقائمة على الدعوة إلى الوحدة (وكان نموذجها الأساسي هو ايطاليا في القرن التاسع عشر).

ولما كان هذا الفريق يدعو الشعب اليهودي إلى موقف انعزالي متمركز على الذات، فقد بنى أساطيره الوطنية على أفكار التضحية، والوحدة العضوية والعظمة والغلبة. وجعلوا من إنشاء الدولة الهدف الأسبق والأوضح بالقياس إلى معظم الأتجاهات الصهيونية الأخرى، ساعين إلى السيادة والهيمنة على إسرائيل التاريخية على ضفتي نهر الأردن، وأستهدف التصحيحيون تحقيق ذلك بالقوة العسكرية التي

لابد من الاعداد لها، لا كخيار هادىء بل كعمل من أعمال تأكيد الذات. وأكدوا أن الصهيونية لا يمكن واقعيا أن تتحقق عن طريق التعاون مع العرب، أو الوصول معهم إلى حلول وسط.

(جـ) رغم تشبث كتلة الليكود بمعتقداتها الأيديولوجية، فإن حملاتها السياسية لا تعتمد على تلك المعتقدات، إذ تضمُ قيادة الليكود وأعضاؤه الكثيرين من ذوى الفكر الواقعى والمواقف العملية، ممن يدركون أن قيام إسرائيل التاريخية ليس مجرد خيار أيديولوجى، وإنما هى مسألة تتعلق بالسياسة الواقعية والفهم السليم.

غير أن الليكود كان على قمة السلطة فى المراحل الحاسمة عند وضع اتفاقية السلام، وبذا كان من مفارقات التاريخ أن مهمة أقتراح حل لمشكلة الفلسطينيين والضفة الغربية، على أن يكون حلا مقبولا لدى الجانب العربى، وقعت على عاتق ذلك الفريق من الساسة الاسرائيليين الذى التزم التزاما تاما بمبدأ الأحتفاظ بأرض إسرائيل الكبرى برمتها. وقد وضع بيجين خطة الحكم الذاتى فى أواخر عام ١٩٧٧ فى محاولة للخروج من هذا الموقف المتناقض.

٥ - رؤية حزب العمل

(أ) أما الكتلة الثانية، وخير من مثلها فى ذلك العقد هو «شيمون بيريز»، فترى أن الهدف الذى يأتى قبل أى هدف سواه هو رؤية إسرائيل اليهودية والديمقراطية والقوية والمتصالحة مع جيرانها العرب والمقبولة لدى العالم المستنير. وأن لاتفاقيتى

كامب دافيد أهميتهما فى حد ذاتهما، وكذلك بوصفهما خطوة أولى فى عملية السلام، وأن الخطوة التالية يجب أن تتخذ مع شريك أردنى فلسطينى. ومع التسليم بأن للشعب اليهودى حقوقا تاريخية فى جميع أراضيه العريقة، فلابد لإسرائيل من تقديم حلول وسط بشأن الأراضى، وأن تتخلى عن المناطق التى يقطنها العرب بأعداد كبيرة. وربما كان من الخطأ عدم التمسك بنوع من الحل الوسط فيما يتعلق بالأراضى فى سيناء أيضا، فى مقابل وضع أكثر ملاءمة بشأن قضيتى الضفة الغربية وغزة. فأمن إسرائيل هو الأعتبار الأسمى. ويقول مؤيدو هذه المدرسة إن عدم الوصول إلى تسوية أكثر شمولا ربما يؤدى إلى إنهيار على الجبهة الشرقية، بل وقد يؤدى أيضا إلى إضعاف السلام القائم مع مصر.

(ب) وعلى خلاف ذلك كانت الرؤية الوطنية العسكرية لحزب العمل (وهو القوة الأساسية فى الحركة الصهيونية فى ذلك الحين، وكان قائده المبرز ديفيد بن جوريون) متأثرة بنظرة أكثر شمولا تمثلت فى الاشتراكية الروسية واشتراكية أوروبا الشرقية فى أطوارها المبكرة. وكانت هذه الحركة تمجد قمة العمل والأرض، وجهود الرواد، والمساواة الأجتماعية والأحياء الثقافى.

وفيما يتعلق بإنشاء المجتمع الجديد فى فلسطين باعتباره الوسيلة الوحيدة لإقامة أمة، ركزوا جهودهم على بناء المؤسسات، والمستوطنات، وعلى التنمية الاقتصادية. ودعا فريق كبيرمن معسكر حزب العمل الصهيونى إلى التضامن والتعاون مع الطبقة العاملة العربية الفلسطينية. ومن بين النماذج المختلفة للحلول القائمة على

الحل الوسط تم فى نهاية الأمر اعتماد فكرة التقسيم ، باعتبارها اختيارا لأقل الأضرار وخضوعا للقيود الموضوعية التى لا سبيل إلى تغييرها. وعندما تعرض بن جوريون للهجوم من جانب معارضيه لعدم محاولته احتلال جميع الأراضى فى عام ١٩٤٨، ردّ فى الكنيست بأن ذلك لم يكن فى الوسع تحقيقه إلا عن طريق مذابح من طراز مذبحة دير ياسين وطرد السكان بالجملة، أو بالتخلى عن الديمقراطية وعن الطابع اليهودى للدولة، وأنه «لا يمكن فى الواقع تصور دولة يهودية فى مجموع أراضى إسرائيل التاريخية، أو حتى فى الجزء الغربى منها بدون دير ياسين.

(جـ) وكانت المعتقدات الأيديولوجية لحزب العمل أكثر مرونة وأقل تشددا، وأعترف كثير من المتحدثين باسم الحزب بأنهم كانوا يفضلون أن تمتد حدود إسرائيل حتى نهر الأردن، لكن الواقع الديموغرافى والسياسى يجعل من ذلك أمراً غير عملى، إذ ستنشأ عنه ثنائية وطنية يصعب تحملها، أو ينشأ عنه نظام للعزل العنصرى يؤدى إلى عزلة إسرائيل دوليا وأزدياد حدة النزاع مع العرب. وحتى هذا البرنامج القائم على حل وسط ضيق النظرة لم يكن يلقى تأييدا صادقا داخل حزب العمل، وكان كثير من أعضائه يراقبون بقلق شديد محاولة «بيريز» توسيع نطاق السلام مع مصر ليشمل المنطقة الأردنية الفلسطينية.

التصور حول الحكم الذاتى

١ - فكرة الحكم الذاتى:

لم يكن مفهوم الحكم الذاتى جديدا تماما، إذ سبق أن ظهر فى كتابات التصحيحيين، ولا سيما فى الفكر السياسى لجابوتنسكى. كما أن هذا المفهوم كان منتشرا فى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الأولى والتى يبدو أنها شكلت كثيرا من الأفكار الأساسية لبيجين وهى الفترة التى قامت فيها بلدان أوروبا الشرقية، مثل أوكرانيا ولتوانيا واستونيا وبولندا، بتجارب فى الحكم الذاتى للأقليات المقيمة بها. وقد نوقشت فى فلسطين - خلال فترة الانتداب - خطط متعددة للحكم الذاتى، لكل من اليهود والعرب ولا بد أن خطة كامب دافيد للحكم الذاتى تأثرت أيضا بالاستراتيجية التى وضعها ديان للضفة الغربية، والتى تهدف إلى بقائها تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة مع السماح لقاطنيها بإدارة شئونهم الخاصة، والأحتفاظ بروابطهم مع الأردن.

٢ - نظرة الليكود:

(أ) قدم بيجين خطته عن الحكم الذاتى وكانت هذه الخطة فى النهاية هى أساس «إطار» التسوية المقترحة لمشكلة الضفة الغربية وغزة فى اتفاقيتى كامب دافيد.

وأفاد الأتفاق الخاص بمفهوم الأستقلال الذاتى على نحو ما فى تلافى المعضلة، وذلك بإرجاء القرار المتعلق بالوضع النهائى لتلك الأراضى حتى نهاية فترة السنوات الخمس من الحكم الذاتى، مع الأحتفاظ بحق كل جانب فى تقديم مطالبه فى المفاوضات التى تؤدى إلى اتخاذ ذلك القرار. وتضمن الأتفاق وعدا للسكان العرب فى تلك الفترة الانتقالية «بالحكم الذاتى الكامل»، والحق فى انتخاب «سلطات الحكم الذاتى» وأشتراك ممثليهم المنتخبين فى المفاوضات الرامية إلى تحديد مستقبلهم، وإنسحاب الحكومة العسكرية الإسرائيلية والإدارة المدنية التابعة لها، وتركيز القوات الإسرائيلية فى «مواقع أمنية محددة». وتقرر أن يكون للأردن ومصر دور فى المفاوضات المتعلقة بكل من ترتيبات الاستقلال الذاتى، والوضع النهائى للمناطق.

(ب) وتمكن بيجين من تقديم هذه التنازلات رغم الانتقاد الشديد، حتى من داخل حزبه، لأنه كان يستطيع أن يقول إن هذه التنازلات لاتتخطى الخط الأحمر للحزب. ومن الناحية العملية، فإن الاتفاق ترك السيطرة الاستراتيجية على المنطقة فى يد إسرائيل، ولم يفرض قيودا على إنشاء المستوطنات اليهودية، بل لم ترد كلمة القدس فى نص الاتفاق. وبقى الخيار مفتوحا للمطالبة بضم الأراضى فى المستقبل، أو على الأقل امتداد ترتيبات الحكم الذاتى لمدة أطول من الفترة الانتقالية. وحرص بيجين على أن يبين بطريقة عملية، فى أعقاب كامب دافيد، وغير عابئ بإحتجاجات كارتر، أن إنشاء المستوطنات مستمر بشكل مؤكد.

بل إن التنازلات اللفظية المتضمنة فى الأعتراف «بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى» وحل «المشكلة الفلسطينية من جميع جوانبها» وهى بادرة ليست قليلة الأهمية بالنسبة لقائد ولحركة كانت تعلق دائما أهمية كبيرة على الكلمات والرموز- فقدت كثيرا من مغزاها عندما قدم بيجين توضيحا «سلم به الرئيس كارتر» مؤداه أن كل استخدام لعبارة «الشعب الفلسطينى» يقصد بها «العرب الفلسطينون» وباللغة العبرية «عرب إسرائيل الكبرى» وعلى خلاف تعاليم جابوتنسكى الذى سلم بالهوية الوطنية الجماعية للسكان العرب، لم يقبل بيجين الفكرة القائلة بأن للجماعات الفلسطينية ولحقوقها السياسية بعدا وطنيا. وكان المبدأ الذى تمسك به أن الحكم الذاتى (أو على الأصح الإدارة الذاتية) لن تمنح لأراضى يهودا والسامرة وغزة، بل ستمنح فقط لسكانها العرب.

(جـ) وما أن تم التوقيع على معاهدة السلام حتى أصبح بيجين أقرب إلى موقف مجموعة الصقور فى مجلس الوزراء. وفى مايو ١٩٧٩ تبنى بيجين توصيات هذه المجموعة وأعطى تفسيرا ضيقا للحكم الذاتى، وتفسيرا واسعا لسلطات أداة السيطرة الإسرائيلية ولامتيازات المستوطنين اليهود. وأعرب بوضوح عن عزمه على أن يطلب فى نهاية الفترة الانتقالية سيادة إسرائيل على المناطق بكاملها. وكانت لدى الوفد الإسرائيلى فى محادثات الاستقلال الذاتى التى بدأت المفاوضات بشأنها فى ذلك الشهر تعليمات بهذا المعنى، مما أدى فيما بعد إلى إستقالة موشى ديان وعزرا وايزمان من مجلس الوزراء.

٣ ـ نظرة حزب العمل:

(أ) هاجمت كتلة حزب العمل مفهوم الاستقلال الذاتى، «من اليمين واليسار فيه على السواء». فقد حذر ممثلو جناحه المتشدد من أن اتفاقيتى كامب دافيد هما بمثابة «وعد بلفور» للفلسطينيين، وأنهما تخلقان تيارا يؤدى حتما إلى ظهور دولة فلسطينية ذات سيادة ، وهو أمر يعارضه حزب العمل معارضة رسمية. وقال الجناح الأقرب إلى الحمائم إن الاستقلال الذاتى لا يعدو أن يكون لعباً بالألفاظ، لا تستطيع عباراته المبهمة أن تخفى عدم شموله لحل ملموس لمشكلة المناطق وسكانها الفلسطينيين، وأنه ليس لها من غرض غير استمرار الإحتلال.

(ب) وبقيت الأغلبية فى معسكر حزب العمل متمسكة بمفهوم الحل الوسط فيما يتعلق بالأراضى، وأيدت بصورة أو أخرى خطة آلون التى تهدف إلى ضمان المصالح الاستراتيجية الحيوية لإسرائيل بدون فرض حكمها على التركيزات الكبيرة من السكان الفلسطينيين. وكان التناقض واضحا بين هذا المفهوم، ومفهوم الاستقلال الذاتى.

ولكن لما كانت اتفاقيتا كامب دافيد هما الآن الأساس الوحيد لعملية السلام التى وافقت عليها الدولتان، ولم يتقرر الأستقلال الذاتى إلا كترتيب انتقالى، فقد كان الاتجاه فى حزب العمل هو قبول الاتفاقيتين على الرغم مما فيهما من غموض.

(جـ) وكان هذا التوجه بالذات هو ما يخشاه قادة الليكود. فرغم تأكيدات بيجين، لم يكن هناك مفر من إدراك أن الاستقلال

الذاتى يمكن أن يفتح الباب أمام عمليات ليس لإسرائيل عليها سيطرة تذكر. وأنه يدق إسفينا بين إسرائيل والأراضى، وأنه أدى عمليا إلى استبعاد خيار ضمها إلى إسرائيل. وبأفتراض أن بيجين لم يتخل عن التزامه بإسرائيل الكبرى، لم يكن فى وسعه أن يعتمد إلا على أحد تصورين ممكنين: أحداهما وضع تفسير ضيق لشروط الاستقلال الذاتى يؤدى إلى تجميد الأوضاع الراهنة واستمرار السيطرة الإسرائيلية، ثم ضم المناطق على مهل. وقد تطورت الأحداث التالية فى هذين الاتجاهين معا.

التطبيع :

١ - مفهوم التطبيع :

(أ) بينما شعر المصريون بخيبة أمل لأن نظام كامب دافيد لم يؤد إلى حل مشكلة الضفة الغربية وغزة، بالإضافة إلى استيائهم من السياسات الإسرائيلية التى تريد أن تفرض عليهم صلحا منفرداً يسبب لهم حرجا سياسيا، شعر الإسرائيليون أيضا بخيبة أمل لطبيعة العلاقة الثنائية بين البلدين. وبدأ كثير من الإسرائيليين يتشككون فى أن المسلك المصرى لا يصدر عن استعداد حقيقى للوصول إلى مصالحة كاملة مع إسرائيل، ولتنفيذ اتفاقات التطبيع بنية حسنة.

وربما كان مفهوم «التطبيع» على النحو الذى فهم به فى السياق الإسرائيلى المصرى، شيئا فريدا فى العلاقات الدولية. وقد نبع هذا المفهوم من إدراك الإسرائيليين أن نزاعهم مع العرب، على غير الحال فى النزاعات الدولية الأخرى، إنما يتعلق بحق دولتهم فى الوجود. ولما كان المنتظر من الإسرائيليين هو تقديم تنازلات ملموسة تتمثل فى الأراضى. الأمر الذى ينطوى على مخاطر أمنية كبيرة،

فقد كانوا يريدون أن يطمئنوا إلى أنهم سوف يأخذون فى مقابل ما يعطون. وعلى ذلك كان المقصود بالتطبيع أن يكون تجسيدا ملموسا للمعاملة بالمثل من جانب مصر.

(ب) وكان من المتوقع أن تؤدى عملية التطبيع إلى إيقاف الدعايات المعادية، والتعاليم الأيديولوجية التى أذكت النزاع. وكان المأمول أن يؤدى الأخذ بهذه السياسة، ولا سيما فتح باب تبادل المعلومات إلى إحداث تغيير كبير فى الصورة والمواقف المتبادلة، بحيث يتضاءل الميل للعودة إلى حالة الحرب. وكان المتوقع قبل كل شئ أن تؤدى اتفاقات التطبيع إلى إيجاد شبكة واسعة من المعاملات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية تضفى على العلاقات «طابعا إنسانيا»، وتجعل العودة إلى الأعمال العدائية أقل إحتمالا.

وعلى خلاف ما رآه منتقدو العملية من المصريين، الذين رأوا فى التطبيع محاولة من جانب إسرائيل لفرض الأمبريالية الإقتصادية والغزو الثقافى، لم يبد الإسرائيليون اهتماما يذكر لما قد يتحقق من مكاسب مادية من هذه العملية: فقد كانت بالنسبة إليهم فى المقام الأول اختبارا لا غنى عنه، مهما يكن ضعفه، نظرا لعدم وجود وسيلة غيره، تبين مدى الاستعداد لما كانت «جولدا مائير» تسمية «السلام الحقيقى».

(جـ) وعندما بدأت الإتصالات السلمية المباشرة مع مصر على مستوى الحياة اليومية، وصلت حقيقة السلام إلى أذهان الإسرائيليين بشكل أقرب مما وصلت إليها عن طريق التحولات

السياسية والاستراتيجية التى هى تحولات أكثر أهمية، ولكنها ليست محسوسة بنفس الدرجة. وكان فتح الحدود بين البلدين تجربة مثيرة. وخاصة لمجتمع يعيش من ثلاثين عاما فى حالة أشبه بالحصار. وبدت اللقاءات الأولى بالمصريين طيبة إلى حد يثير الدهشة، وأحدثت تغييرا فوريا فى الصورة التى كونها الإسرائيليون عنهم، وهى صورة مأخوذة إلى حد كبير من مشهد الجماهير الهستيرية وهى تهتف أثناء خطب جمال عبد الناصر النارية. ورأى الإسرائيليون المصريين الآن فى صورة شعب ودود كريم وطيب المعشر يتحمل مشاق الحياة اليومية بصبر يدعو للإعجاب وحس فكاهى آسر غير أن التطبيع لم يذهب إلى مدى بعيد. فقد تطور بالتدريج قرب انتهاء الإنسحاب من سيناء، ولمدة أسابيع قليلة بعده، ثم تعرض لنكسة شديدة بعد نشوب الحرب فى لبنان، واستقر بعد ذلك عند حالة ثابتة تقريبا.

(د) وكانت النقاط الإيجابية الرئيسية لعملية التطبيع حتى الآن هى افتتاح السفارتين والمكاتب القنصلية، وتبادل الزيارات من جانب كبار الساسة والمسئولين، وبيع النفط المصرى لإسرائيل، والتجارة فى المنتجات النفطية، وحجم متواضع للتجارة العامة (معظمها فى السلع الزراعية) واستخدام السفن الإسرائيلية لقناة السويس (والموانى المصرية)، ورحلات منتظمة للطيران التجارى. وحجم كبير للسياحة الإسرائيلية فى مصر، والإتصالات السلكية واللاسلكية، ونشاط المركز الأكاديمى الإسرائيلى فى القاهرة.

٢ ـ السلام البارد:

(أ) كانت سياسة القاهرة منذ البداية أن تستخدم التطبيع أداة فى المساومة مع إسرائيل، وأن تبقى العملية خاضعة للسيطرة الكاملة للوكالات الحكومية، ومع ذلك سمحت القاهرة فى الفترة السابقة على حرب لبنان بالتعامل فى مجال أوسع. وكان من تلك الأنشطة تبادل مجموعات الشباب فى المعسكرات الصيفية، وتبادل الفرق الموسيقية الزائرة والمعارض الفنية، وعدد من المشروعات المشتركة للبحث العلمى، وتبادل البرامج التليفزيونية، ومراجعة الكتب الدراسية لاستبعاد العبارات المعادية، وإجراء دراسات تمهيدية لمشروعات زراعية إلا أن هذه العلاقات توقفت منذ يونيو ١٩٨٢ .

(ب) وأيا كان الحال، فقد اتخذت العلاقات الثنائية الشكل الذى وصفه «بطرس بطرس غالى» بأنه «سلام بارد». وهو تعبير يعنى حالة يسود فيها الركود فى عملية السلام، ويكون فيها مستوى المعاملات العادية محددا عمدا، كرد فعل للسياسات والتحركات الإسرائيلية. وفسر بعض المصريين، وخاصة من ينتقدون عملية السلام، عدم تحقيق تقدم فى مجال التطبيع بقولهم إنه لا يمكن أن تنشأ أصلا علاقات طبيعية مع إسرائيل، أو على حد تعبيرهم أن «تفرضها» إسرائيل على الأقل فى المرحلة الحاضرة.

أما المصريون فى الدوائر الحكومية فقد حاولوا أن يفسروا هذا الركود بأن يعزوه إلى عوامل لاتتصل من قريب أو بعيد بالعلاقة الثنائية. ولكنهم كانوا يقولون بصراحة فى بعض الأحيان إن تجميد

العلاقات هو رد فعل متعمد للسياسات والتصرفات الإسرائيلية التى تتعارض مع الفهم المصرى لاتفاق السلام. ويقدم المصريون فى هذا الصدد قائمة طويلة من الشكاوى، تشمل توقف محادثات الحكم الذاتى، وضم الجولان والقدس، واستمرار إنشاء المستوطنات، ومعاملة الفلسطينيين، والتمسك بطابا، والوقوف مع أثيوبيا ضد الأقباط فى النزاع على دير السلطان، والعمليات العسكرية ضد أهداف فى البلدان العربية، والأهم من ذلك الحرب فى لبنان، التى نتجت عنها أشد التدابير مناهضة للتطبيع.

(جـ) وكان لهذه التدابير تأثير قوى على الإسرائيليين. ويبدو أن كثيرين منهم لم يقدروا شدة غضب المصريين لبعض المسائل التى يشكون منها، كما تشككوا فى صحة بعضها الآخر. لكن الجمهور الإسرائيلى بوجه عام لم ير أن مصادر شكوى المصريين تبرر إتخاذ تدابير يعتبرها إنتهاكا سافرا لمعاهدة السلام.

٣ ـ نظرة اللكيود:

وكانت نظرة معسكر الليكود إلى المشكلة أكثر برودا. فهو إذ يدرك أن موقفه من يهودا والسامرة وغزة لا يتفق مع موقف مصر، وكان يرى أنه من الطبيعى أن يحدث بين البلدين قدر من الإحتكاك. والمهم فى رأى هذا الفريق أن مصر خرجت من معسكر الحرب العربى. ويذكر مؤيدو هذا الإتجاه عادة أنه يجب على مصر أن تتعود على قبول تصرفات إسرائيلية معينة حتى إذا لم تكن على هواها ـ وهم يصفون هذه التصرفات أحيانا بأنها «إختبار» يجب أن تجتازه القاهرة لبيان مدى التزامها بالمعاهدة. ويقول بعض المراقبين

أيضا إن كتلة الليكود لم تشعر بالإستياء للتفسير الضيق من جانب المصريين لبنود التطبيع فى معاهدة السلام، لأنه يتوازن مع تفسير الليكود الضيق لحقوق الفلسطينيين المشروعة المنصوص عليها فى اتفاقيتى كامب دافيد.

٤ ـ نظرة حزب العمل:

(أ) لكن حزب العمل كان يولى إهتماما أكبر لدور العلاقات بين المجتمعين فى تطوير دينامية السلام، وبالتالى فهو أكثر حرصا على أن تتطور هذه الدينامية. ورغم أن حزب العمل أيضا يرى أن الإجراءات التى تخدم الأمن الوطنى ـ مثل العمليات العسكرية الإنتقامية والوقائية ضد البلدان العربية الأخرى، وإنشاء المستوطنات فى المناطق الأمنية، وتعزيز السيطرة فى الجولان ـ يجب أن تكون لها الأولوية على مراعاة حساسيات المصريين، فقد كان يعرب عادة عن توجسه الشديد لما قد يتعرض له السلام من مخاطر إذا استمر تدهور العلاقات مع مصر ولما كان حزب العمل أكثر تفاؤلا بشأن إمكانية استمرار عملية السلام فى إتجاه الوصول إلى حلول وسط مع الدول العربية الأخرى المجاورة لإسرائيل، فإنه يؤمن أيضا بإمكان إقامة علاقات أكثر إنسجاما مع مصر، ويؤمن بأهمية هذا الإنسجام بالنسبة للسلام.

(ب) ومع ذلك كان معسكر حزب العمل فى مجموعه يقدر الصعوبات التى تواجه صانعى القرارات فى مصر، ولم يكن راغبا فى أن يحصل الإلحاح على التطبيع سببا فى زيادة

العقبات التى تعترض سبيل الاستمرار فى عملية السلام. وبذا كان المعسكران، كل منهما لأسبابه الخاصة، يشعر بأنه لا ضرورة لدفع الأمور قسرا أكثر مما ينبغى فى سبيل إقامة علاقات طبيعية. وكانت تجمع بينهما فوق ذلك الرغبة فى وقف تدهور الإوضاع نتيجة لإنفجار أحداث أليمة.

التـــورط الأمـــريكى الإســـرائيلى فى لبنان

أعطت الإدارة الأمـريكيـة فى مسـتـهل رئاسـة (ريجـان) الضوء الأخضر لإسرائيل للقيام بغزو لبنان. والنتيجة كانت وخيمة على كل منهما، إذ سقطت الولايات المتحدة فى «المستنقع اللبنانى» وخرجت منه تجر أذيال الهزيمة والعار، بعد أن أجبرتها فتاة لبنانية إنتحارية على فرار جنود البحرية الأمريكية فخرج مقاتليها تحت ستار الليل يحملون جثث أكثر من ثلاثمائة قتيل، ومعهم نائب مدير المخابرات المركزية إلى سفن الأسطول السادس فى عرض البحر. ومنذ ذلك الحين، لم تجرؤ الولايات المتحدة حتى على التفكير فى مغامرة أخرى فى لبنان ليقينها أن سوريا وحزب الله ومن ورائهما إيران يقفون لها بالمرصاد.

أما إسرائيل فما زالت تتخبط فى وحل المستنقع بعد أن خضبت يديها بالدماء والخسة والعار فى مذابح العزل والأبرياء فى «صابرا وشاتيلا» وما زالت تدفع الثمن غاليا فى القتال الدائر على حدود ما سمته بالحزام الأمنى (جنوب لبنان).

الأزمة اللبنانية

١ ـ أسباب الحرب فى تصور الليكود:

(أ) فترة الحرب التى خاضتها إسرائيل فى لبنان تقسم بدقة العقد الذى انقضى بعد كامب دافيد إلى ثلاث فترات: الأولى إبرام اتفاق السلام وتنفيذه (١٩٧٨ ـ ١٩٨٢). والثانية حرب لبنان وتوقف عملية السلام (١٩٨٢ ـ ١٩٨٥). والثالثة السعى إلى إحياء عملية السلام عن طريق فكرة المؤتمر الدولى (١٩٨٥ ـ ١٩٨٨). وحرب لبنان فى حد ذاتها لا تدخل فى نطاق هذا الفصل، ولكن تجدر الإشارة إلى إرتباطها بالعملية التى بدأت باتفاقيتى كامب دافيد.

(ب) ولم يكن جميع أعضاء حكومة الليكود التى بدأت الحرب فى لبنان يشاركون مهندس تلك الحرب، وهو وزير الدفاع «آريئل شارون»، التزامه بجميع عناصر مخططه الكبير، غير أن الإطار الفكرى العام لاستراتيجية حرب لبنان مستمد من الخطوط الأساسية لعقيدة الليكود، ولقى تأييدا إجماعيا من هذا

المعسكر السياسى. ووفقا لما يقول به من وضعوا خطة الحرب، لم يكن هدفها هو مجرد إزالة الخطر المتمثل فى قواعد منظمة التحرير الفلسطينية من جنوب لبنان، بل كان الهدف الأساسى هو توجيه ضربة قاصمة إلى المنظمة للقضاء على نفوذها فى الضفة الغربية وغزة، وتعزيز ارتباطها بين المنطقتين بإسرائيل. وتوقع الذين خططوا للحرب كذلك أن تؤدى إلى تعزيز التعاون الاستراتيجى بين إسرائيل والولايات المتحدة فى المنطقة، وتحييد خطر النظام الراديكالى فى سوريا - مما يزيد من حرية الحركة لإسرائيل فى تلك الأراضى. ولو أن مخطط السلام على الطريقة الإسرائيلية نجح فى لبنان، لأثبت أن عملية السلام يمكن أن تستمر دون مساومة على الأراضى ودون تنازلات كبيرة للفلسطينيين.

ولم يبد معسكر الليكود إهتماما كبيرا لعقوبات من جانب مصر واعتراضها، بل أكد أن معاهدة السلام صمدت لاختبار الحرب، وبالتالى أثبتت صدق نظرة واضعى الاتفاق، وفى رأى مدرسة الليكود أنه ليس لمصر أن تتدخل فى مسألة لبنان.

٢ - نظرة حزب العمل

(أ) وجد أن حزب العمل يوافق على أهداف الحرب على النحو الذى أعلنت به فى البداية، وهى إزالة قواعد منظمة التحرير الفلسطينية من منطقة بعرض ٤٠ كيلو مترا على إمتداد الحدود الإسرائيلية. فعملية كهذه تتفق مع المفاهيم الاستراتيجية الأساسية لحزب العمل، وتبدو مماثلة للعمليات العسكرية الأخرى التى نفذت فى الماضى فى جنوب لبنان وأيدها

الحزب. ولكن عندما اتسع نطاق الحرب واتضحت أهدافها السياسية بعيدة المدى، شدد حزب العمل من انتقاده للحرب حتى وصل المعسكران آخر الأمر إلى مواجهة بينهما في صراع سياسي مرير أدى إلى فتح مجمل قضية عملية السلام وسياسة إسرائيل في الأراضي.

(ب) وبشكل عام فإن معسكر حزب العمل كان يميل للإعتراف بمشروعية قلق مصر من هذا النزاع، وأضاف ضرورة العمل لرأب صدع العلاقات مع القاهرة ضمن قائمة الإعتبارات التي تستلزم إنهاء الحرب في أسرع وقت.

٣ - نظرة مصر:

وكان تأثير الحرب في لبنان على السلام مع مصر عنصرا هاما في ذلك الجدل. فقد رأت مصر في الغزو الإسرائيلي للبنان إنتهاكا صارخا لاتفاق السلام، أو انتهاكا لروحه على الأقل، كما رأت أن الغزو يقضي على مصداقية الحجج التي تستخدمها مصر في الجدل الدائر داخلها وفي المناقشة مع الدول العربية، وجوهرها أن السلام الذي أبرمته مصر مع إسرائيل ليس خروجا على التضامن العربي، ولا يعرض الدول المجاورة لإسرائيل لأي هجوم عسكري. وردت القاهرة على الحرب بوقف جميع مشروعات التطبيع تقريبا بعد أن كان قد بدأ الإعداد لها، وأنقصت العلاقات التجارية إلى حد كبير، وكثفت الهجوم على إسرائيل في وسائل الإعلام. ولكن الحكومة المصرية قاومت من ناحية أخرى الضغوط الخارجية والداخلية للإنسحاب من التزاماتها الأساسية في معاهدة السلام. وكانت الضجة

التى أثيرت حول مذابح «صابرا وشاتيلا» هى وحدها التى حدت بمصر لأن تضيف إلى العقوبات التى اتخذتها ضد إسرائيل استدعاء سفيرها من تل أبيب «للتشاور».

مبادرات دفع السلام

١ - مبادرة بيريز:

(أ) أخذ المبادرة فى هذا الصدد «شيمون بيريز» فى أواخر عام ١٩٨٤ بعد أن تقلد فى شهر سبتمبر رئاسة الوزراء فى حكومة الوحدة الوطنية. وكان هدفه العاجل فى المسائل الخارجية هو إعادة قدر من الثقة المتبادلة والتعاون مع مصر من أجل إحياء عملية السلام. وكان عليه لتحقيق هذا الغرض أن يعالج القضايا الثلاث التى رأى المصريون أنها تحول دون إستئناف الحوار السياسى مع إسرائيل وعودة سفيرهم إلى تل أبيب وهى: إحتلال الأراضى اللبنانية، والأحوال السائدة فى الضفة الغربية وغزة، والنزاع حول طابا.

(ب) وكانت أولى تلك القضايا جاهزة للحل، إذ توفر آنذاك ما يقرب من التوافق الوطنى على تأييد الإنسحاب من لبنان، ورغم أن المصريين اعترضوا على إستمرار وجود بعض القوات الإسرائيلية فى المنطقة الأمنية فى الجنوب، فقد رحبوا بالجلاء

عن لبنان ورأوا فيه ما يدعو إلى تحسن كبير فى العلاقة المتبادلة. وكان الوصول إلى نتائج ملموسة بشأن القضية الثانية أكثر صعوبة، ولكن الحكومة الجديدة إتخذت تدابير معينة من بينها التصريح لأحد البنوك الأردنية بالعمل فى الضفة الغربية، بالإضافة إلى تجميد إنشاء المستوطنات على أساس الأمر الواقع مما أزال هذه العقبة أيضا.

وتبين أن مسألة طابا هى أكثرها صعوبة. فالرأى العام الإسرائيلى لم يرحب فى أى وقت بمطالب مصر فى طابا، ورأى أنه مهما كان من قوة أو ضعف الحجة الإسرائيلية من الناحية القانونية فإن لمصر شاطئا طويلا يمتد على البحر الأحمر لمئات الكيلو مترات، ولم يكن ينبغى أن تضخم النزاع بشأن شريط لا يتجاوز ٨٠٠ متر حتى يصبح قضية وطنية كبرى.

٢ - خطة فهد:

لم يثر خلاف كبير فى إسرائيل بشأن خطة فهد للسلام التى قدمها فى أغسطس ١٩٨١، وما تلاها من قرارات فاس فى سبتمبر ١٩٨٢، لأن إسرائيل نظرت إليها على أنها محاولة للوصول إلى توافق فى الرأى بين الدول العربية وليست سعيا حقيقيا للتسوية مع إسرائيل.

وقد لاحظ المراقبون فى القدس أن واضعى مشروع الخطة سارعوا إلى توضيح أنها لا تعنى أى إعتراف بإسرائيل أو تفاوض معها، وعلى ذلك اتفق المعسكران فى إسرائيل على رفض تلك المقترحات.

٣ ـ خطة ريجان:

وكانت خطة ريجان التى قدمت فى سبتمبر ١٩٨٢ كفيلة بأن تثير خلافا أكبر. وكان من الواجب النظر فيها بعناية نظرا لصدورها عن رئيس أمريكى أثبت إهتمامه بأمن إسرائيل ورخائها، ونظرا لأن معظم الحكومات العربية حرصت على ألا ترفضها على الفور. ولكن حكومة بيجين وجدت أنه لا مفر لها من رفضها، لأنها تتعارض مع كل الأفكار التى يقوم عليها الليكود تقريبا. فالخطة تدعو إلى الحكم الذاتى بالنسبة للأراضى لا بالنسبة للسكان وحدهم. كما أنها تسرى على القدس الشرقية أيضا.

وكذلك دعا ريجان إلى تجميد إنشاء المستوطنات، ورفض ضم الأراضى إلى إسرائيل رفضا قاطعا. وكان من السهل على بيريز أن ينتقد تسرع بيجين فى رفض خطة ريجان لسببين:

الأول: أن الإتجاه الرئيسى للخطة يعتمد على مفهوم حزب العمل بشأن «الخيار الأردنى».

والثانى: أن الخطة تستبعد أيضا إحتمال قيام دولة فلسطين منفصلة.

٤ ـ حوار إسرائيل حول السلام:

(أ) وفى ظل حكومة الوحدة الوطنية، إستؤنف الجدل حول استصواب وضع خطط للسلام. فكانت كتلة الليكود ترى أن الوقت يتطلب التمهل. وطفق المتحدثون بإسمها يذكرون الرأى العام الإسرائيلى بأن نهاية النزاع مع العرب ليست على مدى البصر، وأنه ليس هناك سبيل لإختصار الطريق إلى السلام.

(ب) وعلى العكس من ذلك كانت كتلة حزب العمل ترى أن الوقت يمضى سريعا، وأن الحالة فى الأراضى تدعو إلى قلق متزايد، وأن البلد يسير بسرعة - وربما بصورة لا رجعة فيها - فى طريق القومية المزدوجة، وأن المشكلة «ديموغرافية - ليست جغرافية» وأن السلام مع مصر يتعرض للخطر، لأن عملية السلام إما أن تتحرك إلى الأمام أو تتراجع إلى الوراء، وأنه ليس أمام إسرائيل من خيار غير التركيز على القضية الأردنية الفلسطينية.

(جـ) وفى الوقت ذاته ١٩٨٥/١٩٨٦ حدد «بيريز» مفهومه الخاص للمفاوضات، وهو أن يقبل أن يكون هناك دور ما لمحفل دولى. وقد طرأت على هذه الخطة فى السنوات التالية تعديلات شتى، لكن أفكارها الأساسية بقيت بوجه عام كما يلى:

تبدأ عملية السلام الجديدة بعقد مؤتمر دولى يضم الأعضاء الخمسة الدائمين فى مجلس الأمن، ووفدا أردنيا فلسطينيا، وسوريا ولبنان ومصر وإسرائيل. ويعقد المؤتمر بدون شروط مسبقة، على أساس موافقة المشاركة فيه، وقبول القرارين ٢٤٢، ٣٣٨، ورفض الإرهاب والعنف. ويكون هدف المؤتمر حل المشكلة الفلسطينية من جميع جوانبها.

(د) وأعقب ذلك إتخاذ خطوات هامة متعددة لتنفيذ هذه الإستراتيجية. إذا نجح بيريز خلال محادثاته مع مبارك فى القاهرة فى فبراير ١٩٨٧، فى تغيير الموقف المصرى، من التمسك بأن يشارك فى المفاوضات على الفور وفد رسمى من منظمة التحرير الفلسطينية إلى قبول تحقيق ذلك على مراحل.

وكانت هذه الموافقة من جانب مصر من العوامل التى أتاحت للملك حسين أن يتخذ خطوة أخرى لتضييق الفجوة بينه وبين بيريز. وفى إبريل ١٩٨٧ تم التوصل إلى تفاهم بينهما فى لندن، قامت بالوساطة فيه الولايات المتحدة. وكان أهم ما تحقق فى هذا الإجتماع، وفقا لما أدلى به مساعدو بيريز، هو تخلى الأردن عن إصراره على «إحالة الأمر» إلى المؤتمر الدولى. وعلى ذلك وافق الأردن على الدخول فى مفاوضات مباشرة وجها لوجه من أجل السلام مع إسرائيل، فى إطار مؤتمر دولى يعقد وفقا للقواعد المذكورة آنفا، ولا تكون له سلطة فرض تسوية، أو الإعتراض على التسوية التى يتم التوصل إليها فى اللجان الثنائية. ووافق على أن تكون كل من هذه اللجان مستقلة إحداها عن الأخرى.

لكن ذلك لم يتحقق، وخلال عام ١٩٨٧ شدد الليكود معارضته لمفهوم المؤتمر الدولى، وتمكن عمليا من تجميد المشروع برمته. ووجهت مدرسة شاميرالفكرية هجوما عنيفا لهذا المفهوم. وإعتبرت أنه يضر بفرص السلام بدلا من أن يشجع عليها.

(هـ) وقال رجال الليكود أنه إذا كانت هناك فى الوقت الحاضر ضرورة لإجراءات للسلام فقد يمكن عقد مؤتمر إقليمى يشارك فيه الأردن ومصر وفلسطينيون محليون من غير المنظمة والولايات المتحدة. وهناك حل بديل وهو أن تجرى مفاوضات مباشرة بين إسرائيل والأردن تحت رعاية القاهرة. وهناك إحتمال آخر، وهو الشروع فى مفاوضات مباشرة عن طريق إفتتاح محفل يرأسه قادة الدولتين العظميين على أن يكون مفهوما أنه لن يكون لهم أى دور آخر فى العملية ولا تشارك فى ذلك الأمم المتحدة.

٥ ـ صيغة حسين ـ عرفات:

وقد وقعت أهم التطورات فى عمان. إذ شمل إتفاق ١١ نوفمبر ١٩٨٥، بين الملك حسين وياسر عرفات، ضمن نقاطه الخمس عناصر عديدة كان يمكن أن تؤدى للوصول إلى صيغة للتفاوض ويقبلها حزب العمل. إذ تضمن الإتفاق فكرة إجراء مفاوضات السلام فى إطار مؤتمر دولى، ومبدأ «الأراضى مقابل السلام» والموافقة على تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية ضمن وفد أردنى فلسطينى مشترك، والسعى إلى تقرير المصير فى إطار إتحاد كونفدرالى أردنى فلسطينى مشترك، وتضمن الإتفاق جوانب كثيرة لا يمكن أن يقبلها بيريز، كما لا يقبلها شامير، فضلا عن أنه لم يتحول إلى إتفاق ثابت بين المنظمة والأردن. وبحلول فبراير ١٩٨٦ لم يعد الإتفاق ساريا.

٦ ـ الانتفاضة:

(أ) وقد تعرض هذا الركود لهزة مفاجئة فى ديسمبر ١٩٨٧ على أثر الهبة فى الضفة الغربية وغزة، والتى يطلق عليها إسم «الإنتفاضة» فقد أدت أعمال الشغب فى غزة والضفة الغربية إلى إثارة مشاعر معادية للعرب. وبالإضافة إلى ذلك فقد ظهر فى الصفوف الأولى للإنتفاضة دعاة جهاد راديكاليون، لا يبدون أى اهتمام بالوصول إلى حل سياسى، ويرفعون شعارات تطالب بالحد الأقصى للأمانى الوطنية، مما أثار المزيد من العداء أو القلق لدى كثير من الإسرائيليين. وفى الوقت نفسه ترتب على الأزمة أن زاد نشاط مجموعات الحمائم التى تعارض الأحتلال. وتلح فى ضرورة التعجيل بإنهائه.

(ب) والأرجح أن الإنتفاضة ساعدت على تقوية هذه الإتجاهات. ولكن كان من المتعذر في منتصف عام ١٩٨٨ أن يتبين أثرها الدائم على مختلف الإتجاهات السياسية في إسرائيل. وقد بدا أن النتيجة المباشرة هي الإتجاه إلى مزيد من التشدد.

وفقد «الخيار الأردني» الذي دعا إليه حزب العمل كثيرا من مصداقيته. ولما كان إسحاق رابين، وهو من وزراء حزب العمل، هو المكلف بإخماد الإنتفاضة، فقد ساعد ذلك على تضييق الفجوة بين المعسكريين. ومن الواضح أن المصادمات العنيفة في هاتين المنطقتين أدت إلى إنهاء الفكرة القائلة بأن إستمرار الوضع الحالي هو أنسب الخيارات، وأقلها مشاكل بالنسبة لإسرائيل. كما أدت الإضطرابات إلى إعادة النظر في الجوانب الأساسية لموقف إسرائيل في تلك الإتجاه.

وواقع الأمر أنه كان هناك إتجاه لإجراء تقييم جديد يتشكل منذ بضعة شهور قبل الإنتفاضة، نتيجة لإزدياد القلق الناشئ عن «المشكلة السكانية».

٧ - خطة شولتز:

(أ) ولما كان من المتعذر القول بأن الوقت يعمل في الأراضي لصالح إسرائيل ، ولما كانت حدود القوة قد تجلت بصورة متزايدة، فقد نشأ في إسرائيل إتجاه قوي يرى أن الوسيلة الوحيدة لمعالجة الموقف هي عن طريق «حل سياسي». وعجل هذا الشعور الجديد من صياغة خطة شولتز في مارس ١٩٨٨ -

وهى أول مبادرة أمريكية رسمية للسلام منذ خطة ريجان فى عام ١٩٨٢ .

وقد وضعت إقتراحات شولتز جدولا زمنيا ضيقا تنهى خلاله الأطراف مفاوضاتها حول الترتيبات المرحلية، وتبدأ المحادثات بشأن التسوية النهائية قبل حلول نهاية العام. وفيما عدا ذلك كانت الإقتراحات مطابقة فى جوهرها لخطة المؤتمر الدولى التى تم الإتفاق عليها بين بيريز والملك حسين فى لندن.

(ب) والوقائع أن خطة شولتز، التى كانت فى ربيع عام ١٩٨٨ هى الخطة الوحيدة المطروحة فى الساحة، قطعت شوطا طويلا فى الإبتعاد عن كامب دافيد. فإتفاقية ١٩٧٨ التى سبق للأردن والفلسطينيين أن رفضوها، ولم تتمكن إسرائيل ومصر من تنفيذها فى الضفة الغربية وغزة، لم يعد فى الوسع أن تفيد كأساس للتقدم بعملية السلام. ومع ذلك لا يمكن إنكار مساهمتها الجوهرية فى هذه العملية. وسيكون من العسير إلى أقصى حد أن تتجاهل مفاوضات السلام المقبلة الأفكار المختلفة التى تضمنتها كامب دافيد.

فقد حددت كامب دافيد الحقوق الأساسية والمصالح المشروعة، وأرست التمييز بين الترتيبات الإنتقالية والوضع النهائى، وإقترحت المشاركة الأردنية الفلسطينية، وحددت أن السلام الكامل هو الهدف النهائى.

القسم التاسع

العلاقات بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية
فى ظل كامب دافيد

الفصل الأول
مجمل العلاقات بين مصر وأمريكا.

الفصل الثانى
تأثير المشكلات العربية.

الفصل الثالث: العلاقات الاقتصادية والعسكرية.

الفصل الأول

مجمل علاقات البلدين

١ - مرحلة ما قبل كامب دافيد:

(أ) كان القرار الذى اتخذه السادات بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ بالعمل مع واشنطن للوصول إلى تسوية مع إسرائيل فرصة نادرة. وكان السادات على إثر تقلده رئاسة الجمهورية فى أواخر سبتمبر ١٩٧٠ قد اتخذ مبادرات متعددة لإبداء رغبته فى تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة، وكان رد واشنطن سلبيا. ولكن أيا كانت الشكوك التى ساورت أمريكا بشأن السادات، فقد سلمت إدارة نيكسون بأنه «معتدل». ولما كانت مصر هى أكبر الدول العربية وأقواها، وهى التى أسهمت بالجانب الأكبر من القوى البشرية العسكرية العربية فى العمليات الحربية المتكررة التى نشبت بين العرب وإسرائيل، فقد رأت واشنطن أن مصر «والتى يرأسها السادات» ربما تكون قادرة أيضا على قيادة شقيقاتها من الدول العربية إلى حوار للسلام مع إسرائيل.

وبطبيعة الحال لم يكن هناك إتفاق بين الجميع على التسليم بالدور القيادى لمصر بين الدول العربية. فبعد أن إنتهى عنفوان القومية العربية فى أيام جمال عبد الناصر، ولاسيما بعد الهزيمة الساحقة التى أنزلتها إسرائيل بمصر فى يونيو ١٩٦٧، بدأت تظهر مراكز منافسة لمصر فى العالم العربى، كان من بينها سوريا والجزائر والعراق، كما لم يكن هناك ما يؤكد ماتصوره بعض المراقبين الأمريكيين من أن مصر ستتمكن من إلزام منظمة التحرير الفلسطينية، بقبول ماتقره مصر.

(ب) وكان المعتقد أنه مهما أبدى السادات من تأييد لفظى للأمانى الفلسطينية، فإنه يفعل ذلك لأسباب تتعلق بوضعه فى الشرق العربى، ولا تتعلق بمعتقداته الحقيقية.

فعقيدته الوطنية هى فى المقام الأول مصرية لا عربية، وهو على إستعداد للوصول إلى حلول وسط بشأن القضايا العربية إذا ما تحققت المصالح الوطنية المصرية.

وكان هناك تصور أمريكى آخر فى ١٩٧٣ يجعل من مصر السادات شريكا مفيدا فى المفاوضات. إذ كان المعتقد أن مصر، بعد سلسلة من الحروب المدمرة مع إسرائيل، وبعد الأضرار التى ترتبت على نظام الإشتراكية العربية الذى نفذه عبد الناصر عن طريق الدولة، تواجه إنهيارا إقتصاديا شاملا. وقيل وقتها إن السلام بالنسبة لمصر ضرورة حتمية.

وكان ريتشارد نيكسون وهنرى كيسنجر يعرفان أنه لولا تدخل الولايات المتحدة فى الوقت المناسب لتمكنت إسرائيل بالمساعدة

العسكرية الأمريكية غير المحدودة من التفوق على مصر مرة أخرى عام ١٩٧٣ وأن إدراك السادات للإحتمال القوى لتعرض مصر مجددا للهزيمة العسكرية، بالإضافة إلى العوامل الإقتصادية، من شأنه أن يلزم السادات بالتعاون مع حكومة الولايات المتحدة، وأن يسعى إلى التفاوض للحد من الآثار الضارة للهزائم السابق.

وعزز هذا الرأى مسارعة السادات إلى قبول إقتراحات كيسنجر بشأن فض الإشتباك الأول، رغم تواضع تلك الإقتراحات ومالقيته من معارضة عنيفة من جانب كبار المستشارين المصريين، كما عزز هذا الرأى بما قام به الرئيس المصرى من مطالبة مباشرة وملحة بمساعدة إقتصادية وعسكرية من الولايات المتحدة. ورأت واشنطن أنه إذا أمكن تقديم تلك المساعدة لمصر، سيكون فى وسعها التوسط للوصول إلى حلول وسط متبادلة بين مصر وإسرائيل تكفى للتحرك نحو السلام فى الشرق الأوسط، وكان من رأى واشنطن أن السادات هو الطرف الأكثر إستعداد للإذعان .

(جـ) وعندما قدم نيكسون إستقالته بسبب ووترجيت وهو ما أدى إلى تجميد فكرة المساعدة العسكرية. وقد تلقت مصر كميات محدودة من معدات ليست لها أهمية كبيره بعد إتفاقية فض الإشتباك الثانية فى عام ١٩٧٥، رغم المعارضة العنيفة من جانب إسرائيل، لكن السادات أحيط علما بأن الكونجرس لن يوافق على تقديم مساعدة عسكرية كبيرة إلا عندما يتحقق تقدم ملموس نحو السلام.

(٢) مرحلة كامب دافيد:-

(أ) فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨، وقعت إتفاقيتا كامب دافيد.

وقد تضمنت إحداهما خطوطا توجيهية للسلام بين مصر وإسرائيل، بينما تضع الثانية تصورا لمفاوضات تجرى بشأن الحكم الذاتى للفلسطينيين، دون تحديد دقيق لما تعنيه هذه العبارة، فى الضفة الغربية وغزة، بإعتبار ذلك الحكم الذاتى مرحلة متوسطة فى سبيل الوصول فيما بعد لتحديد وضع نهائى لهاتين المنطقتين اللتين تحتلهما إسرائيل. وجاء توقيع الإتفاقيتين بعد أسبوعين من مفاوضات شاقة. وقد أمكن التوصل إلى حلول وسط بجهود مضنية، وذلك فى كثير من الأحيان بإستخدام عبارات مبهمة تحتمل تفسيرات شتى. كان لابد من تأجيل بعض القضايا الحاسمة. مما كان ينبئ بظهور مشاكل جديدة فى المستقبل.

وكان التصور العام أن رئيس الولايات المتحدة قد تمكن فى آخر الأمر من تحقيق إنجاز قد يكون جزئيا، ولكنه بالغ الأهمية فى الصراع العربى الإسرائيلى الذى طال عليه الأمد بغير حل. ورحب المراقبون بما سمى «روح» كامب دافيد، وأعربوا عن أملهم فى أن تنتقل عدواها إلى الأطراف الأخرى. وبعد ذلك بستة أشهر وقعت معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، والتى كانت هى الصياغة القانونية لإحدى إتفاقتى كامب دافيد، بعيدا للغاية عما كان متوقعا.

(ب) وقد رأى الكثيرون فى الإتفاقيتين وفى معاهدة السلام المترتبة عليهما، والتى تشكل فى مجموعها صفقة كامب دافيد

الإجمالية إتفاقا ثنائيا بين مصر وإسرائيل، واتُهِمَتْ مصر بأن الولايات المتحدة استدرجتها للخروج على وحدة الصف العربى. وسخر الناقدون العرب والسوفيت، بالإضافة إلى المتشككين من الأوربيين، مما أعلنه السادات وكارتر من أن الإتفاقيتين ستكونان «حجر الزاوية» فى التسوية الشاملة. ولكن صفقة كامب دافيد كانت أيضا بداية لعلاقة ثنائية جديدة تتخذ شكلا أوثق بين الولايات المتحدة ومصر.

وكان كارتر قد تنبأ بذلك فى لقائه الأول بالسادات فى يوم ٤ إبريل ١٩٧٧ فى البيت الأبيض، عندما قال أنه إذا نجحت محادثات السلام، فإن الأرتباط بين الولايات المتحدة ومصر يمكن أن يصبح خلال عشر سنوات فى مثل متانة إرتباطها بإسرائيل. وأدى هذا التلميح من جانب الرئيس الأمريكى بالتكافؤ مع إسرائيل إلى تشجيع السادات على تقديم التنازلات التى قبلها فى كامب دفيد فى السنة التالية.

(جـ) وكانت نقطة الذروة فى العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة ومصر، هى الفترة بين توقيع إتفاقيتى كامب دافيد وتبادل وثائق التصديق على معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية فى أواخر إبريل ١٩٧٩ ولكن خلال العقد التالى تبين أن هذه العلاقة التى عمل كل من نيكسون وفورد وكارتر ووزراء خارجيتهم على دعمها بحذق وبراعة لا تسير على النحو المطلوب.

(د) ورغم أهمية صفقه كامب دافيد، فقد أدت إلى تعميق الإنقسامات القائمة فى العالم العربى، وترتب على عجز أمريكا عن

الحصول على الأقل على تأييد المملكة العربية السعودية للإتفاقيتين، وهو ماكان السادات يعول عليه، أن تعرضت مصر لفترة طويلة من العزله فى السياسيتن العربية والإسلامية.

ومع مرور الوقت أصبحت إتفاقيتا كامب دافيد، خارج إسرائيل والولايات المتحدة، عاملا يعرقل التقدم نحو محادثات للسلام أوسع نطاقا، بدلا من أن يشجع على إجراء مثل تلك المحادثات.

(هـ) ولاجدال فى أن صفقه كامب دافيد كان لها أثر كبير فى الإرتباط السياسى بين الولايات المتحدة ومصر، وبالنسبة للولايات المتحدة ومصر على السواء، يسيطر البعد السياسى للعلاقة على الحوار الدائر بينهما، وحتى المعونة سواء منها الإقتصادية أو العسكرية، تحمل نغمة سياسية. وفى الإطار السياسى كانت هناك عوامل متعددة أسهمت فى عدم الإتفاق منها تعثر عملية السلام فى الشرق الأوسط، وإزدياد تأثير إسرائيل على سياسات الولايات المتحدة فى المنطقة، والقضية الفلسطينية، وتناقض السياسات المصرية فى مسائل تمس الولايات المتحدة بالإضافة إلى عوامل أخرى.

(و) وفى أوائل سبتمبر ١٩٨١ أقدم السادات على خطوة غير مسبوقة، وهى إعتقال نحو ١٥٠٠ من معارضية من مختلف الإتجاهات السياسية وقد فعل ذلك بسبب قلقه الذى ربما كان مبالغا فيه، لإحتمال قيام تلك العناصر خلال الشهور القليلة المقبلة لتنظيم مظاهرات يمكن أن تستغلها القيادة الإسرائيلية لتأجيل الإنسحاب النهائى.

٣ - سوء الفهم فى العلاقات:

(أ) والحقيقة أنه كانت لدى كل من الولايات المتحدة ومصر فكرة مبالغ فيها عن إرادة الطرف الآخر وقدرته على التأثير فى ساحة الشرق الأوسط. فقد مال الأمريكيون إلى اعتبار أن السادات هو مصر. ولم يولوا الإهتمام الواجب للآراء المعارضةفى مصر، وعندما هدأت الضجه التى أحاطت بتوقيع إتفاقيتى كامب دافيد ومعاهدة السلام، شعر كل من الطرفين بخيبة أمل لما اعتبره ترددا من جانب الطرف الآخر، وماتشعر به من عدم القدرة على الإعتماد عليه. ولم تلبث عبارة «الشريك الكامل» التى رفعت فى كامب دافيد أن تبددت، وأصبحت عبارة بلا مضمون. وإذا كانت العلاقة فى جوهرها ظلت وثيقة وإيجابية، وأدى قبول الولايات المتحدة وتغاضيها عن بعض السياسات الإسرائيلية إلى إثارة شكوك مصر بشأن ماوعدت به أمريكا من إتباع سياسة متوازنة، وعلى غرار ذلك أيضا كان ما اعتبرته الولايات المتحدة مراوغة من جانب مصر، بشأن أمورتهم الولايات المتحدة، مصدراً لقلق زعمائها.

(ب) وزاد من الصعوبات إختفاء المسؤولين الأمريكيين والمصريين الذين تفاوضوا للوصول إلى هاتين الإتفاقيتين من المسرح السياسى، إذ خسر كارتر إنتخابات الرئاسة فى ١٩٨٠، واغتيل السادات فى ٦ أكتوبر ١٩٨١، وكانت شخصية الرئيس الأمريكى الجديد رونالد ريجان مغايره لشخصية سلفه، ولم تكن تبدى إهتماما يذكر بإستمرار قوة الدفع لعملية السلام.

(جـ) وكان الرئيس حسنى مبارك الذى تولى السلطة فى أكتوبر ١٩٨١ ، قد أيد سياسة السادات الرامية إلى السلم عندما كان نائبا للرئيس، ولكن عندما اصبح على رأس الدولة أبدى إهتماما مكثفا بأن تستعيد مصر دورها بين البلدان العربية، وذلك بالإضافة إلى أنه ليس من الشخصيات التى تصل عن طريق أجهزة الإعلام.

٤ ـ العامل الإسرائيلى:

(أ) كان الرئيس السادات يلح فى معاملة متساوية مع إسرائيل وفقا لتعهدات الرئيس الأمريكى كارتر، وكان يتهم الولايات المتحدة بأنها تنحاز إلى جانب إسرائيل.

(ب) وكان مبارك على أثر إغتيال السادات مباشرة يخشى أن تستغل إسرائيل الإضطرابات الداخلية فى مصر وترفض الإنسحاب من سيناء وفقا لأحكام معاهدة السلام. وإزداد هذا القلق عندما تمسكت إسرائيل بقولها «إن طابا لم تكن تاريخيا ولا جغرافيا جزءا من سيناء، وأن إسرائيل ستبقى فيها».

وبجهود أمريكية تم التوقيع على بروتوكول تؤكد فيه إسرائيل عزمها على الإنسحاب من سيناء يوم ٢٥ إبريل ١٩٨٢ . واتفق فيما يتعلق بمسألة طابا على إجراء مفاوضات مباشرة بين الطرفين لحلها، فإذا لم يتمكنا من ذلك يمكن اللجوء إلى تدابير الوساطة والتحكيم.

(جـ) كان من أسباب قلق مصر أن مقدم الإدارة الريجانية اقترن بزيادة توثق العلاقة الحميمة بين الولايات المتحدة وإسرائيل،

ومهما بلغ ما تبديه واشنطن من حين لآخر من استياء لتصرفات إسرائيلية تضر بالمصالح الإقليمية للولايات المتحدة، مثل قصف المفاعل النووى العراقى فى ٧ يونيو ١٩٨١، أو الغزو الإسرائيلى للبنان فى صيف ١٩٨٢، فإن ذلك الإستياء نادرا ما ترجم إلى أكثر من مجرد معارضة شكلية.

(د) وكانت الولايات المتحدة تسارع إلى إيجاد مبرر قوى لأعمال العنف التى تقدم عليها إسرائيل. فلم تكن هناك فى ذلك الوقت علاقات دبلوماسية رسميه بين الولايات المتحدة والعراق. وكانت العراق تبذل جهودا متصلة لإحباط الجهود الأمريكية لتحقيق سلام بين العرب وإسرائيل، ورغم أن واشنطن أعلنت عدم موافقتها على قصف المفاعل النووى، كان الكثير من الأمريكيين يعتقدون أن هذا العمل سيحول دون إحراز العراق للقدرة النووية. وكان بعض كبار رجال الحكومه الأمريكية يتوقعون أن يؤدى اجتياح لبنان إلى إزالة ما يمثله الفلسطينيون من «دولة داخل الدولة» فى لبنان وفوق ذلك كان كثير من المسئولين الأمريكيين يرون أنه رغم العناد الذى تبديه إسرائيل فى بعض الأحيان فإنها الحليف الوحيد الذى يمكن الاعتماد عليه فى المنطقة.

٥ ـ العامل السوفيتى:

(أ) على خلاف ما أبداه السادات من تعاون كامل مع سياسة الولايات المتحدة الرامية إلى الحد من النفوذ السوفيتى فى الشرق الأوسط، بدا أن مبارك يريد تطبيع العلاقات مع الأتحاد

السوفيتي. وقد ذكر علنا أنه يرى أن العلاقات الأمريكية المصرية أشبه ما تكون بالعلاقات الهندية السوفيتية. وقال إن أيا من هذه العلاقات لاتمنع من قيام حوار دبلوماسي طبيعي مع الدولة العظمى الأخرى. ورغم أنه لم يتخذ غير خطوات محدودة فى هذه الأتجاه، فقد كانت كافية لإثارة قلق الإدارة الأمريكيه.

(ب) ففى يناير ١٩٨٢ طلبت مصر عودة ٦٦ عن الفنيين السوفيت، وكان الغرض الظاهرى لذلك هو ضمان صيانه المعدات السوفيتية فى مصر. وفى مارس ١٩٨٣ اتفقت مصر والأتحاد السوفيتى على عودة العلاقات الدبلوماسية، وفى مايو ١٩٨٣ أبرم إتفاق تجارى جديد بين مصر والأتحاد السوفيتى.

وفى منتصف مارس ١٩٨٧ استقبلت موسكو وفدا وزاريا مصريا لمناقشة مسائل الديون والتجارة وإمكانيات زيادة المساعدة السوفيتية فى رفع مستوى الوحدات الصناعية المصرية. وعاد الوفد بإتفاق جديد ـ وهو إتفاق مجز من وجهة النظر المصرية ـ يقضى بتأجيل سداد الديون العسكرية للأتحاد السوفيتى لمدة ٢٥ عاما.

(جـ) ولم ينقض وقت طويل حتى ترددت أبناء فى القاهرة بأن مصر طلبت من الأتحاد السوفيتى صواريخ ومدفعية مضادة للطائرات، وفى أوائل عام ١٩٨٧ وجه السوفيت الدعوه لمبارك لزيارة موسكو، وقيل إنه قبلها من حيث المبدأ، ولكن لم يتحدد لها موعدا مؤكدا.

وإذا حصلت مصر على معدات عسكرية سوفيتية، فإن ذلك سيواجه الولايات المتحدة ببعض المشاكل، نظرا لأن أمريكا تعارض

تقليديا ا‌جمع بين الأسلحة الأمريكية والسوفيتية، وما تقوله مصر من أن تعاملها مع موسكو إنما هو جزء من سياسة عدم الأنحياز التى تسير عليها، وأنها علاقات محدودة النطاق، لا يكفى لطمأنة المسؤولين فى الإداره الأمريكية أو فى الكونجرس الذين تساورهم الشكوك، ومع ذلك فقد زال هذا التخوف الأمريكى خاصة بعد السقوط السوفيتى وتدعيم علاقات مصر الإقتصادية والعسكرية والسياسية بالولايات المتحدة الأمريكية.

٦ ـ علامات فى سياسة الولايات المتحدة بعد كامب دافيد.

(أ) وخلال العقد التالى لإتفاقيتى كامب دافيد كانت السياسة الأمريكية تجاه مصر تتوقع أن يترتب على معاهدة السلام، أن يتناقص إحتمال قيام عمليات عسكرية واسعة النطاق بين العرب وإسرائيل، وأن تشعر إسرائيل بقدر أكبر من الأمن مما يجعلها أكثر استعدادا للوصول إلى حلول وسط مع الدول العربية المجاورة الأخرى. وأخيرا فإن المعاهدة ستؤدى إلى المزيد من إضعاف النفوذ السوفيتى فى المنطقة.

وكان من الأهداف السياسية أيضا أن يقوم تعاون أمنى بين مصر والولايات المتحدة فى الشرق الأوسط وأفريقيا، وأن تحصل الولايات المتحدة على تسهيلات عسكرية تمكنها من الوصول إلى المناطق الأخرى، أو تتيح لها ميزات أخرى فى أوقات الطوارئ وكانت ثمة آمال غير محدوده فى قيام قدر من التعاون الأمنى الثلاثى على نطاق المنطقة بأسرها تشترك فيه إسرائيل.

وعلى الجبهة الإقتصادية يمكن دفع مصر، مع إنهاء حالة الحرب، إلى تحويل مواردها إلى التنمية الإقتصادية التى هى فى مسيس الحاجة إليها وإجراء الإصلاحات الأقتصادية الهيكلية التى يحتاج إليها البلد منذ أمد طويل، وإقامة علاقات تجارية بين مصر وإسرائيل يمكن أن تحقق المنفعة المتبادله، فما يساعد فى تعزيز معاهدة السلام.

(ب) وعموما فإن نوعية العلاقة الثنائية مع أى بلد، بما فى ذلك مصر، تعتمد إلى حد كبير على ثبات المصالح المتبادلة، والتفاعل بين صفوة قيادات كل من البلدين بشأن قضايا محدده، والتأييد الداخلى المستمر فى كل من البلدين للتعاون الوثيق بينهما. وقد كانت هذه العوامل قبل كامب دافيد أقوى مما كانت بعدها، وكان من دواعى القلق من وجهة نظر السادات، تباطؤ ريجان فى دعوته لزيارة الولايات المتحدة، فرغم أن السادات كان يتوقع أن يدعى للزيارة فى مارس ١٩٨١، فإن الزيارة لم تتحقق إلا فى أوائل أغسطس من ذلك العام.

(جـ) ومع موت السادات المفاجئ تضاءل النفوذ المصرى فى واشنطن، وهو نفوذ كان يعتمد إلى حد كبير على شجاعة رئيس الدوله المصرية وشخصيته.

ولم يكن خليفته، حسنى مبارك، معروفا جيدا لدى القادة الأمريكيين، ولم يكن هناك تقدير لكفاءاته القيادية. ولم يكن لهذا الخوف ما يبرره، وإن كان مبارك ـ تحت تأثير مستشاريه الذين

يتمسكون بالقومية العربية أكثر من تمسكهم بالقومية المصرية - يميل إلى إتاحة مجال أوسع للبيروقراطية الحكومية المصرية، يسمح لها بالابطاء فى تطبيع العلاقات مع إسرائيل، وهو الذى كان بطيئاً بالفعل. وقد وردت تقارير مثلا عن أن وزارة الداخلية تعمل على عدم تشجيع المصريين الذين يرغبون فى زيارة إسرائيل، وكان رد الفعل الإسرائيلى سريعا وسلبيا، ولم يلبث أن أبلغ إلى واشنطن. وأثارت هذه التصرفات من جانب مصر مزيدا من القلق لدى الدوائر الحكومية العليا فى الولايات المتحدة.

وكان هناك سبب آخر لخيبة الأمل، وهو ما رأت فيه القيادة المصرية عدم وفاء من جانب الولايات المتحدة بالإلتزامات التى قطعتها على نفسها فى كامب دافيد فقد كان القادة المصريون يتوقعون، بسبب ما قام به السادات من وضع جانب كبير من مصير بلادهم فى أيدى أمريكا، أن تستمر الولايات المتحدة بغض النظر عن تغير الإدارات، فى العمل «كوسيط شريف» للوصول إلى تسوية للجوانب التى لم تتم تسويتها فى إتفاقيتى كامب دافيد.

(د) وعلى النقيض من ذلك، كثيرا ما كانت سياسات مصر تبدو فى نظر الأمريكيين مترددة وذات وجهين، بل وكانت تتسم فى رأى بعض الأمريكيين بالجحود ونكران الجميل. فمنذ إتفاق كامب دافيد أصبحت مصر تعتمد إلى حد كبير على المساعدة العسكرية والإقتصادية الأمريكية السخية، ومع ذلك لا تكف القاهرة عن إثارة إعتراضات تافهة وفرض حدود للتعاون. وكان الإختلاف فى موقف الولايات المتحدة من البلدين واضحا تماما للقيادة المصرية ولم يكن لمصر أن تعترض على قيام

إرتباط وثيق بين الولايات المتحدة وإسرائيل، ولكنها كانت مستاءة للدور الثانوى الموكول إليها فى المعادله الثلاثية: واشنطن ـ القدس ـ القاهره.

ومنذ عودة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين فى فبراير ١٩٧٤، كانت مصر تسعى إلى قيام علاقة ثنائية مستقلة مع الولايات المتحدة، لكنها وجدت بعد صفقه كامب دافيد أنها تورطت فى علاقة ثلاثية مفروضة من أعلى وغير متكافئة.

وكان معنى ذلك فى الواقع أن واشنطن تحكم على مصر على أساس تصرفها إزاء إسرائيل. وقد أبدت إدارة ريجان، شأن إدارة كارتر من قبل، ترحيبها بالتشاور السياسى مع مصر وخاصة المشاورات الرامية إلى إقامة قدر من التعاون بشأن قضايا الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ذات الإهتمام المشترك بين البلدين. وعلى إمتداد سنوات طويلة كانت هناك عملية تفاوضية قائمة بين الدولتين على مستويات مختلفة. وكان نطاق الحوار التحليلى والتنفيذى واسعا، كما اتسم بدرجة عالية من الصراحة، إلا أن هناك عوامل متعددة حصرته فى مجالات محددة. فواشنطن ترى أن تعاون مصر فى القضايا الجوهرية لم يكن دائما على المستوى المطلوب، بينما ترى القاهرة أن الولايات المتحدة تفتقر فى أحيان كثيرة إلى الحساسية، وتميل إلى إستخدام اليد الغليظة. والقاعدة العامه أن أيا من الجانبين لم يقتنع الآخر بكفاءته السياسية. وظل كل منهما ينظر إلى تقديرات الآخر على أنها تقديرات منحازة: فتقديرات الولايات المتحده متأثرة بإسرائيل، وتقديرات مصر متأثرة بالاعتبارات العربية

(هـ) وخلال السنوات العشر التى إنقضت منذ إتفاقيتى كامب دافيد ظلت العلاقات بين الولايات المتحدة ومصر طيبه بوجه عام، ولكن كانت أيضا هناك خلافات بين البلدين فى بعض الأحيان وكل من الجانبين يلوم الآخر على تصرفات يراها معادية لمصالحه. وقد إنحسرت العلاقات منذ أيام السادات، ولكنها اكتسبت خلال ذلك مستوى براجماتيا من الواقعية. وذلك أمر مرغوب فيه ويعتبر صحيا من الناحية السياسية. ومازال مبارك ملتزما بمعاهدة السلام مع إسرائيل، مؤيدا للجهود المبذولة لإستئناف عملية أوسع للسلام فى الشرق الأوسط. ولكن لم تتحقق الآمال التى علقتها الولايات المتحدة على قيام علاقات مصرية إسرائيلية وثيقة فى المجالات السياسية والإستراتيجية والإقتصادية نتيجة لمعاهدة السلام، وليس من المتوقع أن يتغير هذا الوضع إلا إذا نشأت حركة أوسع للسلام فى الشرق الأوسط، بما فى ذلك التوصل إلى تسوية مقبولة للمشكلة الفلسطينية. ومع ذلك فإن من دواعى إرتياح الأمريكيين قيام حوار معقول بين مبارك وشيمون بيريز وزير خارجية إسرائيل حول عقد مؤتمر دولى للسلام.

ومنذ سنوات، كان الأمريكيون يعربون عن تخوفهم بالنسبة لمستقبل مصر لما يبدو من أن إنفجارها السكانى لا سبيل إلى السيطرة عليه، كما أن مجموعة المشاكل الإقتصادية الداخلية المعقدة، وتباطؤ البيروقراطية الداخلية، والديون الخارجية الهائلة، وغير ذلك من المشاكل، أسهمت كلها فى حالة اليأس السائدة بشأن المستقبل. وأدى

إزدياد قوة الأصوليين الإسلاميين فى مصر، وربما - أيضا - الناصريون الجدد، والتأثير المتوقع لذلك على المستقبل، إلى زيادة مخاوف القادة الأمريكيين.

(و) وفى الوقت ذاته فإن هناك إتجاها بين المسئولين فى الولايات المتحدة إلى أخذ مصر على علاتها. فهم يرون بوعى أو بغير وعى أنه نظرا لبرامج المعونة الإقتصادية العسكرية الضخمة التى تقدمها الولايات المتحدة، فإن مصر دولة متعاونة، يتوقع أن يكون موقفها مطابقا للموقف الأمريكى عندما تطلب منها واشنطن ذلك.

وجاء نشر كتاب «الحجاب» بقلم «وود وارد» فى عام ١٩٨٧ بما حواه من معلومات ضارة عن الأنشطة السرية التى قامت بها وكالة المخابرات المركزية ضد مصر خلال السنوات الخمس الأخيرة، فزاد من نفور المصريين عموما من الولايات المتحدة، وهو لم يؤد فقط إلى الإستياء الشخصى لمبارك، بل عرضه أيضا داخليا للحرج السياسى نتيجة للمعلومات التى كشف عنها الكتاب.

(ز) وما دامت المعونة الإقتصادية والعسكرية الأمريكية الكبيرة لمصر مستمرة، فسيستمر الحوار الثنائى بين البلدين إيجابياً، وإن تخللته المنازعات فى بعض الأحيان، وذلك على خلاف الوضع فى إسرائيل، التى تعتبر حليفا من خارج حلف الأطلنطى. أما مصر فليس هناك تحالف بينها وبين الولايات المتحدة، كما أن معظم المصريين، سواء منهم الشخصيات العامة أو الخاصة، لايبدون رغبة فى التحالف وقد غُرِس عدم الأنحياز فى الفكر السياسى المصرى منذ أمد طويل.

(ح) ولكن ينبغى أن نضيف فى النهاية كلمة تحذير فبعض الأمريكيين مقتنعون بأن إرتباط مصر بالولايات المتحدة أمر لا رجعة فيه. ويستشهدون فى ذلك بالتوجه الحالى لقيادة الصفوة، وبتخطيطها الإقتصادى واعتمادها على القوة العسكرية فى دعم مواقفها. ورغم أن هذه الأقوال ليست خاليه من الصواب، فإنها تتجاهل الخبرة التاريخية، فمصر قد أحدثت تغيرا دراميا فى علاقاتها بالدولتين العظميين فى الماضى ويمكن أن تفعل ذلك مرة أخرى.

(ط) ولكن هناك الكثير الذى يتوقف على متغيرات تخرج عن سيطرة أى من القيادتين: مثل الإجراءات التى قد يتخذها الكونجرس فى المستقبل بشأن المعونه الإقتصادية والعسكرية، أو حدوث صدام شديد بين إسرائيل وسوريا، أو معاملة إسرائيل للفلسطينيين ورد الفعل الأمريكى، أو ظهور عوامل سياسية داخلية مؤثرة فى السياسة المصرية.

وفى كل الأحيان يحسن بالمسؤولين وأعضاء المجلس التشريعى الأمريكيين ألا يتصوروا أن المعونة الأمريكية الكبيرة لمصر ستؤدى بشكل ما إلى خضوعها للولايات المتحدة سياسيا. فأية إشارة بذلك كفيلة بإستثارة الحكومة المصرية والشعب المصرى، وستكون نتيجتها مخالفة، ولابد أن تستمر العلاقة قائمة بين ندين يتمتعان بالسيادة، وأن تستمر الولايات المتحدة فى الإهتمام بما تعانيه مصر من مشاكل وحساسيات متعددة إذا أريد للعلاقة بين البلدين أن تزدهر.

تأثير المشكلات العربية

١ ـ تعثر محادثات السلام:

(أ) بدأت المحادثات بشأن الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة، والذى نصت عليه كامب دافيد، فى أغسطس ١٩٧٩ . وكان من دواعى خيبة أمل السادات أن كارتر لم يتمكن من القيام بدور إيجابى. فقد كان الرئيس الأمريكى مشغولا ابتداء من نوفمبر ١٩٧٩ فصاعدا بالأزمة المحرجة للرهائن فى إيران. كما كان مشغولا بالمعركة الأنتخابية لفترة الرئاسة الثانية. وقد نصحه مستشاروه المقربون بعدم المشاركة فيما كانوا يتوقعون أن تكون مفاوضات طويلة الأمد بشأن القضايا الخلافية المتعلقة بالضفة الغربية وغزة. وكان كارتر قد تعرض للإنتقاد من جانب أعضاء الطائفة اليهودية الأمريكية عندما طالب إسرائيل بالتخلى عن مستوطناتها فى سيناء.

ولجأ كارتر إلى تعيين ممثلين خاصين له فى المحادثات، هما أولاً «روبرت شتراوس»، ثم أعقبه «صول لينوفيتش» وهما رجلان لا

شك فى كفاءتهما، ولكن سابقة كامب دافيد كانت تستلزم درجة عالية من مشاركة الرئيس بنفسه كشرط للنجاح. وذلك بالإضافة إلى أن قضيتى الضفة الغربية وغزة كانتا بطبيعتهما أكثر تعقيدا من قضية سيناء.

ورغم الجهود التى بذلها هذان المبعوثان، فى وضع صيغة للحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة تكون مقبولة لدى الطرفين، لم يتحقق سوى تقدم هامشى.

ونظراً لاستياء السادات لعدم إحراز تقدم، فقد أوقف محادثات الحكم الذاتى ثلاث مرات فى ١٩٨٠ حتى يتمكن كارتر، كما كان السادات يأمل، من المشاركة فى المفاوضات. وكان من دواعى خيبة أمل السادات، على المستويين الرسمى والشخصى، أن خسر كارتر الانتخابات.

(ب) ولم يلبث أن تبين أن الرئيس الأمريكى الجديد، رونالد ريجان، له أولويات تختلف عن أولويات سابقه. وكانت محادثات الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة تأتى فى مرتبة أدنى فى جدول أعماله.

وعلى العكس من ذلك كان التوافق الإستراتيجى الرامى إلى مواجهة الخطر السوفييتى المحتمل على الشرق الأوسط هو الهدف الأساسى لسياسة ريجان الخارجية.

وكان الرئيس الجديد يتصور أنه ينبغى لمصر وإسرائيل والأردن، وربما المملكة العربية السعودية، أن تقلل بشكل ما من التركيز على خلافاتها حول القضايا التى لم يتم فيها التوصل إلى حل

لها فى العلاقات العربية الإسرائيلية، وأن تتعاون بدلا من ذلك فيما بينها ومع الولايات المتحدة لمناهضة السوفييت فى المنطقة.

(جـ) وفى ذلك الحين كانت واشنطن قد أدركت متأخرة حقيقة جوهرية أخرى، وهى أنه رغم كل ما قد قاله السادات فإن مصر، على خلاف ما كانت أمريكا تأمل فى الماضى، لا تستطيع أن تتكلم باسم المطامح الوطنية للفلسطينيين. ولما كانت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية غير مقبولة لدى إسرائيل كشريك فى المفاوضات، كان من المطلوب العثور على متحدث آخر باسم الفلسطينيين. وكان الخيار المنطقى فى رأى الإدارة الأمريكية (وإسرائيل) هو الملك حسين ملك الأردن.

وبالتدريج، ولكن بصورة متصلة، أصبحت إدارة ريجان ترى أن دور مصر فى أية محادثات للسلام تعقد فى المستقبل ثانويا، ولن يتجاوز فى أحسن الأحوال تعزيز موقف الملك حسين إذا أمكن إقناع الأردن بالإشتراك فى المفاوضات. وكانت هذه هى الرسالة غير المباشرة التى حملها الممثلون الخاصون لريجان إلى الشرق الأوسط، ومن بينهم فيليب حبيب ودونالد رامسفيلد، فى الفترة بين ١٩٨١ و ١٩٨٣ . وأحدث ذلك ردود فعل متباينة لدى المصريين. فمن ناحية، شعرت القيادة المصرية بالارتياح لإعفائها من المسئولية عن فلسطين، ومن ناحية أخرى كان هناك قلق من أن تتناقص أهمية مصر فى عين الولايات المتحدة.

(د) وقام ريجان فى أول سبتمبر ١٩٨٢ ، فى أعقاب الغزو الإسرائيلى للبنان، بتوضيح أفكاره لأول مرة بشأن التسوية السلمية للشرق

الأوسط. ورفضت إسرائيل الإقتراح على أساس أنه لا يتفق مع كامب دافيد.

وأيدت مصر اقتراح ريجان بإعتباره الوسيلة الوحيدة لإحياء عملية السلام، وأكدت أنه يتفق مع مفاهيم كامب دافيد. لكن القاهرة شعرت بخيبة أمل عندما لم تبذل الحكومة الأمريكية جهدا حقيقيا لتنفيذ إقتراحها. وكان من دواعى اغتباط الولايات المتحدة، ودواعى شعور مصر بخيبة الأمل أن أجهض الإتفاق بين الأردن والمنظمة فى أوائل ١٩٨٦ بسبب الإختلاف فى التفسير. وابتداء من ذلك الحين كانت واشنطن (وإسرائيل) تأمل أن يحل فلسطينيون من أبناء الضفة الغربية وغزة محل منظمة التحرير الفلسطينية كشركاء فى التفاوض مع الأردن. واستمرت مصر فى تمسكها بضرورة مشاركة المنظمة فى أية مفاوضات للسلام، وحث الأردن على إعادة العلاقات مع عرفات.

(هـ) وبينما يسلم القادة المصريون بصعوبة إحياء عملية السلام، فقد شعروا بخيبة أمل لموقف الولايات المتحدة القائل بعدم اتخاذ مبادرات جديدة إلا إذا كشفت إسرائيل والأطراف العربية عن رغبة واضحة فى استئناف المحادثات. ويرى المصريون أنه يتعين على الولايات المتحدة الأمريكية أن تواصل السعى إلى إجراء محادثات جديدة. وأدت الإنتفاضة الفلسطينية فى الضفة الغربية وغزة التى بدأت فى ديسمبر ١٩٨٧ إلى اقتناع واشنطن مؤخرا بضرورة التدخل الأمريكى إذا أريد منع حدوث المزيد من التدهور السياسى فى منطقة الشرق الأوسط.

٢ ـ المشكلة الفلسطينية:

(أ) كان من دواعي دهشة حكومة ريجان أن أعلن السادات أثناء وجوده في لندن في أغسطس ١٩٨١، وهو في طريقه إلى الولايات المتحدة، إقتراحه بإنشاء حكومة فلسطينية في المنفى. وبدا هذا التصرف متناقضا مع ما ذكره السادات من قبل، من أنه ليست له مصلحة حقيقية في القضية الفلسطينية. ولم تدرك واشنطن أنه مهما كانت الإنتقادات التي يوجهها السادات دائما إلى القيادة الفلسطينية، فإن مصر لا تستغني عن تسوية مرضية للقضية الفلسطينية، إذا أرادت أن تستعيد ما فقدته من مكانتها في العالم العربي.

وأقدم السادات على إجراءات اعتقالات واسعة في سبتمبر ١٩٨١ . وفسر كثير من المصريين هذه الخطة التي اتخذها السادات عقب زيارته لواشنطن بأنها جاءت بوحي من أمريكا. ورأت الإدارة الجديدة التي كانت لا تزال تسعى لتحديد اتجاهها أن هذه الاعتقالات الواسعة النطاق إنما تدل على عدم الاستقرار الداخلي في مصر. وأدى إغتيال السادات بعد ذلك بشهر واحد إلى مضاعفة هذه المخاوف وإلى تعطيل إحداث دفعة للمشكلة الفلسطينية.

(ب) ومازال الخلاف مستمرا أيضا بشأن القضية الفلسطينية بعد وفاة السادات. ففي عام ١٩٨٢ عندما كان فيليب حبيب، المبعوث الأمريكي الخاص إلى الشرق الأوسط، يتفاوض لوضع الترتيبات الخاصة بخروج المقاتلين الفلسطينين من لبنان، رفضت مصر ماطلبه من استقبال أربعة آلاف من أولئك

المقاتلين، ورأت واشنطن أن هذا الموقف غير ودى. وأدهشها أن مصر أرسلت بعد ذلك فى عام ١٩٨٣ سفنا حربية لتحرس السفينة التى خرج بها ياسر عرفات من طرابلس، ثم استقبل مبارك عرفات علنا فى القاهرة عند مرور سفينة قائد منظمة فتح بقناة السويس. ورحبت وسائل الإعلام المصرية بالتقارب بين مبارك وعرفات، عندما عاد مبارك إلى حث الولايات المتحدة وإسرائيل، عبثا، على قبول منظمة التحرير الفلسطينية كشريك فى المفاوضات. واعتبرت واشنطن هذه السياسة المصرية تعارض لما تراه الولايات المتحدة (وإسرائيل) من أن منظمة التحرير الفلسطينية عموما، وعرفات خصوصا، هم من الإرهابيين الدوليين.

(جـ) وفى أكتوبر ١٩٨٥ عندما وقعت حادثة السفينة أكيلى لاورو. رأت الحكومة المصرية أنها عندما اقنعت الفلسطينيين بالتسليم بعد أن استولوا على السفينة الإيطالية وقتلوا على ظهرها رجلا أمريكيا فإنها بذلك قد أنقذت حياة الركاب الآخرين. لكن رفض مصر لتسليم الفلسطينيين المحتجزين إلى الولايات المتحدة، ومحاولة لإرسالهم سراً إلى تونس بدعوى محاكمتهم بمعرفة قيادة المنظمة، أدى هذا إلى إتهامات تكاد تكون صريحة لمبارك بأنه أخفى ما كان يعلمه. ومن الجانب الآخر، فإن ما حدث بعد ذلك من قيام طائرات عسكرية أمريكية بإرغام طائرة مدنية مصرية تحمل الفلسطينيين وقائدهم على الهبوط فى إيطاليا. كان فى نظر مبارك والشعب المصرى إهانة وطنية.

ورأت إدارة ريجان التى جعلت من مكافحة الإرهاب الدولى هدفا أساسيا للسياسة الخارجية، أن تصرف مبارك هو تقاعس من جانب مصر عن الوفاء بمسئوليتها الأدبية تجاه المجتمع الدولى، وتملصا من الإلتزام نحو الولايات المتحدة التى تعرض أحد مواطنيها للقتل بطريقة وحشية. أما مصر، فكانت ترى أن إيمان الإدارة الأمريكية القاطع بأنه لا سبيل إلى مواجهة الإرهاب إلا بالقوة وبغير نظر لأسبابه الجذرية، يعتبر من قبيل قصر النظر من الناحية السياسية. وأشارت مصر إلى حالات مماثلة امتنعت فيها أوروبا عن تطبيق السياسة الأمريكية فى مناهضة الإرهاب.

(د) وبرز العامل الفلسطينى بقوة فى المعادلة الثلاثية بين مصر والولايات المتحدة وإسرائيل نتيجة للإنتفاضة الفلسطينية فى الضفة الغربية وغزة. وأدت التدابير القمعية الإسرائيلية الصارمة التى أسفرت فى منتصف ١٩٨٨ عن أكثر من مائتى قتيل من الفلسطينيين، وآلاف عديدة من المصابين، وأكثر من خمسة آلاف من المعتقلين، وطرد أكثر من عشرين من بلادهم، إلى إثارة احتجاجات مصرية قوية وعاجلة، كما أدت مرة أخرى إلى توتر العلاقة المصرية الإسرائيلية الهشة.

وكانت هذه التصرفات الإسرائيلية التى جاءت عقب قمة عمان التى استردت فيها مصر جانبا كبيرا من مكانتها السياسية، من عوامل إحراج مبارك، خاصة فى العالم العربى.

(هـ) وقد شعر المصريون فى البداية بالارتياح لوجود قدر من المشاركة فى اعتراضات أمريكا على التصرفات الإسرائيلية، إذ دعت واشنطن إسرائيل إلى الالتزام بالاعتدال، وقامت فى

مناسبتين منفصلتين - إحداهما فى أواخر ١٩٨٧، والأخرى فى أوائل ١٩٨٨ - باتخاذ خطوة غير مألوفة، وهى الإمتناع عن التصويت على قرارات الأمم المتحدة التى تستنكر التصرفات الإسرائيلية. كما أنها ألحت على إسرائيل ألا تلجأ إلى طرد الفلسطينيين على سبيل العقاب.

٣ - المشكلة اللبنانية:

(أ) فى أوائل عام ١٩٨٢ أقتنعت واشنطن بأنه ما دام الأردن يرفض الإشتراك فى المفاوضات، ومادمت مصر عاجزة عن إحياء محادثات السلام، فإنه يمكن بعث مفاوضات أوسع نطاقا للسلام فى الشرق الأوسط عن طريق التدخل الأمريكى فى لبنان لإنهاء الوضع الداخلى المتسم بالفوضى فى ذلك البلد، والعمل فى الوقت ذاته على إبرام معاهدة للسلام بين لبنان وإسرائيل. وكانت هناك مصلحة قوية للولايات المتحدة فى تأييد القيادة المسيحية المارونية التى كانت لها بالفعل علاقات غير رسمية بإسرائيل.

(ب) وكانت مصر متعاطفة مع تسوية المشكلة الداخلية فى لبنان، ولكنها رأت أن تلك الأفكار الأمريكية ساذجة، ولا تتناول صميم المشكلة. وكان المصريون على يقين من أن التسوية اللبنانية التى تتوخاها الولايات المتحدة لن تؤدى إلى حل مرضٍ للمشكلة الفلسطينية.

(جـ) وفى يونية ١٩٨٢ قامت إسرائيل بغزو لبنان بزعم إزالة الوجود العسكرى الفلسطينى فى الجنوب. ولم يكن سرا أن هجوما كهذا

سيقع عاجلا أو آجلا. وكانت مصر قد أعربت لواشنطن مسبقا عن قلقها بشأن نوايا إسرائيل. وأدى إحجام الولايات المتحدة عن منع إسرائيل من ذلك رغم التحذير منه منذ أمد طويل، والشك في أن التصرف الإسرائيلى لم يتم إلا بموافقة الدوائر الأمريكية العليا، إلى توتر شديد فى العلاقات بين مصر والولايات المتحدة. وقد وجد مبارك نفسه فى موقف سياسى محرج للغاية. واتهمت دول الرفض العربية مصر بالتواطؤ.

وبدا أن إسرائيل تعتقد أن صفقة كامب دافيد تطلق يدها فى منطقة المشرق العربي، كما بدا أن الولايات المتحدة لا تكترث بموقف إسرائيل. وانتشرت فى أنحاء البلاد المشاعر المعادية لأمريكا.

وواجه مبارك ضغطاً داخليا متزايداً للرد على ما رآه المصريون عدوانا إسرائيليا على العرب. وقد سبق له أن قاوم ذلك لمدة طويلة، وحذر ناقديه من أن القيام بعمل للرد على إسرائيل يهدد بخفض أو منع المعونة العسكرية والإقتصادية الأمريكية.

لكن مذابح صابرا وشاتيلا فى ١٦ سبتمبر ١٩٨٢ دفعت مبارك دفعا إلى التصرف. ورغم أن إدارة ريجان شجبت تلك المذابح أيضا، وشعرت مؤقتا بشئ من الحرج.

واستجابة للسخط الداخلى قام مبارك بسحب سفيره من تل أبيب، وجمد تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل. ورأت القيادة الأمريكية أن هذا التحرك لا يفيد، ولن يكون له من أثر غير زيادة الأمور تعقيداً.

(د) وخلال السنوات الأربع التالية، ورغم الضغط الأمريكى الذى لم يتوقف، حتى يعيد مبارك السفير المصرى ويستأنف تطبيع العلاقات، فقد رفض الرئيس المصرى ذلك، ولاحظت أمريكا (وإسرائيل) بإنزعاج أنه قد سمح للصحف المصرية بأن تستأنف الهجوم على إسرائيل.

ورأى المصريون أن الإتفاق اللبنانى الإسرائيلى الموقع فى ١٧ مايو ١٩٨٣ ، والذى تم بالتفاوض مع وزير الخارجية چورچ شولتز، وهو إتفاق متحيز لإسرائيل وضار بالفلسطينيين. وعلى النقيض مما شعرت به واشنطن من خيبة أمل، لم تبد مصر أى أسف عندما قام الرئيس اللبنانى فى شهر مارس من العام التالى بإلغاء ذلك الإتفاق من جانب واحد.

ومما زاد الطين بلة أن شولتز اعتبر أن مبارك أخل بالتزام قيل إنه قدمه للولايات المتحدة بأنه سيعيد سفيره إلى تل أبيب بمجرد إنسحاب إسرائيل من لبنان. وأنكرت مصر أنها قدمت مثل هذا الالتزام فى أى وقت، وتمسكت فوق ذلك بأن القوات الإسرائيلية لم تنسحب انسحابا تاما، بل بقى جزء منها فى جنوب لبنان بحجة أو بأخرى.

واستمر الوضع معلقا حتى سبتمبر ١٩٨٦ عندما توصلت مصر وإسرائيل عن طريق مزيج من الإقناع والوساطة من جانب الولايات المتحدة، إلى إتفاق يحدد مشارطة التحكيم بشأن مسألة طابا. وتمت بعد ذلك ترقية القائم بالأعمال المصرى فى تل أبيب إلى درجة سفير. وأقيمت علاقة دبلوماسية رمزية مماثلة من الجانب الآخر.

(هـ) ولايفوتنا قبل إنهاء الحديث عن الأزمة اللبنانية أن نشير إلى الموقف السورى، فقد أصبحت سوريا منذ عام ١٩٧٤ معادية لمصالح مصر السياسية فى المنطقة. ومع ذلك استاءت القيادة المصرية لما اعتبرته تواطؤ بين الولايات المتحدة وإسرائيل ضد سوريا فى لبنان ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ وهى لم تفعل ذلك بسبب ميلها إلى سوريا، ولكن لأن هذا التواطؤ، بالصورة التى رآها العالم العربى، كان ضارا بالجهود التى تبذلها مصر لأستعادة مكانتها بين الدول العربية. كما أنه يضع عقبات إضافية فى سبيل التوصل إلى تقارب مصرى سورى فيما بعد. وتعتقد القيادة المصرية أن سوريا خففت من موقفها العدائى تجاه مصر.

وفى عام ١٩٨٧ شرعت إدارة ريجان فى السعى إلى إقامة علاقات جديدة مع سوريا.

٤ ـ المشكلة الليبية:

(أ) كانت مسألة ليبيا أكثر تعقيدا. ففى خلال فترة السادات وصل التوتر بين مصر وليبيا إلى درجة عالية، وعندما تولى مبارك السلطة فى أكتوبر ١٩٨١ أمر بوقف تلك الحملات على القذافى، ولكن لم يحدث تغير يذكر فى العلاقات بين الدولتين. واستمرت حملات القذافى على القيادة المصرية ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية بلا هوادة. كما أن تصرفات ليبيا فى تشاد والسودان وتهديدها لتونس كانت من دواعى قلق مصر.

(ب) وهناك تبادل منتظم للآراء بين الولايات المتحدة ومصر بشأن الخطر الذى يمثله القذافى على مصالح كل منهما. لكن كلا من واشنطن والقاهرة تشكو من أن الجانب الآخر له موقف متناقض بشأن ما ينبغى عمله لاحتواء القذافى.

(جـ) وفى سبتمبر ١٩٨٥ قام «چون بونيد كستر»، الذى كان فى ذلك الحين نائبا لمستشار الأمن القومى، بزيارة للقاهرة ليقترح على مبارك أن تقوم الولايات المتحدة بالاشتراك مع مصر بعملية عسكرية ضد القذافى من أجل إسقاطه. وكان المفروض أن تكون مصر رأس الحربة فى الهجوم البرى مع دعم من الطيران الأمريكى. ولكن مبارك أزعجه الضغط الأمريكى، وقال بأن مصر ستتصرف بالصورة المناسبة وفى الوقت وبالأسلوب الذى تختاره. ونوقش المزيد من التخطيط العسكرى المشترك بين الولايات المتحدة ومصر ضد ليبيا، سواء للأغراض الدفاعية أو الوقائية، فى القاهرة فى فبراير ١٩٨٦ .

(د) وعلى الرغم من هذا التخطيط المشترك وجهت مصر انتقادات علنية لما أقدمت عليه الولايات المتحدة من قصف طرابلس وبنغازى فى أبريل عام ١٩٨٦، ووصفته بأنه قصر نظر سياسى، واشتركت مصر مع الدول العربية والإسلامية الأخرى فى إدانته. وقال قادتها سرا إن هذا التصرف الأمريكى يعمل على حشد التأييد العربى والإسلامى للقذافى.

(هـ) غير أنه كانت هناك حالات أخرى تطابقت فيها وجهتا النظر المصرية والأمريكية، وقام بينهما تعاون منسق. ففى سبتمبر

١٩٨٥ مثلا قام مبارك بتأييد من الولايات المتحدة بتوجيه إنذار علنى إلى القذافى بألا يحاول أن يغزو تونس عسكريا.

وفى عام ١٩٨٦ أجريت مناورات بحرية مشتركة بين الولايات المتحدة ومصر أمام سواحل ليبيا. وربما كان لهذين التحركين أثر رادع. كما كان هناك تعاون أمريكى مصرى خلال عامى ١٩٨٦ - ١٩٨٧ لتأييد حكومة حسين حبرى فى تشاد من أجل احتواء وصد التدخل العسكرى الليبى فى الجزء الشمالى من تشاد.

٥ - الحرب العراقية الإيرانية:

(أ) وقع حدث كان له أثره فى الوقائع الجارية على مسرح الشرق الأوسط، هو وصول أية الله الخومينى إلى الحكم وإعلان قيام جمهورية إيران الإسلامية فى عام ١٩٧٩، وما أعقب ذلك من إذلال للولايات المتحدة أثناء أزمة الرهائن، مما شجع حركات الأصولية الإسلامية فى غير إيران من أنحاء الشرق الأوسط، والإسلاميون المصريون الذين اغتالوا السادات وهم من المعادين لأمريكا وإسرائيل وكامب دافيد.

(ب) وقد دعمت مصر العراق فى صراعها مع إيران، وكانت تعتقد أن الولايات المتحدة تفعل نفس الشئ. ومصر ترى أن الأصولية الإسلامية التى تصدرها إيران إلى الخارج خطر يهدد الشرق الأوسط بكامله، وأعتقدت أن الولايات المتحدة تشاطرها هذا الرأى. وعندما انكشفت فى نوفمبر ١٩٨٦ شحنات الأسلحة السرية التى أرسلتها الولايات المتحدة إلى إيران بالتواطؤ مع

إسـرائيل، وفى نفس الوقت الذى كـانـت واشنطن تتظاهر فـيـه بأنها تريد فرض حظر عالمى على توريد الأسلحة لإيران، جاء ذلك بمثابة صدمة لمصر.

(جـ) غير أن ما حدث بعد ذلك من اشتداد القبضة الأمريكية فى الخليج الفارسى أثلج صدر القيادة المصرية. وكان من دواعى اغتباط القاهرة أن كشفت الولايات المتحدة، بزيادة قواتها البحرية فى الخليج ونجاحها فى زيادة الإهتمام الأوروبى بمسائل الأمن فى تلك المنطقة، عن عزمها على الوقوف بقوة فى وجه إيران. فمصر شديدة الإهتمام بقدرة العراق على البقاء فى مواجهة التفوق البشرى الإيرانى. وقد أمدت القاهرة بغداد ببعض المعدات العسكرية.

٦ ـ تأثير الفصائل الأصولية:

(أ) كان تقدير القيادة الأمريكية لمعالجة مبارك للإعتداء على الدبلوماسيين الإسرائيليين فى القاهرة فى أغسطس ١٩٨٥، أنها معالجة تتسم باللامبالاة. ثم حدث بعد ذلك بقليل أن قتل سبعة من السياح الإسرائيليين فى سيناء على يد مجند مصرى قيل إن عواطفه قد استثيرت، فزاد ذلك من إستياء واشنطن. ورغم أن مصر اعتذرت عن الحادثين فقد بدا للبعض أن مبارك لا يقدر مدى خطورتهما.

ولما كان المعتقد أنهما من عمل المتطرفين الإسلاميين، فقد أوحى لهم عدم اتخاذ مبارك لموقف أكثر شدة بأنه ربما يسعى إلى

إسترضاء تلك العناصر. كما لوحظت أمثلة أخرى على التسامح مع الأصوليين الإسلاميين.

ويؤكد مبارك أن المتطرفين الإسلاميين فى مصر تحت سيطرة الدولة. لكن كثيرين من الأمريكيين ليسوا على ثقة من ذلك. فالإصابات الخطيرة التى أصيب بها فى مايو ١٩٨٧ وزير داخلية سابق، والهجوم الذى تعرض له رئيس تحرير إحدى المجلات المصرية المعروفة فى أوائل يونية ١٩٨٧، والمحاولة الفاشلة التى تعرض لها وزير آخر للداخلية فى أغسطس ١٩٨٧، زادت من مخاوف الولايات المتحدة بشأن عدم الإستقرار السياسى والأمنى فى مصر، والذى قد يكون راجعا إلى الأصوليين الإسلاميين.

(ب) وأصبحت الولايات المتحدة تشعر منذ منتصف ١٩٨٧ بالقلق للأعمال الإرهابية الموجهة ضد الأمريكيين فى مصر والتى يقوم بها الناصريون الجدد. وقد بينت التحريات أن إطلاق النار على ثلاثة من الديبلوماسيين الأمريكيين بالمعادى فى مايو ١٩٨٧ كان من عمل مجموعة ذات ميول ناصرية، تعلن الولاء الكامل لمبارك، ولكنها تستنكر بشدة ما يصفه أنصارها بأنه وضع مصر أسيرة للولايات المتحدة من الناحيتين السياسية والاقتصادية. وقيل أن أكبر ابناء الرئيس الراحل جمال عبد الناصر متورط فى هذا الحادث، وكان إحتمال اشتراكه يفرض مشاكل سياسية على كل من مبارك والولايات المتحدة.

وكان من المتوقع أن يضفى ممثلو الدفاع على إجراءات المحاكمة لونا وطنيا .واستخدم تورط ابن الرئيس الراحل فى الحادث

لتجديد الحديث عن تحدى عبد الناصر لما كان يسميه الأمبريالية الجديدة للولايات المتحدة.

ومن المسلم به أن التأثير السياسى للناصريين الجدد وهو الآن أضعف من تأثير الأصوليين الإسلاميين، لكن ذلك التيار ليس بغير مؤيد من سواء بين الكبار أو الشباب. وأيا كانت الإختلافات الأيديولوجية بين الحركتين فإن لهما عدوا واحدا وهو الولايات المتحدة وإسرائيل.

العلاقات الاقتصادية والعسكرية

١ - العلاقات الاقتصادية:

(أ) هناك عنصران أساسيان يشكلان البعد الإقتصادى للعلاقةبين مصر والولايات المتحدة: المساعدة الإقتصادية، والجهود الأمريكية المبذولة لإقناع مبارك بإجراء الإصلاح الإقتصادى اللازم.

(ب) وفى وقت إبرام إتفاق كامب دافيد كانت مصر تحصل بالفعل على ما يقرب من مليار دولار من المعونات الاقتصادية فى كل عام. وأثناء المفاوضات النهائية لمعاهدة السلام أثار السادات مع كارتر الحاجة إلى معونة أقتصادية إضافية، وإذا كان كارتر قد وافق على دفع مبلغ إضافى يبلغ ٣٠٠ مليون دولار كمعونة اقتصادية خلال ثلاث سنوات، فإنه لم يعط تعهدا أمريكيا بزيادة تلك المساعدة، لأن الإدارة الأمريكية كانت تشعر بالقلق إزاء النظرة الشائعة عن فشل مصر بشكل مستمر فى علاج العيوب الهيكلية فى نظامها الاقتصادى،

وترى أن المزيد من المعونة الإقتصادية لن تؤدى إلى إطالة التسويف فى معالجة مصر لمتاعبها الاقتصادية المتباينة.

(جـ) وكانت عودة أمريكا للظهور على المسرح المصرى فى أواخر ١٩٧٣ داعيا إلى حدوث رد فعل جماهيرى هائل، شجعه المسؤولون الحكوميون إلى حد ما، على أساس أن اقتصاد البلد المتداعى سوف تستقيم الآن خطواته عن طريق ما يتلقاه من مساعدات غير محدودة، وكان ذلك توقعا لا يستند إلى أساس. وحققت هذه المساعدة إنجازات ملموسة، وإن كانت بطيئة الظهور فى بعض الأحيان. إذ أدت إلى توفير طاقة لتوليد الكهرباء تكافئ طاقة مجمع السد العالى، وأنشئت مصانع للأسمنت وصوامع للغلال، وتحسنت شبكة الصرف الصحى فى القاهرة والأسكندرية.

وتحسنت الزراعة عن طريق تحسين شبكة الصرف وتحسين البذور واستخدام أكثر كفاءة للموارد المائية، وتوافرت الواردات السلعية فى صورة مواد خام وقطع غيار. وحصلت مصر على كميات كبيرة سنويا من القمح والدقيق، وغير ذلك. «تحصل مصر على مايقرب من نصف خبزها من الدقيق الذى تقدمه لها الولايات المتحدة بشروط ميسرة».

(د) ومن المؤسف أن برنامج المساعدة الأمريكية لا يلقى التقدير الكافى بين الجماهير المصرية عموما، بل وبين بعض المسؤولين، ومثل هذا البرنامج الواسع والمتعدد الأنشطة لا بد أن يعانى من بعض المشاكل المزمنة. وحدث ما كان متوقعا من

أنه نتيجة الاعتماد المصرى المفرط على المعونة الاقتصادية الأمريكية أن أصبحت هذه المعونة ذاتها مصدرا لبعض الإحتكاكات والمشاحنات.

فبالإضافة إلى الشكوى المستمرة من أن المعونة الاقتصادية الأمريكية ليست كافية، فإن المسؤولين المصريين الذين يشعرون بالإحتياجات الهائلة لبلدهم كثيرا ماينتقدون عملية الإنتقاء والبطء فى تنفيذ المشروعات التى تحظى برعاية الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية.

(هـ) وقد طالب القادة المصريون فى مناسبات مختلفة بأن تفعل الولايات المتحدة مع مصر ما تفعله مع إسرائيل، ألا وهو تسليمها المبالغ المعتمدة، وترك المصريين يقررون المشروعات التى يرون إستخدامها فيها وأن يضعوا بأنفسهم جداول صرفها. ويقدمون فى هذا المجال أيضا مطلب التكافؤ مع إسرائيل فيما يتعلق بالتدابير الإجرائية. أما الجانب الأمريكى فيرى أن الحكومة المصرية ليس لديها من التنظيم أو الإنضباط ما يتيح لبعثة شراء واحدة، مثل بعثة إسرائيل، أن تشترى كل إحتياجات الوزارات الحكومية. كما أن هناك الخوف من أن تتحول إعتمادات المعونة إلى مصلحة بعض الأفراد.

وفى عام ١٩٨٥ ، عندما تعرضت إسرائيل لأزمة اقتصادية قرر الكونجرس أن يزيد المساعدة الاقتصادية لإسرائيل، وأن يحول معظمها إلى منح لا ترد. وطلبت مصر أن تُعامل بالمثل، وألمحت إلى ما زعمته إدارة كارتر من الإلتزام بالمساواة بينها وبين إسرائيل،

فطالبت بزيادة مماثلة فى المساعدة فى صورة منح. وانتهى الأمر بأن حصلت إدارة ريجان على موافقة الكونجرس على زيادة إعتمادات المعونة الاقتصادية بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار، ووافقت على أن يكون الجانب الأكبر من المعونة من الآن فصاعدا فى صورة منح لا ترد.

(و) وإذا كانت هناك شكاوى من الجانب المصرى بشأن المعونة الاقتصادية الأمريكية، فهناك إنتقادات أمريكية مناظرة للإجراءات المصرية. إذ ترى أمريكا أن التخطيط الأقتصادى لمصر لا يتسم بالكفاءة ولا بالثبات. وهناك صعوبة فى تحديد الأولويات، وليس هناك تعاون يذكر بين الوزارات الاقتصادية.

وكانت المبالغ الهائلة التى تدفعها مصر لدعم السلع مصدر قلق خاص للولايات المتحدة منذ أمد طويل. ففى السنوات بين ١٩٧٨، ١٩٨٦ بلغ الدعم المباشر وغير المباشر الذى تحملته الحكومة المصرية نحو ٦ مليارات دولار سنويا.

وإن ذكرى إضطرابات يناير ١٩٧٧ بسبب ارتفاع الأسعار لا تمحى من عقول القادة السياسيين فى مصر. وقد حاولت الولايات المتحدة أن تجعل المعونة الاقتصادية الإضافية لمصر مشروطة بأن تتحرك السلطات المصرية بقوة أكبر فى سبيل ترشيد الأسعار. وبعد سنوات من المناقشات العسيرة والمحبطة لكل من الطرفين. وقعت مصر أخيرا فى مايو ١٩٨٧ إتفاقا مؤقتا مع صندوق النقد الدولى يقضى بتخفيض الدعم بالتدريج، ولكن بدرجة ملموسة، وبتعويم الجنيه المصرى بدرجة محدودة.

(ز) وخلال سنوات إرتفاع أسعار البترول، وذلك حتى سنة ١٩٨٥ بما في ذلك تلك السنة نفسها، كانت مصر تجنى حصيلة كبيرة من النقد الأجنبى. وكانت مصادرها الأساسية هى: مبيعات البترول، وتحويلات المصريين العاملين فى الخارج، ورسوم قناة السويس، وإيرادات السياحة. وينتقد بعض المسؤولين الأمريكيين مصر لأنها لم تستخدم ذلك الدخل المؤقت عندما كان متاحا لها من أجل علاج مشاكلها الاقتصادية الداخلية.

(ح) وقدرت الديون الخارجية لمصر فى منتصف عام ١٩٨٧ بما يقرب من ٤٤ مليار دولار، منها نحو ١٠ مليارات من الدولارات تخص الولايات المتحدة. وفى كل عام تصل المبالغ التى تدفعها مصر سدادا للفوائد وحدها إلى ما يقرب من ٢٫٥ مليار دولار من حصيلة نقدها الأجنبى المتناقصة. وطلبت مصر كما كان متوقعا تخفيف شروط السداد. واقترحت الولايات المتحدة فى البداية إطالة فترة السداد، ولكن فى هذه الحالة ستكون الأقساط الأخيرة مرتفعة للغاية، ودون أن يشمل ذلك تخفيض سعر الفائدة. واستقبلت القيادة المصرية هذا الاقتراح بالإستياء.

ومع ذلك، تم فى ١٤ نوفمبر ١٩٨٧، وبعد مفاوضات دبلوماسية مطولة، توقيع إتفاق ثنائى لإعادة جدولة جزء كبير من ديون مصر المدنية والعسكرية للولايات المتحدة.

(ط)وهناك عنصر آخر لابد من الإشارة إليه، لأنه بحلول الوقت الذى أبرم فيه إتفاق كامب دافيد كانت سياسة الإنفتاح التى

اتبعها السادات مطبقة لما يقرب من خمس سنوات، ومع ذلك فإنها لم تجتذب غير مبالغ ضئيلة من رؤوس الأموال والاستثمارات الأجنبية، بما فى ذلك الاستثمارات الأمريكية. وفى سبتمبر ١٩٨٢ تم توقيع إتفاق مع مصر تتعهد فيه الحكومة الأمريكية بتشجيع استثمار رؤوس الأموال الأمريكية فى مصر.

ولكن النجاح فى هذا المجال ظل محدودا. فالمقدر الآن أن رؤوس الأموال الأمريكية الخاصة المستثمرة حاليا فى مصر تبلغ نحو ١ر٦ مليار دولار. ومازال المستثمرون الأمريكيون المحتملون يشيرون إلى الإجراءات البيروقراطية المطولة التى تأخذ بها مصر فى الموافقة على المشروعات المشتركة. ويشكو المصريون من أن كثيرا من المستثمرين الأمريكيين المحتملين يريدون أن تكون حصتهم فى رأس المال هى المعرفة الفنية والكفاءة الإدارية، ولكنهم غير مستعدين لتوفير رؤوس الأموال الأساسية.

وطوال حقبة الثمانينات كانت إدارة ريجان تعلن رغبتها فى توسيع القطاع الخاص المصرى. وعندما اشترطت أن تخصص حصة من المعونة الأمريكية السنوية لهذا العرض، كانت بذلك تلح على السلطات المصرية لإطلاق العنان للقطاع الخاص الذى طال بقاؤه مقيدا.

(ى) وإجمالا فإن القادة الأمريكيين يعتقدون أن مصر لا تستجيب للمشورة الاقتصادية السليمة إلا لماما. ولذا يخلصون إلى القول بأنه لا بد من إستخدام المعونة الاقتصادية الأمريكية فى بعض الأحيان وسيلة لإلزام مصر بتصحيح عيوبها الهيكلية.

٢ ـ العلاقات العسكرية:

(أ) منذ توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل أصبح للبعد العسكرى أهمية خاصة فى العلاقة الثنائية بين الولايات المتحدة ومصر. ومنذ وقت مبكر يرجع إلى ١٩٧٤ كان السادات قد سعى للحصول على أسلحة ومعدات أمريكية.

ورغم الوعود الأمريكية التى تلقاها السادات فى أول الأمر لم تحصل مصر على أى دعم عسكرى أمريكى إلا بعد إتفاقية سيناء الثانية. وحتى فى ذلك الحين اقتصرت مبيعات الأسلحة على كميات رمزية من معدات الإمداد والتموين والنقل الجوى.

(ب) وعلى مستوى آخر فى التعاون العسكرى. وإثباتا للرغبة فى التعاون، وافق السادات منذ عام ١٩٧٤ على أن تقوم السفن الحربية التابعة للأسطول السادس بأربع زيارات ودية للموانئ المصرية فى كل عام. وحرص الأسطول الأمريكى على أن يرفع عدد الزيارات المسموح بها إلى ثمان فى كل عام.

وكانت تلك خدمة عظيمة للأسطول الأمريكى الذى كان يعانى عجزا فى الموانئ التى يمكن أن يستخدمها فى شرق البحر المتوسط.

(جـ) ومع توقيع معاهدة السلام إنفتح الطريق أمام إدارة كارتر لطلب موافقة الكونجرس على برنامج واسع لتوريد الأسلحة لمصر. والواقع أن الوعد المتجدد بهذه المساعدة العسكرية من أجل إعادة تجهيز القوات المسلحة المصرية كان له أثره فى إقناع السادات بقبول إتفاقيتى كامب دافيد ومعاهدة السلام. رغم أنه كان

يعلم أن تلك الوثائق لا تعرب بدرجة كافية عن الإلتزام السياسى لمصر بالقضية العربية الشاملة.

(د) ومن وجهة نظر السادات، لم يكن هناك غنى عن الإحتفاظ بالقطاع العسكرى مؤيدا لسياسته السلمية. ولم يكن جميع الضباط الكبار فى مصر، ناهيك عن صغار العسكريين، مرتاحين لمعاهدة السلام. وهم لم يكونوا يعارضون السلام، بل كانوا يعارضون شروط المعاهدة.

وكانت إسرائيل غير متحمسة لأى برنامج للمساعدة الأمريكية لمصر بعد توقيع المعاهدة. غير أنها قبلت الفكرة على مضض طالما سيجرى فرض قيود حذرة على طرز وكميات المعدات العسكرية الأمريكية التى قد يتم توريدها.

(هـ) ومنذ بداية المعونة العسكرية لمصر حتى نهاية عام ١٩٨٧ خصص ما يقرب من ٩٫٥ مليار دولار للمعدات الجديدة والتدريب. وقد بدأ وصول الأسلحة إلى مصر فى منتصف عام ١٩٨٠، وما زال مستمرا حتى الآن.

(و) وكما كان متوقعا، أدى برنامج المعونة العسكرية الأمريكية لمصر إلى خلق بعض المشاكل. فالمصريون يشكون من عدم كفاية حجم المعدات، والبطء فى التسليم، كما يتحدثون عن الإفتقار إلى الحساسية الثقافية من جانب بعض المدربين العسكريين الأمريكيين عند التعامل مع المتدربين المصريين.

وكان لابد أيضا من معالجة مسألة التعاون العسكرى فى نطاق أوسع. ففى وقت مبكر يرجع إلى فبراير ١٩٧٩ اقترح السادات على

وزير الدفاع الأمريكي، أن تقوم الولايات المتحدة بتجديد وإستخدام رأس بناس على ساحل البحر الأحمر، وكان ذلك بسبب القواعد السوفييتية التى أقيمت أولا فى مصوع بأثيوبيا، ثم فى جزر دهلك.

(ز) وحتى يمكن الحصول على إعتمادات من الكونجرس لتعمير المرافق العسكرية فى رأس بناس، كانت الإدارة الأمريكية فى حاجة إلى إتفاق مكتوب مع مصر تسمح فيه للولايات المتحدة بإستخدام تلك المرافق. وتردد السادات فى إعطاء تصريح مكتوب. وكالعادة، أصر فى البداية على أن التزامه الشفوى يجب أن يكون كافيا.

(ح)وكان من الأحداث المحزنة للولايات المتحدة أنه عندما أغتيل السادات بعد ذلك بشهر واحد وتولى مبارك الرئاسة، سحبت القيادة المصرية الجديدة العرض الخاص برأس بناس. وبناء على طلب مصر، أوقفت أيضا المحادثات التى كانت جارية بشأن إحتمال توفير قاعدة لقوة الإنتشار السريع، وكان ذلك فى مايو ١٩٨٣ . ورأى بعض القادة الأمريكيين أن هذا التغير فى المواقف يدل على عدم وجود سياسة ثابتة.

وخلال السنتين الأخيرتين من حياة السادات كان قد عرض على الولايات المتحدة أيضا أن تستخدم مطارات عسكرية مصرية شتى على أساس الموافقة على كل حالة منها على حده.

وقد استخدمت طائرات سلاح الطيران الأمريكى تلك المرافق من حين لآخر، بما فى ذلك استخدامها للتزود بالوقود فى الجو فى عملية طاباز لإنقاذ الرهائن الذين كانوا محتجزين فى إيران فى عام

١٩٨٠، وهى العملية التى منيت بالفشل. وقد استمرت هذه الترتيبات فى عهد مبارك أيضا.

وإبتداء من عام ١٩٨١ تجرى فى الصحراء الغربية مناورات مشتركة مرة كل سنتين بين القوات المصرية والقوات الأمريكية التابعة للقيادة المركزية، والتى يطلق عليها اسم «النجم الساطع». وقد أشاد القادة العسكريون الأمريكيون بأداء القوات المصرية فى تلك المناورات. كما أجريت من وقت لآخر مناورات بحرية مشتركة بين الأسطول المصرى ووحدات من الأسطول السادس الأمريكى. وتتمسك السلطات المصرية بعدم الإعلان عن المناورات العسكرية المشتركة إلا فى أضيق الحدود. وهذا القيد من جانب مصر غير مريح للبنتاجون الذى يدرك أهمية العلاقات العامة.

(ط) وإذا كانت الولايات المتحدة لم تنضم إلى معاهدة ١٨٨٨ بشأن قناة السويس، على الرغم من أن السادات حثها كثيرا على ذلك، فإن الأسطول الأمريكى يعلق أهمية كبيرة على المرور الحر بغير عائق فى ذلك الشريان الإستراتيجى لسفنه الحربية وكذلك للسفن الأخرى. ولم تنشأ صعوبات فى هذا الصدد إلا فى حالة واحدة، وهى حالة السفن الحربية التى تستخدم الطاقة النووية.

وظل الأمر على ذلك حتى عام ١٩٨٦ عندما سمح لأول سفينة حربية تعمل بالطاقة النووية، وهى السفينة «أركنساس»، بالمرور عبر القناة، وحتى فى هذه الحالة تمسكت سلطات قناة السويس بألا يكون مرورها إلا فى إتجاه الجنوب، وأوقفت الحركة العادية للسفن المتجهة إلى الشمال أو إلى الجنوب إلى حين خروج السفينة من مياه القناة.

وكان من دواعى دهشة الأمريكيين أن مصر فرضت على مرور السفينة رسوما مرتفعة بصورة استثنائية، بدعوى أنها تمثل الدخل الذى ضاع نتيجة لإيقاف مرور القوافل أثناء وعبور السفينة. ونظرا للمعونة الكبيرة التى تقدمها الولايات المتحدة لمصر، رأى المسؤولون الأمريكيون فى هذا المطلب نوعا من الإبتزاز.

(ى) والخلاصة أنه رغم قيام قدر من التعاون العسكرى بين البلدين خلال السنوات العشر الأخيرة، فإنه مازال أقل مما ترغب فيه الولايات المتحدة، فضلا عن أنه كان عرضة لتغير الموقف المصرى من حين لآخر، ولا يتجاوز هذا التعاون الحدود التى تراها السلطات المصرية، لأسباب سياسية، لازمة ومقبولة سياسيا لضمان إستمرار المعونة العسكرية الأمريكية. وإذا حدث فى أى وقت أن أوقفت المعونة العسكرية الأمريكية، أو جرى تخفيضها تخفيضا شديدا على يد الكونجرس أو السلطات الحكومية، فإن هذا التعاون العسكرى القائم بين البلدين لن يلبث أن يتوقف.

القسم العاشر

العلاقات بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية
فى ظل كامب دافيد

الفصل الأول
تصور كارتر للسلام فى الشرق الأوسط

الفصل الثانى
فترة ريجان وتعثر العلاقات وتحسنها بعد استقالة بيجين

تصور كارتر للسلام في الشرق الأوسط

١ - أسس العلاقات الأمريكية الإسرائيلية:

(أ) فترة السنوات الإثنى عشر التى شملت رياستى جيمى كارتر، ورونالد ريجان شهدت تحولات فى سياسة أمريكا تجاه الصراع العربى الإسرائيلى، إلا أن المشاحنات المريرة التى كثيرا ما حدثت بين واشنطن وإسرائيل لم تحجب، إلا بصوره مؤقتة، مايكمن وراءها من إستمرارية فى العلاقة الودية الأمريكية الخاصة، و «تساهل» لحساب إسرائيل وهو أمر قوض ماللولايات المتحدة من مصالح أوسع فى الشرق الأوسط.

وعموما فقد استمرت أسس السياسة الأمريكيه وهى: «إلتزام فريد بأمن الدوله اليهودية، وإقتناع بأن التقدم صوب الحل السلمى للصراع العربى الإسرائيلى هو وحده الكفيل بصيانة المصالح الإستراتيجية الأساسية للولايات المتحدة فى المنطقة وكذلك المستقبل القومى لإسرائيل».

(ب) وحتى يتأتى تشريح عناصر الثبات فى العلاقة الأمريكية الإسرائيلية تشريحا وافيا، يتعين علينا أن نعيد بحث أسس

مـألوفـة لنا. وفى هذا تسـاهم عناصـر التـاريخ، والدين، والقـيم الديمقراطية، والشبكات العائلية، ورواسب الإحساس بالذنب حول مصير المجتمع اليهودى الأوروبى.

ومع نسيان الأجيال الجديدة من الأمريكيين للحرب العالمية الثانية، نشأت فى الولايات المتحدة طرق جديدة للتعبئة السياسية لتعزيز أسس مناصرة المصالح الذاتية السياسية. وقد صار الكونجرس أكثر حماسا من أى وقت مضى لتأييد إسرائيل ومتطلبات الأمن الإسرائيلى، حتى مع شروع المواطنين اليهود الأمريكيين هنا وهناك فى التساؤل بحياء عن حكمة السياسات الإسرائيلية بإزاء المأزق الفلسطينى. على أن هذا التساؤل لا يعبر عن أى شكوك أساسية حول أهمية إسرائيل المحورية بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط.

(جـ) وفى العقد التالى لكامب دافيد عمد اليهود المؤيدون لإسرائيل إلى تعزيز نفوذهم السياسى داخل الكونجرس، وأداتهم الأولى فى ذلك هى اللجنة الأمريكية للشؤون العامة الإسرائيلية، التى نمت وأصبحت منظمة للضغط السياسى داخل الهيئة التشريعية، وهى ذات عضوية حاشدة وفاعلية هائلة.

وضاعف الإتجاه نحو آليات تمويل الحملة السياسية من دعم الجهود للجنه الأمريكية للشؤون العامة الإسرائيلية، يضاف إلى هذا أن إسرائيل قد صارت قضية شعبية لدى كثير من الجماعات الدينية المسيحية الإنجيلية والأصولية.

(د) وهناك قاعدة أساسية عريضة للعلاقة الوثيقة وغير العادية بين الولايات المتحدة وإسرائيل، وهى أشبه ما تكون بحلف غير مكتوب لايتجاهله أى رئيس أمريكى إلا إذا أقدم على مخاطرة سياسية كبيرة. كما أن الكونجرس يتردد في إتخاذ أى إجراء يمكن أن يوصف بأنه معاد لإسرائيل، وهو يبدى حماسا لأى مبادرات من جانب السلطة التنفيذية من شأنها زيادة إحتمالات السلام العربى الإسرائيلى، طالما أن حكومة إسرائيل لا تستنكرها لأنها تعرض أمن إسرائيل لخطر.

وفى هذا الإطار المحلى الأمريكى، تميزت العلاقات الأمريكية الإسرائيلية منذ كامب دافيد بإنتصارات دبلوماسية باهرة، وإخفاقات كاملة. وإتفاقيتا كامب دافيد ومعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل هى مأثرة باقية لتصميم الرئيس كارتر. وقد تمتع الحلف الإستراتيجى، القائم بحكم الواقع، بين واشنطن والقدس، والذى أمتدت جذوره إلى الأعماق فى الفترة الثانيه لإدارة ريجان، بتأييد سياسى واسع فى كلا البلدين ومع ذلك فإن الآمال العريضة التى بشرت بها كامب دافيد لفتح الباب أمام حل دائم للصراع الفلسطينى الإسرائيلى وللسلام الشامل بين إسرائيل وجيرانها قد ذوت، مخلفة وراءها تركة مثقلة من المرارة والإحباط للفلسطينيين، وقد سقطت إسرائيل والولايات المتحدة فى المستنقع اللبنانى الذى لطخ الأمتين معا، وعجل بإنهيار دولة لبنان الهشه.

(هـ) وليس فى الوسع فهم عقد صناعة القرار فى الولايات المتحدة فيما بين عامى ١٩٨٧ و ١٩٨٨ بمعزل عما قبله، فالبذور قد

ألقيت فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وبات الإسرائيليون لأول مرة منذ عام ١٩٤٨ يتشككون فى تقديرات زعمائهم لأمور البقاء القومى على قيد الحياه. وبسبب الإنفاق الهائل على الموارد البشرية والإقتصادية، اضطرت إسرائيل إلى الأعتماد إعتمادا شديدا على الولايات المتحدة فى أعقاب الحرب، فالتمست معونه عسكرية وإقتصادية ضخمة، وحصلت على ماأرادت.

وأصبح الإستقلال الحقيقى لإسرائيل، ولأول مرة مهددا، ووضح دهاء دبلوماسية هنرى.أ.كيسنجر التى انتزعت من مصر وسوريا الخطوات الأولى صوب سلام بعيد فى ثلاث إتفاقيات لفض الإشتباك، كان هو سمسارها فى عامى ١٩٧٤ و ١٩٧٥ ، كما أنه فرض هيمنة الولايات المتحدة على العملية الدبلوماسية للوساطة بين إسرائيل وخصومها العرب.

ثم إن الحرب فى نهاية الأمر قد أقنعت الرئيس أنور السادات، وربما بعض الزعماء العرب الآخرين، بأن من غير المستطاع هزيمة إسرائيل عسكريا، وأن لا سبيل لإسترداد سيناء إلا عن طريق مائدة المفاوضات ووساطة من الولايات المتحدة.

٢ - شخصية كارتر.

(أ) كان كارتر مزيجا فريدا من النوازع المتضاربه: كان ضابطا بحريا، ومهندسا، وفلاحا، وسياسيا، صنع نفسه بنفسه، ومبشرا دينيا كان متفانيا فى أداء الواجب، دوؤبا لا يعرف الكلل. إذْ له قدره أسطورية على العمل وعزيمه على النجاح أيا كانت

العوائق أو الثمن السياسى الذى يدفعه وكان يتحكم فى التفاصيل الصغيرة، ولديه قدرة هائلة على ضبط النفس، وإقتناع بأن فى الوسع حل أى مشكلة بالتذرع بقدر كافٍ من النية الطيبة والعمل المضنى، وكان ملما بالكتاب المقدس ولكن فهمه السابق لليهود كان قليلا، وهو كرجل يحتكم إلى العقل وإلى التوجه الداخلى من ذات النفس، فقد كان فى كثير من الحالات يفهم، وبصورة جيدة جدا، جميع الجوانب الخاصة بكل مشكله.

(ب) أما وجهة نظر كارتر فكانت عن الشرق الأوسط واضحة، وترى أن إسرائيل تستحق العطف وأمنها جدير بالتعضيد القوى من جانب الولايات المتحدة، فقد عانى الشعب اليهودى عناءاً شديدا وأعاد إقامة وطنه من جديد، والإسرائيليون خليقون بأن يعيشوا فى سلام. غير أن للفلسطينيين بدورهم مطلبا تاريخيا صحيحا. إنهم شعب مشرد جرد من ممتلكاته ولديه حق مشروع فى أن ينتمى إلى أمة ويكون له وطن. ولئن كانت إسرائيل قوية، فلا يسعها أن تحقق السلام الدائم إلا بالتوافق مع هذه الحقيقة الموازية.

وأعتبر كارتر أن رسالته الشخصية هى تحقيق ذلك لمصلحة شعوب المنطقة، وكذلك لفائدة مصالح الولايات المتحدة، وإن كان الاعتبار الأول هو الأساسى.

واستغرق كارتر فى كل جانب من جوانب الأزمة العربية الإسرائيلية المثقلة بالتاريخ، وذلك إلى أدق تفاصيلها. وكان فى وسعه مناقشة التأويلات القانونية للمعاهدات مع كبار المحامين

الإسرائيليين، ومناقشة التاريخ الدينى «التوراتى» مع بيجين أو يوسف بورج، العالم والعميد الدينى للحزب الدينى القومى فى إسرائيل.

(جـ) وكان كارتر يتأرجح بين التعاطف الحار تجاه إسرائيل وبين المواجهة الباردة معها. ويقوم بدور الظهير الموجه لفريقه الخاص بالشرق الأوسط فى ساحة اللعب، فكان يوجه وينسق حركات لاعبيه مستخدما مواهبهم الخاصه فى الإضطلاع بالمهام المتعددة، وكان له فريق متجانس ومتماسك داخليا على نحو يلفت الأنظار، ولو بالنسبة للشرق الأوسط.

ولم يحدث أبدا فى التاريخ الحديث أن عمل وزيرا الخارجية والدفاع والموظفون التابعون لهما بمثل هذه السلاسة فى التجهيز. وكان كبار الموظفين المعنيين بالشرق الأوسط ضمن موظفى مجلس الأمن القومى وفى وزارة الخارجية زملاء قدآمى، وهذا يصدق أيضا على سفراء كارتر المحترفين فى جميع العواصم الهامة فى الشرق الأوسط تقريبا، وقد تمت الإستعانة بهم أيضا كأعضاء دائمين فى فريق كارتر الخاص بالسياسة.

وكان يُحْسِنْ التفويض فى الاختصاصات، فى حين كان يقبض بيدين ثابتين على الزمام. وقد كلفه الوقت الذى استنفذ فى ذلك ثمنا غاليا فى قضايا أخرى أجنبية ومحلية، ولكنه حقق إنتصاره فى كامب دافيد. وواضح أن عجزه عن مواصلة هذا المستوى الكثيف من الإنشغال الشخصى كان عاملا من عوامل الأخفاق فى إنجاز المرحلة.

(د) والحقيقة أن كلا من كارتر وريجان كانا يؤمنان بأن للولايات المتحدة مسؤولية خاصة تجاه إسرائيل، ولقد نظر كارتر إلى إسرائيل من خلال معرفته للتاريخ الدينى.

وساعد إنشغال كارتر بالعالم الثالث على إدراج عملية صنع السلام فى الشرق الأوسط على قمة جدول أعماله العالمى، وتعامل مع إسرائيل بإعتبارها لاعبا حاسما فى هذه اللعبة، وأحيانا بإعتبارها شريكا، وفى أحيان كثيرة بإعتبارها خصما، وكثيرا ما أعتبرها عائقا فى الطريق ينبغى التغلب عليه.

٣ ـ العمل من أجل السلام.

(أ) وقتما دعا كارتر كلا من الرئيس السادات ورئيس الوزراء مناحم بيجين للإجتماع فى كامب دافيد فى سبتمبر ١٩٧٨، كانت إدارة كارتر مثخنة الجراح فعلا، من معاملات مع إسرائيل ومؤيدى إسرائيل فى الكونجرس، وكان كارتر قد استثمر على نحو لم يسبق له مثيل، من الوقت والجهد والرصيد السياسى الشحيح فى حملته التى عقد العزم فيها على الوصول إلى تسوية سلمية عربية إسرائيلية، متجاهلا أولئك المستشارين الذى حثوه على إلتزام الحذر.

وإذ كان كارتر نافذ الصبر للشروع فى مفاوضات سلام شامله من خلال استئناف عقد مؤتمر جنيف، فقد حاول أن يتجاهل كون حكومة رئيس الوزراء إسحاق رابين غارقة فى حملة إنتخابات فى النصف الأول من عام ١٩٧٧، وأنها لم تكن فى وضع يطوع لها أن تفتح أى باب دبلوماسى جديد.

ومـا أن طفا بيجين على السطح، على غير ما كـان متوقعا، فى أواسط مـايو، وأصـبـح زعـيم إسـرائيل الجـديد، كـان كـارتر بأسلوبه الدبلومـاسى الـذى يتـعـمـد تحطيم الأصنام، قـد رفع حـالة الإنتـبـاه الإسرائيلية إلى مستوى عـال من العصبية. وزادت الشكوك حول نوايا كـارتر البـعيدة إزاء إسـرائيل بسبب مـا أعلنه عن سيـاسـتـه العـالمية. وعندمـا حل بيـجين، المعـروف بجـمـوده الفكرى وأسلوبه البـلاغـى النارى، مـحل رابين الهادئ الحذر، وصـاحب الفكر التـحليلى، وصـار هو المفـاوض الإسـرائيلى الرئيـسى مع كـارتـر، لم يكن هنـاك مناص من حدوث فرقعات.

(ب) ومنذ زيارة بيجين الأولى إلى واشنطن، بوصفه رئيسا للوزراء، فى شهر يوليو ١٩٧٧، وحتى موعد كـامب دافيد فى سبـتمبر ١٩٧٨، تأرجحت سياسة الولايات المتـحدة والعلاقات الأمريكية الإسرائيليـة تأرجـحـا مـسـتـمـرا بين النقيضين: من بيانات دافئة مطمئنة حـول القيم المشتركـة والعلاقات الخاصـة، إلى تشـهـير بارد غاضب بالتصلب الإسرائيلى المزعوم.

(جـ) وعندما حطم السادات حالة الركود التى تزداد صلابة برحلتـه الـدراميـة إلى القـدس فى نوفمبر ١٩٧٧، تردد كـارتر فى بادئ الأمـر، ولم يلبـث فـى تردده أن وضـع على الرف خـطـطـه بسلام شـامل يكرس فى جنيف. ومـع ذلك، فـقـد عـمل جـاهـدا هو ومـسـتشاره طوال عـام ١٩٧٨ فى مـحـاولات إدمـاج أى إتفـاقيـة سلام إسرائيليـة مـصـرية ضـمن إطار أعرض وأشمل يتـصـدى لمشكلة فلسطين المتـقيـحـة، ومن ثم يحـمـى مـصـر من إنتـقـام العـرب لأنهـا فـرقت الصـفـوف فى سـبـيل التـوصل إلى سـلام منفرد.

واشتملت هذه الحملة العنيدة على جهد واعٍ فى ربيع عام ١٩٧٨ لشحذ الخلافات الأمريكية مع إسرائيل حول مستوطنات الضفة الغربية، ومضى قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٢٤٢ وغير ذلك من القضايا الرئيسية، رغبة فى حشد تأييد الكونجرس الأمريكى والجمهور الأمريكى والزعامة اليهودية الأمريكية للوقوف فى وجه مقاومة بيجين، وهو جهد منى بالإخفاق إلى حد كبير.

وفى هذه الأثناء كانت المصادمات بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل شمالى منطقة الحدود اللبنانية الإسرائيلية تؤدى بصورة دورية إلى الابتعاد إبتعادا خطيرا عن عملية صنع السلام، وكانت نذيرا بمآس مقبلة. وفى مارس ١٩٧٨ قام الفدائيون الفلسطينيون بعملية خطف لسيارة أوتوبيس إسرائيلية جنوب حيفا، وانتهت العملية نهائية دموية بإطلاق الرصاص ومقتل عشرات من المدنيين الإسرائيليين.

وعجل هذا بشن هجوم إسرائيلى كثيف على معاقل منظمة التحرير الفلسطينية فى جنوب لبنان، وأسفر عن مجئ قوة حفظ السلام التابع للأمم المتحدة على الرغم من معارضات إسرائيل والضغط الأمريكى الحثيث لانسحاب إسرائيل بلا إبطاء.

وأخيرا لعب كارتر بالورقة الأخيرة عنده لإنقاذ سياسته الخاصة بالشرق الأوسط، ألا وهى مؤتمر كامب دافيد، فكان ذلك منه طلقة بعيدة المرمى. وبحلول هذا الوقت كانت سياسة الولايات المتحدة قد تراجعت شيئا فشيئا عن مطامح كارتر الأولى فى تحقيق تسوية شاملة إلى جهد يائس لإنقاذ إتفاقية ما بين إسرائيل ومصر تبرر بصورة

جزئية المغامرة الدرامية التى أقدم عليها السادات، وكذلك الإستثمار السياسى الهائل القوى الذى أقدم عليه كارتر.

٤ ـ إنجاز كامب دافيد:

(أ) وعندما خطا كاتر وبيجين والسادات خارجين من هليكوبتر الرئيس فى الحديقة الخلفية للبيت الأبيض فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ والإتفاق رهن أيديهم، بدا أن مقامرة كارتر كانت مقامرة رابحة. وترتب على دراما تلك الأيام الثلاثة عشر فى كامب دافيد أن زالت بصوة مؤقتة شكوك كل من الأمريكيين والإسرائيليين. فها هى معاهدة سلام مصرية إسرائيلية فى قالب مجمل، يضاف إلى ذلك أنه أمكن شق طريق إلى المشكلة الفلسطينية يبشر بالنجاح، وإن لم يكن كاملا، وهو يرتهن بموافقة الأردن والسكان الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة، كما يرتهن ببعض التأييد من أطراف عربية أخى ولاسيما المملكة العربية السعودية. والآن أصبح بيجين وكاتر «شريكى سلام» مع السادات فى مغامرة تاريخية كبرى.

وإستشعارا من كارتر بأن الإتفاقية هشة، وبأن السادات مستهدف من منتقديه العرب، طلب من بيجين أن يكون عونا له بما يقدمه من عبارات تنم عن كياسة رجال السياسة لإمكان إقناع العالم العربى بأن الإتفاقيات جديرة بالتأييد. وكان لا بد من إغراء الأردن على الإنضمام إلى المرحلة التالية من المفاوضات المتعلقة بالحكم الذاتى فى الأراضى، وكذلك الفلسطينيين.

(ب) ومن سوء الحظ أن بيجين كانت لديه هموم وأولويات مختلفة، مثل إنشقاق داخل حزبه الخاص «حيروت» بشأن الإنتصار الذى حققه، وإستشاط غضبا لأن كثيرين من أقدم شركائه السياسيين عارضوا إتفاقياته، وأتهموه بالتفريط فى أمن إسرائيل تحت ضغط كارتر. وكان شغله الشاغل المباشر هو التغلب على هذه المعارضة داخل بلاده ـ وهو ما حققه بأن قلل علنا وإلى الحد الأدنى من التساهلات التى قدمها، وأكد أن الحكم الذاتى الفلسطينى المقترح إنما سيكون فى حدود ضيقة.

يضاف إلى ذلك أن بيجين وزملاءه كانت أولويتهم الأولى هى التأكيد على معاهدة السلام مع مصر، وكانْ لا بد من توخى كل عناية فى سبيل اجتياز كل دقيقة من الدقائق لأن قيام إسرائيل باجلاء دفاعاتها الحالية الهائلة، وتخليها عن عدد من المدن اليهودية مثل «ياسيت» وفقدانها كل الحيز الاستراتيجى» فى سيناء، كانت أموراً يصعب حتى على حمائم حزب العمل أن يتصورها. وأيا كان الأمر، فقد أشترطت المعاهدة ستة أشهر مليئة بالتوتر لإنجازها عوضا عن الأشهر الثلاثة التى خططت لها.

(جـ) وخشية من كارتر فى أن يفلت من يديه إنجازه الذى أحرزه بشق الأنفس، عمد مرة أخرى فى مارس ١٩٧٩ إلى استثمار الحد الأقصى لهيبته السياسية فى سبيل إتمام هذه الصفقة. فطار إلى القاهرة ثم إلى القدس لجولة نهائية من المفاوضات المتوترة الحادة المعلقة وحقق نجاحا باهظ الثمن. فلم يقتصر الأمر على أن الولايات المتحدة أرتضت تمويل حصة كبيرة من تكلفة جلاء المنشآت العسكرية والقواعد الجوية الإسرائيلية

من سيناء، بل إن مصر إنضمت إلى إسرائيل فى أنها أصبحت من الفئة المحظوظة فى تلقى المعونة. فقد وضعت كامب دافيد مستوى من الاعتماد الاقتصادى على معونة الولايات المتحدة بالنسبة للأمتين.

(د) وإلى أن ترك كارتر منصبه فى يناير ١٩٨١، ظل مصراً على تعقب هدف الحكم الذاتى للفلسطينيين الذى اتفق عليه فى كامب دافيد وجاهد مفاوضاه الديبلوماسيان الخاصان لكى يقنعا الوفدين الاسرائيلي والمصرى بالتصور الأمريكى ألا وهو أن الوقت صيد ضائع، ولكنهما أخفقا. وكان بيجين آنذاك يخشى من أن يكون قد غرس عن غفلة بذرة دولة فلسطينية مستقلة فى أقتراحه الخاص بالحكم الذاتى.

(هـ) وكانت الأولوية الطاغية لدى مصر هى جلاء القوات الإسرائيلية عن سيناء فى موعده. وكان لابد من تفادى حدوث مواجهة مع إسرائيل حول الحكم الذاتى الفلسطينى - إن كان هذا مستطاعاً - تفادياً لخطر إنفجار من شأنه إجهاض الإنسحاب، وهو قلق شاطرت فيه الولايات المتحدة، مما حدا بفريق كارتر الآن إلى أن يضيق بأى فرقعات يمكن تفاديها مع بيجين. غير أن غياب ممثلين أردنيين وفلسطينيين أصاب حركة الديبلوماسية المصرية بالشلل.

(و) ومع مرور الشهور، تحول واضعو السياسة فى الولايات المتحدة باطراد إلى غير ذلك من الأزمات. وتورط كارتر بسبب حملات إعادة انتخابه فى سوء الفهم مع المؤيدين اليهود.

وأصبح تزايد وجود منظمة التحرير الفلسطينية مصدراً للإثارة في جنوب لبنان، إذ أدى إلى هجمات إرهابية وأعمال إنتقامية وضربات وقائية إسرائيلية وقعت في لحظات حرجة، مما أفسد التوازن السياسي المصري وعرقل المفاوضات.

وأدت المستوطنات الجديدة في الضفة الغربية إلى تعكير المياه مع واشنطن والقاهرة وفي أول مارس ١٩٨٠ إقترعت الولايات المتحدة، مؤيدة قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بشأن المستوطنات في الضفة الغربية وبشأن القدس، فأثار ذلك ثائرة إسرائيل وعرض كارتر لمهانة، فأضطر مرغما إلى التنصل من ذلك بسبب الضجة السياسية من اليهود.

ومع الإضطرابات التي حدثت في إيران، وأعتقال رجال سفارة الولايات المتحدة في طهران كرهائن، ومع الغزو الروسي لأفغانستان، واستقالة فانس من منصبه كوزير للخارجية، ومع تحدى كيندى لكارتر في إعادة الترشيح، تداعت مفاوضات الحكم الذاتي بين إسرائيل ومصر إلى منزلة دنيا في أولويات الإدارة (الأمريكية)، بعد ما زادت حينذاك صلابة بيجين وموقفه الدفاعي المناوئ، وأصبح السادات محاصرا بعداوة العرب. ومع ذلك فلعل صانعي السلام في كامب دافيد أثاروا دهشة الناقدين ومستشاريهم الخاصين. إذ كان لثلاثتهم جميعا مصلحة شخصية كبيرة في الحفاظ على إنجازهم التاريخي، بل لقد كان على بيجين والسادات أن يدافعا على جوائز نوبل للسلام. ومما لا شك فيه أنه لولا الضغوط السياسية التي كان يستشعرها كارتر لاحتمال إعادة انتخابه لمارس ضغوطا أشد على بيجين حتى يتذرع بالمرونة، وإن كان من المؤكد أن بيجين

سيردّه على أعقابه. وكان من الممكن لسياسة الولايات المتحدة إزاء إسرائيل أن تكون أكثر إصرارا فى فترة ثانية لرياسة كارتر، ومن المتصور أن تؤدى إلى النجاح عند الشروع فى وضع خطة للحكم الذاتى.

(ز) ولكن كارتر لم يظفر بالفرصة أبداً. وكان آخر إجتماع له مع بيجين فى الأسبوع التالى لهزيمته فى الإنتخابات. ولئن صح أن هذا كان وداعاً مصطنعاً بين صديقين قديمين، فقد كان فى واقع الأمر لحظة مريرة بالنسبة لكارتر الذى أصيب بقنوط شديد واقتنع بأن الخطة الخاصة بالشرق الأوسط لم يكتمل نصفها، بسبب خداع بيجين وأخيرا كان كارتر يعتقد بأن جحود اليهود الأمريكيين كلفه خسارة الإنتخابات على الرغم من جهوده المضنية فى سبيل البحث عن سلام لإسرائيل.

ومع ذلك، فإن كارتر عامل بيجين بحرارة واحترام وذوق بصورة غير عادية. وقد رحب كثيرون من الإسرائيليين بفوز ريجان، إذ كانوا قد هبوا لمقاومة إدارة ثانية لكارتر.

فترة ريجان - تعثر العلاقات

١ - بداية حكم ريجان:

(أ) بدأت الإدارة الأمريكية منصب الرياسة وهى عازمة عزما تاما على التعاون مع إسرائيل تعاونا وثيقا، ولكنها لم تكن فى عجلة فى إلتقاط أطراف الخيط لعلمية كارتر الخاصة بكامب دافيد. ولطالما أعجب الوزير «هيج» بجيش الدفاع الإسرائيلى، وكانت للهجة هيج الحادة تأثير قوى وخلفت إنطباعا خاطئا بأن إدارة ريجان فى مجموعها ترحب بالتدخل العسكرى الإسرائيلى دفاعا عن المسيحيين اللبنانيين.

ومن هذا المنعطف المبكر، إبتليت العلاقات الأمريكية الإسرائيلية مراراً وتكرارا، فى عهد ريجان، بإشارات مختلطة من فريق ريجان المنقسم على ذاته. وفى ٢٨ إبريل أسقطت الطائرات الإسرائيلية طائرتى هليكوبتر سوريتين فوق وادى البقاع اللبنانى. وبهذا إنتهكت إتفاقية «الخط الأحمر» غير المكتوبة التى كان كيسنجر سمسارها فى عام ١٩٧٤ . وعلى الفور أصدر الرئيس حافظ الأسد أمرا بإطلاق

قذائف سام ، «أرض جو» داخل لبنان، لتهديد الرحلات الجوية الاستطلاعية الإسرائيلية.

ولم يلبث لبنان أن برهن على أنه هو القضية المهيمنة على العلاقات الأمريكية الإسرائيلية فى السنوات المقبلة. وهى قضية عولجت على نحو بغيض من جانب كل من الحكومتين. ومع أن بيجين لم يلبث أن أنسحب من منصبه فى سبتمبر ١٩٨٣ فى ظل المغامرة المفجعة التى قامت بها إسرائيل فى لبنان، فإن ريجان قد عانى بدوره هزيمة مذلة فى السياسة الخارجية. فهو لم يلبث أن ألتزم بوضع قوات كبيرة من مشاة الأسطول والبحرية للدفاع عن الحكومة اللبنانية الضعيفة من الميليشيات الإسلامية المؤيدة من السوريين ـ حرصا منه على ما سماه علنا «بمصالح أمريكا الحيوية» ولكن لم يلبث أن سحبها بطريقة مخزية فى فبراير ١٩٨٤ بعد أن قام حلفاء سوريا بكسر شوكة جيش لبنان وهو مسيحى فى غالبيته.

(ب) والواقع أن الأشهر الأولى لريجان شهدت ظهور إتجاهين متضاربين: فقد كان صناع السلام فى واشنطن والقاهرة والقدس يتباطؤون فى حركتهم لإنجاز إرث كامب دافيد وصيانته. ولكن سحب الحرب كانت فى الوقت عينه تتكاثف فى الأفق من معاقل منظمة التحرير الفلسطينية فى لبنان ومن دمشق. ووقعت معا حادثتان لا رابطة بينهما لكى تجعلا الموازين تبتعد عن صناع السلام، ألا وهما: الأنتصار غير المسبوق الذى حققه بيجين من وراء الظهر على حزب العمل فى ٣٠ يونيو، وإغتيال أنور السادات فى ٦ أكتوبر.

بدأت الفترة الثانية لبيجين كرئيس للوزراء فى يوليو ١٩٨١ فكانت فترة غير موفقة بالنسبة لإدارة ريجان، إذ أن حكومته الجديدة إفتقرت إلى الأصوات المعتدلة كموشى ديان وعزرا وايزمان وإيجال يادين الذين خففوا من الجمود الأيديولوجى لإئتلافه الأول. واستطاع آرييل شارون المتصدر للإستيطان اليهودى السريع فى الأراضى المحتلة، والخصم الشرس لعدو إسرائيل، وهو منظمة التحرير الفلسطينية، أن يحقق هدف حياته فى آخر الأمر ويصبح وزيرا للدفاع. وكان مسلك بيجين نفسه تجاه عملية صنع السلام وتجاه أعداء إسرائيل أدعى إلى الدهاء.

(جـ) ثم كان هناك الإحتجاب المفاجئ المأساوى للسادات قبل الجلاء الإسرائيلى النهائى من الأراضى المصرية، والذى كان مقررا أن يتوج أعظم إنجازاته، بستة أشهر، وفى الإجتماع الأخير الذى تم فى الإسكندرية بين بيجين والسادات قبل مصرع السادات بضعة أسابيع، بدآ فى آخر الأمر يحققان قدرا من الإحترام الشخصى والدفء.

(د) ولم تلبث إدارة ريجان أن أيدت مفاوضات الحكم الذاتى وكامب دافيد، ولكن بقدر محدود من الحماس، وأنطوى مسلك ريجان بإزاء المنطقة على أولويات مختلفة. إذ أن كفة إحباط مخططات السوفييت وعملاء السوفييت رجحت كفة البحث عن ترتيبات سلمية للمنازعات الإقليمية الشائكة والتى ربما كانت بلا حل. وفيما يتعلق ببيجين، كانت كامب دافيد تعنى أساسا تحقيق سلام طبيعى مع مصر.

٢ - شخصية ريجان:

(أ) كان ريجان يجسد أسلوب حياة «الإسترخاء» فى كاليفورنيا: فهو خلو من التوتر، إنفعالى، واثق بالنفس ثقة كاملة، متفائل، سطحى، مسلٍّ، لديه غريزة الممثل الذى يؤدى أدوارا رمزية ويواجه الجماهير والأضواء. كان له بين اليهود الأمريكيين أصدقاء كثيرون، وتعرف فى وقت مبكر على الأفلام المرعبة التى التقطت لمعسكرات الموت الهتلرية التى بقيت صورتها حية فى ذهنه وعباراته.

ولكونه محاربا أيديولوجيا يقف عن إقتناع عميق ضد الشيوعية العالمية ويرتاب ريبة كاملة فى النوايا السوفييتية، لهذا كله كان ريجان أول رئيس أيديولوجى حقيقى للولايات المتحدة.

(ب) ويرى ريجان أن إسرائيل تندرج فورا ضمن فئتى الديمقراطية والحليف بجيشها الباعث على الإعجاب. وكثيرا ما كانت التفاصيل تبدو ضبابية أمامه. وقد سلم بيجين النقاط المعدة لمحادثاته من واقع بطاقات فهارس، حتى وهما فى إجتماع خاص، ولم يلبث أن تحول بسرعة إلى الحكايات والنوادر. وكان دائما يتفادى المواجهة الشخصية حتى عندما كان يستبد فى غضب صادق، وإن يكون ذلك لفترة قصيرة، كما حدث فى أثناء الحرب اللبنانية.

وعندما كان يتعين عليه توجيه بعض الملاحظات الإنتقادية الحادة، فإنه كان يعمد دائما إلى تخفيف وقعها بإبتسامة وبمسلك

إعتذارى. وواقع الأمر أن ريجان كان صادق الإعجاب بقوة إسرائيل وشجاعتها وديمقراطيتها ومعاداتها للشيوعية عن إقتناع. وكانت نظرته إلى منظمة التحرير الفلسطينية والعالم العربى مختلفة كثيرا عن ذلك.

(جـ) أما سياسات ريجان العربية الإسرائيلية فكانت تزخر بتناقضات داخلية، تجلت بأوضح ما يكون فيما يختص بلبنان. كان أسلوب ريّجان الخاص فى الإدارة أقرب ما يكون إلى أسلوب صاحب فرقة كرة قدم محترفة منه إلى أسلوب الظهير الموجه. لقد توسع فى التفويض فى الإختصاصات، وكان كثير الإستعانة بلاعبين ضعاف فى المنصب المحورى لمستشار مجلس أمنه القومى وكان شديد التفضيل لإجماع الآراء بين الموظفين مع تردد مستمر فى البت فى الخلافات الهامة أو فى فرض النظام على المساعدين ذوى الرأى. وكان عنيدا فى حرصه على العطف على إسرائيل وتأييدها بصورة أساسية بإعتبارها حليفا صادقا.

(د) وكانت أولويات ريجان فى نواح أخرى: فى السياسات المحلية، والإصلاحات الإقتصادية، والتعزيز العسكرى حتى يمكن بصورة أفضل مجابهة مواقف التصلب العالمية السوفييتية. وكانت إسرائيل تمثل، بالنسبة للرئيس الجديد، رصيدا عسكريا إستراتيجيا أصلا فى الحرب الباردة بيْن الشرق والغرب، وإن يكن ذلك فى منطقة واحدة فقط.

ولكن التقلبات التى عرفتها هذه المنطقة وإستهدافها «للمخاطر» عقب سقوط الشاه، وغزو السوفييت لأفغانستان، وتنامى الدور

العسكرى السوفييتى فى سوريا، جعلت القدرات العسكرية والإستخبارية التى أظهرتها إسرائيل تبدو وكأنها أرصدة جذابة. وبشكل عام فقد نظر إلى إسرائيل من خلال منظار المجابهة العالمية بين الشرق والغرب بإعتبار أنها حليف طبيعى.

(هـ) وكان ريجان يرفض الموافقة على اتخاذ إجراءات عقابية شديدة كرد فعل على تصرفات إسرائيلية تبدو تصرفات غير مسؤولة، مثل تدمير المفاعل النووى العراقى بالقرب من بغداد فى أوائل فترة رياسته.

(و) وإذ نعود بالنظر إلى الوراء لن ندهش لأن سجل ريجان فى الشرق الأوسط إنما يدل على فشل فى توسيع دائرة السلام العربى الإسرائيلى أكثر مما يدل على نجاح فيه. وإن كان لا سبيل إلى إنكار أن ريجان قد قرب بين إسرائيل والولايات المتحدة بإعتبارهما حليفين إستراتيجيين وسياسيين بأكثر مما حدث فى أى وقت فى التاريخ، وعلى الرغم من الآثار المدمرة للحرب اللبنانية. وليست ثمة دليل أفضل من ذلك على أن الزعماء الوطنيين هم الذين يقومون فى نهاية المطاف بممارسة النفوذ الحاسم فى العلاقات بين الأمم.

٣ - تعثر العلاقات:

(أ) ولم تمض إلا بضعة أسابيع على زيارة هيج فى عام ١٩٨١ حتى شرع بيجين وريجان، وهما الحليفان الأيديولوجيان الطبيعيان، فى التنازع حول موضوع واردات السلاح دون الموضوعات الأخرى. على أن بيجين أقدم بعد ذلك، ودون

توقع، على إطلاق سلاحه الجوى للإغارة بجسارة على بغداد لتدمير المفاعل النووى العراقى الجديد قبل أن يصبح «خطراً» فصعق ريجان، وكان أكبر ما صعقه مابدا من عدم إجراء أى تشاور سابق مع «الحليف الوثيق» لإسرائيل حول موضوع له تأثيره الواضح على مصالح أمريكية حيوية فى العالم العربى.

(ب) وعرّض بيجين السادات لمهانة فى أعين العرب بسبب ضربته هذه التى شنها بعد أربعة أيام فقط من اجتماع عقد بين الزعيمين فى شرم الشيخ الواقعة فى جنوب سيناء المحتل من جانب إسرائيل. وأدت الأخبار المتواترة من أن طائرات إف - ١٦ الموردة من الولايات المتحدة قد استخدمت فى الإغارة، إلى إثارة صيحات غاضبة فى البنتاجون،وفى أماكن أخرى فى واشنطن. فأمرت الإدارة (الأمريكية) بإجراء تحقيق فى الإنتهاكات الإسرائيلية المحتملة لقانون الرقابة على صادرات الأسلحة، واتخذت خطوة لا سابق لها - وكانت صدمة كبيرة لبيجين - وهى وقف شحن أربع طائرات من طراز إف - ١٦ كانت إسرائيل قد دفعت ثمنها فعلا. وإنضمت جين. ج. كيركباتريك، ممثلة الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة، إلى قرار إجماعى إتخذه مجلس الأمن أدان فيه بشدة التصرف الإسرائيلى.

(جـ) واحتاج بيجين إلى ما يزيد على شهر لكى يلم شتات وزارته الإئتلافية الجديدة مع بقاء إسحاق شامير وزيراً للخارجية وإنتقال شارون إلى الدفاع. وأخيراً وصل بيجين إلى واشنطن فى الأسبوع الثانى من سبتمبر ١٩٨١ . ومنذ ذلك الوقت وإلى أن ترك بيجين منصبه مثبط الهمة فى سبتمبر ١٩٨٣ ، حدث

إنهيار سريع فى.علاقات وزارته بإدارة ريجان، مع فترات قصيرة من التحسن المؤقت.

وفى وسع المرء إذ يسترجع هذه الأحداث أن يتبين أن حالات عدم التفاهم والخلافات الحادة، والشكوك والعداوات الشخصية المريرة التى تزايد إعتراضها للعلاقات إنما نشأت إلى حد كبير عن عاملين هما:ـ

أولا : تعاظم ثقة بيجين بنفسه، وإسرافه فى تأكيد ما بينه وبين ريجان من ألفه إيديولوجية.

ثانيــا : إستعداد ريجان بدوره للإذعان لاقتراح من بيجين بشأن «إتفاقية تعاون استراتيجى» مع عناصر من التحالف الرسمى الصادق المبدئى بين الأمتين.

(د) لقد اجتهد بيجين دائما ـ دون نجاح يذكر ـ فى إقناع كارتر بأن إسرائيل هى أكثر جداً من كونها دولة «زبونة» وأن الأمر أكثر من مجرد كونها مسئولية عاطفية بالنسبة للولايات المتحدة. وساق حججه المرة بعد المرة قائلا: إن قدرات إسرائيل فى المخابرات، وأن الوضع المتطور للإحتراف العسكرى الفورى لجيش الدفاع الإسرائيلى هما رصيد إستراتيجى هام بالنسبة للولايات المتحدة. وإذا بالإقتراحات التى بدت فى نظر كارتر مثيرة للشك إلى حد كبير، تصادف اليوم آذان صاغية كثيرة حول مائدة الحكومة، ولاسيما آذان ريجان وهيج.

(هـ) ولم يكد بيجين يغادر المكتب البيضاوى حتى إندلع أول سوء تفاهم. فريجان حصل على وعد من بيجين بألا يحشد قوى الضغط ضد بيع طائرات الأواكس إلى المملكة العربية السعودية. وواقع الأمر أن بيجين وعده بذلك، ولكنه لم يفسر عبارة «عدم حشد قوى الضغط» بإعتبارها حظراً ضد الإعراب عن إعتراضه على البيع متى سئل فى ذلك.

وعندما سئل فى هذا من أعضاء الكونجرس أثناء إجتماعاته التى كانت إذ ذاك بروتوكوليه مع أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب، رد عليهم بيجين بطريقته الجافه المعتادة. وعلى الفور إنتقلت أخبار الملاحظات التى أبداها بيجين إلى البيت الأبيض، فاشتعلت نيران الغضب لدى كبار مستشارى ريجان.

(و) وعلى حين غرة، ودون إنذار، إستدعى بيجين مساعديه وأشار بضم مرتفعات الجولان، وقيل أن ذلك كان رد فعل غاضب على تصريح للرئيس السورى أبداه علناً وقال فيه: «إنه يرفض إلى أجل غير مسمى أى فكرة للسلام مع إسرائيل. ومر التشريع، الذى اقتصر من الناحية الفنية على مد سريان القانون الإسرائيلى إلى الجولان، خلال حكومة بيجين المذعنة لرغباته، ثم فى الكنيست بسرعة لا مثيل لها، حتى أنه لم تتح للولايات المتحدة فرصة حقيقية للتدخل الدبلوماسى كسباً للوقت.

وكان قانون الجولان بالنسبة لإدارة ريجان - التى كانت قد تصدت تواً لأزمة كريهة فى بولندا - أمراً واقعاً لا يمكن التسامح معه.

وشكل الإجراء الذى إتخذته إسرائيل حائلاً دون أى عودة إلى عملية عريضة للسلام العربى الإسرائيلى، وهو هدف نذرت له سياسة الولايات المتحدة نفسها. والإعتبار الأهم هو أن هذا الإجراء بدا إجراء مبيتاً لإثارة الولايات المتحدة.

(ز) وواضح أن للولايات المتحدة مصالح كبيرة فى عملية السلام، ومن الواجب ـ كحد أدنى ـ أن تتاح لها فرصة تسوق فيها حججها المضادة لأى إجراء ترى فيه واشنطن إنتهاكا للقرارات المختلفة للأمم المتحدة وإتفاقيتى كامب دافيد. رجاء حل هذه العقدة سريعاً. إذ أن ريجان بعد تسعة عشر يوما فقط من التوقيع على مذكرة التفاهم الجديدة بشأن التعاون الإستراتيجى بين الولايات المتحدة وإسرائيل أمر «بوقف» هذه المذكرة ريثما يصدر توضيحات مرضية بشأن التشاور مستقبلاً حول القضايا الرئيسية.

(ح) إلا أن التشابك بين إسرائيل والولايات المتحدة كان من القوة بحيث لا يسمح لزعمائهما بترف التباعد عن بعضهم لمدة طويلة. وسرعان ما حاول هيج وسواه من رجال الإدارة إصلاح العلاقات. وإذا بالسحابة الداكنة المنذرة بحدوث صدام وشيك بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية فى لبنان ـ هزت الولايات المتحدة، على أن تحاول الإحتفاظ بيد تكبح بها الولع المتزايد بالقتال لكل من بيجين ووزير دفاعه. يضاف إلى ذلك أن واشنطن كانت عازمة على تأمين التنفيذ الكامل لمعاهدة السلام مع مصر فى إبريل ١٩٨٢ .

وأرادت إدارة ريجان الوقوف في وجه مخططات شارون وآخرين التي تثير الشكوك وتستهدف الحيلولة دون الإنسحاب الإسرائيلى النهائى، ومن ثم لجأت إلى العلاقات الشخصية مع بيجين و شارون حول هذا الأمر.

٤ ـ الأزمة اللبنانية:

(أ) إن حرب إسرائيل المدمرة فى لبنان قد كثرت من حولها كتابات مسهبة ومتزايدة. ووصف الباحثون والصحفيون العمليات العسكرية، والدمار الذى أصاب الأهداف المدنية، والمناقشات المحلية، والأخطاء فى حسابات المواقف، والأثر المخرب للحرب، وإحتمالات حل هذه العقدة فى لبنان.

وكان بيجين قد قبل بعد تردد وقف إطلاق النار مع منظمة التحرير الفلسطينية، الذى تحقق من خلال وساطة حبيب فى يوليه ١٩٨١ . ولم يكن ذلك إلا بسبب عجز جيش الدفاع الإسرائيلى عن إسكات المصادر المراوغة للهجمات بصواريخ منظمة التحرير الفلسطينية ومدفعيتها على مدن إسرائيل الشمالية. وكان هو وشارون يتميزان غضباً إزاء الإعتراف الضمنى بمنظمة التحرير الفلسطينية فى «تفاهمات» حبيب. ولئن بقى وقف إطلاق النار ساريا إلى حد كبير بطول الحدود فى الشهور الأحد عشراً التالية. فإن اعتداءات الفلسطينيين على الإسرائليين فى أماكن غيرها، وعلى اليهود فى المدن الأوروبية استمرت من وقت إلى آخر، فى حين استمر بناء القوة العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية شمال الحدود مباشرة.

وما أن أفسح عام ١٩٨١ الطريق لعام ١٩٨٢ حتى أخذ شارون المرة بعد المرة ينذر المسئولين الأمريكيين والصحفيين قائلاً: «أن إسرائيل لايسعها بعد الآن أن تتسامح مع هذا الوضع». وفى اجتماع عقده مع حبيب ونائبه موريس دريبد فى القدس ٦ ديسمبر ١٩٨١ صعق وزير الدفاع السامعين له وغير المصدقين تمثله حله المفضل - ألا وهى الإقدام على غزو شامل لسحق معاقل منظمة التحرير الفلسطينية فى لبنان، وطرد المقاتلين الفلسطينيين نهائيا.

وعلى مدى ستة أشهر حثت الولايات المتحدة إسرائيل على التذرع بأقصى حد من ضبط النفس، وحذرت من المبالغة فى تقدير التهديد العسكرى لمنظمة التحرير الفلسطينية، وعجلت بالوقوف ضد الحظر المتمثل فى بدء حرب كبيرة مع سوريا، وأكدت على الملابسات الدولية الأوسع لعمليات الإنتقام العسكرية الإسرائيلية التى لم يكبح جماحها ولكن هذا كله كان عبثا.

(ب) وهكذا فلما جاء الأعتداء الإسرائيلى فى آخر الأمر فى ٦ يونية ١٩٨٢، أرتضى ريجان وهيج فى بادئ الأمر التأكيدات العلنية والخاصة لبيجين بأن «عملية سلام الجليل» لايراد بها إلا دفع وحدات منظمة التحرير الفلسطينية بعيدا عن مدى وصول المدفعية والصواريخ إلى إسرائيل، على بعد يقرب من ٤٠ كيلو متراً، وأن إسرائيل لا ترغب الإشتباك مع القوات السورية بأية كيفية. وفى الأيام التى تلت ذلك، لم يتضح إلا ببطء لفريق ريجان، كما اتضح ببطء لمعظم أعضاء الحكومة الإسرائيلية والكنيست والرأى العام، أن جيش الدفاع الإسرائيلى مشتبك فى

مصادمات برية وجوية مع القوات السورية فى لبنان، وأنه يتعمد الزحف على مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى ضواحى بيروت. وبدا شيئا فشيئا أن «عملية سلام الجليل» تشبه فكرة شارون الشخصية الضخمة، وهى طرد منظمة التحرير الفلسطينية من أرض لبنان.

أما وقد أدركت إدارة ريجان هذه الحقيقة، فقد استولت عليها حالة إنفصام بإزاء إسرائيل ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية، وهى حالة لم تبرأ منها إلا بعد مرور أكثر من سنة على ذلك، وإن بقيت أعراضها واضحة إلى أوائل عام ١٩٨٤ .

ومنذ اللحظة التى وضح فيها لواشنطن أن أهداف إسرائيل تجاوزت منطقة الأمن المعلنة وهى أربعون كيلو مترا، وبدأت العلاقات الأمريكية الإسرائيلية تتآكل. وازداد الاتجاه النزولى فى العلاقات إلى عمق سحيق. وفى الأسبوع الثالث من يونيه، إجتمع بيجين وريجان فى واشنطن حيث لقيت تأكيدات بيجين بشأن نوايا إسرائيل قدراً كبيراً من الإستجابة. وعلى مدى الشهرين التاليين، شهدت الولايات المتحدة عدداً لا يحصى من حالات خرق قرار وقف إطلاق النار، ومن تسلل الزحف الإسرائيلى إلى قرب قلب بيروت، ومن الصور التليفزيونية التى تقطع نياط القلب للضحايا المدنيين لعمليات القصف المدفعى وإلقاء القنابل بالطائرات فوق المدينة المحاصرة والتى قام بها جيش الدفاع الإسرائيلى، أما أبعد النتائج أثرا وقدرا فكان فقدان بيجين مصداقيته عند ريجان.

(جـ) كانت مصداقية بيجين فى واشنطن قد تبددت تقريباً، واستنفد آخر رصيد منها فى أواسط سبتمبر عندما حدث، فى أعقاب

اغتيال بشير الجميّل فى بيروت الشرقية، أن أرسل بيجين وشارون جيش الدفاع الإسرائيلى إلى قلب بيروت الغربية، وهو ما يمثل انتهاكا للالتزام الذى قطعه بيجين لريجان. وبعد ذلك اتخذ جيش الدفاع الإسرائيلى موقف المتفرج السلبى، بينما كانت قوات الكتائب المسيحية تذبح المئات من المدنيين الفلسطينيين العزل بعد أن جلا مقاتلو منظمة التحرير الفلسطينية من معسكرى صابرا وشاتيلا للاجئين.

وسرعان ما أدرك البيت الأبيض الدلالات اللعينة لهذه الفظائع. وكانت تأكيدات حسن النية الأمريكية التى تلقاها ياسر عرفات بشأن سلامة هذين المعسكرين الفلسطينيين تعد جزءاً من المفاوضات التى أدت إلى جلاء منظمة التحرير الفلسطينية. واستندت هذه التأكيدات بدورها إلى ما قطعه بيجين من التزامات لحبيب، ومؤداها أن جيش الدفاع الإسرائيلى لن يدخل بيروت الغربية. ومن هنا فإن ريجان وقد اجتاحته موجة من الشعور بالذنب لأنه قبل أيام قليلة قام بسحب إحتياطى مشاة البحرية الأمريكية من القوة المتعددة الجنسيات لحفظ السلام فى بيروت - اتخذ قراراً متعجلاً يفتقر إلى الحكمة بإعادته إلى دوامة بيروت الهائلة. ثم جرى توزيع الوحدات الأمريكية والفرنسية والإيطالية فى بيروت الغربية لتحل محل القوات الإسرائيلية التى سحبها شارون، وهو حانق، إلى مشارف المدينة تحت ضغط دبلوماسى أمريكى شديد.

ومنذ بداية خريف عام ١٩٨٢ وإلى فبراير ١٩٨٣ بقيت العلاقة بين إسرائيل وواشنطن علاقة مواجهة مريرة مع تزايد الأزمة اللبنانية عمقاً.

وكان حلم إسرائيل فى توقيع معاهدة سلام جديدة مع دولة عربية قد انفجر مع انفجار مقر بشير الجميل، ولكن الحلم قد مات موتاً. والواقع أنه بعد أن أصاب سوريا الهلع مؤقتا، تعاون الديبلوماسيون الأمريكيون والإسرائيليون تعاونا حذراً، وإن يكن وثيقاً، فى محاولة لإقناع أمين - شقيق بشير الجمّيل - بالتفاوض حول اتفاقية عريضة تنسحب القوات الإسرائيلية بمقتضاها، ويقيم لبنان علاقات عادية مع إسرائيل بما فى ذلك فتح الحدود، مع تعاون وحدات عسكرية لبنانية وإسرائيلية فى سبيل تأمين الهدوء فى مناطق الحدود.

إلا أن أى تعاون عسكرى للولايات المتحدة مع إسرائيل فى صدد لبنان كان - فى هذه الأثناء - محظوراً حظراً صارماً. فعجرفة شارون (١) وأسلوبه البذئ فى التعامل مع الرسميين الأمريكيين، قد فاقت جميع الحدود.

(١) جنرال فى الجيش الإسرائيلى وعضو بارز فى تحالف ليكود الصهيونى اليمينى الرأسمالى، اشترك فى نشاط الهاجاناه فى مطلع شبابه ثم حرب ١٩٤٨، حيث اشترك فى حصار الفالوجا وجرح أثناء الحرب.

وقد قام بدور فعال فى تعقب «المتسللين» العرب عام ١٩٥٢ حينما رأس قوة الكوماندوز الخاصة المسماة بالوحدة رقم ١٠١ أو «جيش ديان الخاص» كما كانوا يسمونها. وكان أعضاء هذه الوحدة لا يرتدون زيا عسكريا ولا يحملون رتبا، ولا يتلقون تدريبا عسكريا تقليديا، وإنما كانوا يتدربون على غارات الحدود وقد ظل أمر الوحدة سرا غير معروف إلا لأفراد قلائل من النخبة الحاكمة فى إسرائيل). وقد قاد شارون رجاله فى أول حملة رسمية سرية لهم فى يوم ١٤ أكتوبر ١٩٥٣ فاتجه إلى قرية قبية العربية ودكها على من فيها فسقطت ٤١ دارا للسكنى وقتل ٦٩ شخصا نصفهم من النساء والأطفال. وقد أنكر بن جوريون رئيس الوزراء آنئذٍ علمه بالعملية وأكد أن جميع وحدات الجيش الإسرائيلى كانت فى ثكناتها ولكن كتاب المظليين الإسرائيلى الصادر عام ١٩٦٩ تحدث متباهيا عن هذه العملية.

وقد اشترك شارون فى حرب ٥٦ ثم فى حرب ١٩٦٧ حيث قاد المجموعة التى استولت على ممر متلة. وقد عين بعد الحرب قائدا للمنطقة الجنوبية حيث طرد ٦٠٠ بدوى من ديارهم فى رفح. وفى حرب أكتوبر ١٩٧٣ . وبعد انهيار خط بارليف قام الجنرال شارون بعملية الدفرسوار التى أدت إلى احتلال أجزاء من الضفة الغربية لقناة السويس، وتعرف هذه العملية باسم الثغرة. وقد نال شارون شعبية بين الجنود الإسرائيليين. وقد اضطر شارون إلى الاستقالة من الجيش الإسرائيلى بعد حرب أكتوبر وذلك نظرا لرغبته فى ترشيح نفسه لعضوية الكنيست عن كتلة ليكود. وقد فشلت الكتلة فى ادخال تعديل على قانون الانتخبات يجيز الجمع بين العمل العسكرى والترشيح للانتخابات.

وهو مهندس مذبحة صابرا وشاتيلا.

(د) وبحلول الوقت الذى تم فيه أخيراً عقد مفاوضات ثلاثية رسمية فى نهاية شهر ديسمبر، كانت ثقة سوريا فى ذاتها قد استعادت حيويتها بفضل العودة إلى توريد كميات هائلة من الأسلحة السوفييتية. وبدأت سوريا تمارس ضغطاً على «الجمّيل» لكى يصمد. وطالت المفاوضات لأكثر من أربعة أشهر، إذا كان مفاوضو بيجين يحاولون إدخال أكبر عدد ممكن من العناصر لعقد معاهدة سلام رسمية ضمن نص الإتفاقية فى مقابل الإنسحاب.

وأخيراً اضطر چورج ب . شولتز وزير الخارجية إلى الإنضمام إلى حبيب. فى حالات مكوكية يراد بها إتمام إتفاق ١٧ مايو، ولكن سوريا كانت إذ ذاك عازمة - وهى فى وضع قوى - على نسف الإتفاق وهو ماحدث سريعا.

والواقع أنه لولا أن لجنة التحقيق فى مذابح صابرا وشاتيلا تدخلت فى فبراير لإخراج شارون من منصبه القوى فى وزارة الدفاع، لكان أرجح الإحتمالات عدم التوصل أبدا إلى إتفاق ١٧ مايو.

(هـ) وبحلول أوائل عام ١٩٨٣ كان تقييم واشنطن لشارون، بل لبيجين أيضا، قد بات من القسوة بحيث بدا أن «الحلف الطبيعى» بين الولايات المتحدة وإسرائيل، الذى رحب به ريجان وهيج قبل عامين اثنين لاغير، قد أصبح شيئاً أكثر قليلاً من قشرة خاوية. وقد يقال إن هذا كان نتيجة غير مباشرة لكامب دافيد.

ويجمع الرأى العام العربى، وكذلك بعض المحللين الغربيين على اقتناعهم بأن إسرائيل ما كانت لتقدم أبداً على غزوها للبنان لو لم تورث معاهدة السلام مع مصر بيجين شعوراً بالأمن إزاء حدود إسرائيل الجنوبية.

(و) واستمر هذا النمط بل تعمقت جذوره على الرغم من التبدد البطئ للأمل فى تحقيق إتفاق مع لبنان، وعلى الرغم من إندلاع نيران حرب أهلية بين الميليشيات المسيحية والدرزية والشيعية، وذلك بعد شروع جيش الدفاع الإسرائيلى فى الإنسحاب جنوبا.

ومن التورط العسكرى الأمريكى المتزايد فى هذا الصراع حتى وصل إلى مايقرب من حرب مع سوريا، ومن تدمير ثكنات مشاة البحرية الأمريكية بقنابل الإرهابيين، وفقدان حياة مئات من مشاة البحرية، ومن إنهيار الجيش اللبنانى الذى كانت الولايات المتحدة تدعمه، ومن إنهيار الآمال الأمريكية والإسرائيلية فى رؤية حكومة مستقرة فى بيروت تستطيع فرض القانون والنظام فى لبنان، ولاسيما فى لبنان الجنوبى، بما يبرر الإنسحاب الإسرائيلى الكامل.

والواقع أن إنهيار لبنان كان يمثل الدرك الأسفل فى رياسة ريجان قبل مأزق بيع الأسلحة لإيران فى ١٩٨٦ ـ ١٩٨٧، ويحاول كثيرون قائلين إن إسرائيل كانت هى المخطئة.

فترة ريجان - تحسن العلاقات:

١ - إختفاء بيجين ومرحلة شامير:

(أ) كان عام ١٩٨٣ و ١٩٨٤ يمثلان مرحلة إنتقالية فى العلاقات الأمريكية الإسرائيلية. إذ بدأ الشك والمرارة والمواجهة تخلى مكانها لتعاون ديبلوماسى وعسكرى متجدد مع مرور الوقت.

وأهم تعليل لذلك يكمن فى التغييرات التى جرت فى الشخصيات الرئيسية على المسرح.

توارى بيجين على مهل بأعتباره اللاعب الإسرائيل المحورى، وانسحب فى صمت مكتئبا فاتر الهمة من المشاركة النشيطة فى أحابيل الديبلوماسية. كما أن خروج شارون فتح الطريق أمام موشى آرينز للعودة من مقر السفير فى واشنطن إلى وزارة الدفاع.

وكان شولتز يحترم آرينز. وبمجرد خروج شارون من منصبه، انبرى شولتز لاستعادة علاقات العمل الودية مع القدس. ومما سهّل عليه مهمته هدوؤه ومسلكه الحكيم وخبرته الطويلة فى مفاوضات

العمال، ولم يلبث ذلك أن أكسبه احتراماً شديداً لدى بيجين وزملائه. وعندما أنضم شولتز إلى حبيب فى مائدة المفاوضات لم تلبث إتفاقية ١٧ مايو الثلاثية أن أنجزت.

وتغير إتجاه حركة المدّ والجزر بعد ذلك، إذ أن هذه الإتفاقية ـ التى لم يتم التصديق عليها من جانب لبنان أبداً، وأنتهى الأمر بنقضها تحت ضغط سورى ـ كانت تمثل فشلاً ذريعاً فى التوصل إلى علاقة جديدة بناءة بين لبنان وإسرائيل.

(ب) عاد شامير وآرينز إلى واشنطن فى أواخر نوفمبر، فرأيا إنعكاسا أكيداً لهذا العصر الجديد. وهيمنت على الإجتماعات مناقشات مدرسية حول إختبارات غير سارة بالنسبة للأمتين.

فعرض شولتز تقديم مساعدة تخصصية غير رسمية من خلال لجنة مشتركة من الخبراء تساعد شامير على السيطرة على التضخم المتصاعد فى إسرائيل. وأعاد البنتاجون فتح خزائنه وخطوط إمدادات الأسلحة. ووافق ريجان وشامير على الشروع فى المفوضات لإقامة منطقة تجارية ثنائية حرة فريدة فى نوعها.

٢ ـ حكومة الوحدة الوطنية:

(أ) وفى سبتمبر ١٩٨٤ أصبح بيريز رئيساً للوزارة فى ائتلاف لحكومة وحدة وطنية جديدة، وشغل المنصب سنتين قبل أن يضطر إلى تبادل المناصب مع شريكه المزعج فى الإئتلاف، وهو وزير الخارجية شامير. ووجه بيريز القدر الأكبر من طاقته للتصدى للتضخم الفوضوى المنفلت، وأزمة العملة الأجنبية، ثم

لإحتوائها فيما بعد. ولقد كانت هاتان المشكلتان مجرد أثرين من الآثار المرة التى تخلفت عن حرب لبنان، وعن سبع سنين من السياسات الإقتصادية لحزب الليكود بزعامة بيجين وشامير. ومع ذلك، أحتل صنع السلام أولوية أولى لدى بيريز الذى بدأ على الفور يشغل شولتز وريجان باستراتيجية بارعة لمراودة الملك حسين على الدخول فى مفاوضات.

ورحب كذلك بمساعدة أمريكا على حل نزاع الحدود المتخلف مع مصر بشأن ساحل طابا الصغير بالقرب من إيلات. وكان منطق بيريز أن إثارة بعض الدفء فى السلام المصرى الإسرائيلى الذى أصبح آنذاك بارداً كالثلج يمثل ضرورة جوهرية لتهيئة الرأى العام الإسرائيلى لتقديم تنازلات أخرى فى سبيل السلام مع الأردن متى حان الوقت.

ولكن هدف بيريز الأول كان يتمثل فى الملك حسين. وفى الحدود الضيقة المتاحة له بحكم اتفاقه الإئتلافى مع الليكود، لجأ إلى أساليب كثيرة لإقناع حسين بالتعاون فى استراتيجية بيريز الداعية إلى البدء فى مفاوضات داخل إطار يشمل - فى بادئ الأمر - شركاءه فى ائتلاف الليكود. وكان فى تقديره أنه سيتمكن بذلك من تجسيد قدر من فرص السلام يكفى لفوزه فى الانتخابات الجديدة وتأليف حكومة من حزب العمل رغبة فى التوصل بعد ذلك إلى تسوية سلمية طبقا للشروط التى قد يقبلها حسين، وإن كان من المؤكد أن الليكود، لن يؤيدها أبدا. ومن سوء حظ بيريز أن حسين كان يمضى بناءً على جدول أعمال مختلف، إذ كان يحاول أن يوقع فى شراكه ياسر

عرفات بحيث يضطلع بدور مساعد فى منهج مشترك يفضى إلى مفاوضات السلام. إذ بدون عرفات لم يكن حسين يحّس بأن له من القوة ما يكفى للمخاطرة بالتعرض للمقاومة السورية لإجراء مفاوضات مباشرة بين الأردن وإسرائيل.

وبحلول الوقت الذى تخلى فيه حسين، وهو ساخط، عن هذه المحاولة فى أوائل عام ١٩٨٦، وكانت فترة بيريز قد أشرفت على نهايتها.

(ب) وخلال هذه المناورات جميعاً، حرص بيريز حرصاً دؤوباً على إحاطة شولتز علماً، وعلى الظفر بمشورته وتأييده، وقام بتنسيق تحركاته مع واشنطن.

واستاء شامير - بوصفه رئيساً للوزارة للفترة الثانية بعد أكتوبر ١٩٨٦ - من مبادرات بيريز التى أدار دولابها بحرية، وإن كان واثقاً من أنها ستخرج بلا شئ. وبحلول أواسط عام ١٩٨٧، كان شامير وبيريز يتنافسان تنافساً نشيطاً فى سبيل الظفر بتأييد شولتز وريجان لخططهما المتعارضة بشأن صنع السلام.

(جـ) وأسفرت نتائج الإنتخابات الإسرائيلية فى عام ١٩٨٤ عن شبه تعادل بين حزبى العمل والليكود، وهى نتيجة فرضت على العلاقات الأمريكية مع إسرائيل تعقيدات فريدة بين عامى ١٩٨٤ و ١٩٨٨ . وكان التفوق الكبير لحزب العمل قبل الإنتخابات قد ذاب أثناء الحملة، ولم يستطع لا شامير ولا بيريز أن يؤلف وزارة أغلبية إئتلافية.

وأنتهى الأمر بعد تردد شديد إلى قيامهما بضم الصفوف لتأليف حكومة وحدة وطنية ذات قاعدة عريضة، وأضاف إليها سمة فريدة هى اتفاقهما الشخصى على تناوب منصبيهما فى منتصف الطريق خلال فترة السنين الأربع الإنتخابية، وكانت الفترة الأولى من نصيب بيريز كرئيس للوزراء، وأصبح رابين وزيراً للدفاع طوال فترة السنين الأربع.

(د) إلا أن مظهر شامير كجد عجوز كان يخفى وراءه شخصية قوية عنيدة مع قدرة على تحمل الصدمات. فقد نشأ وتعلم بين صفوف الحركات السرية اليهودية قبل قيام الدولة، حيث عمل قائدا رئيسيا للعمليات، ثم دانت له خبرة طويلة فى الموساد، وهى وكالة المخابرات الإسرائيلية السرية لما وراء البحار، فأكتسب من ذلك قدرة على الكتمان وضبط النفس والحذر والشك بإعتبار أن هذه الصفات تشكل جزءاً من طبيعته الثانية.

ولئن كان شامير جامدا جمود بيجين من الناحية الأيديولوجية فيما يتعلق بمستقبل يهودا والسامرة، إلا أنه كان مختلفاً فى أسلوبه عن بيجين. وإذ كان شامير دمث الأخلاق لا يعرف الأدعاء ولا الزعامة الملهمة، وإذا كان صبوراً حسن الإصغاء، عملى الأسلوب بصورة تكتيكية، صعب الإقناع، ولكن مع التحلى بالرزانة، فقد كان التعامل معه مريحاً بإعتباره رئيسا للوزراء فى الفترة من سبتمبر ١٩٨٣ إلى سبتمبر ١٩٨٤، ومرة أخرى إبتداء من أكتوبر ١٩٨٦ وطوال العامين الآخرين من فترة رياسة ريجان.

وكذلك بيريز كان من هذه الشاكلة. وإذ كان يترقب فرصته طوال سبع سنين أليمة كزعيم لحزب العمل المعارض، فقد أقام علاقات مع المسئولين والسياسيين الأمريكيين كلما سنحت له الفرصة لذلك. وبفضل ما تمتع به من سرعة بديهة فى المحادثة، وبفضل جاذبيته وحصافته وفضوله الفكرى وتحليله البصير للمعضلات التى تعانى منها إسرائيل أصبح يجد ترحيبا كمتحدث وضيف. وإن فى وسعه أن يبدى مشاطرة وجدانية تجاه مشكلات أمريكا، وكذلك مشكلات العرب المعتدلين مثل السادات ومبارك وحسين.

يضاف إلى هذا أن وزيرى الدفاع فى إسرائيل خلال فترة ريجان الثانية عمل كلاهما سفيراً فى واشنطن، وكان لهما أصدقاء كثيرون فى الإدارة ودوائر الكونجرس، ومنهم الوزيران، واينبرجر وشولتز. وفهما بصورة أفضل، من معظم الإسرائيليين، النظام المعقد واللامركزى والذى لا يخضع لسيطرة ما والذى بمقتضاه تخرج السياسة الخارجية للرئيس إلى حيز الوجود. وكان آرينز أقرب حليف سياسى لشامير فى حزب الليكود. أما رابين، وهو رئيس وزراء سابق من حزب العمل، فطالما كان غريم بيريز اللدود فى زعامة الحزب. إلا أن كليهما توصلا فى آخر الأمر إلى صيغة عملية فى الحملة الإنتخابية لعام ١٩٨٤، وعملا معا بهدوء فى الحكم فى هذه المرة وإن عاودهما بعض أسباب الحذر.

(هـ)وأدت التغييرات بين زعماء إسرائيل إلى تبدل الجو الظاهرى للعلاقات الأمريكية الإسرائيلية فى فترة ريجان الثانية. ومع

استثناء نادر، تعامل هذا الكادر من الزعماء الإسرائيليين مع واشنطن بإعتبارها عاصمة أكثر أصدقاء وحلفاء إسرائيل أهمية وحسما. وعاملوا زعماء الولايات المتحدة بإعتبارهم أصدقاء يراد إقناعهم أو محاورين فى خلاف شريف وليس باعتبارهم خصوماً. ولم يلبث التغيير فى أسلوب العلاقة الرسمية أن صار ملموسا حتى بالنسبة لواينبرجر، الذى كان أكثر أعضاء إدارة ريجان تشاؤما من تعزيز الروابط الإستراتيجية والسياسية بين إسرائيل وواشنطن. وعاد ريجان إلى تعاطفه الطبيعى مع إسرائيل.

(و) وخلال فترة شامير كرئيس للوزراء لمدة عامين التى تلت فترة بيريز، تضاعفت التعقيدات. وإذ أن بيريز لم يستطع أن يتكيف بسهولة لدور الرجل رقم (٢) فى الحكومة. لقد ملّ روتين وزارة الخارجية، وعقد العزم على أن يدفع استراتيجيته الخاصة بالسلام إلى الأمام، لذا فقد نحى جانباً تحفظات شامير، ولاحق حسين وشولتز بإقتراحات اعترض عليها شامير، وكان يتصرف فى الخارج وكأنه لم يجر أى تناوب فى المناصب بينه وبين شامير.

وفيما يتعلق بريجان وشولتز، فإن هذه الدبلوماسية العجيبة قد أصبحت فى آخر المطاف أمراً يثير الأعصاب نوعاً ما. ولئن أصبحت علاقة رابين، وايبينرجر، وعلاقة جيش الدفاع الإسرائيلى والبنتاجون، مستقرة الان بصورة عامة فى شكل مثمر بين محترفين، فلقد كان على شولتز أن يتعامل دائما مع سياستين خارجيتين إسرائيليتين متعارضتين، ولو بالنسبة لأهم مشكلة وأعقدها

ألا وهى: كيف يستطاع متابعة عملية صنع السلام فى المنطقة. لقد عجز بيريز وشامير عن أن يتفقا شهوراً على بديل لسفير إسرائيل فى واشنطن، وهو الذى كان يمثل بصورة دائمة تقريباً رابطة حساسة فى سلسلة العلاقات مع الإدارة والكونجرس والجمهور الأمريكى. فلم يكن لدى بيريز ثقة فى الشخص المرشح، وهو مائير روزين، الموظف المجتهد والخبير القانونى الدولى الذى أختاره بيجين بنفسه لهذا المنصب. وأخذ بيريز يتخطى روزين ويتعامل مع شولتز من خلال مبعوثين شخصيين، ومن خلال السفير الأمريكى فى تل أبيب. ورد شامير على ذلك بأن أوفد مبعوثيه الخاصين إلى واشنطن، منهم موشى آرينز صديق شولتز، لتحذير شولتز من النظر إلى مقترحات بيريز بإعتبارها تمثل السياسة الإسرائيلية. وكان وزير الخارجية غارقا فعلا فى أزمة ريجان الخاصة بإيران - الكونترا - ، ودبلوماسية جورباتشوف التى تخطف الأبصار.

(ز) وأيا كان الأمر، فقد كانت واشنطن شديدة التشاؤم من احتمالات تحقيق أى عملية اقتحام للجبهة الديبلوماسية العربية الإسرائيلية، كما أن الإشارات المتضاربة التى كانت تخرج من إسرائيل عززت طبيعة الحذر. ثم إن التعامل مع جناحى الوزارة الإسرائيلية دون فقدان ثقة أيهما قد واجه السفير (الأمريكى) فى تل أبيب بتحدٍ غير عادى. وصفوة القول إذن أن حكومة الوحدة الوطنية فى إسرائيل قد حافظت على استقرار العلاقات الأمريكية الإسرائيلية على الصعيد الكلى، ولكنها واجهت فريق ريجان الديبلوماسى بمشكلات دقيقة لا حل لها.

وكان عنصر التعاون الجديد بين الولايات المتحدة وإسرائيل عصراً مربحاً جداً فى المجال الاقتصادى. فقد تم إنجاز إتفاقية للتجارة الحرة وصودق عليها.

و وجدت صناعة إسرائيل الحربية أن الأبواب أمامها مفتوحة إلى الأسواق الحربية الأمريكية. والأهم هو أن إدارة ريجان والكونجرس استجابا بلباقة وحكمة وسخاء لما طلبته إسرائيل من المشورة والدعم المالى للتصدى لأزمتها الاقتصادية.

(ح) وكانت هناك قضايا أخرى واجهت واشنطن وإسرائيل بتحديات عسيرة فى السنوات الأخيرة لريجان فى منصبه. وهى لم تسبب إلا ضرراً قليلاً فى العلاقات لأنها عولجت فى العاصمتين علاجاً دقيقاً. ولو كان التعامل جرى مع زعماء آخرين، لكان من المحتمل أن يتخلف عنها تأثير انفجارى. ذلك أن رغبة الإدارة (الأمريكية) فى بيع أسلحة متطورة إلى الأردن والمملكة العربية السعودية أثارت معارضة لا مفر منها فى إسرائيل وفى الكونجرس.

وكانت هناك قضية مزعجة تتعلق بالتجسس الإسرائيلى فى الولايات المتحدة ـ وهى «قضية بولارد» ـ فهددت هذه القضية بإثارة مواجهة قاسية، ثم إن الدور الكبير الذى لعبته إسرائيل فى محاولة ريجان الخاطئة لاستخلاص الرهائن الأمريكيين من أيدى الإرهابيين ببيع الأسلحة إلى إيران سرّاً، كان من شأنه أن يضر بالعلاقات ضرراً شديداً، ولكنه لم يحدث. ومع دخول كل من إسرائيل والولايات المتحد فى مواسم الحملات الإنتخابية الوطنية فى

نوفمبر ١٩٨٨ ، فقد بلغت العلاقة بين إدارة ريجان وزعماء إسرائيل أعلى مستوى من المودة بلغته فى جميع الأوقات.

٣ ـ تصور ريجان للسلام:

(أ) نعى كثيرون من رجال الشرق الأوسط والأوربيين والأمريكيين على ريجان وهيج وشولتز أنهم سمحوا لعملية السلام العربى الإسرائيلى بأن تتوقف. وقيل إن إدارة ريجان أكدت على قضايا الصراع بين الشرق والغرب، والقضايا الإستراتيجية العسكرية، فى حين أهملت أعطاء قدر كاف من الوقت والإهتمام والإصرار للمضى قدما بإرث كارتر فى كامب دافيد.

وكان ريجان ومستشاريه، يتابعون مهمة صنع السلام بصورة متقطعة وكرد فعل للضغوط والأحداث الإقليمية. إستثناء ما يسمى «بمبادرة ريجان للسلام فى الشرق الأوسط» التى صدرت فى أول سبتمبر ١٩٨٢ ـ قد أعّد بمهارة من حيث جوهرة، ولكنه ولد ميتاً. وظلت إقتراحات المبادرة مطروحة على المائدة أمام الإسرائيليين والعرب طوال السنين الست التالية.

وبذل شولتز ومشاركوه فى وزارة الخارجية جهوداً جاهدة ـ إن لم تكن عارضة ـ لإقناع الأردن وإسرائيل وبعض العناصر الفلسطينية بتبنى المبادرة، بعد القمة الثانية عشرة للجامعة العربية التى إنعقدت فى فاس بالمغرب فى أوائل سبتمبر دون أى ترفضها صراحة، وإن كانت القمة أقرّت المشروع العربى الخاص (خطة فاس). غير أن رفض بيجين المباشر والمتهور للمبادرة أطفأ حماس ريجان.

(ب) إلا أن التوقيت كان غير مناسب أبداً وراء هذه التقلبات الجوية السياسية، وذلك لأن إسرائيل كانت فى شغل شاغل بلبنان الذى كـان يمثل بالنسبة لها أولوية وطنيه طاغية تستأثر بكل إهتمامها. وإلى أن يتم إستيعاب نتائج الحرب، وتعود القوات إلى بلادها، وتوضع علاقة جديدة محددة مع بيروت تشبه ـ على الأقل ـ علاقة السلام الشكلى ، فلم يكن بين زعماء إسرائيل من هو على إستعداد أو لديه القدرة لمعالجة أعصى الموضوعات السياسية جميعا.

ألا وهو موضوع مستقبل الضفة الغربية. وقد يكون شيمون بريز بوصفه زعيماً للمعارضة، قادراً على تحمل ترف تأييد مبادرة ريجان، إذ لو كـان هو رئيساً للوزراء فى ذلك الوقت، لكان مجال المناورة الدبلوماسية أمامه محدوداً بدرجة أكبر.

(جـ) وأخيراً فإن المد الدرامى لموجة العنف فى الأراضى المحتلة الذى ارتفع على غير توقع فى ديسمبر ١٩٨٧ أقنع ريجان وشولتز بالتقدم بمبادرة ديبلوماسية أمريكية من طراز رفيع لإحياء عملية السلام المحتضرة وذلك من خلال إقتراح أمريكى يستند إلى تقريب الإطار الزمنى للمفاوضات الذى اتفق عليه فى كامب دافيد.

وكانت إمكانيات النجاح قليلة، إذ كان شامير وبيريز على طرفى نقيض،وكانا يتطلعان إلى انتخابات جديدة، وكان حسين حذراً، والأسد معارضاً، ومنظمة التحرير الفلسطينية غير راغبة فى السماح للفلسطينيين فى الأراضى المحتلة بأن يرقوا إلى مرتبة تحدى شولتز

الديبلوماسى. إلا أن الأحداث أكرهت ريجان على مالا يحب وأقنعته بأن يبذل جهداً بغض النظر عن قله إحتمالات النجاح.

(د) وفى الدور المرتقب لريجان كصانع سلام فى الشق الأوسط، رزخ على مدى فترة رياسته الثانية تحت وطأة النيران المتقاطعة المنبعثة من المنافسة السياسية المحلية الإسرائيلية، وكذلك تحت وطأة الوضع الضعيف لحسين فى الساحة العربية، والإنهيار الذى أصاب رصيد ريجان السياسى فى أواخر عام ١٩٨٦ بسبب قضية بيع السلاح لإيران. ولم تكن المشكلة المحورية تتمثل فى الإفتقار إلى مبادرة أمريكية.

وعلى أن مما يبعث على الإهتمام أن الإدارة الأمريكية التى كانت فى بادئ الأمر تستنكف من سياسات كارتر بشأن الشرق الأوسط قد باتت بعد ثمانى سنوات عصيبة تعجب بما إنطوت عليه إتفاقيتا كامب دافيد من تنازلات دقيقة. بل أن ريجان بات يتقبل بصورة أولية فكرة وجود ضرب من ضروب الرعاية الأمريكية السوفييتية لمفاوضات الشرق الأوسط مع توافر ضمانات دقيقة. أما الفكرة الرئيسية التى وردت فى كامب دافيد بشأن قيام نظام إنتقالى مؤقت فى الضفة الغربية وغزة، فقد أصبحت بحلول عام ١٩٨٨ عنصراً محورياً فى تفكير إدارة ريجان بشأن النتائج المحتملة للتفاوض.

٤ ـ تصور عام: ـ

(أ) إن إثنتى عشرة سنة مضطربة تنتهى الآن بأزمة ممتدة مثبطة للهمم بشأن سيطرة إسرائيل على الأراضى المحتلة، وبجهود

مثابرة يبذلها شولتز لتوجيه الإنتفاضة الفلسطينية خلال القنوات الدبلوماسية نحو إجراء مفاوضات للتوصل إلى تسوية سليمة. وإن أساليب إسرائيل التى تتسم بالعجز فى بادئ الأمر، وبالفظاظه فى كثير من الأحيان، التى تلجأ إليها لإخماد عنف الإنتفاضة قد أهتز لها كثير من الأصدقاء الأمريكيين المخلصين، وبصورة خاصة بعض أقسام اليهود الأمريكيين. إلا أن إدارة ريجان لم تتخلف عن تأييد إسرائيل فى هذه الشهور التى عانت فيها إسرائيل من الإحباط، بينما يكابد جيش الدفاع الإسرائيلى مشقة فى محاولة لإستعادة السيطرة وإعادة إقرار الوضع على ما كان عليه وهو مالن يتحقق تماماً. وفى الوقت عينه، فالسياسة التى تسير عليها الولايات المتحدة تؤيد إسرائيل تأييداً قوياً فى المحافل الدولية مثل الأمم المتحدة، كما يجرى التوسع فى هدوء فى إعداد مجموعة من ترتيبات التعاون العسكرى الإستراتيجى، وهناك منطقة للتجارة الحرة بدأت تدر ثماراً تجارية راسخة للبلدين، كما أصبحت إسرائيل أكثر أمناً ضد أى عدوان عربى خارجى منها فى أى وقت مضى منذ الإستقلال، فضلاً عن أنها فى سلام رسمى مع مصر.

وتضم هذه الصورة العريضة (البانوراما) إقتصاداً إسرائيلياً استرد عافيته، وقليلا من فتح الأبواب السوفيتية أمام (هجرة) اليهود الروس، وتضاؤلاً فى العزله الدولية للدبلوماسية الإسرائيليه، وتأييداً طاغياً من الكونجرس والشعب لإسرائيل ولإحتياجاتها إلى المعونه الإقتصادية والعسكرية، وعلاقه عمل وثيقه بين كبار القادة الأمريكيين والإسرائيليين بالقدر الذى يمكن تصوره بين أمتين

متباينتين وذاتا سيادة. إلا أن قليلين من الإسرائيليين هم الذين يثقون ثقة كبيرة فى إستمرار هذه الحال على مدى عام ١٩٨٩ وما بعده.

(ب) يتضمن التحليل السابق عدة عناصر هى: -

أولاً: أن كل عاصمه تتوقع من العاصمة الأخرى شيئاً كثيراً جداً.

ثانيـــاً: أن الولايات المتحدة دولة عظمى لها أدوار عالمية ولها مسئوليات مفهومة. أما إسرائيل فهى - فى أحسن الأحوال دولة إقليمية صغيرة لديها جيش وسلاح جوى قويان، وتشغلها أسباب قلق حول أمنها المباشر. وهذا المنظور المختلف للأحداث كثيراً ما يؤدى إلى خلاف حاد.

ثالثا: أن للولايات المتحدة إنطباعات مغايرة حول مدى كون الخطر الذى يهدد إسرائيل من الإرهاب أو من هجوم عسكرى سافر خطراً مباشراً. وإسرائيل قريبة من خطر متصور يجئ من قواعد جوية وقذائف صاروخية وقواعد للإرهابيين.

أما واشنطن فهى بعيدة جدا عن هذه المخاطر والمحللون الأمريكيون والإسرائيليون الذينً يجرون تقييماً للتهديدات يسمحون دائما بوجود هوامش متباينة للخطأ.

رابعــاً: أن تاريخ إسرائيل يجعل من الصعوبة بمكان قبول بيانات حول نوايا العرب السلمية. يضاف إلى هذا أن الأصوات الفلسطينية التى ارتفعت أثناء الإنتفاضة الأخيرة، والتى أكدت أن فلسطين بأسرها ينبغى أن تكون عربية خالصة، إنما تزيد من إعتقاد إسرائيل الجازم بأن هذه المعركة إن

هى إلا معركة أخرى فى حرب إسرائيل الطويلة فى سبيل البقاء. وإن المسئولين الأمريكيين الذين يقفون وقوفاً ميسوراً على التيارات الناشئة فى العواصم العربية سوف يختلفون فى كثير من الأحيان إختلافاً حاداً مع المحللين الإسرائيليين المتشائمين إزاء نوايا منظمة التحرير الفلسطينية، أو نوايا بلدان مثل المملكة العربية السعودية أو العراق.

خامساً: أن الشعبين الأمريكى والإسرائيلى بينهما روابط عميقة دينية وعائلية وتاريخية، وهو ما يعنى أن سياساتهما الوطنية تترابط بدورها. ولعل من الإعتبارات الفريدة أن تفادى التدخل المتبادل فى السياسات المحلية من طرف للطرف الآخر هو هدف يستحيل تحقيقه.

سادساً: أن ردود الفعل المتبادل بين الزعماء تؤثر فى وضع هذه العلاقة بأكثر مما تؤثر فى علاقة أى بلدين آخرين.

سابعاً: أن تنامى إعتماد إسرائيل على الولايات المتحدة إعتماداً إقتصادياً منذ عام ١٩٧٣ يضخم من الشعور المألوف بالاستهداف الذى تستشعره أمه صغيرة فى نظرتها إلى دولة أكبر منها ترعاها. وإسرائيل بوصفها دولة يهودية تشعر أن من اليسير تعرضها للخطر بصورة خاصة بسبب التأرجح الذى يطرأ على السياسة فى عاصمة حليفها الأكبر بل الوحيد.

والأرجح لهذه الأسباب أن يستمر هذا النمط المتذبذب فى الإدارات الأمريكية المقبلة. إن الإقلال إلى أدنى حد ممكن من حدة

التأرجح إنما يتوقف فى المقام الأول على قرارات إسرائيل فى المستقبل، وعلى الناخبين الأمريكيين. وبالنسبة للإنقسامات الإسرائيلية الأمريكية فهى أمر مقدور عليه طالما أن الرؤساء ورؤساء الوزارات ووزراء الخارجية والدفاع فى الدولتين يسعون إلى حلها جاهدين بإعتبارها خلافات بين أصدقاء حسنى النية، وليست مواجهات مبيتة بين خصوم. وإن العناصر الأساسية التى تصون رابطة الحلف الأمريكى الإسرائيلى غير المكتوب ستستمر طوال المستقبل المنظور.

(جـ) وأخيراً ما هو إرث كامب دافيد؟ إنه فوق أى إعتبار آخر، نزاع عربى إسرائيلى قد جرى تغيره تغييراً دائماً فى بعض من أبعاده الأساسية، فالحاجز النفسى الذى كان يقوم سدا يبعد إسرائيل عن بقية المنطقة بدأ يتهاوى.

وأثبتت كامب دافيد أيضا أن المشاركة الفعالة المتعاطفة من جانب رئيس أمريكى فى وسعها - متى كانت الأرض ممهدة لذلك - أن تقلب الميزان بحيث تمكن زعيماً إسرائيلياً من أن يتنازل فى سبيل تحقيق إتفاق.

إن فشل كامب دافيد فى حل المشكلة الفلسطينية «بجميع جوانبها» كان نذيراً بمجئ عقد من الركود والإحباط. وتتمثل إحدى النتائج المباشرة لهذا الفشل فى الحرب اللبنانية، وفى الإنشقاق العميق الذى أحدثته بين واشنطن وإسرائيل. وعلى أى حال، فقد لاح قبل عام ١٩٨٨ أن هناك تفاهماً متزايداً بطيئا بين سكان المناطق المحتلة بأن عليهم أن يقبلوا - بالنسبة للمستقبل المرئى بعض التنازلات.

إن كامب دافيد بالنسبة لإسرائيل قد زادت من إعتمادها النفسى والإقتصادى على الولايات المتحدة. ولئن فتحت الحدود إلى مصر، فإن «السلام البارد» الذى جاء فى أعقاب ذلك قد بدد كثيرا من أحلام إسرائيل حول السلام.

وهكذا، فإن العقد الذى شهدته العلاقات الأمريكية الإسرائيلية قد هيمنت عليه كامب دافيد هى والدوامات التى حركتها، وهى موجات أوشكت الآن على الزوال، وربما أثبتت الإنتفاضة الفلسطينية فى آخر المطاف على أنها المحرك والدافع الجديد والجوهرى لكسر الركود الحالى فى السياسة الإسرائيلية الداخلية، وفى العلاقات العربية الإسرائيلية.

القسم الحادى عشر

التصور السوفيتى للسلام
فى الشرق الأوسط
ونظرته لكامب دافيد

التصور السوفيتى للسلام في الشرق الأوسط

١ ـ الاهتمامات السوفيتية فى الشرق الأوسط:

كان للشرق الأوسط أهمية خاصة من بين اهتمامات الاتحاد السوفيتى العالمية بسبب موقعه الاستراتيجى بوجه خاص واقترابه ـ وخاصة من خلال الصراع العربى الإسرائيلى ـ من الحدود السوفيتية. وهو أمر دعا إلى أهتمام الأتحاد السوفيتى، لأن الشرق الأوسط كان مجالا رئيسيا لإهتمامات الغرب العسكرية والسياسية فى إطار ما اطلق عليه المجابهة مع الأتحاد السوفييتى.

ويضاف إلى ما سبق، الأهمية الأقتصادية الخاصة للشرق الأوسط بسبب علاقات الأتحاد السوفييتى الأقتصادية بكثير من بلدانه وبخاصة أبان تصاعد القومية العربية فى الستينات. وفى هذا الصدد فإن... الاتحاد السوفييتى يدرأ عن شبهة أنه يسعى وراء نفط الشرق الأوسط.

وكان فى كل تحركاته يدرك المصالح الموضوعية للغرب فى المنطقة والتى تتمثل فى النفط والملاحة البحرية وعلاقاته بدول

المنطقة وهى مصالح لا يجب أن تقوم على حساب المصالح السوفييتية المماثلة.

وفى إطار هذه الرؤية يعطى الأتحاد السوفييتى اهتماما بالغا بالأستقرار فى الشرق الأوسط وكان يسير وفق المبادئ التالية:

= أهمية التسوية الشاملة التى تستند إلى حل وسط.

= أهمية خاصة لحل المشكلة الفلسطينية وفق حق تقرير المصير من خلال إقامة دولة قومية وبدون ذلك يستحيل تحقيق تسوية.

= حق الوجود لجميع دول المنطقة.

= إبقاء المنطقة خارج مجال المجابهة الأمريكية السوفيتية، وشجب ما يروجه الغرب بأن للأتحاد السوفييتى مصلحة فى استمرار الصراع العربى الإسرائيلى دون تسوية، وهو منظور خاطئ لأن استقرار المنطقة يهم الأتحاد السوفييتى الذى يسعى فى النهاية ـ وفق مبادئه ـ إلى إقرار السلام، والدليل على ذلك أن استمرار الصراع لم يدعم مواقع الأتحاد السوفيتى ولم يقو التيارات اليسارية، ولم يضعف القوى المحافظة فى المنطقة.

٢ ـ دلائل حرب أكتوبر ١٩٧٣ فى التصور السوفييتى:

لم يقم الأتحاد السوفييتى بتشجيع الحل العسكرى فى الشرق الأوسط، وعندما قدم مساعدات عسكرية لدول المنطقة كان ذلك بهدف كبح السياسات التوسعية لإسرائيل ومنع الأندفاع نحو الحرب، والدليل على ذلك أن الاتحاد السوفييتى كان يكبح السادات فى ميله نحو الحل العسكرى، ولذا قام السادات بطرد الخبراء العسكريين السوفييت فى يوليو ١٩٧٢، وهو أمر شجعته الولايات المتحدة، كما

شجعت السادات فى عام ١٩٧٦ على إلغاء معاهدة الصداقة والتعاون التى أبرمت بين مصر والاتحاد السوفييتى عام ١٩٧١ ـ وعلى عكس الاتجاه السوفيتى قامت أمريكا دوما بدفع الأحداث ناحية الانفجار العسكرى.

ومع اندلاع حرب أكتوبر ١٩٧٣ كان الأمل أن تكون محدودة، إلا أن الواقع اثبت عكس ذلك. مما دعا مجلس الأمن لاصدار القرار ٣٣٨ فى ٢٢/ ١٠/١٩٧٣ ربط فيه بين وقف الأعمال العسكرية وبين البدء فى تسوية سلمية شاملة، إلا أنه بعد الموافقة على القرار مباشرة بدأت الولايات المتحدة تفصل بين إيقاف الأعمال العسكرية وبين تحقيق تسوية شاملة. وانتهى الأمر بتفريغ محتوى مؤتمر جنيف فى ديسمبر ١٩٧٣ من أجل أفساح المجال أمام الصفقة التى كانت تدار خفية بين كل من الولايات المتحدة ومصر وإسرائيل، بدءا باتفاقيتى فض الإشتباك الأولى بين القوات المصرية والإسرائيلية وبين القوات السورية والإسرائيلية عام ١٩٧٤، وكان هدف الأتفاقيتين عزل القضايا ونهج التسويات الجزئية هو الالتفاف حول الحاح مطلب التفاوض والتسوية فى الوقت الراهن ورفع حظر النفط وإنهاء عزلة إسرائيل بسبب ضغوط أوروبا الغربية واليابان.

٣ ـ بوادر التسوية :

كان مجئ إدارة الرئيس كارتر مبشرا باحتمالات التسوية، وخاصة أن مساعدية، كانت لديهم أفكارا جيدة حول تسوية الصراع بالمنطقة، وبالفعل أثمرت الاتصالات بصدور بيان مشترك أمريكى ـ سوفييتى فى أكتوبر ١٩٧٧ أكد على أهمية التسوية الشاملة وانسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها عام ١٩٦٧، وحل المسألة الفلسطينية بما

فى ذلك احترام الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى، وقد انصاعت الولايات المتحدة بعد ذلك للضغوط الإسرائيلية وتم وأد البيان المشترك.

وكانت زيارة السادات إلى القدس فى نوفمبر ١٩٧٧ بمثابة تعويق لاستمرار مؤتمر جنيف رغم أنه وصف الزيارة بأنها تستهدف «اختراق الحاجز النفسى»

وقد أدت أحداث يناير ١٩٧٧ (انتفاضة الخبز) واضطراب الجبهة الداخلية المصرية إلى إسراع السادات إلى تسوية مصرية - إسرائيلية. وكانت أهداف زيارة السادات - وفق تصور السوفييت - هى: استعادة سيناء وتحول مصر إلى أحد الشركاء الرئيسين للولايات المتحدة (١). هذا ولم يكن السادات يستهدف الحل المنفصل أول الأمر، ولكن إسرائيل أخطرته فى النهاية إلى قبول الحل الجزئى المنفصل وذلك بفضل مساعدة الولايات المتحدة وسعيها وراء الأهداف الإسرائيلية وانتهى الأمر فى سبتمبر ١٩٧٨ بتوقيع إتفاقيتى كامب دايفد، وفى مارس ١٩٧٩ بتوقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية المنفصلة.

٤ - تقييم معاهدة السلام المصرية (منظور سوفييتى)

روج خبراء أمريكيون بأن معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية لم تعبر عن حل منفصل لأن دباجتها تؤكد أهمية الحل العادل والشامل والدائم وفقا لقرارى مجلس الأمن ٢٤٢ - ٣٣٨، ثم عادوا فأكدوا بأن المعاهدة تحولت إلى حل منفصل بعد ذلك وهو قول لم يقبله الخبراء

(١) أى تغيير المواقع من الاتحاد السوفييتى إلى الولايات المتحدة من أجل تسوية معقولة والحصول على المعونات الأمريكية.

السوفييت الذين رأوا فى المعاهدة صفقة منفصلة لصالح إسرائيل وقدموا أمثلة على ذلك منها:

١ ـ أصبح للمعاهدة مع إسرائيل الأولوية على ما عداها من التزامات مصر فى حالة التضارب، وتبين خطورة ذلك من أن أضخم قوة عسكرية «مصر» قد استبعدت من النزاع.

٢ ـ لم تؤكد الصفقة حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره بل أشارت إلى سلطة الحكم الذاتى فى الضفة وغزة من أجل تحقيق الحكم الذاتى الكامل للسكان، وهذا الأمر لايعترف بحق تقرير المصير ولا بوجود الشعب الفلسطينى ـ بل مجرد سكان ـ والحكم الذاتى يكون للسكان وليس للأرض.

٣ ـ لم تمنع الصفقه أقامة المستوطنات.

٤ ـ أضفى أصطلاح «سلطة الحكم الذاتى» شرعيته على الاحتلال الإسرائيلى ودعم من سياسة الاستيطان.

٥ ـ دعمت الصفقة من ظروف توسيع التواجد العسكرى الأمريكى الدائم فى المنطقة وفاء بمهمة تنفيذ المعاهدة.

وقد صدق حدس الخبراء السوفييت فقد قامت إسرائيل بعد توقيع صفقة كامب دافيد ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية بمضاعفة اعمالها التوسعية والعدوانية، فقامت بانشاء المزيد من المستوطنات، ورفضت بشكل قاطع قيام دولة فلسطينية ورفضت التعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية، وأعلنت ضم القدس وأنها أصبحت عاصمة أبدية لإسرائيل، وقامت بضرب المفاعل النووى العراقى... وضم الجولان إليها، ثم أقدمت على غزو لبنان عام ١٩٨٢ .

٥ ـ كامب دافيد فى التصور السوفيتى :

يمكن القول أن معاهدة السلام المصرية ـ الإسرائيلية قد أصبحت إحدى حقائق المنطقة، وأدت إلى تشدد إسرائيل تجاه كل مسائل التسوية وخاصة المسألة الفلسطينية والأردنية والسورية واللبنانية.

واحدثت صفقة كامب دافيد مشاكل ومواقف جديدة مثل تفاقم الصراع فى الشرق الأوسط، ووضوح الطابع الثورى على الصراع واحتمالات تزايد التطرف الأصولى فى المنطقة ككل، كما أحدثت صفقة كامب دافيد شقاقا داخل العالم العربى وأضعفت النضال العربى بإخراج مصر من المعركة، وطفت الحرب الإيرانية ـ العراقية على السطح، وزاد لهيب الحرب الأهلية فى لبنان عام ١٩٧٥، واستمر الاتحاد السوفييتى على قناعته بأن المهمة العاجلة لاتزال تحقيق حل شامل وعادل وأيضا إشاعة الاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط.

وبرغم شدة وطأة الأحداث فى الخليج (الحرب العراقية ـ الإيرانية) التى بدأت فى سبتمبر عام ١٩٨٠ ـ تقدم الإتحاد السوفييتى فى سبتمبر ١٩٨٢ باقتراحات مفصلة من ست نقاط بشأن إيجاد تسوية عادلة فى الشرق الأوسط (١) مستفيدا من المناخ العام لمؤتمر القمة العربى الذى عقد فى مدينة فاس بالمغرب فى سبتمبر ١٩٨٢ والذى عرض لأول مرة فى التاريخ اقتراح عربى جماعى عن تسوية شاملة مع إسرائيل متضمنا الأعتراف بإسرائيل (٢).

---

(١) أنظر الجدول آخر القسم.
(٢) أنظر نفس الجدول السابق الأشارة إليه.

وتزامنا مع المقترحات السوفيتية ومقترحات القمة العربية في فاس أعلنت مبادرة الرئيس ريجان.

وقد لاحظ الأتحاد السوفييتي أن الولايات المتحدة تربط بين الحاول المنفصلة وبين توجيه أهتمام العرب إلى ما اسمته التهديد السوفييتي، كما واكب النشاط السياسي للولايات المتحدة العمل على تكثيف وجودها العسكري في المنطقة، وقد سبق أن وقعت الولايات المتحدة مع إسرائيل اتفاقا التعاون الأستراتيجي عام ١٩٨١، وأكدته باتفاق جديد عام ١٩٨٣، وأصبحت الولايات المتحدة وخاصة في ظل إدارة ريجان أكثر تسامحا عن ذي قبل بالنسبة للتوسع الأقليمي الإسرائيلي ورفضها تنفيذ القرارات الدولية، وبذلك أخذت الولايات المتحدة تتجه بشكل رئيسي نحو فكرة الحاول المنفصلة.

ورغم ضغط كل من الولايات المتحدة وإسرائيل فقد فشلت الولايات المتحدة في ترويج نموذج كامب دافيد لكل من الأردن ولبنان وأصبح التصور الأكثر الحاحا هو أن تكون التسوية الشاملة هي البديل الوحيد لاتفاقيتي كامب دافيد.

وفي منتصف الثمانينات تطورت الظروف الدولية لصالح عقد مؤتمر دولي وقبل المجلس الوطني الفلسطيني بالجزائر في أبريل ١٩٨٧ فكرة المؤتمر الدولي، وقد أضافت الانتفاضة الفلسطينية في ديسمبر ١٩٨٧ قوة دفع هائلة للمطالب الفلسطينية.

ولاشك أن الاسترخاء الذي حدث بسبب المتغيرات السوفيتية (البيروستريكا ـ والجلاسنوست) والتي بدأت في أبريل ١٩٨٥ مضافا إليها توقيع المعاهدة السوفيتية الأمريكية بشأن إزالة القذائف

المتوسطة والقصيرة المدى فى شهر ديسمبر ١٩٨٧ ، وأدى ذلك إلى نمو مناخ المؤتمر الدولى للسلام.

وكان من أبرز اهتمامات الأتحاد السوفيتى تخوفه ورفضه لموجة الأعمال الأرهابية فى الشرق الأوسط وهى موجه لم تهئ الظروف المناسبة لحل المشكلة الفلسطينية - وقد اتجه النشاط الدبلوماسى السوفيتى إلى تنمية رأى عام دولى مناسب لخدمة أهداف النضال الفلسطينى المشروع، ولذلك يعترف العالم كله الآن فيما عدا (اسرائيل والولايات المتحدة) بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره.

وأخيرا فإن الأتحاد السوفيتى لا يعارض حل المشكلات خطوة خطوة شريطة أن تكون الخطوات متصلة فى أتجاه تسوية شاملة، ولذلك يمكن الجمع بين الحل الشامل والمفاوضات الثنائية المباشرة بين البلدان العربية وإسرائيل آخذين فى الأعتبار ضمان التمثيل الفلسطينى الحقيقى فى المفاوضات، بالأضافة إلى أن نفوذ كل من الأتحاد السوفيتى والولايات المتحدة سيكون هاما من أجل عقد مؤتمر دولى فعال، وبدون هذا التوجه الذى يستند إلى الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وحقوق الأطراف الأخرى وصولا إلى الحل الشامل قد يواجه الجميع مصائب جديدة ، والجميع بمعنى العرب وإسرائيل والمجتمع الدولى بأكمله.

«الصراع الأمريكى السوفييتى حول الشرق الأوسط «دار السلسبيل الكويت ١٩٨٦م ص ص ٥٣٢ ـ ٥٤٨» *

الموقف الأوروبى	مبادرة فهد (ولى لعهد) أغسطس ١٩٨١م	مبادرة ريجان ـ أكتوبر ١٩٨٢م	خطة فاس ـ نوفمبر ١٩٨٢	خطة السلام السوفييتية فى مطلع عام ١٩٨٢م
من خلال جلسات الحوار العربى الأوروبى (لجنة الحوار فى تونس فبراير ١٩٧٧) ١ ـ عبر الجانبان عن القلق البالغ حول الأزمة لإنعكاسها على الأمنين الأوروبى والعالمى. ٢ ـ أساس التسوية هو الإعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ومنها التعبير الفعلى عن كيانه الوطنى المستقل. ٣ ـ القلق من إستمرار إحتلال إسرائيل للأراضى العربية منذ عام ١٩٦٧ . ومعارضة التوسع فى إنشاء مستوطنات. (ومن خلال بيان المجموعة الأوربية فى يونيو ١٩٧٩). ٤ ـ إدانة المستوطنات فى الضفة الغربية. (ومن خلال خطاب دول المجموعة بالجمعية العامة للأمم المتحدة فى سبتمبر ١٩٧٩).	١ ـ إنسحاب إسرائيل من الأراضى التى إحتلتها عام ١٩٦٧ . ٢ ـ إزالة المستوطنات من الضفة ومن جميع الأراضى العربية المحتلة. ٣ ـ كفالة حرية العبادة لكافة الطوائف الدينية فى الأراضى المقدسة. ٤ ـ الإعتراف بحق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة إلى ديارهم وتعويض من لا يرغب فيهم فى العودة. ٥ ـ وضع الضفة الغربية وقطاع غزة تحت وصاية الأمم المتحدة لفترة إنتقالية تستمر لعدة أشهر. ٦ ـ إقامة دولة فلسطينية مستقلة على أن يكون القطاع العربى من القدس عاصمة لها.	١ ـ التأكيد على إلتزام الولايات المتحدة لضمان أمن إسرائيل وذلك بتعزيز قدراتها الدفاعية وضمان حدود يسهل الدفاع عنها ووجود مناطق منزوعة السلاح يتواجد قوات تابعة للأمم المتحدة. ٢ ـ الحكم الذاتى للفلسطينيين لفترة إنتقالية لا تزيد عن خمس سنوات كخطوة لإلحاق الضفة وغزة بالأردن وعدم السماح بإقامة دولة فلسطينية على أن يعترف الفلسطينيون بإسرائيل. ٣ ـ التأكيد على مبدأ مقايضة الأرض بالسلام وفقا للقرار ٢٤٢ ـ وإتفاقيات كامب ديفيد مع ضرورة تطبيع العلاقات. ٤ ـ رفض إعادة تقسيم القدس مع وحود ترتيبات تحفظ حق كل طرف.	إعتمد مؤتمر قمة فاس الثانى مبادرة الأمير فهد كأساس للتسوية وإستجاب للشرط السورى بعدم الخوض فى مبادرات عن عودة مصر إلى الصف العربى. ٢ ـ تشكيل لجنه سباعيه لشرح الخطه لقادة الدول العربية. ٣ ـ قامت خطة فاس على أساس الحلول الوسط بسبب الموقف المتردى فى لبنان بعد الغرو والضغط المتزايد على المقاتلين الفلسطينين فيه ولخروج مصر من حلبة المواجهه. ويلاحظ أن:ـ ـ أيدت مصر المبادرة رغم تفضيلها لمبادرة ريجان بسبب إمكانية تنفيذها. ـ وجاء تأييد مصر لخطة فاس	١ ـ إنسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى العربية التى إحتلتها عام ١٩٦٧ . ٢ ـ ضمان حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى بما فى ذلك إقامة دولة مستقلة فى الصفة وعزة. ٣ ـ إيجاد حل عادل لمشكلة اللاجئيه الفلسطينين. ٤ ـ الإعتراف بحق كل دول المنطقة فى العيش بسلام ضمن حدود آمنة معترف بها. ٥ ـ تعهد إسرائيل بالكف عن بناء المستوطنات فى الأراضى العربية المحتلة. ٦ ـ عقد مؤتمر دولى للتفاوض حول الإجراءات والترتيبات فى إطار الأمم

* المرجع : د. اسماعيل صبرى مقلد.

٥ ـ المطالبة باحترام حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره. (ومن خلال إعلان مؤتمر البندقية للمجموعة الأوروبية يونيو ١٩٨٠). ٦ ـ أكد إحترام حق دول المنطقة بما فيها إسرائيل في الوجود والأمن والإعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني. ٧ ـ رفض إحتلال إسرائيل للأراضي العربية. ٨ ـ تمثل المستوطنات عقبة في سبيل السلام.. ٩ ـ ضرورة إنضمام كل الأطراف بما فيها الفلسطينيين لجهود التسوية. ١٠ ـ معارضة المبادرات المنفردة التي تغير وضع القدس. ويلاحظ إيجابية النظرة الأوروبية إلا أن دورها سيتعاظم مع تحقيق الوحدة الأوروبية.	٧ ـ الإعتراف بحق جميع دول المنطقة في العيش في سلام. ٨ ـ ضمان أي إتفاق في هذا الصدد من قبل الأمم المتحدة أو من قبل بعض أعضائها. ويلاحظ على المبادرة: ـ أنها لم تذكر إسرائيل صراحة. ـ عارضها السادات لأنها مجرد تصريحات لاتتضمن جديدا. ـ تراوح رد الفعل الفلسطيني بين مؤيد ومعارض. ـ أيدتها دول الخليج. ـ عارضتها إسرائيل. ـ تحفظت عليها الولايات المتحدة. ـ انتقدها الإتحاد السوفييتي.	٥ ـ توسيع إطار عملية السلام لتشمل كل الدولة العربية المجاورة لإسرائيل وخاصة الأردن والفلسطينيين ويلاحظ أن المبادرة :ـ ـ لم تعترف بسيادة إسرائيل على كل القدس. ـ قبلت مصر المبادرة وإعترضت عليها معظم الدول العربية. . ـ رفضتها إسرائيل بزعم وجود تنازلات للعرب على حساب أمن إسرائيل. ـ وضح إنحيازها الشديد لإسرائيل ـ أنكرت حقوق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وإقامة الدولة.	بعد ابتعاد السادات ولم تعد مصر تصر على أن كامب ديفيد هي الأساس الوحيد للتسوية.	المتحدة ومشاركة كل أطراف الصراع. ويلاحظ أن المبادرة: ـ جاءت بعد إبتعاد أو إبعاد السوفيت عن ساحة المبادرات والمقترحات وهو ما أضعف موقفهم في الشرق الأوسط ـ وأكدت على صيغة المؤتمر الدولي أساسا للتسوية. ـ إلا أن مصيرها لم يكن أفضل من سوابقها.

ملاحظة عامة ـ المعلومات للمصدر المشار إليه أعلاه والجدول لنا

القسم الثانى عشر
الأمن القومى المصرى ونشاط المخابرات الأمريكية المركزية
C. I. A.

الفصل الأول: الأمن القومى المصرى فى عهد كل من عبد الناصر والسادات.

الفصل الثانى: المخابرات الأمريكية وأنشطتها فى مصر فى عهد السادات.

الأمن القومى المصرى

«المخابرات العامة»

أولا: نظرة عامة

١ - يعرف الأمن القومى الوطنى، والذى تعارف على إطلاق اصطلاح الأمن القومى عليه، يعرف باختصار، بأنه ضمان سلامة أراضى الدولة واستقلالها السياسى ضد الأخطار الداخلية والخارجية، وتأمين مصالح الدولة، وتهيئة الظروف المناسبة لتحقيق أهدافها القومية التى تعكس الأتفاق العام فى المجتمع.

٢ - وفى هذا الإطار تحرك جهاز الأمن القومى المصرى (المخابرات العامة) وتمكن من حماية مصالح مصر فى مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية.

٣ - وقد عمل هذا الجهاز فى صمت ودون إعلام، بسبب دقة وأهمية مسئولياته واستمر فى العمل المخلص رغم ما تعرض له من نقد لأسباب سياسية تعود إلى خلط مسئولياته مع أجهزة سياسية أخرى.

٤ ـ ورغم تعدد الرؤى السياسية فى عهد عبد الناصر إلى السادات إلى مبارك، إلا إن هذا الجهاز كان يتحرك وفق مبادئ ثابتة أهمها:

(أ) الأخلاص للوطن وحده.

(ب) السرية والبعد عن الإعلام.

(جـ) دعم كفاءة الأجهزة ماديا وعلميا وثقافيا لأن عمل المخابرات والمعلومات أصبح يتطلب كل هذه المهارات.

٥ ـ ورغم ضعف إمكانيات هذا الجهاز بالمقارنة بالأجهزة الأخرى ومنها CIA وGPU والموساد الإسرائيلى وغيرها، إلا أنه تمكن بسبب؛ قوة بنائه المعنوى الوطنى، من تعقب أعمال هذه الأجهزة الدولية وإبطال معظم مخططاتها، وكان من أبرزها أعمال الموساد فى الخمسينات على أرض مصر، وآخرها أعمال التصنت الأمريكى على محادثات كبار المسئولين المصريين فى عهد مبارك. ونجحت فى فك أجهزة التصنت التى نصبت فى عهد الرئيس السادات وبموافقته، طبقا لما ذكره بوب وود ورد مؤلف كتاب «القناع» وكتاب «القادة».

٦ ـ كما أدت مشاركة الجهاز فى كشف الأعمال الأرهابية التى استهدفت شخص رئيس الدولة فى تجنب مصر هزات درامية كانت كفيلة بضرب استقلالها ونمائها.

٧ ـ والجدير بالذكر أن هذا الجهاز المصرى وضع الأمن القومى أمانة بين يديه لم يتأثر بالتحالفات السياسية المصرية عبر العهود الثلاثة: عهد عبد الناصر ـ السادات ـ مبارك.

بل كان يكشف أعمال أجهزة المخابرات الأخرى ونشاطاتها المعادية بغض النظر عن الصداقات والتحالفات المرحلية وهو أمر يظهر فى الوقت الراهن فى كشف أعمال الجماعات المتسترة وراء المهام العلمية فى مصر، ووراء الجمعيات الثقافية أو الدراسات الإنسانية والتحذير من خطورة أعمالها.

٨ - إن جهاز المخابرات المصرية يعد من أدق وأنشط أجهزة المخابرات فى العالم، وخاصة أنه جهاز لا يعلن عن نفسه ولا يتيح لبعض المروجين أن يضعوه فى بؤرة الدعاية والإعلام، لأن هدفه النهائى ليس الكشف عن أعماله ولكن الحفاظ على أسراره من أجل مصلحة وأمن الوطن.

ومع أن بوب ودو ورد قد تحدث فى كتاباته النى تعرض لها فيما بعد عن أعمال المخابرات الأمريكية والسوفيتيته والفرنسية والبريطانية والإسرائيلية، وأنه قد أطلق لخياله العنان فى عرض والهاب وتضخيم أعمال هذه الأجهزة فى مصر والعالم العربى، وخاصة عن الامكانات المادية والسياسية لهذا الأجهزة.

إلا أن أعمال هذه الأجهزة كانت فى الواقع مراقبة ومحصورة من قبل الأمن القومى الذى يقوم بأحباط المخططات التى تحاك ضد مصر قبل وقوعها، كما رصد بشكل دقيق أسماء وأعمال عملاء هذه الأجهزة سواء أكان ذلك فى دور الأعداد أو المحاولة، كما تمكن من فرز هؤلاء العملاء من داخل غطائهم الدبلوماسي أو داخل المنظمات الدولية والمعاهد العلمية الأجنبية.

ثانيا: الأمن القومى المصرى فى عهد عبد الناصر:

١ ـ لكل مرحلة تحدياتها وانجازاتها وخصائصها، ومجمل القول أن عـهـد الرئيس عبـد الناصر كـان مـثـقـلا بالمهـام والتـحـديات والإنجـازات نظرا لطبـيـعـة المرحلة التى اتسمت بالتـحـرر من الأستـعـمار ومـواجـهـة المخـططـات الأمـريكيـة التى كـانـت تركـز أساسا على تعقب النفوذ السوفيتى أينما وجد.

ـ يضـاف إلى هذه المهـام، أنه كـان، علـى أجـهـزة الأمـن القومـى مـواجـهـة عـداء الطبـقـات أو الطبـقـة التـى أضـيـرت من جـراء الأجـراءات الثـوريـة من تأمـيـم ومصـادرة وعـزل، وقـد اتـخـذ هذا العــداء، فـى بـعض الأوقــات، شكل التنسـيق بين الأفـراد المضرورين وبين أجهزة مخابرات الدول الأجنبية المعنية.

٢ ـ وأبرز انجازات الأمن القومى فى تلك المرحلة كان حماية الجبهة الداخلية، ومنع أعمال ومحاولات أضعاف الاستقرار الداخلى، وكذلك مواجهة أعمال التجسس والتخريب الخارجية.

ـ وقد كـشف جـهـاز المخـابرات العـامـة النقـاب عن كـثـيـر من هذه المحـاولات، وقدم مرتكبوها إلى القضاء المصرى.

٣ ـ كـمـا اسـتـجـاب جـهـاز المخـابرات العـامـة فـى عـهـد الرئيس عـبـد الناصر إلى متطلبات الثورة فى دعم حركات التحرر الوطنى، ومثال ذلك إنشاء العملية، صلاح الدين، فى تعز، لنصرة ثورة اليمن الجنوبى.

ـ وقـد تم امـداد هذه الثـورة الوليـدة بـالمعلومـات والأسلحـة والأمـوال لأخـراج الأسـتـعـمـار الـبـريطـانـى ،وهو أمـر انـتـهـى بـنـجـاح تام وإعـلان جلاء القوات البريطانية عن عدن عام ١٩٦٧ .

٤ ـ ويمكن التعرف على مدى الجهود التى قام بها جهاز المخابرات العامة إذا عرفنا أن أشق المهام والأخطار قد تعرضت له مصر أبان عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

ثالثا: الأمن القومى المصرى فى عهد الرئيس السادات:

١ ـ قام الرئيس السادات بتغيير اتجاه البوصلة السياسية الداخلية ١٨٠ درجة، ومع ذلك، التزم جهاز المخابرات العامة بالشرعية الدستورية ووقف وراء رئيس الجمهورية.

٢ ـ ورغم هذا الألتزام لم يسلم الجهاز الوطنى من التغيير وخاصة فى قياداته العليا.

٣ ـ وقد أقدم الرئيس السادات على قرار حرب أكتوبر ١٩٧٣، وأدى جهاز المخابرات دورة أبان هذه الحرب فى حماية الجبهتين الداخلية والخارجية.

٤ ـ وبعد الحرب، وبعد أن نقل الرئيس السادات تحالفه نحو أمريكا، لم يتغير ولاء هذا الجهاز بل استمر فى حماية الجبهة الداخلية وفى مراقبة العمليات الأمريكية المتعلقة بالتجسس والتى أتخذت أشكالا متعددة، منها الدراسات العلمية والتعاون الفنى، وكان يقدم تقاريره أولا بأول لرئيس الدولة الذى لم يكن يخشى من التحرك الأمريكى.

٥ ـ وقد كشف كتاب تناول تاريخ المخابرات الأمريكية فى أجزاء متفرقة من العالم ومنها مصر، أن رئيس المخابرات المركزية ذكر أن الرئيس السادات كان متعاونا تماما مع المخابرات

المركـزية، وأنه أوكل إليـهـا مـهـام مـتـعـددة ومنـهـا حـمـايتـه الشـخـصية، وأنـتـهى الأمر باغـتيال الرئيس السادات فى اكـتوبر ١٩٨١ وهو بين قـواته، مما أوقـع الارتبـاك فى صـفـوف القـيادة السياسية الأمريكية وفى دوائر مخابراتها. وكـان هذا الأمر دليل على خـطورة أن يسلم الرئيس مـسـئـوليـة أمـتـه إلى مـخـابرات أجنبية لاتدرك طبيعة الناس والمكان.

- ورغم أن السمة الرئيسية لجهاز المخابرات المصرى - ولا تزال - هى اليـقـظة، إلا أنه أبان عـهـد الرئيس الراحل أنور السـادات وضـحـت لديه نزعـة مـحـاولة مـعـرفـة كل شئ، وكـان أحـيـانا يستخدم المعلومات الدقيقة لجهاز المخابرات فى أحاديثة، مما قد يسبب حـرجا لهذه الأجـهزة ويدفعـها إلى تصحيح الأمور باعادة رسم مخططاتها أو اللجوء إلى البدائل المعدة من قبل.

ولذلك عمدت المخابرات إلى وضـع هذه الخاصـية التى اتسم بها الرئيس السـادات فى الحسـبان، حـرصـا على مـصـالح الأمن القـومى المصرى، ووضعت لكل موقـف بدائل للمواجـهة فى إطار قناعتها بأن صاحب القرار قد يلجأ إلى تصرفات لأسباب سياسية أو أقتصادية لا تتسق مع تصورات الأمن القومـى.

مثل تصور القيادة السياسية أن من المصلحة غض الطرف عن بعض تـصـرفـات بعض عـمـلاء الدول الكبـرى طالما أنهـا لا تشكل خطرا جسيـمـا، وفى كل هذه الأحـوال كـانت أجـهـزة الأمن المصرية ترتب أمورها تحوطا لكل طارئ.

المخابرات الأمريكية وانشطتها

في مصر فى عهد السادات

أولا: المعونات الأمنية ونشاط المخابرات المركزية فى مصر (١):

١ ـ قامت المخابرات المركزية والأجهزة التجسسية الأخرى بعمليات دقيقة، حصلوا خلالها على محادثات فى أعلى المستويات فى دول أوروبا والشرق الأوسط وآسيا، بما فى ذلك المحادثات التليفونية. وكان يقوم بذلك رجال المخابرات تحت مظلة السفارات الأمريكية.

وكانت المعونات فى مجال الأمن وأعمال المخابرات التى قدمت للرئيس المصرى أنور السادات قد أظهرت مزايا وعيوب مثل هذه الخدمات السرية.

فقد تولى السادات الحكم علم ١٩٧٠ . وبعد عامين طرد الروس خارج مصر، وبدأ برنامج مساعدات المخابرات الأمريكية لمصر فى

(١) أنظر بوب وود ورد «النقاب» ص ٧٨، ٢٥٢ـ ٣٥٣

مجال الحراسة والمخابرات. وقد ارادت الولايات المتحدة أن تحافظ على حياة السادات وأيضا أرادت نظاما يضمن استمرار تدفق المعلومات عن السادات من الداخل وعن سياسات الرئاسة ومناوراتها. وكان معظم ما حصلت عليه المخابرات قليل الفائدة، إلا أن المخابرات المركزية كانت تسعد لوصولها إلى مصادر الأخبار الأساسية، حيث تمكنت من تصنيف تطورات ورغبات وطموحات وسياسات عشرات من الوزراء ونوابهم. ورغم تدفق المعلومات بشكل غزير دفعت أجهزتها فى حيرة نتيجة الكم الهائل من المعلومات، فقد كان السادات يتخذ أجهزة المخابرات الأمريكية أداة ليصل إلى المنافذ الخلفية للحكومة الأمريكية للحصول على معلومات خاصة وبعض المساعدات بل والأموال.

٢ ـ وقد عامل السادات رئيس المخابرات المركزية بوصفه من الموظفين، وقد شعر رئيس المخابرات بذلك أبان زيارة السادات لواشنطن عام ١٩٧٥، بمعنى شعوره بالتجاهل.

٣ ـ باختصار، السادات كان مهما من ناحية المخابرات ولم يكن يخضع لسيطرتها، ولكنه فتح بلاده ونفسه فى إطار ما وصفه بالمنافع المتبادلة والمصالح المشتركة للمخابرات المركزية، وكان الأمر خطرا للجانبين.

٤ ـ وكان عددا من رجال المخابرات المركزية حذرين من العلاقة مع السادات، لأن الأمر كان يتعلق بأسلوب السادات الذى جعل كل طرف يعتقد أنه يمتلك السادات، وفى الحقيقة فقد باع السادات ١١٠٪ من نفسه لمن فى يده الأوراق الرابحة. الولايات المتحدة والمخابرات المركزية ظنوا أنهم يمتلكونه، وكذلك ظن الجيش

المصرى وكذلك دول عربية أخرى. وبعد كامب دافيد ظنت إسرائيل أنها تمتلكه، وهى طريقة السادات فى التعامل مع الأطراف لحظة الحسم. فقد فشل حراسه بعد عمل طويل.. وجاء اغتياله أثناء أستعراض عسكرى عام فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ منهيا واحدا من أهم العلاقات للمخابرات المركزية الأمريكية.

٥ ـ بالنسبة للتجسس على السوفيت فهناك مثل آخر قدمه تيريز بالقول: بأن كل من NSA, CIA قد تصنتت تماما الكترونيا على كل قسم فى الحكومة المصرية وقد مهد لذلك أن الرئيس السادات كان متعاونا تماما مع المخابرات والأمن القومى الأمريكى.

ثانيا: دعم التعاون المصرى الأمريكى (١):

١ ـ عملية افغانستان كانت عملية تعاونية ضخمة تقوم على شحن السلاح اساسا عبر مصر، وأن تكون باكستان بمثابة الموصل الجيد إلى المقاومة الأفغانية، وتكون السعودية الممول الرئيسى للعملية أكثر من تمويل المخابرات المركزية.

٢ ـ وكانت جهود القيادة السوفيتية ـ برجنيف ـ والـ K G B وهى المخابرات السوفيتية توجه أيضا لأفساد العلاقات المصرية ـ الأمريكية.

٣ ـ وعندما تحدث كاس عن هزائم السوفيت فى العالم سقط منه حالة مصر.

٤ ـ وقد تصورت الولايات المتحدة والمخابرات المركزية أنهم سيطروا على السادات وامتلكوه، وكذلك فكر الجيش المصرى، وكذا عدد

(١) أنظر بوب وود ورد ،المرجع السابق، ص ٩٩ + ١٧٢؛ ٢٥٧ + ٢٦٦ + ٣٢٩ + ٣٥٣ .

من الدول العربية بل وإسرائيل، إلا أن هذه كانت طريقة وأسلوب السادات فى إدارة شئونه.

٥ ـ والدليل على ذكاء ومناورة السادات فى تصور الولايات المتحدة، أن حرب أكتوبر كانت هزيمة عسكرية لمصر، إلا أن السادات أعلن النصر وبذلك عبر عن رأيه وحولته المعركة إلى قائد عربى.

ثالثا: السلام وأغتيال السادات (٢):

١ ـ فى ٦ أكتوبر استقبل كاس «مدير المخابرات» رسالة تقول أن الرئيس المصرى أنور السادات قد قتل بالرصاص أبان استعراض عسكرى بالقاهرة. ومع ذلك استمرت الأذاعة المصرية تبث أن الرئيس فى صحة جيدة وأنه تغلب على جراحه، إلا أن التلفزيون الأمريكى أكد أن الرئيس السادات قد مات.

٢ ـ وكانت المخابرات الأمريكية تساعد على إبقاء السادات فى السلطة. وعند توقيع اتفاقية كامب دافيد عام ١٩٧٨، ومعاهدة السلام مع أسرائيل عام ١٩٧٩، وجد السادات نفسه فى عزلة فى الشرق الأوسط.

وكان السادات إلى حد ما موضع أعجاب الشعب الأمريكى والصحافة الأمريكية ولم يكن له نفس التقدير داخل مصر. وكانت زوجته السيدة جيهان بملابسها الغربية وعاداتها وأفكارها واستقلاليتها بمثابة تحدى لكثير من الأصوليين الإسلاميين. وكان لدى المخابرات الأمريكية معلومات عن السادات وعن مواطن ضعفه وطبيعة القوى المناوئة له.

---

(١) أنظر بوب وود ورد «المرجع السابق» ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .

وقد أُعْطى كل هذه المعلومات فى الشهر السابق على أغتياله وخاصة التهديد الموجه له من ليبيا وأثيوبيا وسوريا وإيران.

ـ وبعد عدة ساعات أكدت الأذاعة المصرية موت السادات الذى مات في نفس الوقت نتيجة تلقيه العديد من الطلقات.

القسم الثالث عشر

مقارنة بين عبد الناصر
والسادات

عبد الناصر والسادات

يمكن إجراء مقارنة سريعة بين شخصيتين وعهدين على النحو التالى:

١ ـ إن عبد الناصر كان قائد الثورة وزعيمها بلا منازع، وكان يتميز بالتخطيط الدقيق ويبتعد عن القفزات المغامرة، أما السادات فكان أحد قادة الثورة رقم ٦ أو ٧ أو ٨، وتحسن وضعه القيادى بعد عام ١٩٦٧ بزوال وتنحية عدد من القيادات التى كانت تأتى قبله فى الترتيب، وأخيرا ادى موت عبد الناصر المفاجئ فى ٢٨/٩/١٩٧٠ إلى وضع السادات فى المقدمة.

٢ ـ كان الأول بطل القومية العربية، أما الثانى فقد اتجه نظره ناحية التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية.

٣ ـ الأول أقام استراتيجية على أساس معاداة الاستعمار والإمبريالية والعنصرية الإسرائيلية، والتحالف بشكل حذر مع الاتحاد السوفيتى، فى إطار سياسة عدم الانحياز. والثانى أقام استراتيجية على أساس التحالف مع الولايات المتحدة والصلح مع إسرائيل والعمل ضد التغلغل السوفييتى فى كل مكان، وذلك من أجل

تحقيق الإنسحاب الإسرائيلى من الأراضى المصرية والحصول على معونات إقتصادية وعسكرية من الولايات المتحدة الأمريكية. ولعلنا نذكر قوله الشهير بأن الولايات المتحدة تحوز ٩٩٪ من أوراق اللعب بالنسبة لمشكلة الشرق الأوسط.

٤ ـ الأول كان يقيم نظامه على أساس تحالف قوى الشعب العامل والتوجه نحو الإشتراكية وتحقيق العدالة الإجتماعية وتذويب الفوارق بين الطبقات. والثانى أقامه على أساس التعددية الحزبية والانفتاح الاقتصادى وإعلاء دور القطاع الخاص.

٥ ـ الأول إهتم أساسا بالتعاون مع الدول العربية فى إطار فكر القومية العربية، والثانى قلل من أهمية الالتحام بالعالم العربى وعمق من فكرة الهوية المصرية.

٦ ـ فى الداخل أقام الأول تحالف مع القوى الوطنية واليسار بما فى ذلك الفصائل الماركسية، وحجم من تواجد ودور القوى الأصولية الإسلامية وخاصة الإخوان المسلمين. أما الثانى، فقد أقام تحالف مع رجال الأعمال واليمين المصرى، وأطلق قوى الأصولية من عقالها لتعمل من أجل ضرب وتحجيم القوى الناصرية واليسارية.

٧ ـ دفع الأول ثمن معاداته للأستعمار ولأمريكا ووقوفه أمام التوسع الإسرائيلى فكانت الحرب الاقتصادية وعدوان عام ١٩٦٧ . أما الثانى، فقد استفاد من حرب الإستنزاف التى قادها الأول، كما إستفاد من الإستعدادات العسكرية وإعادة بناء القوات المسلحة، التى تمت فى عهد عبد الناصر، وشن حرب تحريك «وليس تحرير» هى حرب أكتوبر، التى تحركت الولايات المتحدة أثناءها

إلى جـانب إسـرائيل، ثم توقـفت لتـعطى الفـرصـة للسـادات لفك الاشتـباك، ومن ثم التـفاوض المباشـر، وانتـهـاءا بكامب دافيـد لأنها تيقنت من رغبته فى التعاون.

٨ - ونجد الأول قد توفى أثر مرض السكر والقلب وشيع فى جنازة لم يعرف العالم العربى لها مثيل. بينما تعرض الثانى للإغتيال فى ٦/١٠/١٩٨١ وخلت جنازته من كثير من ممثلى الدول العربية الذين ناصبوه العداء.

٩- وملاحظة أخيرة هى أن الأول إنتهى بعده النظام الذى بناه، أما الثانى، فقد استمر نظامه بعد وفاته بسبب تعدل الظروف الأقليمية والدولية.

المراجع العربية

(١) اسرائيل الكبرى الدكتوراسعد رزق، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٨ .

(٢) إسرائيل الكبرى، دراسة فى الفكر التوسعى الصهيونى. الدكتور أسعد رزق.

(٣) إسرائيل ١٩٨٥ ؛ أحداث ومواقف. اعداد رضا سليمان.

(٤) إسرائيل والقارة الأفريقية، الأبعاد والحاضر الدكتور محمد عبدالعزيز ربيع.

(٥) إسرائيل ١٩٨٤ .

(٦) الأخوان المسلمين والصلح مع إسرائيل. حسين كروم.

(٧) الأصول التاريخية لمسألة طابا ـ دراسة وثائقية دكتور يونان لبيب رزق.

(٨) انتخابات الرئاسة الأمريكية والصراع العربى الإسرائيلى ـ مركز اتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية.

(٩) اندماج الأحزاب العمالية الثلاثة، محمود عطا الله.

(١٠) التفسير الكبير للفخر الرازى ط (٣) (١١)تاريخ الرسل والملوك. امين جرير الطبرى، دار المعارف.

(١٢) التاريخ السرى لحرب إسرائيل. ميشيل بار زدهار.

(١٣) التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط. اسماعيل فهمى.

(١٤) تطبيع العلاقات بين جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل. وزارة الخارجية المصرية.

(١٥) تاريخ فلسطين السياسى تحت الإدارة البريطانية المذكرة التى قدمتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٤٧ إلى لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين ترجمة فاضل حسين، مطبعة الرابطة، بغداد ١٩٥٦.

(١٦) حول تاريخ الأنبياء عند بنى إسرائيل. م.ص. سيجال، ترجمة وتعليق دحسن ظاظا بيروت، ١٩٦٧.

(١٧) الحرب الدبلوماسية بين مصر وإسرائيل، حمدى فؤاد.

(١٨) حقيقة اسرائيل. اللواء الركن محمود مشيت خطاب، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٧.

(١٩)دلالة الحائرين. موسى ميمون ـ عرضه بأصوله العربية والعبرية حسين أتاى، جامعة أنقرة، ١٩٧٢.

(٢٠) دقت أجراس السلام، عبدالمنعم شميس.

(٢١) الدبلوماسية الصهيونية.الدكتور فايز صايغ، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت،١٩٦٧.

(٢٢) رواية بن جوريون للتاريخ. الدكتور سيد نوفل، إدارة الاستعلام والنشر جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٦٢.

(٢٣) السادات رجل الحرب... ورجل السلام، موسى بدوى.

(٢٤) السلام بين مصر وإسرائيل، مجدى حماد وأخرين.

(٢٥) السلام الصعب. فوميل لبيب.

(٢٦) السلام الضائع فى كامب ديفيد. محمد ابراهيم كامل.

(٢٧) السياسة الأميريكية تجاه الصراع العربى الاسرائيلى منذ حرب ٧٣ وحتى اتفاقية كامب دفيد. محمود محمد عبدالغفار.

(٢٨) سيطرة إسرائيل على الولايات المتحدة الأمريكية. نصار علمية.

(٢٩) الشرق الأدنى القديم؛ جـ ١ مصر والعراق عبد العزيز صالح، المطابع الأميرية القاهرة، ١٩٦٧.

(٣٠) عند مفترق الطريق. حرب أكتوبر ماذا حدث فيها وماذا حدث بعدها، محمد حسنين هيكل.

(٣١) للعرب والتحالف الأمريكى الإسرائيلى مركز اتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية.

(٣٢) الفكر الإسرائيلى وحدود الدولة. معهد الدراسات والبحوث العربية.

(٣٣) الفكر الدينى الإسرائيلى .حسن ظاظا، القاهرة، ١٩٧٥.

(٣٤) الفن القصصى فى القرآن الكريم. محمد أحمد خلف الله، القاهرة، ١٩٥١.

(٣٥) قاموس الكتاب المقدس. بطرس عبدالملك وآخرون. بيروت، ١٩٦٤.

(٣٦) القرآن الكريم.

(٣٧) قرار الحرب فى السياسة الإسرائيلية. السيد عليوه.

(٣٨) قصص الأنبياء .ابن كثير. القاهرة.

(٣٩) قصص الأنبياء. أحمد الثعلبى النيسابورى القاهرة، ١٩٥٤.

(٤٠) قصص القرآن. عبدالوهاب النجار، مطبعة الحلبى، القاهرة، ١٩٦٦.

(٤١) القصصى القرآنى. عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٥.

(٤٢) قنطرة الشر إسرائيل؛ طريق الامبريالية إلى العالم الثالث. عباس محمود العقاد.

(٤٣)كامب ديفيد بعد ١٠ سنوات. وليام ـ ب كوانق.

(٤٤) الكتاب المقدس (كتب العهد القديم والجديد) دار الكتاب المقدس، القاهرة.

(٤٥) الكتب التاريخية فى العهد القديم. مراد كامل، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٦٨.

(٤٦) الماباى الحزب الحاكم فى إسرائيل. ابراهيم العابد، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٦.

(٤٧) ماذا نأخذ بالمفاوضات. ناصف منير الريس.

(٤٨) مبادرة السلام: رحلة القرن العشرين توثيق وتحليل علمى. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.

(٤٩)محاربون ومفاوضون. كمال حسن على.

(٥٠) المدخل إلى سياسة اسرائيل الخارجية. سيد نوفل.

(٥١) مصر وأمريكا ـ عرض تاريخى لتطور العلاقات المصرية الأمريكية. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.

(٥٢) مصر والصراع العربى الاسرائيلى.

(٥٣) مصر والعرب واسرائيل فى الكتب المقدسة محمد أحمد محمود حسن.

(٥٤) معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم. أبوالمحاسن عصفور ـ دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١.

(٥٥) معاهدة السلام بين مصر واسرائيل وملحقاتها والاتفاق التكميلى الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفةالغربية وقطاع غزة الموقعان فى واشنطن فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ .

(٥٦) معاهدة السلام العربية لإسرائيلية فى ضوء قواعد القانون الدولى مزودة بالوثائق والخرائط. ابراهيم محمد العنانى.

(٥٧) الملل والنحل. محمد بن عبدالكريم الشهر ستانى مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٧.

(٥٨) المناظرة بين بطرس غالى وموش ديان، أمام الجمعية البرلمانية الأوروبية. اسامة الغزالى حرب.

(٥٩) المنظمة الصهيونية العالمية. اسعد عبدالرحمن منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٧ .

(٦٠) مؤتمر كامب ديفيد.. رؤية علمية. عبدالعزيز سليمان فؤاد وأخرين.

(٦١) المواجهة المصرية الإسرائيلية فى البحر الأحمر. د. عبدالعظيم رمضان.

(٦٢) الموقف المصرى فى المفاوضات الخاصة. بأقامة ترتيبات انتقالية للضفة الغربية وغزة. وزارة الخارجية المصرية.

(٦٣) الوجود الاسرائيلى والعربى فى أفريقيا.

محبات أمام الشرابى

(٦٤) وعليكم السلام. محمود عوض.

(٦٥) اليوميات الفلسطينية مجلد ٥,٤ من ١/٧/٦٧ الى ٣١/١٢/١٩٦٧ .

(٦٦) اليوميات الفلسطينية مجلد ٦ من ٦٧/١/٧ إلى ٣١/١٢/١٩٦٧

المراجع الأجنبية

1- The Road to Camp David. U. S. Negotiation Strategy towards t Arab– Israeli Conflict. Thomas Parken.

2- The Secret Wars of The C.I.A . (1981-1987). Bop Woodward.

3 - The Commanders. Bop Woodward.

4- Present at the Creation, "My years in the State Department".De Acheson.

5 - Herzil. Amos Elon.

6 - Israel's Secret Wars. I an Blak& Benny Morr.

7 - Ben- Gurion of Israel. Barent Litrinoff.

8 - Zionism and the Arabs, 1882-1948. (Astudy of Ideology).Yos Gorny.

9 - Ben- Gurion. Robert St. John.

10- Ben- Gurion and the Palestinian Arabs from Peace to War.Shabt Tereth.

11- Ben- Gurion "The Burning Ground" 1986- 1948.Shabtal Tereth.

12- Ben- Gurion (Apolitical Biograbhy).Maurice Edelman.

13 - The Israeli- Egyptian War of Attrition" 1969- 1970. Yaacove Bar, Siman to.

14- Suze The Twice- fough War (Ahistory).Kennet Love.

15 - Egypt and Israel. Howard M. Sachor.

16 - Israel: Year of Challenge.

17- Ben- Gurion looks back.

18- The Arab Brycott of Israel.

19 - The Economic of Peace Making. (Focus on the Egyptian). Chill, Dan. S.

20 - Israeli Pitnetion. The Promise of Peace Economic Cooperation Between.Arab, Ruth. W.

21 - Egypt- Israel. Bruton Henry, J.

22 - Double Vision Conflict. Chafete, Ze'ew.

23 - Decisions in Israeles Forign Policy. Aronse, Shloms.

24 - Destination Peace, Three decades of Israel Foriegn Policy. Brecher, Michael.

25 - Israel's Global role. Rafael, Gideon.

26 - Israeli Egyptian War of Attrition. Shahak, Israel.

27 - Negotiating for Peace in the M. E. Bar- Simon-ton Yaacov.

28 - Egypt- Israeil.Fahmy Ismail.

29- The United States and Israel. Sacher, Morley.

30 - The Palestinian proplem and U. S. Policy. Reich, Bernard.

31 - Egypt and the U.S. Kuniholm, Bruce Robelle.

32- Politicial Ideologesof israelis, Memeograph 1965. Meyer; Gail E.

33 - Ideogical Change in Israil Micihigan State University. Any-onovsky, aoron.

34 - The Government of the State of Israeil, Twayne Pulishers INC, New Yourk 1963. Arayan; Alan.

35 - Rebirth and Destiny, N; Y 1954. Ben- Gurion, David.

36 - Ben- Gurion Looks back (talks withe Moshe Pearlman) New York 1956. Simon and Shuster.

37- Bar Zohar, Michael .The Armed Prophet: A Biograbhy of Ben-Gurion Arthur Barmer Limited, London 1966.

38- Badi Joseph. The Covernment of Israel Twayne Publishers Inc. New York 1963.

39- Begin, Menochem. The Revolt: Story of the Irgun Henry Schuman, New York 1951.

40- Ben Gurion, David, Israel: years of challenge, anthony Blond, London 1964.

41- Ben Curion, David. Rebirth and Destiny of Israel Philosophical libary, New York, 1954.

42- Bernestien, Marver, H the Politics of Israel Princeton New Jersey, 1957.

43- Comay, Joan Ben Gurion and the Birth of Israeal Random House, New York 1967.

44- Gooke, Hedley V. Israeal: Ableing and a curse stevenes and sons, Limited London; 1960.

45- Dayan, Moshe. Diary of the Sinıai Cammpaıng English Translation by George Weıdenfield and Nicolson Ltd London, 1966.

46- Dunner, Joseph, The Republic of Israel. Whititlesey Housse, New York, 1950.

47- Edelman Maurice. David the Story of Ben Gurion G.P. Putnam's Sons, New York 1965.

48- Goldsmith, S. Twenty 20th century jews. Shengold publishers, inc, New York 1962.

49- Grandos, Jorge Garcia The Birth of Israel: the Drama as I saw it Alfred A Knopf, New York, 1948.

50- Horowitz, David. State in the Making. Alfred Knopf, New York 1953.

51- Hurewitz, J. C. The Struggle for palestine, W. Norton and Co Inc New York 1950.

52- Learsi, Rufus. Fulfilment: The Epic Story of Zie.

53- Desmond Donnlly, Struggle for the World-the Cold War: 1917-1963 New York: St. Martin's.

54- Foreign Relations of the United States,, 1941 (Washington, D.C.U.S. Government Prnting office) Vol. III, p. 20 I.

55- Foreign Relatiions of the United States, 1942 (Washington, D.C.U.S. Government Printing Office) Vol. I' p, 530.

56- Foreign Relations of the United States: 1941 Cited (ch.2) vol IV, pp 841. 42.

57- Longer and Gleason, the Underdard war, 1940-1941, Cited (ch. 3) pp; 909-10.

58- Foreign Relations of the United State, 1943 (Washington, D.C. U.S. Government Printing Office) Vol, II, P. 866.

59- Foreign Relations of the United State 1944. (Washington; D.C.U.S. Government Printing Office) Vol. IV.

60- Harley A. Notter; Postwar Foreign Policy U.S. Government Printing Office, 1949.

61- Sherman Kent; Strategic Intelligence (princetion University Press 1949) p, VIII.

62- Ransom. Central; Intlligence and National Security Cited, pp; 52. 53.

63- Truman, Years of tria land Hope Cited (Ch. 16) pp. 132-33.

64- Current Development in United States Foreign Policy (Washington, D.C. Brookings Instituion), Vol II No 4 November 1949 pp. 4,5.

65- Sill Samuel p. Huntington' the Common Defense (New York; Columbia University Press; 1961) pp. 50. 51.

66- Michael Howard and Robert Hunter, Israel and the Arab World' the Crisis of 1967 (London : Institue of strategie Studies, 1967)p. I.

67- Richard P. Stebbins, the United States in World Affairs 1951 (New York: Harppers Brother, 1952)p. 273.

68- Records of Conversations, Notes and papers Exchanged Between the Royal Egyptian Government and the United Kingdom Government, March 1950 Novemlber 1951 (Cairo Egyptian Ministry of foreign affairs, 1951) p. 155.

69- Department of State Bulletin, vol. XX v, October.

70- Andre' Chouragui- l'Eltat D' Israel- p. 93.

71- Ceorge Livet- les Cuerres de Religion 2a, edicao Paris, 1966.

72- Ceorges Contenau- les Civilisations Anciennes du Proche Orient" Paris, 1948.

73- Abbe' Jules Claras - "La Faillite des Religions" Harblay-(France)- pg. 200.

74- Cecile Morrision - les Croisades" _Paris 1969- pg 107.

75- Andre' chouragui- "Histories du Judaisme" 4a. edicao Paris, 1968- pg. 24.

76- Ldem- L'Etat d'Israel" 5a. ed-Paris, 1967- Pg 25.

77- Ander Chouragui- "L'Etat d'Israel" 5a.ed. Pgs 16 e 17.

78- Idem, idem, pg. 19.

79- Idem, idem, pg 24.

80- Idem, idem, pg 26.

81- Idem, idem, pg 29.

82- Idem, idem, pg 30.

Bibliography:

1- David Sling, Shimon Peres, Intervews, London, 1972.

2- Aaron S. Klieman, Israel and the World after 40 Years pergman-Bras sey's intemational Defense publishers, New York 1990.

3- Eliahu, The objectives of Israel's Foreign Police, Anglo-Israel so-ciation, 1957.

4- Herzi Diaries, Vol. I.

5- Dr. Fayez Sayegh, The Zioist Diplomacy, Research, Center, P.L.O. Beirut, 1969.

6- Moshe Peariman, Ben,- Gurion looks Back, New York, 1959.

7- Walter Eyton; The First ten years, Adiplomatic History, London. 1952.

8- ALex Bein, abiography of the Theoder Herzl, London, 1057.

9- J.L. Talmon, Israel among the Nations, London, 1970.

10- Ben Gurion Rebirth and Destingy of Israel, New York.

11- Michel Brecher, The Foreign Policy System of Israel Oxford University press, 1972.

12- David Ben - Gurion, Israel among the Nations, The Government of Israel, Year Book, 1952.

13- Reuven Shiluah, Ressearch center. The Middle East Record, 1960.

14- Henry. Kessingar, Domestic and Foreign Policy, Internationol politics and Forign policy, 1969.

15- Chaim Weizmann, Triad and Error, an autobiography, Shochon Books, New York, 1969.

16- Holt Rine Heart and Winston, Ben - Gurion, Israel, Years of Challenge.

17- Robert loewenberg and Micheal Widlianasky, can Israel Survive a Paleastinian State? Hebrew University, Jeruasalem, May 1990.

18- Abba Eban, The New Diploamacy, International Affairs in the Modern age, Weidenfeld and Nicolson, London, 1983.

19- Simaon D. Messing The Story of flasha, Priniting offset Company Borrklyn, New York, 1982.

20- The integration of the United States Jewy and Israel Durham University Miacrofilms.

21- The Stistical Abstracts of Israel, Vol 39, 1989.

22- Zeev Schiff and Ehud Yaari, ISrael's War in lebanon Edited and transIted by ina Friedmon, Simon and Schuster, New York 1984.

Periodicals:

1- Soviet Jewish Affaris, Vol, 17 No 3. 1987

2- The New Times, May, 15, 1990.

3- The Jewish Observer, August 25. 1987.

4- The New Outlook, August/ September, 1985.

5- The Jerusalem Quartly, No. 37. Ideolooy and Israeli Foreign Policy.

6- American Arab Affairs,. Spring, 1989.

7- The Jerusalem Quarterty No. II. 1989.

8- The Jewish Observer. March/ 15 1964.

9- Antonovsky, Aaron, Political Ideologies of Israelis, Memeograph, 1965.

10- Aryan, Alan, ideological change in Israel, Michaigan State University, 1965.

11- Badi, Joseph, The Government of the State of Israel, Twayane Publishers Inc, New York, 1963?

12- Ben - Gurion, David, Rebirth and Desting, N.Y. 1954.

13- Ben - Gurion Looks Back (In talks with Moshe Pearlman) Simon and Shuster, New York, 1956.

14- Bernstein, Marver, H., The Politics of Israel, Princeton, Princeton University Press, 1957.

15- Cooke, Hedley Vicars, Israel, a Blessing and a Curse, London, Stevens, 1960.

16- Gordon, A. D., Selected Essays, Trans, By Frances Burnce (N. Y. League for Labor Palestıne, 1938).

17- Government of Israel, Corernment Yearbook, 1953- 1954.

18- Government of Israel, Statısical Abstact, 1964.

19- Hadwin; Arnold, politics in Israel, London, Anglo - American Association, 1960.

20- Kerem Moshe, The Kibbutz, Published by "Israel Digest Jerusalem, October, 1963.

21- Kraines, Oscar, Gorernment and Politıcs in Israel, Boston, Houghton Mifflin, 1961.

22- Lillienthal, A. What Price Israel, Hennry Regnery Commpany; Chicage, 1953.

23- New Outlook, Tel-aviv, Vol. 6, No 4 and 7' Vol. 7, No 4.

24- Peretz, Don, The Middle East Today, Holt, Rinehdhrt Awinston Inc? N. Y. 1963.

25- Seligman, Lester, G. Leadershib in a New Nation, Athzrton Press, New York, 1964.

26- Who's Who (Israel)

27- Zweig, Ferdynand, The Israel Worker, Sharon Books New York, 1959.

28- Dead- Line Date of World Affairs, New York 1948-1966.

29- Keesings Contemporary Archıres, London, 1948- 1966.

30- Israel Government Year Book 1952.

31- American Jewish Year book 1966 American Jewish committee New York.

32- The Jewish Encyclopedia Vol. VI.

33- The Standerd Jewish Encyclopedia.

محتويات الكتاب

الموضوع

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٦/١٥٧٠

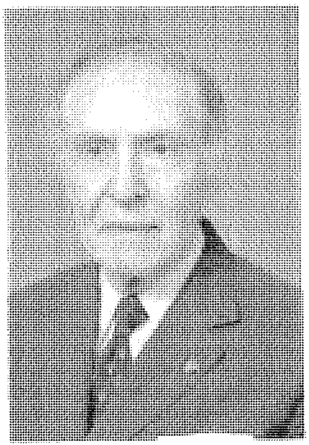
I.S B N 977-01-455-7

تصميم الغلاف

محمود القاضي

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

السفير الدكتور/ حسين شريف



* حاصل على ليسانس في القانون ـ ودكتوراه فى العلوم السياسية والاقتصادية من جامعة السربون بباريس.

* إلتحق بالسلك الدبلوماسى عام ١٩٤٢ وعمل بالأتحاد السوفيتى وفرنسا وإيطاليا والحبشة والعراق وسوريا ولبنان والبرازيل ورومانيا، ثم مديراً لإدارة أمريكا الشمالية وكندا بوزارة الخارجية، ثم سفيراً لمصر فى البرازيل. وهو عضو الآن فى المجالس القومية المتخصصة. وعضو جمعية العلوم السياسية.

* مثل مصر فى العديد من المؤتمرات الدولية بالخارج.

له مؤلفات منها:

* وحدة وادى النيل باللغة الفرنسية.
* مفهوم السياسة الأمريكية من خلال مؤلفات هنرى كيسنجر.
* النواحى الاقتصادية والسياسية الأمريكية تجاه العالم.
* التحدى اليابانى فى التسعينات.
* السياسة الخارجية الأمريكية ـ اتجاهاتها وتطبيقاتها من الحرب العالمية الثانية إلى عام ١٩٩٤ (جزءان).
* المفهوم السياسى والاجتماعى لليهود عبر التاريخ ـ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية ١٩٠٠ ق م ـ ١٩٩٥م (أربعة أجزاء).
* له مقالات عديدة فى السياسة الدولية.
* حاصل على وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى من مصر.
  ووسام أوفسيه من الدرجة الأولى من فرنسا.
  ووسام الرافدين من العراق.
  ووسام وكزويرودى سول من البرازيل.

٢٠٧٥ قرشا